

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة غافر و تسمى سورة 'المؤمن و الطول'

مقصودها الاستدلال على آخر التي قبلها من تصيف الناس في الآخرة إلى صنفين، و توفية كل ما يستحقه على سبيل العدل، بأن^٢ فاعل ذلك له العزة الكاملة و العلم الشامل، و قد بين ما يفضيه و ما يرضيه غاية البيان على وجه الحكمة، فمن لم يسلم أمره كله إليه و جادل في آياته هـ الدالة على القيامة أو غيرها بقوله أو فعله فانه يخزيه فيعذبه و يرديه، و^٤ على ذلك دلت تسميتها بغافر، فانه لا يقدر على غفران ما يشاء لمن يشاء إلا كامل العزة، و لا يعلم جميع الذنوب ليسي غافرا لها إلا بالغ العلم،

(١) سقط من م و مد (٢) الأربعين من سور القرآن الكريم، مكية، و آياتها خمس و ثمانون في الكوفي و الشامي، و أربع في الحجازي، و اثنتان في البصري، و قيل: ست و ثمانون، و قيل: ثمان و ثمانون - راجع روح المعاني ٤٣١/٧ و زيد في مد: بسم الله الرحمن الرحيم، رب زدني علما و فتحا في كتابك و فهما يا كريم، قال أضعف الخلق و أوجههم إلى عفو الحق إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي الشافعي مكمل كتابه «نظم الدرر من تناسب الآيات و السور» (٣) من م و مد، و في الأصل و ظ: فان (٤) زيد في الأصل و ظ: كله، و لم تكن الزيادة في م و مد فحذفناها.

و كذا في جميع الأوصاف التي في الآية من اثاب و تعاقب . و كذا
الطول فانه لا يقدر على التطول ' المطلق إلا من كان كذلك . فان من
كان ناقص العزة فهو قابل لأن يمنعه من بعض التطولات مانع . و ان
يكون ذلك إلا نقصان العلم . و كذا الدلالة بتسميتها بالمؤمن فان قصته
ه تدل على هذا المقصد و لا سيما أمر القيامة الذي هو جل المقصود
و المدار الأعظم لمعرفة المعبود ﴿ بسم الله ﴾ الملك الأعظم الذي يعطى
كلا من عباده ما يستحقه ، فلا يقدر أحد أن يناقض في شيء من
ذلك و لا يعارض ﴿ الرحمن ﴾ الذي عمهم برحمته في الدنيا بالخلق
و الرزق و البان الذي لا خفاء معه ﴿ الرحيم ﴾ الذي يخص برحمته من
١٠ يشاء من عباده ، فيجعله حكيمًا . و في تلك الأرض و ملكوت السماء عظيمًا
﴿ حمّ ج ﴾ أى هذه حكمة محمد صلى الله عليه و سلم التي خصه بها
الرحمن الرحيم المجيد بما له من صفة الكمال .

لما كان ختام التي قبلها إثبات الكمال لله بصدقه في وعده
و وعيده بانزال كل فريق في داره التي أعدها له . ثبت أن الكتاب
١٥ الذي فيه ذلك منه ، و أنه تام العزة كامل العلم جامع لجميع صفات
الكمال فقال : ﴿ تنزيل الكتب ﴾ أى الجامع من الحدود و الأحكام
و المعارف و الاكرام لكل ما يحتاج إليه بانزاله بالتدريج على حسب
المصالح و التقريب للأفهام الجامدة القاصرة ، و التدريب للألباب السائرة
(١) من ظ و م و مد ، و في الأصل : الطول (٢) من مد ، و في الأصل
و ظ و م : و لا .

في جو المعاني و"لطائره" (من الله) أي الجامع لجميع صفات الكمال .
ولما كان النظر هنا من بين جميع الصفات إلى العزة والعلم أكثره ،
لأجل أن المقام لإثبات الصدق وعدا وعدا قال : (العزیز العليم لا) .
وقال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما افتتح سبحانه سورة الزمر
بالإخلاص وذكر سيبه والحامل بأذن الله عليه وهو الكتاب ، وأعقب هـ
ذلك بالتعريض بذكر من نبت على وصفهم سورة ص و تابعت الآي
في ذلك الغرض إلى توبيخهم بما ضربه سبحانه من المثل الموضح في قوله
"ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشككون ورجلا سلما لرجل"
ووصف الشركاء بالمشاكسة إذ بذلك الغرض يتضح عدم استمرار مراد
لأحدهم ، وذكر قبح اعتذارهم بقولهم "ما نعبدهم" إلا ليقربونا إلى الله زلفى ، ١٠
ثم أعقب تعالى بالإعلام بجهله وعزته حتى لا يتجمل مخذول شذوذ
أمر عن يده وقهره ، فقال الله تعالى "ليس الله بكاف عبده - إلى
قوله : ليس الله بعزير ذي انتقام" ثم أتبع ذلك بحال أندادهم من أنها
لا تضر ولا تنفع فقال / "قل أفرءيتم ما تدعون من دون الله أن يرادني
٥٢٣ / الله بضر هل من كشفته ضره أو يرادني برحمة هل من أمسكت رحمة" ١٥
ثم أتبع هذا بما يناسبه من شواهد عزته فقال "قل لله الشفاعة جميعا" "قل
اللهم فاطر السموات والأرض علم الغيب والشهادة" ، "أولم يعلموا
(١) من ظ و م ومد و القرآن الكريم ، وفي الأصل : مانعبد (٢) من مد ،
وفي الأصل و ظ و م : في (٣) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : الله .
(٤-٤) ليس ما بين الرقيين في م ومد .

ان الله يسطر الرزق لمن يشاء و يقدر " الله خالق كل شئ " " له مقاليد السموت و الارض " ثم عنفهم و قرعهم بجهلهم فقال تعالى " اغفیر الله تاملونی اعبدوا ایها الجهلون " ثم قال تعالى " و ما فدرؤا الله حق قدره و الارض جمیعا قبضته یوم القیمة و السموت مطویرت بیمیته " ٥ ثم اتبع [تعالى - ١] ذلك بذكر آثار العزة و القهر فذكر النسخ في الصور للصق ثم نفخة القيام و الجزاء و مصیر الفریقین ، فبارک المتفرد بالعزة و القهر ، فلما انطوت هذه الآی من آثار عزته و قهره علی ما أشیر إلی بعضه ، أعقب ذلك بقوله سبحانه و تعالى " حَمَّ تَزِيلُ الْكَشْبِ مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ، فذكر من أسمائه سبحانه هذين الاسمين العظیمین ١٠ تنبیها علی افراده بموجبهما ' و أنه العزیز الحق القاهر للخلق لعلہ تعالى بأوجه الحکمة التي خفیت عن الخلق ما آخر الجزاء الحتم للدار الآخرة ، و جعل الدنیا دار ابتلاء و اختبار . مع قهره للکل فی الدارين معا ، و کونهم غیر خارجین عن ملکہ و قهره ، ثم قال تعالى " غافر الذنب و قابل التوب " تأنیسا لمن استجاب بحمده ، و أناب بلطفه ، و جریا ١٥ علی حکم سبقیة الرحمة و تغلیها ، ثم قال " شدید العقاب ذی الطول " لیاخذ المؤمنین بلازم عبودیته من الخوف و الرجاء ، و اکتف قوله " شدید العقاب " بقوله " غافر الذنب و قابل التوب " و قوله " ذی الطول " و أشار سبحانه [بقوله - ١] " فلا یغرک تقلبهم فی البلاد - إلی قوله قبل " و اورثنا الارض " و کانه فی تقدیر: إذا

(١) زید من م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فی الأصل : بموجبها .

کانت

(١)

٤

كانت العاقبة لك ولا تباعك فلا عليك من تقلبهم في البلاد، ثم بين تعالى أن حالهم في هذا كحال الأمم قبلهم، وجدالهم في الآيات كجدالهم، وأن ذلك لما حق عليهم من كلمة العذاب، وسبق لهم في أم الكتاب - انتهى .

و لما تقدم آخر تلك [أن - '] كلمة العذاب حقت على الكافرين، هـ
فكان ذلك ربما^١ أياأس من تلبس بكفر من الفلاح، وأومه أن انسلخه^٢
من الكفر غير يمكن^٣، وكان الغفران - وهو محو الذنب عينا وأثرا -
مرتبا على العلم به، وكان التسكن من الغفران وما رتب عليه من الإوصاف
نتيجة العزة، دل عليها مستطفا^٤ لكل عاص ومقصر بقوله:
(غافر الذنب) أى توبة وغير توبة إن شاء، وهذا الوصف له دائما ١٠
فهو معرفة، قال السمين: نص سيويه على أن كل ما إضافته غير محضة
جاز أن تجعل محضة وتوصف بها المعارف إلا^٥ الصفبة المشبهة،
ولم يستثن الكوفيون شيئا .

ولما أفهم تقديمه على التوبة أنه غير متوقف عليها فيما عدا الشرك،
وكان المشركون يقولون: قد أشركنا وقتلنا وبالغنا في المعاصي فلا ١٥
يقبل رجوعنا فلا فائدة لنا في إسلامنا، رغبهم في التوبة بذكرها وبالعطف

- (١) زيد من م ومد (٢) زيد في الأصل: كان، ولم تكن الزيادة في ظ
وم ومد فحذفنا (٣) من مد، وفي الأصل وظ وم: انسلخه - كذا .
(٤) من م ومد، وفي الأصل وظ: محكم (هـ) من م ومد، وفي الأصل
وظ: عليها متطفا (٦) من م ومد، وفي الأصل وظ: لا .

بالواو الدالة على تمكن الوصف إعلاماً بأنه سبحانه لا يتعاطفه ذنب فقال:
 (وقابل التوب) و جرد المصدر ليفهم أن أدنى ما يطلق عليه الاسم
 كاف . وجعله اسم جنس كأخواته ' أنسب من جعله بينها ' جمعا / كثر
 و ثمرة . ولما كان الاختصار على الترغيب ربما أطمع عذر المتأدى
 ه من سطوته ، فقال معرباً عن الواو ثلثاً يؤنس ما يشعر به كل من العطف
 والصفة المشبهة من التمكن ، وذلك إعلاماً بخفي لطفه في أن رحمته سبقت
 غضبه ، وأنه لو أبدى كل ما عنده من العزة لأهلك كل من عليها كما
 أشير إليه بالمفاعلة في " ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم " فان الفعل إذا
 كان بين اثنين كان أبلغ : (شديد العقاب لا) على أن تنكيره وإبهامه -
 ١٠ كما قال الزمخشري - للدلالة على فرط الشدة وعلى ما لا شيء أدهى
 منه وأمر ، لزيادة الإنذار وهي أخفى من دلالة الواو لو أوتى بها .

ولما آتم الترغيب بالعفو والترهيب من الأخذ ، أتبعه التشويق
 إلى الفضل . فقال معرباً عن الواو لأن المقام لا يقتضى المبالغة ، والحذف
 غير مخجل بالعرض فان دليل العقل قائم على كمال صفاته سبحانه :
 ١٥ (ذى الطول) أى 'سعة الفضل' والإنعام والقدرة والغنى والسعة
 والمثة ، لا يماثله فى شيء من ذلك أحد ولا يدانيه ، ثم علل تمكنه
 فى كل شيء من ذلك بوحديته فقال : (لا اله الا هو) ولما أتبع

(١) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : كاخواته (٢) من م ومد ، وفى
 الأصل و ظ : بينهما (٣) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : المادى (٤-٥) من
 م ومد ، وفى الأصل و ظ : الفعل .

هذا كله تفرده. أنتج قطعا قوله: ﴿إليه﴾ أى وحده ﴿المصير﴾ أى
فى المعنى فى الدنيا، وفى الحس والمعنى فى الآخرة. ليظهر كل من هذه
الصفات ظهورا تاما، بحيث لا يبقى فى شيء من ذلك لبس، فانه لا يصح
فى الحكمة أن يبقى أحد على العباد ثم يموت فى عزة من غير نقمة
فيضيع ذلك المعنى عليه، لأن هذا أمر لا يرضى أقل الناس أن
يكون بين عيده.

ولما تبين ما للقرآن من البيان الجامع بحسب نزوله جوابا لما
يعرض لهم من الشبه، فدل بازاحته كل علة على ما وصف سبحانه
به نفسه المقدس من العزة [والعل - '] يانا لا خفاء فى شيء منه،
أنتج قوله ذما لمن يريد إبطاله وإخفائه: ﴿ما يجادل﴾ أى يخاصم ١٠
و يمارى ويريد أن يقتل الأمور إلى مراده ﴿فى أئنت﴾ وأظهر
موضع الإضممار تعظيما للآيات فقال: ﴿الله﴾ أى فى إبطال أنوار
الملك الأعظم المحيط بصفات الكمال الدالة كالشمس على أنه إليه المصير،
بأن يغش نفسه بالشك فى ذلك لشبه يميل معها، أو غيره بالتشكيك له،
أو فى شيء غير ذلك مما أخبر به تعالى ﴿إلا الذين كفروا﴾ أى غطوا ١٥
مرأى عقولهم وأنوار بصرهم لئلا على أنفسهم وتليسا على غيرهم.
ولما ثبت أن الحشر لا بد منه، وإن الله تعالى قادر على كل قدرة

(١) زيد من م ومد (٢) من ظ وم ومد، وفى الأصل: يصل (٣) من
م ومد، وفى الأصل وظ: لنسبة (٤) من م ومد، وفى الأصل
وظ: كما.

لأنه لا شريك له و هو محيط بجميع أوصاف الكمال ، تسبب عن ذلك قوله : ﴿ فلا يغرك قلبهم ﴾ أى تنقلهم بالتجارات و الفوائد و الجيوش و المساكر و إقبال الدنيا عليهم ﴿ فى البلاده ﴾ فانه لا يكون الفعل بالقلب إلا عن قهر و غلبة ، فظن لإمهالنا إياهم أنهم على حق ، أو أن أحدا يحميهم علينا ، فلا بد من صيرورتهم عن قريب إلينا صاغرين داخرين ، و تأخيرهم إنما هو ليبلغ الكتاب أجله .

و لما نهى عن الاغترار بما لا قوة لاحد على صرفه عن نفسه إلا بتأييد من الله ، علله بما يحقق معنى النهى من أن التقاب و ما يثمره لا يصح أن يكون معتمدا ليزهد فيه كل من سمع هاتين الآيتين ، فقال مشيرا بتأنيث الفعل إلى ضعفهم عن المقاومة ، و تلاشيم عند المصادمة ، و إن كانوا فى غاية القوة بالنسبة إلى أبناء جنسهم : ﴿ كذبت ﴾ و لما كان تكذيبهم عظيما و [كان - ١] زمانه قديما و ما قبله من / الزمان قليلا بالنسبة إلى ما بعده و طال البلاء بهم ، جعل مستغرقا بجميع الزمان ، فقال من غير خافض : ﴿ قلبهم ﴾ و لما كان الناس على زمن نوح عليه السلام حزبا واحدا مجتمعين على أمر واحد و لسان جامع ، و حدم فقال : ﴿ قوم نوح ﴾ أى و قد كانوا فى غاية القوة و القدر على القيام

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لاهالنا (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل و و (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : قرب (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : التلقب (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يعزه - كذا (٦) زيد من م و مد (٧) فى مد : زمانهم .

بما يحاولونه^١ و كانوا حزبا واحدا لم يفرقهم شيء . ولما كان الناس
من بعدهم [قد كثروا - ^٢] و فرقهم اختلاف الآلسة والأديان ،
و كان للأجمال من الروح في بعض المواطن ما ليس للتفصيل قال :
(و الأحزاب) أى الأمم المتفرقة الذين لا يحصون عددا ، و دل على
قرب زمان الكفر من الإنجاء من الفرق بقوله : (من بعدهم) . هـ
و لما كان التكذيب وحده كافيا فى الأذى ، دل على أنهم زادوا
عليه بالمبالغة فى المناصبة بالمعاندة ، و قدم قصد الإهلاك لأنه أول ما
يريد العدو فان عجز عنه نزل إلى ما دونه فقال : (و همت كل أمة)
أى من الأحزاب المذكورين (برسولهم) أى الذى أرسلناه إليهم .
و لما كان الأخذ يعبر به عن الغلبة و القهر و الاستصغار مع الغضب ١٠
قال : (ليأخذوه) و لما كان سوق الكلام هكذا دالا على أنهم عجزوا
عن الأخذ ، ذكر أنهم بذلوا جهدهم فى المغالبة بغيره ، فقال حاذفا للمفعول
تعميما : (و جدلوا بالباطل) أى الأمر الذى لاحقيقة له ، و ليس له
من ذاته إلا الزوال ، كما تفعل قريش و من انضوى إليهم من العرب ،
ثم بين علة مجادلهم فقال : (ليدحضوا) أى ليزلقوا فيزلوا ١٥
(به الحق) أى الثابت ثباتا لاجلته فى إزالته .

و لما كان من المعلوم لكل ذى لب أن فاعل ذلك مغلوب ، و أن

- (١) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : مجادلونه (٢) زيد من ظ و م و مد .
(٣) فى م : قصة (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : العالمة (هـ) من ظ و م و مد ،
و فى الأصل و م : فيزلوا (٦) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م
و مد فحذفناها .

فله مسبب لغضب المرسل عليه ، قال صارفا القول إلى التكلم دفعا للاباس ، وإشارة إلى شدة الغضب وجرده عن مظهر العظمة استصغارا لهم : (فآخذتهم) أى أهلكتهم وهم صاغرون غضبا عليهم وإهانة لهم . ولما كان أخذه عظيما ، دل على عظمته بأنه أهل لأن يسأل عن حاله لزيادة عظمتها في قوة بطشها وسرعة إهلاكها وخرقها للعوائد فقال : (فكيف كان عقابهم) ومن نظر ديارهم وتقري آثارهم وقف على بعض ما أشرنا إليه ونهنا عليه ، وحذف بآء التكلم إشارة إلى أن أدنى شيء من عذابه "أدنى نسبة" كاف في المراد وإن كان المذهب جميع العباد .

١٠ ولما كان التقدير : فحقت عليهم كلمة الله لأخذهم على هذا الجدل إنهم أصحاب النار التي جادلوا فيها ، عطف عليه قوله : (وكذلك) أى ومثل ما حقت عليهم كلمتنا بالأخذ ، فلم يقدرُوا على التفصى من حقوقها (حقت) بالأخذ والنكال (كلمت) وصرف الكلام إلى صفة الإحسان تلطفا به صلى الله عليه وسلم وبشارة له بالرفق بقومه ١٥ فقال : (ربك) أى المحسن إليك بجميع أنواع الإحسان فهو لا يدع أعداءك .

ولما كان السياق للجدالة بالباطل وهى قل الخصم عن اعتقاده الحق ،

(١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : عليهم (٢) من م و مد ، وفى الأصل وظ : جوده (٣ - ٤) وقع ما بين الرقین فى الأصل وظ بعد « جمع العباد » والترتيب من م و مد (٤) من م و مد ، وفى الأصل وظ : عند .

وذلك

٥٢٦ /

وذلك تغطية للدليل الحق وتليس، كان الحال أحق بالتعبير بالكفر الذى معناه التغطية فلذا قال تعالى: ﴿على الذين كفروا﴾ أى أوقعوا الكفر وقتا ما كلهم سواء هؤلاء العرب وغيرهم، لأن علة الإهلاك واحدة، وهى التكذيب الدال على أن من تلبس به مخلوق للنار، ثم أبدل من الكلمة، فقال: ﴿انهم اصحب النار﴾ أى من كفره فى حين من الأحيان فهو مستحق للنار فى الأخرى كما أنه مستحق للاخذ فى الدنيا لايبالى الله به بالة، فمن تداركته الرحمة بالتوبة نجما، ومن أوبقته اللعنة بالإصرار هلك.

ولما بين عداوة الكفار للأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم رضى الله عنهم بقوله "ما يجادل فى آيت الله" وما بعده، وكان ذلك ١٠ أمرا غائظا محزنا موجعا، وختم ذلك ببيان حقوق كلمة العذاب عليهم تسلية لمن عادوهم فيه سبحانه، زاد فى تسليتهم شرحا لصدورهم و تثيتا لقلوبهم ببيان ولاية الملائكة المقربين لهم مع كونهم أخص الخلق بحضرة سبحانه وأقربهم من محل أنسه وموطن قدسه و بيان حقوق رحمته للذين آمنوا بدعاء أهل حضرة لهم فقال، أو يقال: إنه لما بين حقوق ١٥ كلمة العذاب، كان كأنه قيل: فكيف النجاة؟ قيل: بإيقاع الإيمان بالتوبة عن الكفران! ليكون موقعه أهلا للشفاعة فيه من أهل الحضرة العلية،

(١) من م ومد، وفى الأصل و ظ: هو (٢) فى م: الأخذ (٣) من ظ وم ومد، وفى الأصل: مال (٤) زيد فى الأصل: كان. ولم تكن الزيادة فى ظ وم ومد لغيرها (٥) من م ومد، وفى الأصل و ظ: الكفر.

فيغفر له إن تاب ما قدم من الكفر، فقال مظهرنا اشرف الإيمان
وفضله : ﴿الذين يحملون العرش﴾ و هم المقربون و هم أربعة كما يذكر إن
شاء الله تعالى في الحاقة، فإذا كانت القيامة كانوا ثمانية، و هل هم أشخاص
أو صفوف فيه كلام يذكر إن شاء الله تعالى ﴿و من حوله﴾ و هم
جميع الملائكة و غيرهم ممن ربما أراد الله كونه محيطا به كما تقدم في
التي قبلها و ترى الملائكة حافين من حول العرش أي طائفين به،
فأفادت هذه العبارة النص على الجميع مع تصوير العظمة .

و لما كان ربما وقع في وهم أنه سبحانه محتاج إلى حملهم لعرشه
أو إلى عرشه أو [إلى - شيء]، نه^٢ بالتسريح على أنه غنى عن كل شيء .
١٠ و أن المراد بالعرش والحلة و نحو ذلك إظهار عظمته لنا في مثل محسوسة
لطفا منه بنا تنزلا إلى ما تسعه عقولنا و تحمله أفهامنا، فقال مخبرا عن
الابتداء و ما عطف عليه : ﴿يسبحون﴾ أي ينزهون أي يرفعون تنزيهه
سبحانه عن كل شائبة نقص ملتبسين^٣ ﴿بمجد﴾ و صرف القول إلى
ضميرهم إعلاما بأن الكل عبيده من العلويين و السفليين القريب و البعيد،
١٥ و كاثنون تحت تصرفه وقهره، و إسمانه و جبره، فقال : ﴿رهبهم﴾ أي
باحاطة المحسن إليهم بأوصاف الكمال .

و لما كان تعالى باطنا لا يحيط أحد به علما، أشار إلى أنهم مع أنهم
أهل الحضرة هم من وراء حجاب الكبر و أردية العظمة، لافرق بينهم
(١) من م، و في الأصل : و لما، و سقط من ظ و مد (٢) زيد من ظ
و م و مد (٣) من ظ و م و مد، و في الأصل : منه (٤) في ظ : مبتليسين .
في (٣) ١٢

في ذلك و بين من هو في الأرض السفلى بقوله : ﴿ و يؤمنون به ﴾
 لأن الإيمان إنما يكون بالغيب . و لما كانوا لقربهم أشد الخلق خوفا
 لأنه على قدر القرب من تلك الحضرات يكون الخوف ، فهم أشد
 [خوفا -^١] من أهل السماء السابعة ، و أهل السماء السابعة أشد خوفا من
 [أهل السماء -^٢] السادسة و هكذا ، و كانوا [قد -^٣] علوا من تعظيم^٥
 الله تعالى للنوع الإنساني ما لم يعلمه غيرهم لأمره سبحانه لهم بتعظيمه بما
 اختص به / سبحانه من السجود ، و كان من أقرب ما يتقرب [به -^٤]
 إلى الملك التقرب إلى أهل وده . نبه سبحانه على ذلك كله بقوله :
 ﴿ و يستغفرون ﴾ أي يطلبون محو الذنوب أعيانا و آثارا .

٥٢٧ /

و لما كان الاشتراك في الإيمان أشد من الاتحاد في النسب ، قال ١٠
 دالا على أن الاتصاف بذلك يجب أن يكون أدعى شيء إلى النصيحة
 و أبغى على إحاطة الشفقة : ﴿ للذين آمنوا ﴾ أي أوقعوا هذه الحقيقة
 لما بينهم من أخوة الإيمان و مجانسته و إن اختلف جنسهم في حقيقة
 التركيب و إن وقع منهم بعد ذلك خلل يحق عليهم الكلمة لولا العفو
 ” و ما قدروا الله حق قدره “ ” و يعفو عن كثير “ و لن يدخل أحد ١٥

الجنة بعمله . و لما ذكر استغفارهم بين عبارتهم عنه بقوله : ﴿ ربنا ﴾
 أي أيها المحسن إلينا بالإيمان و غيره . و لما كان المراد بيان اتساع رحمته

(١) زيد في الأصل و ظ : تلك ، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها .
 (٢) زيد من م و مد (م) زيد من ظ و م و مد إلا أن كلمة « السماء » ليست
 في ظ و مد (٤) من م و مد ، و في الأصل و ظ : علم (٥) سقط من م .

سبحانه و عليه . و كان ذلك أمرا لا يحتمله العقول ، عدل إلى أسلوب التمييز
 تنيها على ذلك مع ما فيه من هز السامع و تشويقه بالإيهام إلى الإعلام
 فقال : ﴿ وسعت كل شيء ﴾ ثم بين جهة التوسع بقوله تميزا محولا
 عن الفاعل : ﴿ رحمته ﴾ أى رحمتك أى بإيجاده من العدم فما فوق ذلك
 ه ﴿ وعلما ﴾ أى و أحاط بهم عليك . فمن أكرمه فعن علم بما جبلته عليه
 بما يقتضى إهانة أو إكراما .

ولما كان له سبحانه أن يفعل ما يشاء من تعذيب الطائع و تنعيم
 العاصي و غير ذلك . قالوا منبهين على ذلك : ﴿ فاغفر للذين تابوا ﴾
 أى رجعوا إليك عن ذنوبهم برحمتك لهم بأن تمحو أعيانها و آثارها ،
 ١٠ فلا عقاب أو لا عتاب و لا ذكر لها ﴿ واتبعوا ﴾ أى كفوا أنفسهم
 على ما لها من العوج أن لزموا ﴿ سبيلك ﴾ المستقيم الذى لا لبس فيه . ولما
 كان الغفران قد يكون لبعض الذنوب ، و كان سبحانه له أن يعذب
 من لا ذنب له . و أن يعذب من غفر ذنبه قالوا : ﴿ و قهم عذاب الجحيم ه ﴾
 أى اجعل بينهم و بينه وقاية بأن تلزمهم الاستقامة و تتم نعمتك عليهم ،
 ١٥ فانك وعدت من كان كذلك بذلك ، و لا يبدل القول لديك . و إن
 كان يجوز أن تفعل ما تشاء .

ولما كانت النجاة من العذاب لا تستلزم اثواب ، قالوا مكررين صفة

(١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : تشويفه (٢) سقط من م (٣) من مد ، وفى
 الأصل و ظ و م : يمحوا (٤-٤) سقط ما بين الرفعين من ظ (٥) من م و مد ،
 وفى الأصل و ظ : لهذا (٦-٦) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : له سبحانه .

الإحسان زيادة في الرقة في طلب الامتتان : ﴿ ربنا ﴾ اى ايها المحسن
إلينا بتوفيق أحبائنا الذين لاذونا بالمشاركة في عبادك بالجنان و اللسان
و الأركان ﴿ و ادخلهم جنت عدن ﴾ اى إقامة لا عناد فيها . و لما كانوا
عالمين بأنه سبحانه لا يجب عليه لأحد شيء . و لا يفتح منه شيء ، نهوا على
ذلك بقولهم : ﴿ اتى وعدتهم ﴾ مع الزيادة في التملق^٢ و اللطافة في الحث^٥
و إدخالهم^٤ لأجل استعمالك^١ أيام الصالحات .

و لما كان الإنسان لا يطيب له نعيم دون أن يشاركه فيه أحبابه
الذين كانوا يشاركونه في العبادة قالوا^٦ مقدمين أحق الناس بالإجلال :
﴿ و من صلح من آبائهم ﴾ ثم أتبعوهم أصقهم^٧ بآبال فقالوا :
﴿ و ازواجهم و ذريتهم^٨ ﴾ . و لما كان فاعل هذا منا ربما نسب إلى ١٠
ذل أو سفه ، و ربما عجز عن الغفران لشخص لكثرة المعارضين ، عللوا
بقولهم مؤكدين لأجل نسبة الكفار العز إلى غيره ، و من ذلك تسميتهم
العزى : ﴿ انك انت ﴾ اى وحدك ﴿ العزى ﴾ فانت تغفر لمن شئت
غير / منسوب إلى عزى ﴿ الحكيم ﴾ فكل فعل لك فى أم مواضعه
فلذلك^٩ لا يثبأ لأحد نقضه و لا نقصه .

١٥

و لما كان الإنسان قد يغفر له و يكرم ، و فيه من الأخلاق ما ربما

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : إليها (٢) من ظ و م و مد ، و فى
الأصل : لاسح (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : التمكن (٤-٥) من م
و مد ، و فى الأصل و ظ : لاستعمالك (٥) فى ظ : قال (٦) من ظ و م و مد ،
و فى الأصل : الصقوم (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فكذا .

حمله على بعض الافعال الناقصة دعوا لهم بالكمال فقالوا: (وقهم السيئات)^١
 أى بأن تجعل 'ينهم' و 'ينها' وقاية^٢ بأن تطهرهم من الاخلاق الحاملة
 عليها تطهير القلوب بنزع كل ما يكره منها أو بأن يغفرها لهم ولا يجازيهم
 عليها، وعظموا هذه الطهارة رغبة في حمل النفس في هذه الدار على
 لزومها بقمع النفوس وإماتة الحظوظ بقولهم: (ومن تق السيئات)^٣
 أى جزاءها كلها (يومئذ) أى يوم إذ تدخل فريقا الجنة وفريقا النار
 المسية عن السيئات أو إذ تراف الجنة للمتقين وتبرز الجحيم للغاوين:
 (فقد رحمة) أى الرحمة الكاملة التي لا يستحق غيرها^٤ أن يسمى معها
 رحمة، فان تمام النعم لا يكون إلا بها لزوال التعاسد والتباغض و النجاة
 ١٠ من النار باجتنب السيئات و لذلك قالوا: (وذلك) أى الأمر العظيم
 جدا (هو) أى وحده (الفوز العظيم) فالآية من الاحتباك: ذكر
 إدخال الجنات أولا دليلا على حذف النجاة من النار ثانيا، ووقاية
 السيئات ثانيا دليلا على التوفيق للصالحات أولا، و سر ذلك التشويق
 إلى المحبوب^٥ وهو الجنان - بعمل المحبوب^٦ - وهو الصالح - والتنفير من
 ١٥ النيران باجتنب الممقوت من الأعمال، وهو السعي، فذكر المسبب أولا
 وحذف 'السبب لأنه' لاسبب في الحقيقة إلا الرحمة، و ذكر السبب ثانيا

(١ - ١) من ظ و م و مد، و في الأصل: بينها وبينهم (٢) زيد بعده في
 الأصل: أى، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٣) من م و مد،
 و في الأصل و ظ: غيره (٤) من م و مد، و في الأصل و ظ: كذلك،
 (٥) في م و مد: و الآية (٦ - ٩) سقط ما بين الرقین من م (٧ - ٧) من ظ و م
 و مد، و في الأصل: المسبب عنه .

في إدخال النار و حذف المسبب .

و لما آثم حال الذين آمنوا، فتشوّفت النفس إلى معرفة ما
لأضدادهم، قال مستأنفا مؤكدا لإنكارهم هذه المناداة بإنكار يومها:
(ان الذين كفروا) أى أوقعوا الكفر و لو لحظة (بنادون) أى
يوم القيامة ينداء يناديهم به من أراد الله من جنوده أو^١ في هذه الدار
بلسان الحال بهذا الكلام . و لما كان عندهم - لكونهم في هذه الدار
أرفع نعمة - أنهم آثر عند الله من فقراء المؤمنين، أكد قوله: (لمقت الله)
أى الملك الأعظم إياكم بخذلانكم (أكبر من مقتكم) وقوله:
(انفسكم) مثل قوله تعالى "انظر كيف كذبوا على انفسهم" جاز
على سبيل الإشارة إلى تنزه الحضرة المقدسة عما لزم فعلهم من المقت، ١٠
فان من دعا إلى أحد فأعرض عنه إلى غيره كان إعراضه مقنا للعرض
عنه، و هذا المقت منهم الموجب لمقت الله لهم موصل لهم إلى عذاب
يمقتون به أنفسهم. و المقت أشد البغض، ثم ذكر ظرف مقتهم العائد
وباله عليهم بقوله: (اذ) أى حين، و أشار إلى أن الإيمان لظهور
دلائله ينبغى أن يقبل من أى داع كان، فبى الفعل لما لم يسم فاعله ١٥
فقال: (تدعون الى الايمان) أى بالله و ما جاء من عنده (فكفرونه)
أى فتوقعون الكفر الذى هو تغطية الآيات موضع إظهارها و الإذعان بها،

(١) في م و مد: في (٢) من ظ و م و مد، وفي الأصل: اى (٣-٣) من م
و مد، وفي الأصل و ظ: الملك (٤) من ظ و م و مد، وفي الأصل
اعرض (٥) من م و مد، وفي الأصل و ظ: هم (٦) سقط من ظ (٧) من
م و مد، وفي الأصل و ظ: مع .

وهذا ' أعظم العقاب عند' أولى الآلالب، لأن من علم أن مولاه
عليه غضبان علم أنه لا ينفعه بكاء ولا يغني عنه شفاعة ولا حيلة في
خلاصه بوجه .

ولما كان من أعظم ذنوبهم إنكار البعث، و'كانوا قد استقروا'
ه العوائد، وسبروا' ما جرت به الأقدار في الدهور والمدايد، من أن
كل ثان لا بد له من ثالث، / وكان الإحياء لا يطلق عرفاً إلا من كان
عن موت، حكى سبحانه جوابهم بقوله^١ الذي محطه الإقرار بالبعث والترف
بالاعتراف بالذنوب حيث لا ينفع لقوات شرطه وهو الغيب: ﴿قالوا ربنا﴾
أى أيها المحسن إلينا بما تقدم في دار الدنيا ﴿امتنا اثنتين﴾ قيل:
١٠ واحدة عند انقضاء الآجال في الحياة الدنيا وأخرى بالصعق بعد البعث
أو الإرقاد [بعد - ^٨] سؤال القبر، والصحيح أن تفسيرها آية البقرة
"كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم"
وأما الصعق فليس بموت، وما في القبر فليس بحياة حتى يكون عنه
موت، وإنما هو إقدار على الكلام كما أقدر سبحانه الحصى على التسيح
١٥ والحجر على التسليم، والضرب على الشهادتين، والفرس حين قال لها

(١) من م ومد، وفي الأصل و ظ: هو (٢) من م ومد، وفي الأصل
و ظ: عن (٣) من ظ وم ومد، وفي الأصل: خلاص (٤ - ٤) من ظ
وم ومد، وفي الأصل: كان قد استقر الداء - كذا (٥) من ظ ومد،
وفي الأصل وم: ستروا (٦) من ظ وم ومد، وفي الأصل: حرجت -
كذا (٧) من م ومد، وفي الأصل و ظ: بقولهم (٨) زيد من م ومد -
فارسها

فارسها ثبى إطلال على قولها وثبا و سورة البقرة ﴿ و احييتنا اثنتين ﴾
واحدة في البطن، و أخرى بالبعث^١ بعد الموت، أو واحدة بالبعث أو أخرى
بالإقامة من الصعق . أو الإقامة في القبر، فشاهدنا قدرتك على البعث -^٢
﴿ فاعترفنا ﴾ أى تسبب عن ذلك أنا اعترفنا بعد تكرار الإحياء ﴿ بذنوبنا ﴾
[الحاصلة -^٣] بسبب إنكار البعث لأن من لم يخش العاقبة بالغ في ه
متابعة الهوى، فذلك توبة لنا ﴿ فهل الى خروج ﴾ أى من النار ولو
على أدنى أنواع الخروج بالرجوع إلى الدنيا ففعل صالحا ﴿ من سبيل ﴾
ففسلكه فتخرج ثم تكون لنا مودة ثالثة و إحياء ثالثة إلى الجنة التى
جعلتها جزاء من أقر بالبعث .

- ١٠ و لا كان الجواب قطعا : لاسبيل إلى ذلك ، علله بقوله : ﴿ ذاكم ﴾
أى القضاء الناقد العظيم العالى بتخليدكم فى النار مقاما منه لكم ﴿ بانه ﴾
أى كان بسبب أنه ﴿ اذا دعى الله ﴾ أى وجدت و لو مرة واحدة
دعوة الملك الاعظم من أى داع كان ﴿ وحده ﴾ أى محكوما له
بالوحدة أو منفردا من غير شريك ﴿ كفرتم ج ﴾ أى هذا طبعكم دائما
رجعتم إلى الدنيا أولا ﴿ وان يشرك به ﴾ أى يوقع الإشراك به ١٥
و يحدد و لو بعدد الانقاس من أى مشرك كان ﴿ تؤمنوا ﴾ أى بالشركاء
[و يحددوا ذلك غير متحاشين من تجديد الكفر -^٢] و هذا مفهوم لأن

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ : فى البعث (٢) زيد من ظ و م و مد .
(٣) زيد من م و مد (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ : بانه (ه) من ظ
و مد، و فى الأصل و م و و .

حب الله للإنسان أكبر من حبه له الدال عليه توفيقه له في أنه إذا
ذكر الله وحده آمن، وإن ذكر معه غيره على طريقة تولد إلى الشركه
كفر بذلك الغير و جعل الأمر لله وحده (فالحكم) أى تسبب عن
القطع بأن لا رجعة، وأن الكفار ما ضرروا إلا أنفسهم مع ادعائهم
ه العقول الراجحة ونفوذ ذلك أن كل حكم (لله) أى المحيط بصفات
الكمال خاص به لا دخل للعوائد في أحكامه بل مهما شاء فعل إجراء
على العوائد أو خرقا لها (العلى) أى وحده عن أن يكون له شريك،
فكذب قول أبى سفيان يوم أحد « اعل هبل » وقول ابن عربى
أحد أتباع فرعون أكذب وأقبح وأطل حيث قال: العلى علا عن
١٠ من وما ثم إلا هو، فعليه الخزي واللعة وعلى من قال بقوله وعلى
من توقف في لعنه .

ولما كانت النفوس لا تنقاد غاية الانقياد للحاكم إلا مع العظمة
الزائدة والقدم في المجد، قال معبرا بما يجمع العظمة والقدم: (الكبيره)
الذى لا يليق الكبير إلا له، وكبر كل متكبر وكبر [كل - °] كبير
١٥ متضائل تحت دائرة كبره وكبره، وعذابه مناسب لكبرياته فما أسفه
من شق بالكبراء فانهم يلجئون أنفسهم إلى أن يقولوا ما لا يجدونهم
"ربنا انا اطلعنا ساداتنا وكرأنا": ولما قصر الحكم عليه دل على ذلك

(١) من مد، وفي الأصل وظ وم: نزول (٢) من ظ وم وم مد، وفي
الأصل: بانفسهم (٣) سقط من م وم مد (٤) من م وم مد، وفي الأصل وظ و
على (٥) زيد من م وم مد .

بقوله ذاكرا من آيات الآفاق العلوية ما يرد الموفق عن غيه : ﴿ هو ﴾ [أى - ١] وحده ﴿ الذى يريكم ﴾ أى بالبصر : البصيرة ﴿ اينه ﴾ أى علاماته الدالة على تفرده بصفات الكمال تكميلا لنفوسكم ، فينزل من السماء ماء^١ فيحيى به الأرض باعادة [ما - ٢] تحطم فيها من الحبوب ففتتت بعد موتها بصيرورة ذلك [الحب - ١] ترابا لا يتميز له عن ترابها ، فيتذكر به البعث لمن انمحق فصار ترابا و ضل فى تراب الأرض حتى لا يتميز له عنه من طبعه الإنابة ، وهو الرجوع عما هو عليه من الجهل إلى الدليل بما ركز فى فطرته من العلم ، وذلك هو معنى قوله : ﴿ و ينزل لكم ﴾ أى خاصا بفتحكم أو ضرکم ﴿ من السماء ﴾ أى جهة العلو الدالة على قهر ما نزل منها بأعساكه إلى حين الحكم بنزوله ﴿ رزقا ﴾ ١٠ لإقامة أبدانكم من الثمار^٢ والآفات بانزال الماء فهو سبحانه يدلکم عليه و يتجب إليکم لتنفعوا أنفسكم و أنتم تنفضون^٣ إليه و تتعاملون عنه لتضروها ﴿ و ما يتذكر ﴾ ذلك تذكرها تاما - بما أشار إليه الإظهار - فيقيس عليه بعث من أكلته الحوام ، وانمحق باقيه فى الأرض ﴿ الا من ينبه ﴾ أى له أهلية التجديد فى كل وقت للرجوع إلى ١٥

(١) زيد من م ومد (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ وم ومد (٤) زيد فى الأصل : صار ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم ومد لحذفناها (٥ - ٥) سقط ما بين الرقيين من ظ (٦) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : جهل (٧ - ٧) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : الثمر أو (٨) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : تنفضون .

الدليل بأن يكون حنيفاً مبالاً للطائفة مع الدليل حينئذ مال . ما هو
بـخلف^١ جامد على ما ألفه ، لا يحول عنه أصلاً ، لا يصغى إلى قال ولا قيل ،
ولو قام على خطابه كل دليل .

ولما كان كل من الناس يدعى أنه لا يعدل عن الدليل ، وكان
كل أحد مأموراً بالنظر في الدليل مأموراً بالإجابة لما دل عليه من
اتوجه إلى الله وحده . كان^٢ ذلك سبباً في معرفة الكل التوحيد
الموجب لاعتقاد القدرة التامة الموجب لاعتماد البعث ، فكان سبباً
لإخلاصهم ، فقال تعالى مسيياً عنه : ﴿ فادعوا ﴾ وصرح بالاسم
الاعظم تدريجاً للخلصين على كيفية الإخلاص فقال : ﴿ الله ﴾ أى
١. المتوحد بصفات الكمال دعاء خضوع وتعبد بعد الإجابة بعد النظر في
الدليل ﴿ مخلصين له الدين ﴾ أى الأفعال التى يقع الجزاء عليها ، فمن
كان يصدق بالجزاء ، بأن ربه غنى لا يقبل إلا خالصاً اجتهد في تصفية
أعماله ، فأتى بها في غاية الخلو عن كل ما يمكن أن يكدر من
غير شائبة شرك جلى أو خفى كما أن معبوده واحد من غير شائبة

١٥ قصص .

ولما كانت مخالفة الجنس شديدة لما تدعو إليه من المخالصة الموجبة
للساقطة الموجبة لاستطابة الموت قال تعالى : ﴿ ولو كره ﴾ أى الدعاء
منكم ﴿ الكفرون ﴾ أى الساترون لأنوار عقولهم ، والإخلاص أن
(١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : اللطافة (٢) من مد ، وفى الأصل وظ
وم : بخلف (٣) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : وكان (٤) سقط من ظ .
(٥) من ظ و م و مد ، وفى الأصل وم : عقولكم .

يفعل العباد لربهم مثل ما فعل لهم فلا يفعلوا فعلا من امر أرهني إلا
لوجهه خاصة من غير غرض لأنفسهم يجلب شيء من نفع أو ضرر،
و ذلك لأنه سبحانه فعل لهم كل إحسان من الخلق و الرزق لأنفسهم
خاصة لا لغرض يعود عليه - سبحانه و ما أعز شأنه - بنفع و لا ضرر،
فلا يكون شكرهم له إلا بما تقدم، لكنه لما علم سبحانه أن هذا غير
مقدور لهم إلا بغاية الجهد بل لا يقدر عليه إلا الأفراد، خفف
عنهم سبحانه بأن أباح لهم العمل لأجل الرجاء في ثوابه و الخوف من
عقابه، و لم يجعل ذلك قادحا في الإخلاص، قال الأستاذ أبو القاسم
القشيري: / و لولا إدته في ذلك لما كان في العالم مخلص .

٥٣١ /

و لما كان الإخلاص لا يتأتى إلا بمن رفعه إشراق الروح عن ١٠
كدورات الأجسام، و طارت به أنوارها عن حضيض ظلمات الجهل
إلى عرش العرفان، فصار "إذ كان" الملك الديان سمعه الذي يسمع به،
و بصره الذي يبصر به، و يده التي يبطش بها، و رجله التي يمشي بها،
بمعنى أنه لا يفعل شيء من هذه الجوارح إلا ما أمره به سبحانه يتصرف
في الآكوان بأذن "الفتاح العلم تكسب القلوب من ضياء أنواره و يحيى ١٥
ميت الهمم بصافي أسرارها، [فيه - ٤] سبحانه على ذلك حثا عليه

(١) من م و مد، و ن، الأصل و ظ : افراد (٢ - ٣) من م و مد، و في
الأصل و ظ : اركان (٣) زيد في الأصل : الملك الديان، و لم تكن الزيادة
في ظ و م و مد فحذفها (٤) زيد من م و مد (هـ) من ظ و م و مد، و في
الأصل : فـ .

و تشويقا إليه بقوله مثلا بما يفهمه العباد مخبرا عن مبتدا محذوف
تقديره: هو ﴿رفيع الدرجت﴾ [أى - ٢] فلا يصل إلى حضرته
السماء إلا من علا في معارج العبادات و مدارج الكالات .

و لما كنا لانعرف ملكا إلا بقلبه على سرير الملك ، و كانت درج
كل ملك بما يتوصل بها إلى عرشه ، أشار سبحانه بجمع القلة إلى السموات
التي هي دون عرشه [سبحانه - ٢] ، ثم أشار^٢ إلى إن الدرج إليه
لاتحصى بوجه ، لآما لو اتفقنا عمر الدنيا في اصطناع درج للتوصل إلى
السماء الدنيا ما وصلنا ، فكيف بما فوقها فكيف و علوه سبحانه ليس
هو بمسافة بل علوه عظمة و نفوذ كلة تنقطع دونها الآمال و تفق الأيام
١٠ و الليال ، و الكاشف لذلك أتم كشف تعبيره في "سأل" بصيغة منتهى
المجوع "المعارج" - ثم قال مثلا لنا بما نعرف : ﴿ ذو العرش ج ﴾ أى
الكامل الذى لا عرش في الحقيقة إلا هو ، فهو محيط بجميع الأكوان و مادة
لكل جماد و حيوان ، و عال بجلاله و عظمه عن كل ما يختر في
الأزمان .

١٥ و لما كان الملوك يلقون أوامرهم من مراتب عظائهم إلى من
أخلصوا في وداهم قال : ﴿ يلقى الروح ﴾ أى الذى يحيى به الأرواح

- (١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فخر (٢) زيد من م و مد .
(٣ - ٢) فى م و مد : إشارة (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الى .
(٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : علوه (٦) من م و مد ، و فى
الأصل و ظ : اعظمه (٧) من م و مد ، و فى الأصل : اخطوا .

حياة الأشباح بالارواح ﴿ من امره ﴾ أى من كلامه . و لاشك أن الذى يلقى ليس الكلام النفسى وإنما هو ما يدل عليه ، وهو الذى يقبل النزول والتلاوة والكتابة ونحو ذلك . ولما كان أمره عالياً على كل امر ، أشار إلى ذلك بأداة الاستعلاء فقال : ﴿ على من يشاء ﴾ ولما كان ما وأوه من الملوك لا يتمكنون من رفع كل من أرادوا من رقيقهم ، به ٥ على عظمته بقوله : ﴿ من عباده ﴾ و أشار بذلك مع الإشارة إلى أنه مطلق الأمر لا يسوغ لأحد الاعتراض عليه ، ولو اعترض كان اعتراضه أقل من أن يلتفت [إليه - ١] أو يعول بحال عليه إلى توجيه قولهم ” أو انزل عليه الذكر من يفتنا “ بأنه عليه السلام المخلص في عباده ” لم يمل إلى شيء من أوثانهم ساعة ما ولا صرف لحظة عن الإله الحق ١٠ .

طرفة عين . فذلك اختصه من بينهم بهذا الروح الذى لا روح فى الوجود سواه ، فمن أقبل عليه وأخلص فى تلاوته والعمل بما يدعو إليه والبعد عما ينهى عنه صار ذا روح موات يحى الأموات ويزرى بالنيرات ، قال الرازى : قال ابن عطاء^٢ : حياة القلب على حسب ما ألقى إليه من الروح ، فمنهم من ألقى إليه روح الرسالة ، ومنهم من ألقى إليه روح النبوة ، ١٥ ومنهم [من - ١] ألقى إليه روح الصديقة والكشف والمشاهدة ، ومنهم من ألقى إليه روح العلم والمعرفة ، ومنهم من ألقى إليه روح العبادة

(١) زيد من م ومد (٢-٢) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : انزل (٣) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : عبادته (٤) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : ابن عطية (٥-٥) سقط ما بين الرقنين من م (٦) زيد من ظ وم ومد .

و الخدمة . و منهم من اتى إليه روح الحياة فقط ، ليس له علم بالله
ولا مقام مع الله . فهو ميت فى الباطن ، وله / الحياة البهيمية التى يهتدى
بها إلى المعاش دونه المعاد - انتهى . و بالجملة فكل من هذه الأرواح
منطق لمن اتى عليه مطلق للسانه يديع بيانه و إن اختلف نطقهم فى
د . يانهم ، و تصرفهم فى عظيم شأنهم

/ ٥٣٢

و لما بين سر اختصاصه بالإرسال لهذا النبى الكريم . أتبع ذلك
بما يزيد به بياناً من ثمرة الإرسال فقال : (لينذر) أى الذى اختصه
سبحانه بروحه ، [و عبر بما يقتضيه تصنيف الناس الذى هو مقصود السورة
من الاجتماع ، و أزال رهم من قد يستحيل لقاء سبحانه لرفعة درجاته
١٠ و سفل درجات غيره - '] (يوم التلاق) أى [الذى - ']
لا يستحق أن يوصف بالتلاق على الحقيقة غيره لكونه يلتقى فيه الأولون
و الآخرون و أهل السموات و الأرض و لاجلة لأحد منهم فى فراق
غيره بغير فصل على وجه العدل ، و إلى هذا المعنى أشارت قراءة
ابن كثير ' باثبات الياء فى الخالين و هو ' واضح جدا فى أفراد حزب
١٥ الأسعدين و الآخرين فانه تلاق لا آخر له ، و أشارت قراءة الجمهور
بالحذف فى الخالين إلى تلاق هذين الجزئين : أحدهما [بالآخر - ']

- (١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اختصاصهم (٢) زيد من م و مد .
(٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لا يصح .
(٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : إشارة (٦) راجع نثر المرجان ٦ / ٢٠٦ .
(٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : هذا .

فاته - والله أعلم - قل ما يكون [حتى - '] يفترقا بالامر بكل ' إلى
 دهره: الأسعدين^٢ بغير حساب، و الآخرين لا يقام لهم وزن، ' وأشار^٣
 الإثبات في الوقف دين الوصل إلى الامر ' الوسط وهي ' لمن بقى،
 فان لقاءهم يمتد إلى حين القصاص لبعضهم من بعض .

ولما أفهم ذلك عدم الحجاب من بيوت أو جبال، أو اشجار^٤
 أو تلال، أو غير ذلك من سائر ذوات الظلال، نبه عليه في قوله [معيدا
 ذكر اليوم لأنه أهول له - ']: (يوم هم) أى بطواهرهم و واطنهم
 (برزون^٥) أى بروزا لا سائر فيه أصلا .

ولما كان من المعلوم عندهم إنما لا سائر له معلوم، أجرهم على ما
 يهودون^٦، وعبر بعبارة تعم ذلك فقال مستأفيا في جواب من ظن أنه ١٠
 قد يخفى عليه شيء عند السائر [معظما الامر باظهار الاسم الاعظم - ']:
 (لا يخفى على الله) أى المحيط علما و قدرة (منهم شيء) أى من
 ذواتهم ولا معانيهم سواء ظهورا أو استورا في هذا اليوم وفي غيره .
 ولما كان من العادة المستمرة ان الملك العظيم إذا أرسل جيشه
 إلى من طال^٧ ترومهم عليه وعنادهم له فظفروا بهم وأحضرهم إليه أن ١٥
 يناديه مناديه وهم وقوف بين يديه قد أخرجتهم هيته وأذلته عظمته

(١) زيد من م ومد (٢) من ظ وم ومد، وفي الأصل: بعد (٣-٢) في
 الأصل بياض ملائكة من ظ وم ومد (٤-٤) في الأصل بياض ملائكة من م
 ومد (٥) من ظ وم ومد، وفي الأصل: ستر (٦) في م: يهودونه (٧) من
 ظ وم ومد، وفي الأصل: طالب .

بلسان قاله أر لسان حاله بما يكسبهم به ويوجبهم ويؤسبهم^١ على ما
مضى من عصيانهم ويندمهم قال: ﴿لمن الملك اليوم﴾ أي يا من كانوا
يعملون أعمال من يظن أنه لا يقدر عليه أحد، فيجيئون بلسان الحال
أو المقال كما قال بعض من قال:

سكت الدهر طويلاً عنهم قد أبكاهم دما حين نطق^٢

﴿الله﴾ [أي - ٢] الذي له جميع صفات الكمال، ثم دل على ذلك
بقوله: ﴿الواحد﴾ أي الذي لا يمكن أن يكون له ثان بشركه ولا قسمة
ولا غيرها ﴿القهار﴾ أي الذي يقهر من يشاء متكرراً وصفه بذلك
دائماً أبداً لما ثبت من غناه المطلق بوحدايته الحقيقية.

١٠. ولما أخبر عن إذعان كل نفس بانقطاع الأسباب، أخبرهم بما
يزيد رعبهم، ويعث رعبهم ورهبهم، وهو نتيجة تفرده بالملك فقال:
﴿اليوم تجزى﴾ أي تقضى وتكافأ، بناءً للفعول لأن المرغب المرهب
نفس الجزاء وليان سهولته عليه سبحانه ﴿كل نفس﴾ لا تترك نفس^٣
واحدة لأن العلم قد شملهم والقدرة قد أحاطت بهم وعمتهم، والحكمة
١٥ / ٥٣٣ قد منعت من إهمال / أحد منهم.

(١) من م ومد، وفي الأصل وظ: يسوفهم - كذا (٢ - ٢) سقط ما بين
الرقين من ظ وم ومد (٣) زيد من م ومد (٤) من ظ وم ومد،
وفي الأصل: عباده (٥ - ٥) وقع ما بين الرقين في الأصل وظ: بعد «ويبعث
رعبهم» والترتيب من م ومد (٦) من ظ وم ومد، وفي الأصل: بنا.
(٧) من ظ وم ومد، وفي الأصل: نفسة.

ولما

(٧)

٢٨

و لما كان السياق للملك و الفهر يقتضى الجزاء و اعتماد الكسب الذى هو محط التكليف بالامر و النهى و يقتضى النظر فى الأسباب، لأن ذلك شأن الملك، قال معبرا بالباء و الكسب : (بما) أى بسبب ما (كسبت) أى عملت، و هى تظن أنه يفيدها سواء بسواء بالكيل الذى كالت يكال لها .

٥

و لما كانت السببية مفهومة للعدل، فان الزيادة تكون بغير سبب، قال معللا نافيا مثل ما كانوا يتعاطونه من ظلم بعضهم لبعض فى الدنيا : (لا ظلم) أى بوجه من الوجوه (اليوم) و لما كان استيفاء الخلائق بالمجازاة أمرا لا يمكن فى العادة ضبطه، و لا يتأتى حفظه و ربطه، فكيف إذا قصدت المساواة فى مثايل الذر فادونها :

١٠

بميزان قسط لا يخيس شعيرة له شاهد من نفسه غير عائل
صاقت النفوس من خوف الطول، تخفف [عنها - ٢] بقوله معللا أن
أمره على غير ما يعهدونه، و لذلك أكد و عظم باظهار الاسم
الاعظم : (ان الله) أى التام القدرة الشامل العلم (سريع الحساب)
أى بليغ السرعة فيه، لا يشغله حساب أحد عن حساب غيره فى وقت
حساب ذلك الغير، و لا يشغله شأن عن شأن لأنه لا يحتاج إلى تكلف عد،
و لا يفتر إلى مراجعة كتاب، و لا شيء، فكان فى ذلك ترجية الفريقين

(١) من ظ و م و مد، وفى الأصل : يفيد (٢-٢) من ظ و م و مد، وفى
الأصل : الذين ينادونها (٣) زيد من م و مد (٤) من ظ و م و مد، وفى
الأصل : كذلك .

و تخويف ، لأن الظالم يخشى إسرائ الأخذ بالعذاب ، و المؤمن يرجو
إسراع البسط بالثواب .

و لما تم هذا على هذا الوجه المهول ، و كان يوم القيامة له أسماء
تدل على أهواله باعتبار موافقه^١ و أهواله ، منها يوم البعث و هو ظاهر ،
و منها يوم التلاق لما تقدم ، و منها يوم التغابن لغبن أكثر من^٢ فيه^٣
خسارته^٤ ، و منها يوم الآزفة لقربه و سرعة أخذه ، و كان كأنه قيل
خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم : و أنت بمن ألقينا إليك هذا الروح
الاعظم من أمرنا فأنذرهم ما مضى من يوم التلاق و ما عقبناه به ، عطف عليه
قوله زيادة في بيان هوله [إعلاما بأنه مع ثبوته و ثبوت التلاق فيه
١٠ قريب تحذرا من تزيين إبليس للشهوات و تقريره بالتسويق
بالتوبة - °] : ﴿ و انذرهم ﴾ أى هؤلاء المعرضين إعراض من لا يجوز
الممكن ﴿ يوم الآزفة ﴾ أى الحالة الدائمة العاجلة السريعة جدا مع
الضيق [في الوقت - °] و سوء العيش [لأكثر الناس - °] ، و هى
القيامة ، كرر ذكرها و ذكر الإنذار [منها - °] تصریحا و تلويحا^٥
١٥ تهويلا [لها - °] و تعظيما لشأنها .

و لما ذكر اليوم ، هول أمره بما يحصل فيه من المشاق فقال :

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : موافقة أموره (٢) من ظ و م و مد ،
و فى الأصل : ما (٣) زيد فى الأصل : من الناس ، و لم تكن الزيادة فى ظ
و م و مد لحذفناها (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : خسارتهم (٥) زيد
من م و مد (٦) زيدت الوار فى الأصل و ظ ، و لم تكن فى م و مد لحذفناها .

(اذ القلوب) أى من كل من حضره . ولما كان هذا الرعب على وجه غريب باطن ، عبر به « لى » فقال : (لى الحناجر) أى حناجر المجموعين فيه إلا من شاء الله ، وهى جمع حنجور وهى الحلقوم وزنا ومعنى ، يعنى أنها زالت عن أماكنها صاعدة من كثرة الرعب حتى كادت تخرج وصارت مواضعها من الأقدمة هواء ، وكانت الأقدمة معترضة كالشجلا لاهى رجع إلى مقارها فيستريحوا ولا تخرج فيموتوا .

ولما كان الحديث - وإن كان فى الظاهر عن القلوب - إنما هو عن أصحابها ، جمع على طريقة جمع العقلاء ، وزاده حسنا أن القلوب محل الكظم ، وبها صلاح الجلمة وفسادها ، وقد أسند إليها ما يسند ١٠ للعقلاء فقال : (كظمين) أى يمتلئين خوفا ورعبا وحزنا ، ساكتين مكروين ، قد أسدت مجارى / أنفاسهم وأخذ بجميع إحساسهم . ٥٣٤ /
ولما كان من المعلوم أن ذلك الكرب إنما هو للخوف من ديان ذلك اليوم ، وكان من المعلوم أن الصداقات تنفع^٢ فى مثل ذلك اليوم^٣ و الشفاعات ، قال مستاقفا : (يا للظلمين) أى العريقين فى الظلم ١٥ [منهم -^١] (من حميم) أى قريب صادق فى مودتهم مهتم بأمورهم
(١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : مكانها (٢) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : فيستريحون (٣ - ٢) من م و مد ، وفى الأصل : الصداقات تنفع ، وفى ظ : الصداقات تنفع (٤) - قط من م و مد (٥) زيد فى الأصل : فقال ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لخصفها (٦) زيد من ظ و م و مد .

نظم الدرر (سورة غافر ٤٠ : ١٨ - ٢٠) ج - ١٧

منزّل لكرههم ، قال ابن برجان : والحيم : الماء الحار الناهي في
الحرارة ، سمي القريب به لأنه [يحى - ^١] لقريبه غضبا ، والغضب
حرارة تعرض في القلب تخرج إلى الوجه فيحمر وتتفتح الأوداج
فيستشيط غيظا ﴿ ولا شفيع يطاع ﴾ أى ليس لهم شفيع أصلا لأن
الشفيع يعلم أنه لو شفّع ما أطيع فهو لا ينفع ، وقد يشفع في بعضهم
بعض المقرين لعلامة فيهم يحصل بها اشتباه يظن بهم أنهم ممن يستحق
الشفاعة فينبه على أنهم ليسوا بذلك ، فبرأ منهم .

ولما كانت الشفاعة إنما تقع و تنفع بشرط برائة المشفوع له من
الذنب إما بالاعتراف بما نسب إليه و الإقلاع عنه ، و إما بالاعتذار عنه ،
١٠ و كان ذلك إنما يجرى عند المخلوقين على الظاهر . و لذلك كانوا ربما وقع
لهم الغلط فيمن لو علموا باطنه لما قبلوا الشفاعة فيه ، علل تعالى ما تقدم
بعلمه بأن المشفوع له ليس بأهل لقبول الشفاعة [فيه - ^٢] لإحاطة
عليه فقال : ﴿ يعلم خائنة ﴾ [و لما كان السياق هنا للإبلاغ في أن
عليه تعالى محيط بكل كلى و جزئى ، فكان من المعلوم أن الحال يقتضى
١٥ جمع الكثرة ، و أنه ما عدل عنه إلى جمع القلة إلا للإشارة إلى أن عليه تعالى
بالكثير كعلمه بالقليل الكل ، عليه هين ، فالكثير عنده في ذلك قليل فلذا
قال - ^٣] : ﴿ الاعين ﴾ أى خيانتها التى هى أخفى ما يقع من أفعال
الظاهر ، جعل الخيانة خائنة مبالغة في الوصف و هى الإشارة بالعين ،
(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : البخارى (٢) زيد من م و مد (٣) من
م و مد ، و فى الأصل و ظ : خيانة .

قال أبو حيان^١: من كسر جفن وغمز ونظر يفهم [منه =^٢] ما يراد^٣ - انتهى .
وذلك يفعل بفعل ما يخالف الظاهر . ولما ذكر أخفى أفعال الظاهر ،
أتبعه أخفى ما في الباطن فقال : ﴿ وما تخفى الصدوره ﴾ أى عن المشفوع
عنده وغير ذلك .

ولما كان العفو عن الظالم الذى لا يرجع عن ظلمه نقضا ، لكونه ه
لاحكمة فيه ، عبر بالاسم الأعظم [فى جملة حالة -^٤] فقال : ﴿ والله ﴾
أى والحال أن انتصف بجميع صفات الكمال ﴿ يقضى بالحق^٥ ﴾ أى
الثابت الذى لا يصح أصلا نفيه ، فلو قضى فيمن يعلم أنه ليس بأهل
للشفاعة فيه بقبول الشفاعة لنى الحق وأثبت الباطل ، يخالف ذلك الكمال
﴿ والذين يدعون ﴾ أى الظالمون - على قراءة الجماعة ، وأياها الظالمون - ١٠
على قراءة نافع^٦ وابن عامر بخلاف^٧ عن ابن ذكوان بالخطاب للواجهة
بالإزراء . ولما كانت المراتب دون عظمته سبحانه لا تنحصر^٨ ولا يتحوى
عليها كلها شيء ، أثبت الجار فقال : ﴿ من دونه ﴾ أى سواء ، ومن
المعلوم أنهم خلقه فهم دون رتبته^٩ لأنهم فى قهره ﴿ لا يقضون بشيء^{١٠} ﴾
من الأشياء أصلا ، فضلا عن أن يقضوا بما يمارض حكمه ، فلا مانع ١٥
له من القضاء بالحق ، فلا مقتضى لقبول الشفاعة فيمن يعلم عراقة فى

(١) فى المد من البحر المحيط ٤٥٤/٧ (٢) زيد من المد (٣) من ظ و م و مد
والمد ، وفى الأصل : يريه (٤) زيد من م و مد (٥) راجع نثر اللرجان
٢١١/٦ (٦) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : يحف (٧) من م و مد ، وفى
الأصل و ظ : لا تنحصر (٨) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : رتبة .

الظلم أنه لا ينفك عنه .

ولما أخبر أنه لا فعل لشركائهم^٢ ، وإن الأمر له وحده ، علل ذلك بقوله مرهبا من الحياة وغيرها من الشر ، مرغبا في كل خير ، مؤكدا لأجل أن أفعالهم تقتضي إنكار ذلك : (إن الله) عبر به لأن السياق لتحقير شركائهم وبيان أنها في غاية النقصان (هو) أى وحده .

ولما ذكر ما هو^٣ غيب . وصفه^٤ بأظهر ظاهرا فقال : (السميع) أى لكل ما يمكن أن يسمع (البصير) أى بالبصر والعلم لكل ما يمكن أن يبصر / ويعلم ، فلا إدراك لشركائهم أصلا ولا لشيء غيره بالحقيقة ، ومن لا إدراك له لا قضاء له ، ثبت أن الأمر له وحده ، فاتفقهم شفاعته

١٠ الشافعين ولا تقبل فيهم من أحد شفاعته بعد الشفاعات العامة التي هي خاصة بنبي صلى الله عليه وسلم . وهي المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون ، فإن كل أحد يحجم عنها حتى يصل الأمر إليه صلى الله عليه وسلم فيقول : أنا لها أنا لها ، ثم يذهب إلى المكان الذي أذن له فيشفع ، فيشفعه الله تعالى [فيفصل - ٤] سبحانه بين الخلائق ليذهب كل أحد إلى داره : جنته أو ناره ، روى الشيخان : البخاري ومسلم^٥ عن أبي هريرة

/ ٥٣٥

(١) من م ومد ، وفي الأصل و ظ : لأنه (٢) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : للشاكين (٣-٣) من م ومد ، وفي الأصل : غيبا وضمه ، وفي ظ : غيبا وصفه (٤) زيد من م ومد (٥) راجع من صحيحه تفسير سورة بني إسرائيل ٢/ ٦٨٤ ، وأورده في عدة مناسبات ، وراجع من صحيح مسلم باب لإثبات الشفاعات من كتاب الإيمان ١/ ١١ .

رضى الله عنه قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعوة
 رفع إليه الذراع، وكانت تعجبه، فنهش منها نهشة، فقال: أنا سيد الناس
 يوم القيامة، هل تدرؤن ممّ ذاك، يجمع الله الأولين والآخرين في
 صعيد واحد فيصرم الناظر، ويسمعهم الداعي، وتدنو منهم الشمس،
 فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحملون، فيقول الناس: ه
 ألا ترون إلى ما أنتم فيه وإلى ما بلغكم؟ ألا تنظرون [إلى -^٢] من يشفع
 لكم إلى ربكم، فيقول بعض الناس لبعض: أبوكم آدم فذكر سؤلهم أكابر
 الأنبياء، وكل واحد منهم يحيل على الذي بعده إلى أن يقول عيسى
 عليه السلام: اذهبوا إلى محمد صلى الله عليه وسلم، فيقول النبي صلى الله
 عليه وسلم حين يأتيه: أنا لها، فينطلق فيسجد تحت العرش - وهو مرؤى ١٠
 عن غير أبي هريرة عن أنس وغيره من الصحابة رضي الله تعالى عنهم،
 ولكن لم أر فيه التصريح بالشفاعة العامة بعد رفع رأسه صلى الله عليه
 وسلم من السجود إلا فيما رواه البخاري في الزكاة من صحيحه في باب
 من سأل الناس تكثرا، عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله
 عليه وسلم قال: إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف ١٥
 الأذن فينبأهم كذلك استعاثوا^١ بآدم ثم بموسى ثم بمحمد فيشفع^٢ ليقضى

(١-١) من م ومد . وفي الأصل وظ : ترون بما (٢) زيد في الأصل :
 لبعضهم بعضا، ولم تكن الزيادة في ظ وم ومد لحذفها (٣) زيد من م ومد .
 (٤) في م ومد : ثم بنطلق (٥) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : ما (٦) ١٠٩٩/١ .
 (٧) من م ومد والصحيح ، وفي الأصل وظ : استعاثوا (٨) من مد
 والصحيح ، وفي الأصل وظ وم : ليشفع .

بين الخلق ميمشي حتى يأخذ بحلقه الباب، فيومئذ يبعث الله مقاماً محموداً
بحمد أهل الجحيم كلهم، وكذا فيما رواه أبو يعلى في مسنده فقال :
حدثنا عمرو بن الضحاك بن غنم ثنا أبو عاصم الضحاك بن غنم
أبو رافع إسماعيل بن رافع عن محمد [بن -] زياد عن محمد بن كعب
القرظي عن رجل من الأنصار عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : حدثنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في طائفة من أصحابه فقال : إن الله
تبارك وتعالى لما فرغ من خلق السموات والأرض خلق الصور فذكر
[النفخ ^١] فيه للوثة ثم للبعث، ثم ذكر الحشر - وهو حديث طويل
جداً إلى أن قال : ثم يقفون موقفاً واحداً مقدار سبعين عاماً لا ينظر
إليكم ولا يقضى بينكم، فتبكون حتى تنقطع الدموع، ثم تدمعون دماً
وتعرفون إلى أن يبلغ ذلك منكم أن يلجمكم أو يبلغ الأذقان، فتضجون
وتقولون : من يشفع لنا إلى ربنا يقضى بيننا، فتقولون : من أحق بذلك
من أيكم آدم، خلقه الله يسهده، ونفخ فيه من روحه، وكله قلاً،
فتأتون آدم فتطلبون ذلك إليه فيأبى فيقول : ما أنا بصاحب ذلك، ثم
يستقربون الأنبياء نبياً نبياً كلما جاؤا نبياً أبي عليهم، قال رسول الله
/ صلى الله عليه وسلم : حتى تأتونى، فأنطلق حتى آتى الفحص فأخر ساجداً،

/ ٥٣٦

(١) زيد من ظ و م و مده (٢) زيد من م و مده (م) من ظ و م و مده،
وفي الأصل : واحد (٤) من ظ و م و مده، وفي الأصل : فتقول (٥) زيد
في الأصل و ظ و م : به، ولم تكن الزيادة في مد لخذنها (٦) من ظ و م
ومده، وفي الأصل : فيأبى (٧) من مده، وفي الأصل و ظ و م : كلهم.

فقال أبو هريرة: يا رسول الله! ما الفحص؟ قال: قدام العرش - حتى يبعث الله إلى ملكا فيأخذ بعضدى فيرفعني فيقول: [لى - ١]: يا محمد! فأقول: نعم يا رب! فيقول: ما شأنك - وهو أعلم، فأقول: يا رب وعدتني فشفعني في خلقك فأقض بينهم، قال: قد شفعتك^٢ أنا آتيكم فأقضى بينكم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فأرجع فأقف مع الناس فينما^٥ نحن وقوف سمعنا حسا من السماء شديدا فنزل [أهل - ١] السماء الدنيا مثل من في الأرض من الجن والإنس حتى إذا دنوا من الأرض أشرفت الأرض بنورهم، وأخذوا مصافهم، وقلنا لهم: أفيكم ربنا؟ قالوا: لا، وهو آت ثم ينزل أهل السماء الثانية بمثل من نزل^٤ من الملائكة، ومثل الجن والإنس، حتى إذا دنوا من الأرض أشرفت الأرض بنورهم، وأخذوا مصافهم وقلنا لهم: أفيكم ربنا؟ قالوا: لا، وهو آت. ثم ينزلون على قدر ذلك من التضعيف حتى ينزل الجبار تبارك وتعالى في ظلل من الغمام، والملائكة تحمل عرشه يومئذ ثمانية، وهو اليوم على أربعة - إلى أن قال: فيضع الله كرسيه حيث شاء من أرضه، ثم يهتف بصوته فيقول: يا معشر الجن والإنس! إني قد أنصت^٦ لكم من يوم خلقتكم إلى ١٥ يومكم هذا أسمع قولكم، وأبصر أعمالكم، فأنصتوا لي^٣ فانما هي أعمالكم

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من م و مد، وفي الأصل و ظ: الله (٣) من ظ و م و مد، وفي الأصل، شفعتكم (٤) يزيد في الأصل: من الأولى، ولم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٥) من ظ و م و مد، وفي الأصل: ارصت (٦) من ظ و م و مد، وفي الأصل و ظ: إلى .

و صحفكم تقرأ عليكم ، فمن وجد خيرا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلوم إلا نفسه ، ثم يأمر الله جهنم فيخرج منها عنق ساطع مظلم ، ثم يقول الله عز وجل ” ألم اعهد اليكم ببني آدم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وان اعبدوني هذا صراط مستقيم و لقد اضل منكم جبلا كثيرا ألم تكونوا تعقلون هذه جهنم التي كنتم توعدون - ٥ أربها تكذبون - شك أبو عاصم ، و امتازوا اليوم ايها المجرمون “ ، فتمس النار الناس و نجثو الأمم و ترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها فيقضى بين خلقه - فذكر و هو طويل جدا ، ثم ذكر الصراط و بعض الشفاعات الخاصة في أهل الجنة . فذكر دخولهم الجنة ثم أنهم ١٠ يشفعون في بعض أهل النار إلى أن قال : ثم يأذن الله في الشفاعة ، فلا يبقى نبي ولا شهيد ، إلا شفح - إلى أن قال : ثم يقول الله عز وجل : بقيت أنا و أنا أرحم الراحمين . فدخل الله يده في جهنم فيخرج منها ما لا يحصى غيره . و روى ابن حبان في صحيحه - قال المنذرى : و لا أعلم في إسناده مطعنا - عن حذيفة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه ١٥ و سلم : قال : يقول إبراهيم عليه السلام يوم القيامة : يا رباه ، فيقول الرب جل و علا : يا ابيكاه ، فيقول إبراهيم : يا رب حرقت بنى - فيقول الله : أخرجوا من النار من كان في قلبه ذرة أو شعيرة من الإيمان ، و روى الحاكم و قال : صحيح على شرط مسلم [و أحمد بن منيع ٢٠] : يلقى رجل

(١) سقط من ظ و مد (٢) راجع المستدرک ٤ / ٨٩ حيث أورده الحاكم

بأخصر مما هنا و لعل السياق لأحمد بن منيع (٣) زيد من م و مد .

اباه يوم القيامة فيقول: يا ابة اى ابن كنت لك؟ فيقول: خير ابن،
 فيقول: هل أنت مطيعى اليوم، فيقول: نعم، فيقول خذ بازرتى، فيأخذ
 بازرتيه، ثم ينطلق حتى يأتى الله وهو يعرض بعض الخلق، فيقول:
 يا عبدى! ادخل من أى أبواب الجنة شئت / فيقول: أى ربى، وأبى
 ٥٣٧ / معى فانك وعدتني أن لن تخزنى، فيعرض عنه ويقضى بين الخلق ويعرضهم^٥
 ثم [ينظر إليه -^٦] فيقول: يا ابن آدم، ادخل من [أى -^٦] أبواب
 الجنة شئت، فيقول: أى ربى [وأبى -^٧] معى فانك^٨ [قد -^٩] وعدتني
 أن لن تخزنى، قال: فيمسح^{١٠} الله أباه ضبعا أمذرا أو أجمر - شك أبو جعفر
 أحد رواة ابن منيع - فيأخذ بانه فيقول: أبوك هو، فيقول: ما هو باني،
 فيهوى في النار، وهو في البخارى في أحاديث الأنبياء^{١١} وتفسير الشعراء^{١٢} ١٠
 بلفظ: يلقي إبراهيم عليه السلام أباه آذر يوم القيامة وعلى وجه آذر
 قرة وغبرة، فيقول له إبراهيم عليه السلام: ألم أقل لك: لا تعصى، فيقول
 له أبوه: فالיום^{١٣} لا اعصيك^{١٤}، فيقول إبراهيم: يا رب إنك وعدتني أن
 لا تخزنى يوم يعثون فأى خزى أخزى من أبى الأبعد، فيقول الله تعالى:
 (١) من م ومد، وفى الأصل و ظ: انك (٢-٢) من م ومد، وفى الأصل
 و ظ: يقبل على (٣-٣) من م ومد، وفى الأصل و ظ: فيعرضهم (٤) زيد من
 م ومد (٥) من م ومد، وفى الأصل و ظ: يقول (٦) فى م: يا (٧) زيد
 من م ومد (٨) من م ومد، وفى الأصل و ظ: انك (٩) زيد فى م:
 فيقول (١٠) من م ومد. وفى الأصل و ظ: فيمسح - كذا (١١) ٤٧٣/١
 (٢١) ٧٠٢/٢ (١٣-١٣) من م ومد والصحيح، وفى الأصل
 و م: لا اعصيك.

إني حرمت الجنة على الكافرين، ثم يقال لإبراهيم عليه السلام: انظر ما تحت رجلك فينظر فإذا هو بذيخ - وهو ذكر الضبعان - ملتطخ^١ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار، وروى أبو يعلى الموصلي والحاكم^٢ [وقال -^٣]: صحيح على شرط الشيخين عن أبي سعيد رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ليأخذن رجل يد أيه يوم القيامة فقطعه النار يريد أن يدخله الجنة. قال: فينادى أن الجنة لا يدخلها مشرك، ألا إن الله [قد -^٤] حرم الجنة على كل مشرك قال: فيقول: أى رب ابنى، فيحول في صورة فييخ وريح منتنة فيتركه، فكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرون^٥ أنه إبراهيم عليه السلام، وروى الشيخان^٦ وغيرهما عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب على المنبر يقول^٧: إنكم ملائكة الله حفاة عراة غرلا كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين، ألا وإن أول الخلائق يكسى إبراهيم عليه السلام ألا وإنه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يا رب أصحابي، فيقول: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح^٨ "و كنت عليهم

(١) من الصحيح، وفي الأصول: ملتطخ (٢) راجع المستدرک ٨٧/٤ (٣) زيد من م ومد (٤) زيد من م ومد والمستدرک (٥) في م: يرونه (٦) راجع صحيح البخارى كتاب الأنبياء باب قول الله عز وجل «واتخذ الله إبراهيم خليلاً» ٤٧٣/٤، وصحيح مسلم كتاب صفة الجنة باب نساء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة ٢٨٤/٢ (٧) من م ومد، وفي الأصل وظ: فيقول (٨) في م: الصالح.

شهيدا ما دمت فيهم - إلى قوله : و ان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم " و رواه الترمذى^١ و النسائى^٢ بنحوه ، و من^٣ نحو ما قال عيسى عليه السلام قول إبراهيم عليه السلام كما حكاه الله عنه " فنهأ تبغى فانه منى و من عصائى فانك غفور رحيم " و روى مسلم فى الإيمان من صحيحه^٤ و النسائى فى التفسير عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما هـ أن النبى صلى الله عليه و سلم تلا قول الله عز و جل فى إبراهيم عليه السلام رب انهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبغى فانه منى ، الآية - و قال عيسى عليه السلام و ان تعذبهم فانهم عبادك و ان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم ، فرقع يديه و قال : اللهم أمنى اللهم أمنى اللهم أمنى^٥ - و بكى ، فقال الله عز و جل : يا جبريل ، اذهب إلى محمد - و ربك ١٠ أعلم - فاسأله ما يملكك ؟ فأتاه جبريل عليه السلام فسأله ، فأخبره رسول الله صلى الله عليه و سلم بما قال و هو أعلم ، فقال الله : يا جبريل اذهب إلى محمد فقل : إنا سنرضيك فى أمك و لانسوءك ، و للشيخين^٦ فى الحوض^٧ و الفن^٨ و مسلم فى فضل النبى صلى الله عليه و سلم^٩ عن سهل بن سعد / و أبى سعيد رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه و سلم ١٥ / ٥٣٨ قال : أنا فرطكم على الحوض ، من مر على شرب ، و من شرب لم يظلم

(١) راجع أبواب القيامة (٢) راجع أبواب الجنائز (٣) فى م : فى (٤) راجع باب دغاه النبى صلى الله عليه و سلم لأمته و بكانه شفقة عليهم ١٠٣ / (٥) ليس فى م و مد (٦) من ظ و م و مد ٢ و فى الأصل : للشيخان (٧) ٢ / ٩٧٤ .

(٨) ١٠٤٥ / ٢ (٩) ٢٤٤٩ / ٢

أدأ، ليردن على أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم - زاد
 أبو سعيد رضي الله عنه : فأقول : إنهم متى - فيقال : إنك تدري ما أحدثوا
 بعدك ، فأقول : سحقاً سحقاً لمن غير بعدي . ولمسلم وابن ماجه^٢ - وهذا
 لفظه - عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم - فذكر خطبته في الحج ثم قال : ألا وإني [فرطكم^٣ -] على الحوض
 وأكاثركم الأمم . ولا تسودوا وجهي . ألا وإني مستنقذ أنا وأمتي
 ومستنقذ مني أناس فأقول : يا رب ! أصحابي أصحابي . فيقول : إنك لا تدري
 ما أحدثوا بعدك . ولفظ مسلم^٤ : أنا فرطكم على الحوض ولا تآزر عن أقواما
 ثم لا غلبن عليهم^٥ [فأقول : يا رب ! أصحابي أصحابي -] فيقال : إنك
 لا تدري ما أحدثوا بعدك . ولمسلم^٦ عن عائشة رضي الله عنها قالت :
 سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو بين ظهراني أصحابه : إني على
 الحوض أنظر^٧ من يرد علي منكم . فوالله ليقطعن^٨ دوني رجال فلا تقولن : أي
 رب ! مني ومن أمتي ، فيقول : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، ما زالوا

(١) من م ومد ، وفي الأصل وظ : منهم (٢) الناسك : الخطبة يوم النحر :
 ٢٢٦ (٣) زيد من م ومد و سنن ابن ماجه (٤) الفضائل : إثبات حوص
 نبينا صلى الله عليه وسلم وصفاته ٢ / ٢٥٠ (٥) من ظ وم ومد و صحيح مسلم ،
 وفي الأصل : عليهن (٦) زيد من ظ وم ومد و صحيح مسلم (٧) راجع
 الباب المذكور ٢ / ٢٤٩ (٨) في صحيح مسلم : انتظر (٩) في صحيح
 مسلم : ليقطعن .

يرجعون على اعقابهم . وللشيخين^١ عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ترد على أمتي الحوض وأنا أذود الناس عنه كما يذود الرجل إبل^٢ الرجل عن إبله ، قالوا : يا بنى الله ! تترفنا ؟ قال : نعم . لكم سيما ليست^٣ لغيركم تردون على غرا محجلين من آثار الوضوء ، ولتصدن عن طائفة منكم فلا يهلون ، فأقول : يا رب هؤلاء ه من أصحابي ، فيجئني ملك فيقول : و هل تدري ما أحدثوا بعدك ؟ و في رواية^٤ : بينما أنا قائم على الحوض إذا زمرة حتى إذا عرفتهم^٥ خرج من بيني وبينهم رجل ، فقال : هلم : فقلت : إلى أين ؟ فقال : إلى النار والله ، فقلت : ما شأنهم ؟ فقال : إنهم ارتدوا على أديبارهم فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم . أي ضوالها - أي التاجي قليل ، و في رواية لمسلم^{١٠} في الوضوء^٦ : ألا ليزادن رجال عن حوضي كما يزداد البعير الضال أناديهم ألا هلم ، فيقال^٧ : إنهم قد بدلوا بعدك ، فأقول : صحيحا صحيحا . قال المنذرى^٨ :

(١) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : للشيخان ، وأورده البخاري في الصحيح مختصرا في المساقاة : باب من رأى أن صاحب الحوض والقربة أحق بمائه ١/٢١٨ . وأورده مسلم في الصحيح كما هنا في الطهارة باب استحباب إطالة الغرة ١/١٢٦ (٢) من ظ و م ومد ومسلم . وفي الأصل : أبر - كذا (٣) من م ومد وصحيح مسلم ، وزيد فيه بعده : لأحد ، وفي الأصل و ظ : ليس . (٤) راجع صحيح البخاري - الحوض ٢/٩٧٥ (٥) من م ومد وصحيح البخاري ، وفي الأصل و ظ : عرضهم (٦) راجع ١/١٢٧ (٧) زيد في الأصل و ظ : إلا ، ولم تكن الزيادة في م ومد وصحيح مسلم فخذفناها (٨) في الترغيب والترهيب .

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جدا .

ولما وعظهم سبحانه بصادق الإخبار عن قوم نوح ومن تبعهم
من المكفار ، وختمه بالإنذار بما يقع في دار القرار للظالمين الأشرار ،
أتبعه الوعظ والتخويف بالمشاهدة من تتبع الديار والاعتبار ، بما كان
لهم فيها من عجائب الآثار ، من الحصون والقصور وسائر الأبنية الصغار
والكبار ، فقال موجهاً ومقرراً عاطفاً على ما تقديره : ألم يتعظوا بما
أخبرناهم به عن الظالمين الأولين ، من تبعهم من الإهلاك في الدنيا
المتصل بالشقاء^٢ في الأخرى : (ا ولم يسيرا) ولما كان المتقدمون
من الكثرة^٣ والشدة والمكنة بحيث لا يعلمه إلا الله ولا يقدر آدمي
على الإحاطة بمساكنهم ، نبه عليه بقوله : (في الأرض) أي أي
أرض ساروا فيها وعظتهم بما حوت من الأعلام .

ولما كان السير سبباً للنظر قال : (فينظروا) أي نظر اعتبار كما
هو شأن أرباب البصائر الذين يزعمون أنهم أعلام . ولما كانت
الأحوال المنظورة فيها المعبر بها شديدة الغرابة ، نبه عليها بقوله :
١٥ (كيف) أي أنها أهل لأن يستل عنها ، ونبه على أن التصاقها بهم
في غاية العراقة بحيث لا انفكاك لها بقوله : (كان عاقبة) أي آخر

/ ٥٣٩

(١) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : تبعه (٢-٢) من ظ و م و مد ، وفي
الأصل : مقرعاً لها (٣) في ظ و م : بالشقاوة (٤) من م و مد ، وفي الأصل
وظ : لكثرة (٥) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : إنما (٦) من م و مد
وفي الأصل وظ : الغرابة .

أمر ﴿الذين كانوا﴾ أى سكان الأرض عريقين فى عمارتها . ولما كان المتفجع بالوعظ^١ يكفيه ادنى شئ منه . به على ذلك بالجار فقال : ﴿من قبلهم﴾ أى قبل زمانهم ﴿كانوا﴾ ولما كان السياق لمجادلة قريش لإدحاض الحق مع سماعهم لأخبار الأولين ، كانوا كأنهم ادعوا أنهم أشد الناس ، فاقضى الحال تأكيد الخبر بأن الأولين أشد منهم . هـ فأكد أمرهم فيما نسب إليهم معبرا بضمير الفصل بقوله : ﴿هم﴾ أى المتقدمون ، لما لهم من القوى الظاهرة والباطنة .

ولما كان مرجع المجادلة القوة لا الكثرة^٢ ، أسقطها وقال استثناء في جواب من لعله يقول : ما كان أمرهم ؟ : ﴿أشد منهم﴾ أى هؤلاء - قراه ابن عامر "منكم" بالكاف كما هو فى مصحف أهل الشام على ١٠ الالتفات للتصيص على المراد ﴿قوة﴾ أى ذواتا^٣ و معانى ﴿و﴾ أشد ﴿انقاروا فى الأرض﴾ لأن آثارهم لم يندرس^٤ بعضها إلى هذا الزمان وقد مضى عليها ألوف من السنين ، وأما المتأخرون فتطمس آثارهم فى أقل من قرن .

ولما كانت قوتهم ومكنتهم سببا لإعجابهم وتكبرهم على أمر ربهم ١٥ ومخالفة رسله^٥ ، فكان ذلك سبب هلاكهم قال : ﴿فاخذم الله﴾ [أى -^٦]

(١) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : بالمواظ (٢) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : المكثرة (٣) فى الأصل ياض ، ملأناه من ظ و م ومد (٤) من م ومد ، وفى الأصل و ظ ذواتا (هـ - هـ) تكرر فى الأصل فقط (٦) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : رسلهم (٧) زيد من ظ و م ومد .

الذى له صفات الكمال اخذ غلبة وقهر و سطوة ، ولما لم يتقدم شيء
يسند إليه اخذهم . قال مينا ما أخذوا به : ﴿ بذنوبهم ﴾ [أى - '] التى
سببت لهم الأخذ ، لم يغن عنهم شيء من ذلك الذى ابطروهم حتى عتوا
به على ربهم ولاشفع فيهم شافع ﴿ وما كان لهم ﴾ أى من شركائهم
الذين ضلوا بهم كهؤلاء ومن غيرهم ﴿ من الله ﴾ أى عوض المتصف
بجميع صفات الكمال ، أو كونا مبتدئا من جهة عظمتة وجلاله . وأكد
النفي بزيادة الجار فقال : ﴿ من راقه ﴾ أى يقيهم مراده سبحانه فيهم ،
لا من شركائهم ولا من غيرهم ، فعلم أن الذين من دينه لا يقضون
بشيء ، ويجوز أن تكون من ، الأولى ابتدائية على بابها تنبها على أن
١. الأخذ فى غاية العنف لانه إذا لم يبدئ من جهته سبحانه لهم وقاية
لم تكن لهم باقية بخلاف من عاقبه الله عقوبة تأديب . فان عذابه يكون
سبب بقاءه لما يحصل له منه سبحانه من الوقاية .

ولما ذكر سبحانه اخذهم [ذكر سبه - '] بما حاصله
أن الاستهانة بالرسول استهانة بمن أرسله فى قوله : ﴿ ذلك ﴾ أى الأخذ
العظيم . ولما كان مقصود السورة تصنيف الناس فى الآخرة صنفين ،
فكانوا إحدى عمدتى الكلام ، أى بضميرهم فقال : ﴿ بانهم ﴾ أى الذين
كانوا من قبل ﴿ كانت تاتيهم ﴾ أى شيئا فشيئا فى الزمان الماضى على
وجه قضاء سبحانه فأنفذه ﴿ رسالهم ﴾ أى الذين هم منهم ﴿ باليئس ﴾

(١) زيد من م ومد (٢) فى م : لم (٣) من م ومد ، وفى الأصل وظ :
حاصلهم (٤) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : الآخرين (٥) من ظ وم
ومد ، وفى الأصل : فأنفذه .

إى الآيات الدالة على صدفهم دلالة هى من وضوح الأمر بحيث لا يسع 'منصفا' إنكارها .

ولما كان مطلق الكفر كافيا فى العذاب ، عبر بالماضى فقال :
(فكفروا) أى سبوا عن إتيان الرسل عليهم الصلاة والسلام الكفر
موضع ما كان إتيانهم ، سببا له من الإيمان .

٥ / ٥٤٤

ولما سبب لهم كفرهم الهلاك قال : (فاخذم) أى اخذ غضب
(الله) أى الملك الأعظم . ولما كان قوله " فكفروا " معلما بسبب
أخذم لم يقل : بكفرهم . كما قال سابقا : بذنوبهم ، لإرشاد السباق إليه .
ولما كان اجتراؤهم على العظام فعل منكر للقدرة ، قال مؤكدا لعملهم
عمل من لا يخافه : (انه قوى) لا يغلبه شيء وهو يغلب كل شيء . ١٠
(شديد العقاب) .

ولما كان ذلك عجبا لأن البيئات تمنع من الكفر ، فكان التقدير
لمن ينكر الإرسال على هذه الصفة : فلقد أرسلناهم كذلك ، وكان
موسى عليه السلام من أجل المرسلين آيات . عطف على ذلك نسبية
ونذارة لمن أدبر ، وشارة لمن استبصر . قوله : (ولقد) [ولقت - °] ١٥
القول إلى مظهر العظمة [كما - °] فى الآيات التى أظهرها بحضرة هذا

(١) من مد ، وفى الأصل وظ و م : لا يسمع (٢) من ظ و م ومد ، وفى
الأصل : مصنفا (٣) هنا تنتهى صفحة الأصل : ٤٣٩ ، والعبارة فيه إلى نهاية
ص ٤٣٩ متكررة لخصفها (٤) من م ومد ، وفى الأصل وظ : لا يخالفه .
(٥) زيد من ظ و م ومد .

الملك المتعظم من الملوك والعظم الذي تصاغرته نفسه وتهاقرت^١
 عنده همته وانطمس حسه، فقال: ﴿ ارسلنا ﴾ أى على ما لنا من العظمة
 ﴿ موسى نأيتنا ﴾ أى الدالة على جلالتنا ﴿ وسلطان ﴾ أى أمر قاهر
 عظيم جدا، لاحيلة لهم في مدافعة شئ منه ﴿ مبين ﴾ أى بين في نفسه
 د. مناد لكل من يمكن اطلاعه عليه أنه ظاهر جدا، وذلك الأمر هو
 الذى كان يمنع فرعون من الوصول إلى أذاه مع ما له من القوة
 والسلطان ﴿ الى فرعون ﴾ أى ملك مصر . ولما كان الأكبر أول
 من يتوجه إليه [الأمر - ٥] لأن باقيا دم يتقاد غيرهم [قال - ٥] :
 ﴿ وهامز ﴾ أى وزيره . ولما كان من أعجب العجب أن يكذب
 ١٠. الرسول من جاء نصرته واستنقاذه من شدته قال : ﴿ وقارون ﴾
 أى قريب موسى عليه السلام ﴿ فقالوا ﴾ أى هؤلاء ومن تبعهم، أما
 من عدا قارون فأولا وآخره بالقوة والفعل، وأما قارون ففعله آخره
 بين أنه مطبوع على الكفر وإن آمن أولا، وإن هذا كان قوله وإن
 لم يقله بالفعل في ذلك الزمان فقد قاله في التيه، فدل ذلك على أنه

(١) من م ومد، وفي الأصل و ظ : العظمة (٢-٢) ما بين الرقين يياض في
 مد (٣) من ظ و م ومد، وفي الأصل : نفسه (٤) من م ومد، وفي
 الأصل و ظ : الاكبار (٥) زيد من م ومد (٦-٦) من م ومد، وفي
 الأصل و ظ : لن (٧-٧) من ظ و م ومد، وفي الأصل : امن ما (٨) من
 م ومد، وفي الأصل و ظ : آخر (٩-٩) من ظ و م ومد، وفي الأصل :
 لم يفعله في الفعل (١٠) من م ومد، وفي الأصل و ظ : ذلك .

لم يزل قائلاً به ، لأنه 'لم يقب' منه (سحر) لعجزهم عن مقاهرته ،
ولم يقل ، وسحاراً ، لئلا يتوهم أحد أنه يمدحه بالبراعة في علم السحر فتتحرك
الهمم للاقبال عليه للاستفادة منه ، وهو خبر مبتدأ محذوف ، ثم وصفوه
بقولهم : (كذاب) الخوفهم من تصديق الناس له ، فبعث أخص
عباده به إلى أخص عباده عنده ليقم الحججة عليه ، وأمهله عند ما قابل
بالتكذيب وحلم عنه حتى أعذر إليه غاية الإعذار .

ولما أجمل أمره كله في هاتين الآيتين ، شرع في تفصيله فقال
مشيراً إلى مبادرتهم إلى العناد من غير توقف أصلاً التي أشار إليها حذف
المبتدأ والاختصار على الخبر الذي هو محط الفائدة : (فلما جاءهم) أي
موسى عليه السلام (بالحق) أي بالامرر^١ الثابت الذي لا طاقة لأحد
بتغيير شيء منه ، كائننا (من عندنا) على ما لنا من القهر ، فأمن معه
طائفة من قومه (قالوا) أي فرعون وأتباعه (اقتلوا) أي قتلوا
حقيقاً بإزالة الروح (أبناء الذين آمنوا) أي به فكانوا (معه) أي

(١-١) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : ثبت (٢) من ظ و م و مد ، وفي
الأصل : سحاراً (٣) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : في البراعة (٤) زيد في
الأصل و م : أي ، ولم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٥) من م و مد ،
وفي الأصل و ظ : عبارة (٦) من مد ، وفي الأصل و ظ و م : أحسن .
(٧) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : ليفهم (٨) من م و مد ، وفي الأصل
و ظ : عليهم (٩) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : علم (١٠) من م و مد ،
وفي الأصل و ظ : الأمر (١١) من مد ، وفي الأصل و ظ و م : بتغيير .

خصوم بذلك و ازكوا من / عدام لعلهم يكذبونه ﴿ و استحيا نساءهم ﴾
أى اطلبوا حياتهن بأن لا تقتلوهن .

ولما كان [هذا - ١] أمرا صادقا في العادة لمن يؤمن عن الإيمان
وراد لمن آمن إلى الكفران ، اشار إلى أنه سبحانه خرق العادة بابطاله
ه فقال : ﴿ وما ﴾ أى والحال أنه ما كيدهم - هكذا كان الأصل ولكنه
قال : ﴿ كيد الكافرين ﴾ تعميما وتعليقا بالوصف ﴿ الا فى ضلله ﴾
أى بجائته' للسدد الموصول إلى الظفر و الفوز لأنه ما أقدم أولا في
الحذر من موسى عليه السلام ولا آخر في صد من آمن به مرادهم ،
بل كان فيه تبارهم و هلاكهم ، وكذا أفعال الفجرة مع أولياء الله ، ما
١٠ حفر احد منهم لاحد منهم حفرة مكر إلا أركه الله فيها .

ولما اخبر تعالى بفعله بمن تابع موسى عليه السلام ، اخبر عن
فعله معه بما علم به أنه عاجز عنه فقال : ﴿ وقال فرعون ﴾ أى أعظم
الكفرة في ذلك الوقت لرؤساء أتباعه عند ما علم أنه عاجز عن قتله
وملاة ما رأى منه خوفا و ذعرا ، دافعا عن نفسه ما يقال من أنه ما
١٥ ترك موسى عليه السلام مع استهاتته [به - ٢] إلا عجزا عنه ، موها أن
آله هم الذين يردونه عنه ، وأنه لولا ذلك لقتله : ﴿ فذروني ﴾ أى اتركوني

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : بجائبه .
(٣) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : تبادهم (٤) زيد في الأصل و ظ :
أى ، ولم تكن الزيادة في م و مد لحذفها (٥) زيد من مد (٦) من ظ و م
و مد ، وفي الأصل : لا (٧) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : الذى .

على اى حالة كانت ﴿اقتل موسى﴾ و زاد فى 'إيهام الأعياء' و المنادة
على نفسه عند 'بصراء بالفضيحة بقوله: ﴿وليدع ربه ع﴾ [أى الذى -']
يدعوه و يدعى إحسانه إليه بما يظهر على يديه من هذه الخوارق، ثم
علل ذلك بقوله مؤكدا إعلاما بأنه الأمر صعب جدا لأنه كان منهم
من يوهى أمره بأنه لا يؤثر ما هو فيه شيئا أصلا تقربا إلى فرعون، ه
و إظهارا للثبات على متابعته ﴿انى اخاف﴾ [أى -'] إن زكته
﴿ان يبدل دينكم﴾ أى الذى أتم عليه من نسبة الفعل إلى الطبيعة بما
يدعو إليه من عبادة إلهه .

و لما ألهمهم^٢ بهذا الكلام إلى 'ممالأتهم له على' موسى عليه السلام،
زاد فى ذلك بقوله: ﴿و ان يظهر﴾ أى بسببه - على قراءة الجماعة بفتح حرف ١٠
المضارعة ﴿فى الارض﴾ أى كلها ﴿الفساده﴾ و قرأ المدنيان^٣ و البصريان
و حفص^٤ بالضم إسنادا^٥ إلى ضمير موسى عليه السلام و نصب الفساد
[أى -^٦] بفساد المماشى فانه إذا غلب علينا قوى على من^٧ سوانا،
فسفك الدماء و سبى الذرية، و انتهب الأموال، ففسدت الدنيا مع فساد
الدين، فسمى اللعين الصلاح - لمخالفته^٨ لطريقته الفاسدة - فسادا كما هو ١٥

(١-١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الإيهام للأعياء (٢) زيد من ظ و م
و مد (م) من ظ و مد، و فى الأصل و م: المهم (٤-٤) من ظ و م و مد،
و فى الأصل: اماتتهم إلى (٥) راجع نثر المرجان ٢١٩/٦ (٦) فى م: جعفر .
(٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: استنادا (٨) زيد من م و مد (٩) ليس
فى م و مد (١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مخالفته .

شأن كل مفسد مع المصلحين'. و قرأ الكوفيون و يعقوب «أو أنه بمعنى أنه يخاف وقوع أحد الأمرين: التبديل أو ظهور ما هو عليه بما سماه فسادا، وإن لم يحصل التبديل عاجلا فانه يحصل به الوهن.

و لما أعلم بمقالة العدو، أتبعه الإعلام بقول الولى فقال:

٥ [(و قال موسى) إبطالا لهذا القول و إزالة لآثاره مؤكدا لما استقر

في النفوس من قدرة فرعون - ٢] : (انى عدت) أى اعتصمت عند

ابتداء الرسالة (بربى) و رغبتهم فى الاعتصام به و ثبتهم بقوله:

(و ربكم) أى المحسن إلينا أجمعين، فارسلنى لاستفادكم من أعداء الدين

و الدنيا (من كل متكبر) أى عات طاغ متعظم [على الحق - ٢] هذا

١٠ و غيره (لا يؤمن) أى لا يتجدد له تصديق (يوم الحساب) من

ربه له و هو يعلم أنه لا بد من حسابه هو لمن تحت يده من رعاياه و عبيده

فيحكم على ربه بما لا يحكم به على نفسه، و معنى العوذ أنه لا وصول لاحد

منهم / إلى قتلى بسبب عوذى، هذا امر قد فرغ منه مرسلى لخلاصكم،

٥٤٦

القادر على كل شىء.

١٥ و لما انقضى كلام الراسين، وكانت عادة من لم يكن لهم نظام

من الله رابط أن قلوبهم لا تكاد تجتمع' و أنه لا بد ان يجامر بعضهم

بما عنده و لو عظم شأن الملك القائم بأمرهم، و اجتهد فى جمع مفترق:

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الصالحين (٢) زيد ما بين الحاجزين

من ظ و م و مد (٣) زيد من م و مد (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ:

تجمع (٥) من ظ و مد، و فى الأصل و م: متفرق.

عليهم وسرم، قال تعالى مخبرا عن كلام بعض الاتباع في بعض ذلك: ﴿وقال رجل﴾ أى كامل فى رجليه ﴿مؤمن﴾ أى راسخ الإيمان فيما جاء به موسى عليه السلام . ولما كان للانسان، إذا عم الطغيان، ان يسكن بين أهل العدوان، إذا نصح بحسب الإمكان، أفاد ذلك بقوله: ﴿من آل فرعون﴾ أى وجوههم و رؤسائهم ﴿يكتم إيمانه﴾ أى . يخفيه إخفاء شديدا خوفا على نفسه لأن الواحد إذا شذ عن قبيلة بطمع فيه ما لا يطمع إذا كان واحدا من جماعة مختلفة، بخلافهم بما يوقفهم عن الإقدام على قتله من غير تصريح بالإيمان .

ولما رأهم قد عزموا على القتل عزمًا قويا أوقع عليه اسم القتل، فقال منكرا له غاية الإنكار: ﴿اتقتلون رجلا﴾ أى هو عظيم فى الرجال ١٠ حسا ومعنى، ثم علل قتلهم له بما ينافيه فقال: ﴿أن﴾ أى لأجل أن ﴿يقول﴾ ولو على سبيل التكرير: ﴿ربى﴾ أى المربى لى والمحسن إلى ﴿الله﴾ أى الجامع لصفات الكمال ﴿وقد﴾ أى والحال أنه قد ﴿جاءكم بالبينت﴾ أى الآيات الظاهرات من غير لبس ﴿من ربكم﴾ أى الذى لا إحسان عندكم إلا منه، وكما أن ربييته له اقتضت عنه ١٥ الاعتراف له بها فكذلك ينبغى أن تكون ربييته لكم داعية لكم إلى اعترافكم له بها .

ولما كان كلامه هذا يكاد أن يصرح بإيمانه، وصله بما يشككهم

(١) من ظ و م و مد، وفى الأصل: الواحد (٢) من م و مد، وفى الأصل و ظ: عليهم .

في أمره ووقفهم عن ضره . فقال مشيرا إلى أنه لا يخلو حاله من أن يكون صادقا أو كاذبا ، مقدما القسم الذي هو أننى للثمة عنه و أدعى للقبول منه : ﴿ وان ﴾ أى والحال أنه إن . ولما كان المقام اضيقه غاية الضيق بالكون بين شرور ثلاثة عظيمة : قتلهم خير الناس إذ ذاك ، وإتيانهم بالعذاب ، و اطلاعهم على إيمانه ، فأقل ما يدعوم ذلك إلى اتهامه إن لم يحملهم على إعدامه داعية للإيجاز فى الوعظ والمسارة إلى الإتيان بأقل ما يمكن ، حذف النون فقال : ﴿ بك كاذبا فعليه ﴾ أى خاصة ﴿ كذبه ج ﴾ يضره ذلك وليس عليكم منه ضرر ، ولم يقل : [أو -] صادقا . وإن كان الحال مقتضيا لغاية الإيجاز لثلا يكون قد نقص الجانب ١٠ المقصود بالذات حقه ، فيكون قد أدخل ببعض الأدب ، فقال مظهرا لفعل الكون عادلا عما له إلى ما عليهم معادلا لما ذكره عليه ونقصه عنه إظهارا للنصفة ودفعاً للثمة عن نفسه : ﴿ وان بك ﴾ حذف نونه لثلا ماضى ﴿ صادقا يصبكم ﴾ أى على وجه العقوبة من الله وله صدقه .

(١) زيدت الواو فى الأصل و ظ ، ولم تكن الزيادة فى م ومد فحذفناها .
(٢) من مد ، وفى الأصل و ظ و م : أتمامه (٣) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : اعلامه (٤) زيدت الواو فى الأصل و ظ ، ولم تكن فى م فحذفناها ، و يضره ذلك ، ساقطة من مد (٥) زيد من م ومد (٦) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : الفعل (٧) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : للقصة (٨) من م ، وفى الأصل و ظ : صدق ، و العبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة ساقطة من مد إلى ما سنبه عليه .

ينفعه ولا ينفعكم شيئا .

ولما كان العاقل من نظر لنفسه فلم يرد كلام خصمه من غير حجة ، و كان أقل ما يكون من توعده من بانت مخايل صدقه البعض ، قال ملزما الحجة بالبعض ، غير تاف لما فوجه إظهارا للانصاف وأنه لم يوصله حقه فضلا عن التعصب له نفيًا للتهمة عن نفسه : (بعض الذى) ٥

و قال : (يعدمكم) / دون ويوعدكم ، إشارة إلى أنهم إن وافوه أصابهم جميع ٥٤٧ / ما وعدهموه من الخير ، وإلا دهام ما توعدهم من الشر ، والآية من الاحتباك : ذكر اختصاصه بضر الكذب ، أولاً دليلاً على ضده وهو اختصاصه بنفع للصدق ثانياً ، وإصابتهم ثانياً دليلاً على إصابته أولاً ، وسره أنه ذكر الضار في الموضعين ، لأنه أنفع في الوعظ لأن من شأن النفس ١٠ الإسراع في الحرب منه ، ولقد قام أعظم من هذا المقام - كما في الصحيح عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما - أبو بكر الصديق رضى الله عنه وهو [مظهر لإيمانه وقد جد الجد بتحقيق الشروع في الفعل حيث أخذ المشركون بمجامع ثوب النبي صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت فالتزمه أبو بكر رضى الله عنه وهو -^أ] يقول هذه الآية ، ودموعه ١٥

(١) من م ، وفى الأصل و ظ : التعصيب (٢) من م ، وفى الأصل و ظ : وعدم (٣) زيدت الواو فى الأصل و ظ ، ولم تكن فى م لحذفها (٤) من م ، وفى الأصل و ظ : الكرب (٥) من م ، وفى الأصل و ظ : بالضاد . (٦) فى الأصل و ظ : ياض ، ملأه من م (٧) راجع فضائل الصحابة ومناقب الأنصار وتفسير هذه السورة (٨) زيد ما بين الحاذرين من م .

تجرى على لحيته حتى فرج الله و قد مزقوا كثيرا من شعر رأسه - رضى
الله عنه .

و لما كان فرعون قد نسب موسى عليه الصلاة و السلام بما زعمه
من إرادته إظهار الفساد إلى الإسراف بعد ما نسب إليه من الكذب ،
ه علل هذا المؤمن قوله هذا الحسن في شق 'التقسيم بما ينطبق' إلى فرعون
'منفرا منه مع' صلاحيته لإرادة موسى عليه الصلاة و السلام على 'ما
زعمه' فيه فرعون فقال : (ان الله) أى الذى له مجامع العظمة و معابد
العز (لا يهدى) أى إلى ارتكاب ما ينفع و اجتناب ما يضر
(من هو مسرف) أى باظهار الفساد 'متجاوز للحد' ، و كأنه رضى
١٠ الله عنه جوز أن يتأخر شيء عما 'توعد به فيسموه كذبا' ، ولذا قال

"يصبكم بعض الذى يعدكم" فعلق الامر بالمبالغة فقال : (كذاب ه)
لأن أول خذلانه و ضلاله تعمقه في الكذب ، و يهدى من هو مقتصد
صادق ، فان كان كاذبا كما زعمتم ضره كذبه ، و لم يهد لوجه بخله ،
و إن كان صادقا أصابكم العقوبة و لم تهتدوا لما ينجيكم ، لانصافكم

(١) من م ، و في الأصل و ظ : زرع (٢) من ظ و م ، و في الأصل : سعى .
(٣) من م ، و في الأصل و ظ : ينطلق (٤ - ٤) من ظ و م ، و في الأصل :
مقراضه من (٥ - ٥) من ظ و م ، و في الأصل : رحمه (٦) زيد في الأصل :
لا ، و لم تكن الزيادة في ظ و م لاختصاص (٧ - ٧) من م ، و في الأصل :
متجاوزا للحدود ، و في ظ : متجاوز للحدود (٨) من م ، و في الأصل و ظ :
ما (٩) من ظ و م ، و في الأصل : تعدى .

بالوصفين .

ولما خيلهم بهذا الكلام الذى يمكنه توجيهه ، شرع فى وعظهم
إظهارا للنصيحة لهم و التحسر عليهم فقال مذكرا لهم بنعمة الله عليهم
محذرا لهم من سلبها مستعظفا بذكر أنه منهم : ﴿ يقوم ﴾ و عبر بأسلوب
[الخطاب - ١] دون التكلم تصرحا بالمقصود فقال : ﴿ لكم الملك ﴾ ٥
و نبه على ما يعرفونه من تقلبات الدهر بقوله : ﴿ اليوم ﴾ و أشار إلى
ما عهده من الخذلان فى بعض الأزمان بقوله : ﴿ ظهري ﴾ أى غالين
على بنى إسرائيل وغيرهم ، و ما زال أهل البلاء يتوقعون الرخاء ، و أهل
الرخاء يتوقعون البلاء ، و نبه على الإله الواحد القهار الذى له ملك السموات
فملك الأرض من باب الأولى ، بقوله معبرا بأداة الظرف الدالة على ١٠
الاحتياج ترهيا لهم : ﴿ فى الأرض ﴾ أى أرض مصر التى هى لحسنها
و جمعها المنافع كالأرض كلها ، قد غلبتم الناس عليها .

ولما علم من هذا أنهم لا يملكون جميع الكون ، تسبب عنه أن
المالك لكل هو الإله الحق و المالك المطلق الذى لا مانع لما يريد ، فلا
ينبغي لأحد من عبده ' أن يتعرض ' إلى ما لا قبل له به من سخطه ، ١٥
فلذلك قال : ﴿ فن بصرا ﴾ أى أنا و أنتم ، أدرج نفسه فيهم عدد ذكر
الشر بعد إفراده لهم [بالملك - ١] إبعادا للثمة و حثا على قبول النصيحة :
﴿ من بأس الله ﴾ أى الذى له الملك [كله - ١] ، و نبه بأداة الشك
على أن عذابه لهم أمر يمكن ، و العاقل من يحوز / الجائز ويسعى فى

٥٤٨ /

(١) زيد من م (٢-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ .

التدريج منه فقال: ﴿ان جآءنا^١﴾ أى غضبا لهذا الذى يدعى أنه أرسله،
و يجوز أن يكون صادقا، بل يجب اعتقاد ذلك لما أظهره من الدلائل،
وفى قوله هذا تسجيل عليهم بأنهم يعرفون أن الله ملك الملوك ورب
الآرباب. وكذا قول موسى عليه السلام "لقد علمت^٢ ما أنزل
هؤلا^٣. الا رب السموت والارض^٤" وأن ادعاء فرعون الإلهية إنما
[هو - ^٥] محض عناد .

ولما سمع فرعون ما لامطعن له فيه ، فكان بحيث يخاف من بقية
قومه إن أخش فى أمر هذا المؤمن ، فتشوف السامع لجوابه ، أخبر
تعالى أنه رد ردا دين رد بقوله: ﴿ قال فرعون ﴾ أى لقومه جوابا
١٠ لا قاله هذا المؤمن دالا بالحيدة عن حاق جوابه على الانقطاع^٦
بالعجز عن نقض شئ من كلامه: ﴿ ما أريكم ﴾ أى من الآراء
﴿ الا ما أرى ﴾ أى إنه الصواب^٧ على قدر مبلغ علمى ، أى إن ما
أظهرته لكم هو الذى أبطنه . ولما كان فى كلام المؤمن تعريض فى
أمر الهداية ، و كان الإنسان ربما يتوافق قلبه ولسانه ، و يكون تطابقهما
١٥ على ضلال ، قال: ﴿ وما أهديك ﴾ أى بما أشرت به من قتل موسى
عليه السلام وغيره ﴿ الا سبيل الرشاده ﴾ أى الذى أرى أنه صواب ،
لا أبطن شيئا وأظهر^٨ غيره ، وربما يكون فى هذا تنبيه لهم على ما يلوح

(١) من ظ و م ، وفى الأصل: كذلك (٢ - ٣) تكرر ما بين الرقيين فى م .
(٢) زيد فى الأصل: بصائر . ولم تكن الزيادة فى ظ و م لخصفها (٣) زيد
من م (٤) فى م: قال (٥) من ظ و م ، وفى الأصل: انقطاع (٦) فى م:
صواب (٧) من م ، وفى الأصل و ظ: أظهره .

من كلام المؤمن لأنه ارتاب في أمره، وفي هذا أنه في غاية
 الرعب من أمر موسى عليه السلام لاستشارته لقومه في أمره واحتمال
 هذه المراجعات التي يلوح منها أنه يكاد ينفطر غيظاً منه ولكنه يتجلد .
 ولما ظهر لهذا المؤمن رضى الله عنه أن فرعون ذل لكلامه، و
 لم يستطع مصارحته^١، ارتفع إلى أصرح من الأسلوب الأول فأخبرنا تعالى ٥
 عنه بقوله مكتفياً في وصفه^٢ بالفعل الماضي لأنه في مقام الوعظ الذي
 ينبغي أن يكون من أدنى متصف بالإيمان بعد أن ذكر عراقة في الوصف
 لأجل أنه كان في مقام المجاهدة والمدافعة عن الرسول عليه وعلى نبينا
 أفضل الصلاة والسلام الذي لا يقدم عليه إلا راسخ القدم في الدين :
 ﴿ وقال الذي آمن ﴾ أي بعد قول فرعون هذا الكلام الذي هو ابرد ١٠
 من «التيح الذي» دل على جهله وعجزه وذله ﴿ يقوم ﴾ وأكد لما
 رأى عندهم من انكار أمره وخاف منهم من اتهمه [فقال -^٣] :
 ﴿ انى اخاف عليكم ﴾ أى من المكابرة في أمر موسى عليه الصلاة والسلام .
 ولما كان أقل ما يخشى يكفى العاقل ، وكانت قدرة الله سبحانه عليهم
 كلهم على حد سواء لا تفاوت فيها فكان هلاكهم كلهم كهلاك نفس ١٥
 واحدة^٤، أفرد فقال : ﴿ مثل يوم الأحزاب ﴾ مع أن أفراده أروع
 وأقوى في التخويف وأفظع للإشارة إلى قوة الله تعالى وأنه قادر على

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : مصادحته (٢) من م ، وفي الأصل و ظ :
 وضعه (٣-٢) سقط ما بين الرقين من ظ و م (٤) زيد من م (٥) من م ،
 وفي الأصل و ظ : واحد .

إملاكمهم في أقل زمان .

ولما أجل فصل وبين أو^١ بدل بعد أن هول ، فقال بادئا بمن
كان عذابهم مثل عذابهم ، ودأبهم شديها بدأبهم : (مثل داب) أى
عادة (قوم نوح) أى فيما دهمهم من الهلاك الذى محققهم فلم يطيقوه
مع ما كان فيهم من قوة المحاولة ، والمقاومة لما يريدونه (وعاد و نمود)
مع ما بلغكم من جبروتهم . ولما كان هؤلاء اقوى الأمم ، اكتفى بهم
وأجل من بعدهم فقال : (والذين) وأشار بالجار إلى التخصيص
بالعذاب ثلثا يقال : هذه عادة الدهر ، / فقال : (من بعدهم) أى بالقرب
من زمانهم لا جميع من جاء بعدهم .

/ ٥٤٩

١٠ ولما كان التقدير : أهلكهم الله وما ظلمهم ، عبر عنه تعميما مقرونا
بما تضمنه من الخبر^٢ بدليله فقال : (ما الله) أى الذى له الإحاطة
بأصاف الكمال . ولما كان^٣ فى مقام الوعظ لهم ومراده ردهم عن
غيهم بكل حال ، علق الأمر بالإرادة لأنها متى ارتفعت انتفى الظلم ،
ونكر تعميما فقال : (يريد ظلما) أى يتجدد منه أن يعلق إرادته وقنا
١٥ ما بنوع ظلم (للعبادة) لأن احدا لا يتوجه أبدا إلى أنه يظلم عبده الذين
هم تحت قهره ، وطوع مشيته وأمره ، ومتى لم يعرفوا حقه وأرادوا
البنى على من يعرف حقه عاقبهم ولا بد ، وإلا كان كفه عنهم ظلما

(١) من م ، وفى الأصل وظ « و » (٢) من م ، وفى الأصل وظ :
ما (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : الخير (٤) زيد فى الأصل : هذا ، ولم
تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

للبنى

(١٥)

٦٠

للبغى عليهم .

ولما أشرق من آفاق هذا الوعظ شمس البعث و نور الحشر، لآله
لايسوغ أصلا أن ملكا يدع عبيده^١ يبغي بعضهم على بعض من غير
إتصاف بينهم ونحن نزعى أكثر الخلق يموت مقهورا من ظلمه، و مكسورا
من حاكمه. فلم قطعاً أن الموت الذى لم يقدر و لا يقدر أحد أصلاً أن
يسلم منه إنما هو سوق إلى^٢ داره العرض^٣ و ساحة الجزاء للقرض - كما جرت
به عادة الملوك إذا وكلوا بمن يأمرهم باحضاره إليهم لعرضه عليهم ليظهر
التجلى فى صفات الجبروت و العدل، و مظاهر الكرم [و الفضل -^٤]
قال: (و يقوم) و لما كانوا منكرين للبعث أكد فقال: (أنى أخاف)
و عبر بأداة الاستعلاء زيادة فى التخويف فقال: (عليكم) و لما كان ١٠
قد سماه فيما مضى بالتلاقى^٥ و الآزقة لما ذكر، عرف هنا أن الخلق فيه
وجلون خائفون و أنهم^٦ لكثرة الجمع يُنَادُونَ و يُنَادُونَ للرفعة أو الضعة^٧
و غير ذلك من الأمور المتنوعة التى مجموعها يدل^٨ على ظهور الجبروت
و ذل الخلق لما يظهر^٩ لهم من الكبرياء و العظمت فقال: (يوم التنادي)
أى أهواله و ما يقع فيه، فينادى الجبار سبحانه بقوله "الم اعهد اليكم ١٥

- (١) زيدت الواو فى الأصل، و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٢-٣) من ظ و م،
و فى الأصل: دار العوض (٣) زيد من م (٤) من م، و فى الأصل و ظ؛
بالثا - كذا مع يسير من البياض (٥) بياض فى الأصل، ملأناه من ظ و م.
(٦) من م، و فى الأصل و ظ: الضعة (٧) من م، و فى الأصل و ظ:
يكون (٨) بياض فى الأصل، و ظ ملأناه من م.

يُنَادِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ " وَيُنَادُوهُ " يَا رَبَّنَا " وَتُنَادِي
 الْمَلَائِكَةُ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ [مِنْ بَعْدِ كَمَا يَسْمَعُهُ - '] مِنْ قَرَبٍ " يَا فُلَانُ
 ابْنَ فُلَانٍ أَقْبِلْ ۖ لِفَصْلِ الزَّاعِ " وَيُنَادِي ذَلِكَ الْعَبْدَ " أَلَا سَمِعَا وَطَاعَةً " وَ
 يُنَادِي الْفَازِ " أَلَا نَعَمُ أَجْرَ الْعَامِلِينَ " وَيُنَادِي الْخَائِبَ " أَلَا بئْسَ مُنْقَلَبُ
 الظَّالِمِينَ " وَيُنَادِي بِالشَّقَاوَةِ وَالسَّعَادَةِ: أَلَا إِنَّ فُلَانًا قَدْ سَعِدَ ، أَلَا إِنَّ فُلَانًا
 قَدْ شَقِيَ ، وَيُنَادِي أَصْحَابَ الْأَعْرَافِ ، وَأَهْلَ الْجَنَّةِ أَهْلَ النَّارِ ، وَأَهْلَ
 النَّارِ أَهْلَ الْجَنَّةِ ، وَيُنَادِي الْكُلَّ حِينَ يَذْبَحُ الْمَوْتَ ، وَيَدْعِي كُلَّ أَنْفَسٍ
 بِأَمَانِهِمْ . وَتَقْنَادِي الْمَلَائِكَةُ وَقَدْ أَحَاطُوا بِالثَّقَلَيْنِ صَفُوفًا مَرْتَبَةً زَرْتَبِ
 السَّمَاوَاتِ الَّتِي كَانُوا بِهَا بِالتَّسْلِيمِ وَالتَّقْدِيسِ . وَتَرْتَفَعُ الْأَصْوَاتُ بِالضَّجِيجِ ،
 ١٠ بَعْضُهُمْ بِالسَّرُورِ وَبَعْضُهُمْ بِالْوَيْلِ وَالثُّبُورِ ، وَتُنَادِي أَلْسُنُ النَّيرانِ : أَيْنَ
 الْجَابِرُونَ أَيْنَ الْمُسْكِبُونَ ، وَتُنَادِي الْجَنَّةُ : أَيْنَ الْمَشْمُرُونَ فِي مَرْضَاتِ اللَّهِ
 ٢ وَالصَّابِرُونَ ۚ فَيَا لَهُ يَوْمًا يَذِلُّ فِيهِ الْعَصَاةُ الْعَتَاةُ ، وَيَعِزُّ الْمُنْكَسِرَةُ قُلُوبُهُمْ
 مِنْ أَجْلِ اللَّهِ ، وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ ٣ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي آخِرِينَ بِتَشْدِيدِ
 الدَّالِ مِنَ التَّنَادِ عَلَى [أَنَّهُ - ٤] مُصْدَرْتَانِ مِنْ نَدِّ الْبَعِيرِ - إِذَا هَرَبَ وَنَفَرَ ،
 ١٥ وَهُوَ كَقَوْلِهِ يَوْمَ " يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ " وَتَقْدَمُ فِي حَذْفِ يَاءِ التَّلَاقِ ٥
 وَإِبَاتِهَا مَا يُمْكِنُ الْفُطْنُ تَنْزِيلُهُ هُنَا . / وَلَمَّا كَانَتْ ٦ عَادَةُ الْمُتَنَادِينَ الْإِقْبَالَ ،
 وَصَفَ ذَلِكَ الْيَوْمَ بِضَدِّ ذَلِكَ لَشِدَّةِ الْأَهْوَالِ فَقَالَ مُبْدِلًا أَوْ مَبِينًا :

/ ٥٥٠

(١) زيد من ظ و م (٢) و من هنا تستألف نسخة مد (٣) راجع نثر المرجان
 ٢٢٥/٦ (٤) زيد من م و مد (٥) زيد في الأصل و ظ : لا ، ولم تكن الزيادة
 في م و مد لاختلافها (٦) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : كان .

(يوم تولون مدبرين ج) أى [حين - ١] تخرج ألسنة النيران فتخطف أهل الكفران، وتزفر زفرات يخر أهل الموقف [من خشيتها، ترى كل أمة جاثية ويفرون فلا يقصدون مكانا إلا وجدوا به الملائكة - ٢] صافين كما قال تعالى "والملك على أرجائها" و ينادى المنادى "ينعشر الجن والإنس إن استطعتم إن تنفذوا من اقطار السموات والارض ه فانفذوا لاتنفذون الا بسلطان".

ولما كان المدبر إنما يقصد في إداره معقلا يمنعه ويستره أوقته تحميه وتصره، قال مينا حالهم: (مالكم من الله) أى الملك الجبار الذى لا ندله، وأعرق فى النقي فقال: (من عاصم ج) أى مانع يمنكم بما يراد بكم فالكم من عاصم أصلا. فانه سبحانه يحير ولا يجار عليه. ١٠
ولما كان التقدير: لضلالكم فى الدنيا فان حالكم فى ذلك اليوم مكتسب من احوالكم فى هذا اليوم، عطف عليه قوله معما^٢:
(ومن يضلل الله) أى الملك المحيط بكل شئ الباطن فى أودية الجلال الظاهر فى مظاهر القهر والجمال، إضلالا جبلة عليه فهو فى غاية البيان - بما أشار إليه الملك (فأله من هاده) أى إلى شئ ينفعه ١٥
بوجه من الوجوه، وأما الضلال العارض فيزيله [الله - ١] لمن يشاء من عباده، وهذا لا يعرف إلا بالخاتمة كما قاله الإمام أبو الحسن الأشعري:
فن مات على شئ فهو مجبول عليه.

(١) زيد من م ومد (٢) زيد من ظ وم ومد (٣) من م ومد، وفى الأصل و ظ: تعميما (٤) من ظ وم ومد، وفى الأصل: بما.

ولما كان حاصل ما مضى من حالهم في أمر موسى عليه السلام أنه جاءهم بالبينات فشكوا فيها، وختم بتحذيرهم [من] عذاب الدنيا والآخرة، عطف عليه شك آبائهم في مثل ذلك، فقال ميينا أنهم مستحقون لما حذر منه من العذاب ليشكروا نعمة الله في أمهاله^(٢) إياهم ويحذروا نقمته ٥ إن تبادروا وأكد لأجل إنكارهم أن يكونوا أتوا بيته، وافتح بحرف التوقع لأن حالهم اقتضت توقع ذلك ودعت إليه: ﴿ولقد جاءكم﴾ أي جاء آبائكم يا معشر القبط، ولكنه عبر بذلك دلالة على أنهم على مذهب [الآباء -^١] كما جرت به العادة من التقليد، ومن أنهم على طائفتهم لاسيما إن كانوا [لم -^١] بفارقوا مساكنهم: ﴿يوسف﴾ ١٠ أي نبي الله بن نبي الله يعقوب بن نبي الله إسحاق بن خليل الله إبراهيم عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم.

ولما لم يكن مجيئه مستغرقا لما تقدم موسى عليه السلام من الزمان أدخل الجار فقال: ﴿من قبل﴾ أي [قبل -^٢] زمن موسى عليه السلام: ﴿بالبينات﴾ أي الآيات الظاهرات ولا سيما في أمر يوم التناد ﴿فما زلتم﴾ بكسر الزاى من زال يزال أي ما برحتم أنتم تبعاً لأبائكم ﴿في شك﴾ أي يحيط بكم لم تصلوا إلى رتبة الظن ﴿عما جاءكم به﴾ من التوحيد وما يتبعه، ودل على تبادى شكهم بقوله: ﴿حتى إذا هلك﴾ وكأنه عبر بالهلاك إيهاما لهم أنه غير معظم له، وأنه إنما يقول ما يشعر بالتعظيم لأجل محض النصيحة والنظر في العاقبة ﴿قلتم﴾ أي

(١) من م و مد، وفي الأصل و ظ: أمهاله (٢) زيد من م و مد.

من عند أنفسكم بغير دليل كراهة^١ لما جاء به وتضجرا منه جهلا بالله تعالى^٢: ﴿لن يبعث الله﴾ أى الذى له صفات / الكمال .

٥٥١ /

ولما كان مرادهم استغراق النقي حتى لا يقع البعث في زمن من الأزمان وإن قل ، أدخل الجار فقال: ﴿من بعده﴾ أى يوسف عليه السلام ﴿رسولاً﴾ وهذا ليس إقراراً منهم برسالته ، بل هو ضم منهم ٥ إلى الشك في رسالته التكذيب برسالة من بعده ، والحجر على الملك الأعظم في عبادته وبلاده والإخبار عنه بما ينافي كماله .

ولما كان كأنه قيل : هذا ضلال عظيم هل ضل أحد مثله ؟ أجيب بقوله: ﴿كذلك﴾ أى مثل هذا الضلال العظيم الشأن ﴿يضل﴾ وأبرز الاسم ولم يضمه لتلاخيص الإضلال بالحقيقة الماضية ، وجعله الجلالة ١٠ تعظيماً للأمر لصلاحية الحال لذلك^٢ وكذا ما يأتى بعده ﴿الله﴾ أى بما له من صفات القهر ﴿من هو مسرف﴾ أى متعال في الأمور خارج عن الحدود طالب للارتقاء عن طور البشر .

ولما كان السياق للشك في الرسالة^١ والقول بالظن [الذى يلزم منه اتهام القادر سبحانه بالعجز أو مجانبة الحكمة -^٢] قال: ﴿مرتأب دجّ طي﴾ ١٥

(١) من ظ و مد ، وفي الأصل و م : كراهته (٢) زيد في الأصل : حيث قلم ، ولم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفنا (٣) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : كذلك (٤) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : الرواية (٥) زيد من م و مد .

[اى - '] يشك فيما لا يقبل الشك و يتهم غيره بما لا حظ للتهمة فيه، أى ديدنه التذبذب فى الأمور الدينية . فلا يكاد يحقق أمرا من الأمور، ولا إسراف ولا ارتياب أعظم من حال المشرك فانه منع الحق أهله وبذله لمن لا يستحقه بوجه، وهذه الآية دليل على أن القبط طول الدهر على ما نشاهده من أنه لا ثقة بدخولهم فى الدين الحق، ولا ثبات لهم فى الأعمال الصالحة .

ولما ظهر ظهورا لا يحتمل شكاً بما أتى به موسى عليه السلام من البينات أن شكهم فى رسالة الماضى و جزمهم فى الحكم بنفى رسالة الآتى أعظم ضلال وأنه من الجدال الذى لا معنى له إلا قتل الحق عما هو عليه من الحق إلى ما عليه المجادل من الضلال، وصل بذلك قوله على سبيل الاستنتاج ذما لهم بعبارة تعم غيرهم : (الذين) أى جدال من (يجادلون) أى يقاتلون و يخاصمون خصاما شديدا (فى آيات الله) أى المحيط بأوصاف الكمال لاسيما الآيات الدالة على يوم التناد، فانها أظهر الآيات على وجوده سبحانه وعلى ما هو عليه من الصفات ١٥ والأفعال و ما يجوز عليه أو يستحيل .

ولما كان الجدال بالتي هى أحسن مشروعا، وهو بما أمر به

(١) زيد من م و مد (٢) من م و مد، وفى الأصل و ظ : يتوهم (٣) من م و مد، وفى الأصل و ظ : فى التهمة (٤) من م و مد، وفى الأصل و ظ : حقق (٥) من ظ و مد، وفى الأصل و م : من (٦) فى م : أنهم (٧) زيد فى الأصل و ظ : لهم، ولم تكن الزيادة فى م و مد لحذفها (٨) من ظ و م و مد، وفى الأصل : حال .

قال: ﴿ بغير سلطان ﴾ أى تسليط ودليل ﴿ اتهم ﴾ أى من عند من له الأمر كله ﴿ كبر ﴾ أى عظم هو، أى الجدال المقدر مضافا قبل "الذين" وبين ما أبهم من هذا العظم بتمييز محول عن الفاعل فقال: ﴿ مقتا عند الله ﴾ أى الملك لأعظم ﴿ وعند الذين آمنوا ﴾ أى الذين هم خاصته^٥.

٥

ولما كان فاعل هذا لا يكون إلا مظلم القلب، فكان التقدير: أولئك طبع الله على قلوبهم، وصل به استثناء قوله: ﴿ كذلك ﴾ أى مثل هذا الطبع العظيم ﴿ يطبع ﴾ أى يختم ختما فيه العطب ﴿ الله ﴾ [أى - ٢] الذى له جميع العظمة ﴿ على كل قلب ﴾ ولما كان فعل

كل ذى روح إنما هو بقلبه، نسب الفعل إليه فى قراءة أبى عمرو^{١٠} وابن عامر فى إحدى الروايتين عنه بالتثوين فوصفه بقوله: ﴿ متكبر ﴾ أى متكلف ما ليس له وليس لأحد غير الله ﴿ جبار ﴾ أى ظاهر الكبر قويه^٦ قهار، وقراءة الباقيين بالإضافة مثلها سواء فى^٧ أن السور داخل

القلب ليعم جميع أفرادها^٨ / غير أن الوصف بالكبر والجبروت للشخص ٥٥٢ /

لا للقلب، وهى آية من القراءة الشاذة بتقديم القلب على كل، لأن ١٥

(١) وقع فى الأصل بعد «كه»، والترتيب من ظ و م ومد (٢) من ظ و م ومد، وفى الأصل: خاصة معه (٣) زيد من م ومد (٤) من ظ و م، وفى الأصل و م: تسبب (٥) راجع نثر المرجان ٦ / ٢٢٩ (٦) من ظ و م ومد، وفى الأصل: قوى (٧-٧) من ظ و م ومد، وفى الأصل: السوء - كذا (٨) من ظ و م ومد، وفى الأصل: المراد.

تقديم كل نص في استغراق أفراد القلوب من اتصف بهذا الوصف،
ومن المقطوع به أن آحاد القلوب موزعة على آحاد الأشخاص لأنه
لا يكون لشخص أكثر من قلب بخلاف ما إذا قدم القلب فانه قد يدعى
أن الشخص واحد، وأن السور^١ لأجل جمعه^٢ لأنواع الكبر والجبروت
هـ فيكون [المعنى - ٢] : على قلب شخص جامع لكل فرد من أفراد
التكبر والتجبر - والله الموفق .

ولا ذكر الطبع المذكور، دل عليه بما ذكر من قول فرعون وفعله
عظفا على ما مضى من قوله و قول المؤمن، فانه قصد ما لامطمع
في نيته و حماقة تكبرا و تجبرا لكثافة قلبه و فساد له، فصار به ضحكة
١٠ لكل من سمعه، هذا إن كان ظن أنه يصل إلى ما أراد، وإن كان
قصد بذلك التليس على قومه للدافعة عن اتباع موسى عليه السلام إلى
وقت ما فقد نادى عليهم بالجهل، والإغراق في قلة الحزم والشهامة
و العقل، فقال تعالى : ﴿ وقال فرعون ﴾ أى بعد قول المؤمن هذا،
معرضا عن جوابه لأنه لم يجد فيه مطعنا : ﴿ يهائم ﴾ وهو وزيره
١٥ ﴿ ابن ﴾ وعرفه بشدة اهتمامه به بالإضافة إليه في قوله : ﴿ لى صرحا ﴾
أى بناء ظاهرا يعلمه لكل أحد، قال البغوى^٣ : لا يخفى على الناظر وإن
بعد. وأصله من التصريح وهو الإظهار، و تعليله بالترجى الذى لا يكون
إلا في الممكن دليل على أنه كان يلبس على قومه وهو يعرف الحق،
(١) من ظ و م و مد، وفي الأصل : السود (٢) من ظ و م و مد، وفي
الأصل : حجة (٣) زيد من م و مد (٤) في العالم - راجع لباب
التاويل ٦ / ٨٠ .

فان عاقلا لا يعد ما رآه في عداد الممكن العادى فقال :
 ﴿ لعلّ ابلغ الاسباب ﴾ أى التى لا أسباب غيرها لعظمها .
 ولما كان بلوغها أمرا عجيبا ، أورده^١ على نمط مشوق عليه يعطيه
 السامع حقه من الاهتمام تفخيم شأنها ، ليقشوف السامع إلى بيانها ،
 بقوله : ﴿ اسباب السنوت ﴾ أى الأمور الموصلة إليها ، وكل ما أذاك^٥
 إلى شىء فهو سبب إليه .

ولما ذكر هذا السبب ، ذكر المسبب عنه فقال : ﴿ فأطلع ﴾ أى
 فعله يتسبب عن ذلك و يتعقبه أنى أتكلف الطلوع ﴿ الى الله موسى ﴾
 فيكون كما ترى عطفًا على ” ابلغ “ ، ونصبه حفص^٢ عن عاصم على
 الجواب تنبيها على أن ما أبرزه^٣ الخبيث في عداد الممكن إنما هو^٤ تنبى^{١٠}
 محال غير ممكن في العادة .

ولما كان من جملة إرادته بذلك مع إيقاف^٦ قومه إلى وقت ما
 عن المتابعة أن يخيلهم بأن يقول : طلعت فبحث عما قال موسى فلم أقف
 له على صحة ، قدم لهم قوله مبينا لحاله إذ ذاك لما ظن من ميل قلوبهم
 إلى تصديق موسى عليه السلام : ﴿ وانى لآظنه ﴾ أى موسى ﴿ كاذبا ﴾^{١٥}
 قترك الكلام على احتمال أن يريد في الرسالة^٧ أو في^٨ الإلهية . ولما كان

- (١) من م ومد ، وفي الأصل و ظ : اورد (٢) راجع نثر المرجان ٢٣٠/٦ .
 (٣) من م ومد ، وفي الأصل و ظ : أبرز (٤) من م ومد ، وفي الأصل
 و ظ : مى (٥) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : اتفاق (٦-٦) من م ومد ،
 وفي الأصل و ظ : ادنى .

هذا أمراً عجيباً، وهو كون أحد يظن أنه يخيل للعقول أنه يصعد إلى السماء، وأن الإله الذي هو غنى عن كل شيء وقد كان ولا شيء معه يكون في السماء، أو في محل من المحال، فإن كل حال في شيء يحتاج إلى محله، وكل محتاج عاجز ولا يصلح العاجز للالهية لو لم يحى عن الله لما كان أهلاً لأن يصدق، فكان التقدير: عمله فرعون لأننا زينا

له. عطف عليه قوله زيادة في التعجيب: ﴿وكذلك﴾ / أى ومثل / ٥٥٣

ذلك التزيين العظيم الشأن اللاعب بالآلأباب. ولما كان الضار هو التزيين لا المزين الخاص، بناءً للفعل فقال: ﴿زين﴾ أى زين المزين الناذر الأمر. وهو الله تعالى حقيقة بخلقه وإلزامه لأن كل ما دخل

١٠ في الوجود من المحدثات فهو خلقه، والشيطان مجازاً بالتسبب بالوسوسة

التي هي خلق الله تعالى ﴿لفرعون سوء عمله﴾ في جميع أمره، فاقبل

عليه راعباً فيه مع بعده عن عقل أقل ذوى العقول فضلاً عن ذوى

الهمم منهم فضلاً عن الملوك، وأطاعه فيه وقومه ﴿وصد﴾ بنفسه

ومنع غيره على قراءة الفتح، ومنعه الله - على قراءة الكوفيين ويعقوب

١٥ بالضم ﴿عن السيل﴾ أى التي لاسيل في الحقيقة غيرها، وهى الموصلة

(١) زيد في الأصل: أحد وعن كل، ولم تكن الزيادة في ظ وم ومد

لحذفها (٢) من ظ وم ومد، وفي الأصل: محل (٣) من م ومد، وفي

الأصل و ظ: اللابة (٤) من ظ وم ومد، وفي الأصل: واغبا (٥) من

م ومد، وفي الأصل و ظ: ذى (٦) زيد في الأصل: وذويه، ولم تكن

الزيادة في ظ وم ومد لحذفها (٧) راجع نثر المرجان ٦/ ٢٣٢.

إلى الله تعالى .

ولما كان هذا السياق بحيث يظن [منه - '] الظان أن فرعون نوع تصرف، نفي ذلك بقوله : ﴿ وما كيد ﴾ و أعاد الاسم ولم يضمه لثلاثي بفتح من الحيات فقال : ﴿ فرعون ﴾ أى فى إبطال أمر موسى عليه السلام ﴿ الا فى باب ٤ ﴾ أى خسار و هلاك عظيم يحيط به لا يقدر ه على الخروج منه ، و ما تعاطاه إلا لأنه محمول عليه و مقهور فيه ، كما كشف عنه الحال ، فدل ذلك فضا على أنه لو كان له أدنى تصرف يستقل به لما أنتج فعله الخسار .

ولما كان فساد ما قاله فرعون أظهر من أن يحتاج إلى بيان ، اعرض المؤمن عنه تصرّحاً ، و لوّح إلى ما حكاه الله عنه من أنه يحيط ١٠ به الهلاك تلويحاً فى قوله منادياً قومه و مستعطفا لهم ثلاث مرات : الأولى على سبيل الإجمال فى الدعوة ، و الآخرين على سبيل التفصيل ، فقال تعالى عنه : ﴿ وقال الذى آمن ﴾ [أى - '] مشيراً إلى 'وهى قول' فرعون بالإعراض عنه ، و عبر بالفعل إشارة إلى أنه ينبغي لأدنى أهل الإيمان أن [لا - '] يحقر نفسه عن الوعظ : ﴿ يقوم ﴾ أى يا من ١٥ لا قيام لى إلا بهم فأما غير متهم فى نصيحتهم ﴿ اتبعون ﴾ أى كلّفوا أنفسكم اتباعى لأن السعادة غالباً تكون فيما يكره الإنسان ﴿ اهدكم سبيل ﴾

(١) زيد من م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : قول وهى .
(٣) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : على (٤) زيد من ظ و م و مد (هـ) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : على (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المساعدة .

أى طريق (الرشاد ع) أى الهدى لأنه مع سهولته واتساعه موصل ولا بد إلى المقصود، وأما ما قال فرعون مدعياً أنه سبيل الرشاد لا يوصل إلا إلى الخسار، فهو تعريض به شبيهه بالتصريح .

و لما كان هذا دعاء على سبيل الإجمال، وكان الداء كله فى الإقبال على الفانى، والدواء كله فى الإقدام على الباقي. قال استثناء فى جواب من سأل عن تفصيل هذه السبيل مبيناً أنها العدول عما يقف إلى ما يبقى محقراً للدنيا مصغراً لشأنها لأن الإخلاد إليها أصل الشر كله، ومنه يتشعب ما يؤدى إلى محبط الله (يقوم) كرر ذلك زيادة فى استعطافهم بكونهم 'أعلمه فهو غير متهم' فى نصحتهم لأنه لا يريد لهم إلا ما يريد لنفسه . ولما كانت الأنفس لكونها مطبوعة على الوهم لاتعد الحاصل إلا الحاضر أكد فقال : (أما هذه الحيوة) وحقها بقوله : (الدنيا) إشارة إلى دنائها وبقوله : (متاع ن) إشارة إلى أنها جيفة لأنها فى اللغة من جملة مدلولات المتاع، فلا يتناول / منها إلا كما يتناول المضطر من الجيفة لأنها دار 'القلعة' والزوال والتزود والارتحال .

/ ٥٥٤

ولما افتتح بدم الدنيا، تلى بمدح الآخرة فقال : (وإن الآخرة) لكونها المقصودة بالذات (هى دار القرار) التى لا تحول منها أصلاً

(١ - ١) من م ومد، وفى الأصل وظ : قومهم (٢) زيد فى الأصل وم : من جهة، ولم تكن - الزيادة فى ظ ومد لحذفها (٣) من ظ وم ومد، وفى الأصل : المفطر (٤) من م ومد، وفى الأصل وظ : الغفلة (٥) من ظ وم ومد، وفى الأصل : فيها .

دائم كل شيء^١ من ثوابها وعقابها، فهي للتلذذ والانتفاع، والترفه
والإتساع، لمن توسل إلى ذلك بحسن الاتباع، أو للشقاوة والهلاك،
لمن اجتراً على المحارم واستخف الإتهام، قال الأصفهاني: قال بعض
المعارفين: لو كانت الدنيا ذهباً [فانياً -^٢] والآخرة خزفاً باقياً، لكانت
الآخرة خيراً من الدنيا فكيف والدنيا خزف فان، والآخرة ذهب
باق بل أشرف وأحسن. وكما أن النعيم فيها دائم فكذلك العذاب،
فكان الترغيب في نعيم الجنان، والترهيب من عذاب النيران، من أعظم
وجوه^٣ الترغيب والترهيب، فالآية من الاختباك: ذكر المتاع أولاً دليلاً
على حذف التوسع ثانياً، والقرار ثانياً دليلاً على حذف الارتحال أولاً.
ولما حرك الهمم بهذا الوعظ إلى الإعراض عن دار الانكاد ١٠
والأمراض، والإقبال على دار^٤ الجلال والجمال بخدمة ذي العز والكمال،
قال في جواب من سأل عن كيفية ذلك ما حاصله أنه بالإقبال على محاسن
الأعمال، وترك السيئ من الخلال، واصلاً بذلك على^٥ طريق البيان للبيان،
ذاكراً عاقبة كل ليثبط عما يتلف، وينشط لما يزلف، مشيراً إلى أن جانب
الرحمة أغلب، [مقدماً لما هم عليه من السوء محذراً منه ليرجعوا -^٦] : ١٥
(من عمل سيئة) أي ما يسوء من أي صنف كان: الذكور والإناث

- (١) سقط من م ومد (٢) زيد من ظ وم ومد (٣) من ظ وم ومد،
وفي الأصل: وجوب (٤ - ٤) من ظ وم ومد، وفي الأصل: الجمال
والجلال (٥) من م ومد، وفي الأصل وظ: إلى (٦) من م ومد، وفي
الأصل وظ: إلى ما (٧) زيد من م ومد.

و المؤمنين و الكافرين ﴿ فلا يحزى ﴾ أى من الملك الذى لا ملك سواه
 ﴿ الا مثلها ج ﴾ عدلا لا يزداد عليها مقدار ذرة و لا أصغر منها و يدخل
 النار إن لم يكن له ما يكفرها، فهذا هو الملك الذى ينبغي الإقبال على
 خدمته لكونه الحكم العدل القادر على الجزاء و المساواة فى الجزاء، فالكافر
 ٥ لما كان على عزم لإدامة الكفر كان عذابه دائما، و الفاسق [لما كان -^٢]
 على نية التوبة لا اعتقاده أنه [فى -^٢] معصية و شر كان عذابه منقطعا،
 و الآية على عمومها، و ما خرج [منها -^٢] بدليل كان مخصوصا فيخرج
 عليها جميع باب الجنايات و غيره، و من قال: إنها فى شيء معين، لزمه
 أن تكون بحملة، لأن ذاك المدين غير مذكور، و التخصيص أولى من
 ١٠ الإجمال - كما قال أهل الأصول .

و لما بين العدل فى العقاب، بين الفضل فى الثواب، تنبها على أن
 الرحمة سبقت الغضب فقال: ﴿ و من عمل صالحا ﴾ أى و لو قل . و لما
 كان من يعهدون من الملوك إنما يستعملون الأقوياء لاحتياجهم، بين أنه
 على غير ذلك لأنه لا حاجة به أصلا فقال: ﴿ من ذكر أو اتى ﴾ و لما
 ١٥ كان العمل لا يصح بدون الإيمان قال مبينا شرطه: ﴿ و هو ﴾ أى
 عمل و الحال أنه ﴿ مؤمن ﴾ و لما كان فى مقام الترغيب فى عدله
 و جوده و فضله، جعل الجزاء مسيبا عن الأعمال فقال: ﴿ فاوأسك ﴾

- (١) من م و مد، وفى الأصل و ظ: ارادة (٢) زيد من ظ و م و مد .
 (٣) زيد من م و مد (٤) من م و مد، وفى الأصل و ظ: كانه (٥) من م
 و مد، وفى الأصل و ظ: ذلك (٦) من م و مد، وفى الأصل و ظ: إيمان .
 (٧) من م و مد، وفى الأصل و ظ: سببا .

أى العالو الهمة و المقدار ﴿ يدخلون الجنة ﴾ [أى - ١] بأمر من له
 الأمر كله بعد أن ضاعف لهم أعمالهم فضلا ، و الآية من الاحتباك :
 ذكر المساواة أولا عدلا يدل على المضاعفة ثانيا فضلا ، و ذكر إدخال الجنة
 ثانيا يدل على إدخال النار أولا ، و سره / أنه ذكر فضله فى كل من
 ٥٥٥ / الشقين ﴿ رزقون فيها ﴾ أى من غير احتياج " إلى تحول أصلا ولا إلى " أسباب .
 و لعل ذلك من أسرار البناء للفعول ﴿ بغير حساب ﴾ لخروج
 ما فيها بكثرته عن الحصر ، فإن أدنى أهلها منزلة لو أضاف كل أهل
 الأرض لكفاهم من غير أن ينقص من ملكه شيء ، و هذا من باب
 الفضل ، و فضل الله لاحد له ، و رحمته غلبت غضبه ، و أما جزاء السيئة
 فمن باب العدل ، فلذلك وقع الحساب فيها لثلاث يقع الظلم ، قال الأصمهباني : ١٠
 فإذا عارضنا عموما الوعيد بعمومات الوعد ترجح الوعد لسبق الرحمة
 الغضب ، فانهدمت قواعد المعتزلة .

و لما بلغ النهاية فى نصحتهم ، و ختم باعلامهم بأن الناس قسمان :
 هالك و ناج ، و كان حاصل إرادتهم لأن يكون على ما هم عليه الهلاك
 بالنار ، قال مبكتا لهم بسوء مكافاتهم مناديا لهم مكررا للدعاء لزيادة التنبية ١٥

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) فى م و مد : تضاعف (٣ - ٣) من م و مد ،
 و فى الأصل و ظ : احتاج (٤ - ٤) تكرر ما بين الرقيين فى الأصل فقط .
 (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : عرضنا (٦) زيد فى الأصل : من ،
 و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفها (٧) من م و مد ، و فى الأصل
 و ظ : منديا .

و الإيقاظ من الغفلة . و التذكير بأنهم قومه و أعضاده ، و عاطفا على
ندائه السابق لأنه غير مفصل^١ له ، و لا داخل في حكمه : ﴿ و يقوم ما ﴾
أى أى شيء من الحظوظ و المصالح ﴿ لى ﴾ فى أى ﴿ ادعوك الى النجوة ﴾
و الجنة بالإيمان شفقة^٢ عليكم و رحمة لكم و اعترافا بحقكم ﴿ و ﴾ ما لكم من^٣
ذلك فى^٤ كونكم ﴿ تدعونى الى النار ﴾ و الهلاك بالكفران ، فالآية
من الاحتباك : ذكر النجاة الملازمة للإيمان أولا دليلا على حذف الهلاك
الملازم للكفران ثانيا ، و النار ثانيا دليلا على حذف الجنة أولا ، و مراده
هزم^٥ و إثارة عزائمهم إلى الحياء منه بتذكيرهم أن ما يفعلونه معه ليس
من شيم أهل المروءة يجازونه على^٦ إحسانه إليهم بالإساءة .

١٠ و لما أخبر بقلة أنصافهم إجمالا ، بينه بقوله : ﴿ تدعونى ﴾ أى
توقعون دعائى إلى معبوداتكم ﴿ لا كفر ﴾ أى لأجل أن أكفر ﴿ بالله ﴾
أى أستر ما يجب إظهاره بسبب الذى أناله لأن له كل شيء و له مجامع
القهر و العز و العظمة و الكبر ﴿ و اشرك ﴾ أى أوقع الشرك ﴿ به ﴾
أى أجعل له شريكا . و لما كان كل ما عداه سبحانه ليس له من ذاته
١٥ إلا العدم ، أشار إلى حقارته^٧ بالتعبير بأداة ما لا يعقل فقال :

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : منفصل (٢) من م و مد ، و فى
الأصل و ظ : مشفقة (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فى (٤) من م
و مد ، و فى الأصل و ظ : من (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : هزمهم .
(٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : من (٧) من ظ و م و مد ، و فى
الأصل : حقارة .

(ما ليس لي به علم) أى نوع من العلم بصلاحيته لشيء من الشركه، فهو دعاء إلى الكذب فى شيء لايجل الإقدام عليه إلا بالدليل القطعى الذى لايجتمل نوعا من الشرك، وإذا لم يكن به علم لم يكن له عزة^١ ولا مغفرة، فلم يكن له وجود لأن الملك لازم الإلهية وهو أشهر الأشياء، فما ادعى له أشهر الأشياء. فكان بحيث لايعرف بوجه من الوجوه، ه كان عدما محضا .

ولما بين أنهم دعوه إلى ما هو عدم فضلا عن أن يكون له تقع أوضر فى جملة فعلية إشارة إلى بطلان دعوتهم وعدم ثبوتها، بين لهم أنه ما دعاهم إلا إلى ما له الكمال كله، ولا تقع ولاضر إلا يده، فقال مشيرا بالجملة الاسمية إلى ثبوت دعوته وقوتها: (وأنا ادعوك) أى ١٠ أوقع دعاهم الآن وقبلة وبعده (إلى العزيز) أى البالغ العزة الذى يغلب كل شيء ولا يغلبه شيء . ولما وصفه بهذا الوصف ترهبا، صح قطعا وصفه ترغيبا بقوله: (الغفار ه) أى الذى يتكرر له دائما محو الذنب عينا و أثرا ولايقدر على ذلك / غير من هو بصفة العزة، ومن ٥٥٦ / صح وصفه بهذين الوصفين فهو الذى لايجهل ما^٢ عليه من صفات الكمال ١٥ أحد، فالآية من الاحتباك: ذكر أولا عدم العلم دليلا على العلم ثانيا، وثانيا العزة والمغفرة دليلا على حذفها أولا .

ولما كان انتفاء العلم بالشيء من أهل العلم انتفاء ذلك الشيء فى

(١) من م ومد، وفى الأصل وظ: غيره (٢) من ظ وم ومد، وفى الأصل: من .

أصول الدين، كان ما دعوه إليه [باطلا، و كان ما دعاهم إليه - ']
هو الحق، فلذلك أنتج قطعاً قوله: ﴿ لا جرم ﴾ و هي وإن كانت
بمعنى: لا ظن و لا اضطراب أصلاً - كما مضى في سورة هود عليه السلام
فيها معنى العلة، [أى - '] فلاجل ذلك لاشك في ﴿ انما ﴾ أى
الذى ﴿ تدعوننى إليه ﴾ من هذه الأنداد ﴿ ليس له دعوة ﴾ بوجه
من الوجوه، فانه لا إدراك له، هذا إن أريد ما [لا - '] يعقل،
و إن أريد شيء مما يعقل فلا دعوة له مقبولة بوجه، فانه لا يقوم عليها
دليل [بل - '] و لاشبهة موهمة ﴿ في الدنيا ﴾ التى هى محلّ الأسباب،
الظاهرة لأن شيئاً منه ليس له واحد من الوصفين ﴿ و لا في الآخرة ﴾
١٠ لأن ما لا تعلم إلهيته كذلك يكون ﴿ و ان ﴾ أى و لا اضطراب في
أن ﴿ مردناً ﴾ أى ردنا العظيم بالموت و موضع ردنا و وقته منتو
﴿ الى الله ﴾ أى الذى له الإحاطة بصفات الكمال لما اقتضته عزته،
فيجازى كل أحد بما يستحقه ﴿ و ان ﴾ أى و لا شك في [أن - ']
﴿ المسرفين ﴾ أى المجاوزين للحدود العريقين في هذا الوصف ﴿ هم ﴾
١٥ أى خاصة لأجل حكم الله بذلك عليهم ﴿ اصحّب النار ﴾ أى الذين
يخلدون فيها لا يفارقونها كما يقتضيه معنى الصحبة^٦ لأن إصرافهم^٧ اقتضى

(١) زيد من م و مد (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من م و مد، و في
الأصل و ظ: تحول (٤) من م و مد، و في الأصل و ظ: الميتة .
(٥-هـ) من م و مد، و في الأصل و ظ: كما اقتضاه (٦) من ظ و م و مد،
و في الأصل: التى (٧) من م و مد، و في الأصل و م: الصحة (٨) من ظ
و م و مد، و في الأصل: استرافهم .

إسراف ملازمتهم للنار التي 'طبعها الإسراف'، وقد علم أن ربها لا يجزى بالسيئة إلا مثلها.

ولما تقرر^٢ أنه [لا أمر لغير الله وأنه -^٢] لابد من المعاد،
تسبب [عنه -^٢] قوله : ﴿ فستذكرون ﴾ أي قطعاً بوعده لا خلف فيه
مع القرب ﴿ ما أقول لكم ﴾ حين لا ينفعكم الذكر في يوم الجمع الأعظم ه
والزحام الذي [يكون -^٢] فيه القدم على القدم إذا رأيتم الأهوال
والتكال والزلال إن قبلتم نصحي وإن لم تقبلوه . ولما ذكر خوفهم
الذي لا يحميهم منه شيء، ذكر خوفه الذي هو معتمد فيه على الله ليحميه
منه فقال عاطفاً على « ستذكرون »، غير مراعى فيها معنى السين :
﴿ وافوض ﴾ [أي -^٦] أنا الآن بسبب أنه لادعوة لغير الله ﴿ امرى ﴾ ١٠
فيما تمكرونه^٦ بي ﴿ الى الله ﴾ أي الذي أحاط بكل شيء علماً وقدره
فهو يحميني منكم : إن شاء، قال صاحب المنازل : التفويض أطف إشارة
وأوسع من التوكل بعد وقوع السبب، والتفويض قبل وقوعه وبعده،
وهو عين الاستسلام، والتوكل شعبة منه . وهو على ثلاث درجات :
الأولى أن تعلم أن العبد لا يملك قبل علمه استطاعة، فلا يأمن من مكر، ١٥
ولا يأس من معونة، ولا يعول على نية، والثانية معاينة الاضطرار

(١-١) من ظ و م و مد، وفي الأصل : طبعاً الإسراق (٢) من ظ و م
ومد، وفي الأصل : تكرر (٣) زيد من م و مد (٤) من م و مد، وفي
الأصل و ظ : تذكرون (٥) من ظ و م و مد، وفي الأصل : مراعيًا .
(٦) زيد من ظ و م و مد (٧) من م و مد، وفي الأصل و ظ : تذكرونه .
(٨) سقط من م و مد .

فلا ترى عملا منجيا ولا ذنبا مهلكا ولا سبييا حاملا ، و الثالثة شهود افراد
الحق بملك الحركة و السكون و القبض و البسط و التفريق و الجمع .

و لما علق تفويضه بالاسم العلم الجامع المقضى للإحاطة ، علل
ذلك بيانا لمراده بقوله مؤكدا لأن عملهم في مكرم به عمل من يظن
ه أنه سبحانه لا يبصرهم [ولا ينصره -^٢] : ﴿ ان الله ﴾ [و -^١] كرر
الاسم الأعظم بيانا لمراده بأنه ﴿ بصير ﴾ أى بالغ البصر ﴿ بالعبادة ﴾
ظاهرا و باطنا ، فيعلم من يستحق النصرة فينصره لاتصافه بأوصاف
الكمال و يعلم من يمكر فيرد مكره عليه بما له من الإحاطة .

و لما تسبب عن نصحه هذا لهم و التجائه إلى ملك الملوك حفظه
١٠ منهم على عظم الخطر ، قال تعالى مخبرا أنه صدق ظنه ﴿ فوقه الله ﴾
أى جعل له وقاية تجنه^٢ منهم بما له سبحانه من الجلال و العظمة و الكمال
جزاء على تفويضه ﴿ سيئات ﴾ أى شدائد ﴿ ما مكروا ﴾ دينا و دنيا ، فتجاه
مع موسى عليه السلام تصديقا لوعده سبحانه بقوله ” انتما و من اتبعكما
الغالبون “ و [لا -^٣] كان المكر السوء لا ينجح إلا بأمله قال :
١٥ ﴿ و حاق ﴾ أى نزل محيطا^٤ بعد إحاطة الإغراق ﴿ بال فرعون ﴾ أى
كلهم فرعون و أتباعه لأجل إصرارهم على الكفر و مكرم ، فالإحاطة^٥

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : رتبا (٢) سقط من م (٣) زيد من ظ
و م و مد (٤) زيد من مد (٥) ليس فى ظ و م و مد (٦) من م و مد ، و فى
الأصل و ظ : الموت (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : تجنبه (٨) زيد
من م و مد (٩) زيد فى الأصل : بإحاطة ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد
لحذفناها (١٠) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : و الإحاطة .

يفرعون من باب الأولى وإن لم نقل : 'إن الآل' مشترك بين الشخص
والاتباع، لأن العادة جرت أنه لا يوصل إلى جميع أتباع الإنسان
إلا بعد إذلاله وأخذه فهو 'مفهوم موافقة' (سواء العذاب ج) أى
العقوبة المانعة من كل مستعذب، ثم بين ذلك بقوله : (في النار) أى
حال كونهم (يعرضون عليها) أى في البرزخ (غدوا وعشيا ج) هـ
أى غادين وراحين في وقت استرواحهم بالأكل واستلذاذهم به - هذا
دأبهم طول أيام البرزخ، وكان عليهم في هذا العرض زيادة تنكد
فوق ما ورد 'عاما بما' روى مالك* والشيخان* وغيرهم عن ابن عمر
رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن أحدكم إذا
مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فن ١٠
أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فن أهل النار، فيقال : هذا مقعدك
حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة . ولعل زيادة التنكد أنهم هم المعروضون،
فيذهب بهم في الأغلال^٦ يساقون لينظروا ما أعد الله لهم، وعامة
الناس يقتصر في ذلك على أن يكشف لهم - وهم في محالهم - عن مقاعدهم،

(١-١) من ظ و م و مد، وفي الأصل : لأن الأول (٢) من م و مد، وفي
الأصل و ظ : لأنه (٣-٢) من ظ و م و مد، وفي الأصل : موافق .
(٤-٤) من ظ و م و مد، وفي الأصل : عاما - كذا (هـ) راجع الموطأ
أبواب الجنائز (٦) راجع صحيح البخاري أبواب الجنائز وصحيح مسلم
أبواب الجنة (٧) زيدت الواو في الأصل ولم تكن الزيادة في ظ و م و مد
لحذفناها (٨) ليس في م و مد .

ففي ذلك زيادة إهانة لهم . و هو مثل : عرض^١ الأمير فلانا على السيف .
 إذا أراد قتله ، هذا دأبهم إلى أن تقوم الساعة ﴿ و يوم تقوم الساعة ﴾
 يقال لهم : ﴿ ادخلوا آل ﴾ أى با آل ﴿ فرعون ﴾ هو نفسه و أتباعه
 لأجل اتباعهم له فيما أضلهم به ، و جعله نافع^٢ و حمزة و الكسائي
 ه و يعقوب و حفص فعل أمر من الإدخال ، فالتقدير : نقول لبعض جنودنا :
 ادخلوا آل لأجل ضلالتهم به اليوم^٣ ﴿ اشد العذاب ه ﴾ وإذا كان هذا
 [لآله -^٤] لأجله كان له أعظم منه من باب الأولى ، وهذه الآية^٥
 نص في عذاب القبر كما نقل عن عكرمة و محمد بن كعب .

و لما كان هذا من خبر موسى عليه السلام و فرعون امرا غريبا
 ١٠ جدا ، قل من يعرفه على ما هو عليه ، لأنه من خفي العلم ، أشار [سبحانه -^٦]
 إلى ذلك بقوله : ﴿ و اذ ﴾ أى اذكر لهم هذا الذى أنبأناك به عما
 كان في الزمن الأقدم ، و لا وصول له إليك إلا من جهتنا ، لأنهم يعلمون
 قطعا أنك ما جالست عالما قط . و اذكر لهم ما يكون في الزمن الآتي
 حين ﴿ يتحاجون ﴾ أى هؤلاء الذين نعذبهم ﴿ في النار ﴾ أى يتخاصمون
 ١٥ / ٥٥١ فيها أتباعهم و رؤسائهم / بما لا يفتنهم : ﴿ فيقول الضعفاء ﴾ أى الاتباع

(١) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : عوض (٢) راجع ثر المرجان ٢٤٠/٦ .
 (٣) سقط من ظ و م و مد (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من ظ و م
 و مد ، وفي الأصل : الآيات (٦) ذكره أبو حيان في البحر المحيط ٤٦٨/٧
 و أضاف إليها مجاهدا و مقاتلا (٧) زيد من م و مد (٨) من م و مد ، وفي
 الأصل و ظ : فما .

(لذين استكبروا) أى طلبوا أن يكونوا كبراء . ولما كانوا لشدة
 ما هم فيه يتبرا كل منهم من صاحبه . أكدوا قولهم : (انا كنا لكم)
 أى دون غيركم (تبعاً) أى أتباعاً ، فتكبرتم على الناس بنا ، وهو
 عند البصريين يكون واحداً [كجمل - ١] ويكون جمعا كخدم جمع
 خادم ، ولعله عبر به إشارة إلى أنهم [كانوا - ١] فى عظيم الطواغية .
 لهم على قلب رجل واحد . ولما كان الكبير يحمى تابعه ، سيوا عن
 ذلك سؤالهم فقالوا : (فهل أنتم) أى أيها الكبراء (مغنون) أى
 كافون و مجزون و حاملون (عنا نصيباً من النار) .

ولما أتى بكلام الضعفاء مضارعا على الأصل ، وإشارة مع تصوير
 الحال لأنه أقطع إلى طول خصامهم لأنه ٢ أشد فى إيلاهم ، قشوف ١٠
 السامع إلى جوابهم ، استأنف الخبر عنه بصيغة الماضى تأكيداً لتحقيق
 وقوعه رداً ١ لما قد يتوهمه الضعيف من [أن - ١] المستكبر له قوة
 المدافعة وإياه الأنفة فقال : (قال الذين استكبروا) [أى - ١] من
 شدة ما هم فيه . ولما كان الاتباع قد ظنوا أن المتبوعين يغنون عنهم ،
 أكدوا إخبارهم لهم بما ينافى ذلك فقالوا : (انا كل) أى كلنا كائنون ١٥
 (فيها ١٦) أى النار ، كل يناله من العذاب بقدر ما يستحقه [سواء] إن

(١) زيد من م ومد (٢) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : لا (٣) من ظ
 وم ومد ، وفى الأصل : تأكيد (٤) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : رد .
 (٥) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : الأنفة - كذا (٦) تكرر فى الأصل
 بعد « انا كل » (٧) زيد فى الأصل : فى ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم ومد
 فحذفناها .

جادلتونا أو تركتم جدنا ولا يظلم ربك أحدا، فلو قدرنا على شيء
لاغنيانا عن أنفسنا، ولو سألنا أن نزاد أو نقص لما أجبنّا، فإن هذه
دار العدل فازكونا وما نحن فيه .

و لما كان حكم الله تعالى مانعا مما كان يفعل في الدنيا من فك
المجرم وإيثاق غيره به، و كان سؤالهم في الإغناء سؤال من يجوز
أن يكون حكمه على ما عليه الأحكام من حكام أهل الدنيا، عللوا
جوابهم مؤكدين فقالوا: ﴿ ان الله ﴾ أى المحيط بأرصاف الكمال
﴿ قد حكم بين العباد ﴾ أى بالعدل، فأدخل أهل الجنة دارهم، و أهل
النار نارهم، فلا يبقى أحد عن أحد شيئا .

١٠. و لما دل ذلك على أنه لا يبقى أحد عن أحد شيئا، أخبر أنهم
لما رأوا بعدهم من الله و أنهم ليسوا بأهل لدعائه سبحانه، علقوا
آمالهم بتوسط الملائكة، فأخبر عن ذلك منهم بقوله: ﴿ وقال الذين في النار ﴾
أى جميعا الاتباع و المتبوعون ﴿ لخزنة ﴾ و رضع بوضع الضمير
قوله: ﴿ جهنم ﴾ للدلالة على أن سؤالهم لأهل الطبقة التى من
١٥ شأنها و شأن خزنتها بهم داخلها ليدل على أنهم أسوء ما هم فيه
لا يقولون، فهم [لا ...] يضعون شيئا فى محله كما كانوا فى الدنيا:

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: نزال (٢) من م و مد، و فى الأصل
و ظ: العذاب (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عن (٤) من ظ و م
و مد، و فى الأصل: بدعايه (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ليسوء .
(٦) زيد من م و مد .

(ادعوا ربكم) أى المحسن إليكم بأنكم لا تجدون ألما من النار
 (يخفف عنا يوما) أى فى مقداره^١ (من العذاب هـ) أى بعضه .
 ولما سألوهم ، استأنفوا جوابهم لإشارته إلى ما حصل من تشوف
 السامع إليه ، معرفين لهم بسياقه بالسبب الجاعل لهم فى محل الإطراح
 والسفول عن التأمل لأن يسمع لهم كلام . فقال تعالى مخبرا عنهم : هـ
 (قالوا) أى الخزنة . ولما كان التفسير : ألم تكن لكم عقول تهديكم
 إلى الاعتقاد^٢ الحق ، عطف عليه قوله إلزاما لهم بالحجة^٣ و توبيخا و تنديما
 بتفويت أوقات الدعاء المحاب : (أو لم) ولما كان المقام خطرا ، والمرام
 وعرا عسرا ، فكأبوا محتاجين إلى الإيجاز ، قالوا [مشيرين بذكر فعل الكون
 مع اقتضاء الحال للإيجاز إلى عراقة الرسل عليهم السلام فى النصيح المنجي ١٠
 من المخاوف بالمعجزات والرفق والتلطف و طول الأناة و الحلم و الصبر
 مع شرف النسب و طهارة الشيم و حسن الأخلاق و بداعة الهيئات
 و المناظر و لطافة العشرة و جلالة المناصب -^٤] : (تك) باسقاط النون
 مع التصوير للحال بالمضارع (تاتيكم) على سبيل التجدد شيئا فى / أثر
 شئ (رسلكم) أى الذين هم منكم فأتمم جديرون بالإصغاء إليهم و الإقبال ١٥
 عليهم ، لأن الجنس إلى الجنس أمل ، و الإنسان من مثله أقبل (بالبينت^٥)
 أى التى لا شئ أرفع منها (فأنوا) أى الكفار : (بلى^٦) [أى -^٧]
 أنونا كذلك ، ثم استأنفوا جوابهم لما حصل من التشوف إليه بما حاصله

(١) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : مقدار (٢) من ظ و م و مد ، وفى
 الأصل : اعتقاد (٣) ف ، مد : بالحجة (٤) زيد ما بين الحاجزين من م و مد .

عدم أجابتهم فسيبوا عن إخبارهم بعدم إجابتهم للرسول لعدم إجابة دعائهم
فقال تعالى مخبراً عنهم: ﴿ قالوا ﴾ أى الحزبة: ﴿ فادعوا ﴾ أى اتم
الآن الله أو أعمل الله من رسل البشر أو الملائكة أو غيرهم، أو لا تدعوا
فانه لا يسمع لكم .

٥ ولما كان امرهم بالدعاء موجبا لأن يظنوا بضعه، أتبعوه بما أياهم
لأن ذلك أنسكا وأرجع وأشد عليهم وأقطع بقولهم: ﴿ وما ﴾ دعائكم -
هكذا كان الأصل، ولكنه أتى بالوصف تعليقا للحكمة به فقال:
﴿ دَعُوا الكُفْرِينَ ﴾ أى الساترين لمرائى عقولهم عن أنوار العقل المؤيد
بصحيح النقل ﴿ الا فى ضلل ع ﴾ أى ذهاب فى غير طريق موصل كما
١٠ كانوا فى الدنيا كذلك فان الدنيا مزرعة الآخرة، من زرع شيئا فى
الدنيا حصده فى الآخرة، والآخرة ثمرة الدنيا لا تثمر إلا من جنس
ما غرس فى الدنيا .

ولما كان حاصل ما مضى من هذا القصص الذى هو احلى من
الشراب، واغلى من الجوهر المنظم فى أعناق الكواكب الآتية .
١٥ أنه سبحانه نصر الرسل على أممهم حين هموا باخذهم، فلم يصلوا إليهم
ثم أهلكهم الله هذا فى الدنيا، وأما فى الآخرة فعذبهم أشد العذاب،
وكذلك نصر موسى عليه السلام والمؤمن الذى دافع عنه، وكان نصر
(١) زيد فى الأصل و م : هذا، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .
(٢) من م و مد، وفى الأصل و ظ : النص (٣ - ٢) من ظ و مد، وفى
الأصل و م : فكذلك .

اهل الله قاطبة خفيا . لأنهم يتلون ثم يكون لهم العاقبة . فكان أكثر
الجامدين وهم أكثر الناس يظن أنه لا نصرة لهم . قال الله تعالى لا فتا
القول إلى . ظهر العظمة . لأن النصرة عنها تكون على سبيل الاستنتاج
بما مضى مؤكداً تنفيذها للاغتيال على ما يخفى عليهم : (انا) أى بما لا
من العظمة (لنصر رسلنا) أى على من ناولهم (والذين آمنوا) هـ
أى اتسموا بهذا الوصف وإن كانوا فى أدنى رتبة .

ولما كانت الحياة روق وتخلو بالنصرة وتكدر بضدها ، ذكرها
لذلك ؛ ولئلا يتوهم لو سقطت أن نصرتهم تكون رتبته دنية فقال :
(فى الحياة الدنيا) بالزمام طريق الهدى الكفيلة بكل فوز وبالحجة
والغلبة ، وإن غلبوا فى بعض الأحيان فإن العاقبة تكون لهم . ولو ١٠
بأن يقيض سبحانه لأعدائهم من يقتص منهم ولو بعد حين ، وأقل
ذلك أن لا يتمكن أعداؤهم من كل ما يريدون منهم (ويوم يقوم الاشهاد)
أى فى الدار الآخرة من الملائكة والنبين وسائر المقربين ، جمع شهيد
كشريف وأشراف . إشارة إلى [أن - ٦] شهادتهم بليغة فى بابها ، لما
لهم من الحضور التام ، وإلى ذلك يشير تذكير الفعل والتعبير بجمع ١٥
القلة ، ولكن الجياد قليل مع أنهم بالنسبة إلى أهل الموقف كالشجرة

(١) من م ومد ، وفى الأصل وظ : ان (٢) من م ومد ، وفى الأصل
وظ : عما (٣) من م ومد ، وفى الأصل وظ : اقسما (٤) من م ومد ،
وفى الأصل وظ : كذلك (هـ-هـ) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : بدبدو -
كذا (٦) زيد من م ومد .

البيضاء في جلد الثور الأسود، وإنما عبر بذلك إشارة إلى تجلي الحكم العدل بصفات الجبروت للقط، فيرفع إرلياءه بكل اعتبار، / ويهين أعداءهم كل إهانة .

/ ٥٦٠

ولما وصف اليوم الآخر بما لا يفهمه كثير من الناس، اتبعه ما
 ٥ اوضحه على وجهه بين نصره لهم غاية البيان. فقال مبدلاً عما قبله :
 ﴿ يوم لا ينفع الظالمين ﴾ الذين كانوا عريقين في وضع الأشياء في غير
 مواضعها ﴿ معذرتهم ﴾ أى اعتذارهم وزمانه ومكانه - بما أشار إليه
 كون المصدر ميمياً ولو جل - بما أشار إليه قراءة التذكير للفعل، فلم
 بذلك أنهم لا يجدون دفاعاً بغير الاعتذار، وأنه غير نافعهم لأنهم
 ١٠ لا يعتذرون إلا بالكذب " والله ربنا ما كنا مشركين " أو بالقدرة " ربنا
 غلبت علينا شقوتنا " ﴿ ولهم ﴾ أى خاصة ﴿ اللعنة ﴾ أى البعد عن
 كل خير، مع الإهانة بكل ضير ﴿ ولهم ﴾ أى خاصة ﴿ سوء الدار ﴾
 وهى النار الخارية لكل سوء - هذا مع ما يتقدمها من المواقف الصعبة،
 وإذا كان هذا لهم فما ظنك بما هو عليهم، وقد علم من هذا أن
 ١٥ لأعدائهم - وهم الرسل واتباعهم - الكرامة والرحمة ولهم قبول
 الاعتذار وحسن الدار. فظهرت بذلك أعلام النصرة، وصح ما أخبر
 به من تمام القدرة .

(١) من ظ و م ومد، وفى الأصل: بالعدل (٢) من ظ و مد، وفى الأصل
 وم: له (٣) فى م: اشارت (٤) راجع ثر المرجان ٢٤٦/٦ (٥) من م ومد،
 وفى الأصل وظ: بالقدور (٦) ليس فى الأصل وظ وم (٧-٧) من م
 ومد، وفى الأصل وظ: بهذا .

ولما كان التقدير: فلقد نصرنا موسى رسولنا مع إبراق فرعون وإرعاده، عطف عليه قوله دالا على الكرامة والرحمة، مؤكدا لإزالة ما استقر في النفوس من أن ملوك الدنيا لا يعلهم الضعفاء: ﴿ولقد آتينا﴾ أى بما لنا من العزة ﴿موسى الهدى﴾ أى فى الدين اللازم منه أن يكون له العاقبة وإن تناهت ضخامة من يعانده، لأنه ضال عن الهدى، والضال هالِك وإن طال المدى، وذلك بما آتينا من النبوة والكتاب.

ولما كانت النبوة خاصة والكتاب عاما قال: ﴿واورثنا﴾ أى بعظمتنا ﴿بنى إسرائيل﴾ بعد ما كانوا فيه من الذل ﴿الكتب﴾ أى [الذى - ١] أنزلنا عليه وآتينا الهدى به - وهو التوراة - إيتاء هو كالإرث^٢ لا ينازعهم فيه أحد، ولا أهل له فى ذلك الزمان غيرهم، حال كونه ﴿هدى﴾ أى يانا عاما لكل من تبعه ﴿وذكرى﴾ أى عظة عظيمة ﴿لأولى الألباب﴾ [أى - ٢] القلوب الصافية والعقول الوافية الشافية، فذكر إيتاء موسى الثمرة وذكر إراثهم السبب إشارة إلى أن منهم من جنى ثمرة فاهتدى، ومنهم من ضل، وذلك تحذير الاتباع، وتشريف للأنبياء بما نالوه من مراتب الارتفاع.

١٥

ولما كان التقدير بعد أن تقدم الوعد المؤكد بنصرة الرسل وأتباعهم: ولقد آتيناك الهدى والكتاب كما آتينا موسى، ولتصرنك مثل

(١) من م ومد، وفى الأصل و ظ: تام (٢) زيد من م ومد (٣) من م ومد، وفى الأصل و ظ: الارث (٤) من ظ وم ومد، وفى الأصل: كونهم على.

ما نصرناه و إن زاد إراق قومك و إرعادهم . فانهم لا يعشرون فرعون
 فيما كان فيه من الجبروت و القهر و العز و السلطان و المكر و لم ينفعه
 شيء منه ، سبب عنه قوله : ﴿ فاصبر ﴾ [أى - ١] على أذاهم فانا نوقع
 الأشياء في آتم محالها على ما بنينا عليه أحوال هذه الدار من إجراء
 المسيات على أسبابها ، ثم علل ذلك بقوله صارفا القول عن مظهر
 العظمة الذى هو مدار النصرة إلى اسم الذات الجامع لجميع الكمالات
 التى من أعظمها إنفاذ الأمر و صدق الوعد : ﴿ ان وعد الله ﴾ [أى - ٢]
 الذى له الكمال كله ﴿ حق ﴾ [أى - ١] فى إظهار دينك و إعزاز
 أمرك ، فقد رايت ما اتفق لموسى عليه السلام مع أجبر أهل ذلك
 الزمان و ما ' كان له ' من العاقبة ، / قال القشيري : الصبر فى انتظار الموعد
 من الحق على حسب الإيمان و التصديق ، فن كان تصديقه و يقينه أم
 و أقوى كان صبره أكمل و أوفى .

ولما تكفل هذا الكلام من التثبيت بانجاز المرام ، و كان من
 الأمر المحتوم أن لزوم القربات يعلى الدرجات فيوصل إلى قوة التصرفات ،
 ١٥ أمر بالإعراض عن ارتقاب النصر و الاشتغال بتهديب الأحوال لتحصيل
 الكلام ، موجها الخطاب إلى أعلى الخلق ليكون من دونه من باب الأولى
 [فقال - ٢] : ﴿ و استغفر لذنبك ﴾ أى و هو كل عمل كامل ترتقى منه
 إلى أكمل ، و حال فاضل تصعد منه إلى أفضل ، فيكون ذلك شكرا

(١) زيد من م و مد (٢) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : على (م) زيد من
 ظ و م و مد (٤-٤) من ظ و م و مد . وفى الأصل : قاله (ه) من ظ و م
 و مد ، وفى الأصل : تكمل .

منك لأن الله غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فستب' بك' أمتك ،
 وسماء ذنبا من باب ه حسنات الأبرار سيئات المقربين .
 ولما أمره بالاستغفار عند الرقية في درجات الكمال ، المطلع على
 بحور العظمة ومفارز الجلال ، أمره بالتنزيه عن شائبة نقص والإثبات
 لكل رتبة كمال . لافتا القول إلى صفة التربية والإحسان لأنه من أعظم ه
 مواقعها فقال : (وسبح) أى زه ربك عن شائبة نقص كلما
 علمت بالصعود في مدارج الكمال نقص المخلوق في الذات والأعمال
 ملتبسا (بحمد ربك) أى إثبات الإحاطة بأوصاف الكمال للحسن إليك
 المربي الك . ولا تشتغل عنه بشيء فان الأعمال من أسباب الظفر . ولما
 كان المقام لإثبات قيام الساعة ، و كان العشى أدل عليها ، قدمه فقال : ١٠
 (بالعشى والابكاره) فان قلبهما دائما دلا على كمال مقلبهما وقدرته
 على إيجاد المعلوم المحق كما كان و تسويته ، ومن مدلول الآية
 الحث على صلاحى الصبح والعصر ، وهما الوسطى لأنهما تشهدهما
 ملائكة الليل وملائكة النهار ، وقال ابن عباس رضى الله عنهما : بل على
 الصلوات الخمس - نفعه البغوى . وذلك لأن العشى من زوال الشمس ، ١٥
 والابكار من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس .

(١) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : لسن - كذا (٢) ف ظ و م : به (٣) من
 م ومد ، وفى الأصل و ظ : قبلها (٤) من م ومد ، وفى الأصل و ظ :
 قلبها (٥) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : مدولها يعنى (٦) زيد فى الأصل :
 الصلاة ، ولم تكن الزيادة فى م ومد لحدوثنا (٧) فى معالم التنزيل بهامش .
 الباب ٦ / ٨٢ .

ولما كان الأمر بشغل هذين الوقتين أمراً^١ بشغل غيرهما من باب
 الأولى، لأن أول النهار وقت الاشتغال بالأعمال والاهتمام بالابتداء
 والتمام، وآخره وقت التهيؤ للراحة والمقيل بالأكل والشرب وما يتبعهما،
 وكان ذلك موجبا للاشتغال عن أعداء الدين رأساً، وكان ذلك أمراً
 ٥ على النفوس شاقاً، علله بما يقتضى المداومة على الأعمال والإعراض
 عنهم لأن خذلانهم أمر قد فرغ^٢ منه فقال معللاً للمداومة على الطاعة:
 ﴿ان الذين يحادلون﴾ أى يناصبون بالعداوة لقل [أهل -^٣] هذا الدين
 عنه إلى ما هم عليه من الباطل، ولقت القول إلى الجلالة الدالة على نهاية
 العظمة تهوينا لشأنهم فقال: ﴿فى آيت الله﴾ أى الملك الأعظم الدالة
 ١٠ على تمام قدرته اللازم منه قدرته على البعث الذى فى تذكره صلاح
 الدين والدنيا ﴿بغير سلطان﴾ أى أمر مسلط ودليل مسلك
 ﴿انهم لا ان﴾ أى ما ﴿فى صدورهم﴾ بصدورهم عن سواء السبيل،
 [وآذن -^٤] ذكر الصدور دون القلوب^٥ [لعظم الكبر -^٦] جداً
 بأنه^٧ قد ملا^٨ القلوب، وفاض منها حتى شغل الصدور التى هى مساكنها
 ١٥ / ٥٦٢ ﴿الا كبر﴾ أى عن اتباع الحق مع إشراق ضيائه / واعتلاء لآلئته^٩

(١) من ظ و مد، وفى الأصل وم: امر (٢) من ظ وم و مد، وفى
 الأصل: تفرغ (٣) زيد من م و مد (٤) زيد فى الأصل: أى، ولم تكن
 الزيادة فى ظ وم و مد فخذفناها (٥) زيد من ظ وم و مد (٦) من م و مد،
 وفى الأصل وظ: القلب (٧) من م و مد، وفى الأصل وظ: بأونه.
 (٨) من م و مد، وفى الأصل وظ: لا تلايه.

إرادة إطفائه أو إخفائه، و الكبير إرادة التقدم و التعظم و الرئاسة، و أن يكون مرید ذلك فوق كل أحد (ما هم بإلغیه) أى يالغى مقتضاه من إبطال الدين تكبرا عن أن يكونوا تحت أوامره، لا يلبغون ذلك بوجه من الوجوه، و لا بد أن يظهر الدين بنصر الرسول و من تبعه من المؤمنين على أهل الكتاب و المشركين و غيرهم من أنواع الكافرين، ثم هـ يعثون فيكون أعدادهم أسفل سافلين صفة داخرين .

و لما ظهر من أول هذا الكلام و آخره تصرحاً و تلويحاً بما افاده أسلوب كلام القادرين المصوغ لأعم ما يمكن أن يخطر في البال أنه تعالى كما وصف نفسه في مطلع السورة بأنه غالب لكل شيء و لا يقبله شيء، و [أن - ٢] الذى بهم إنما هو إرادة أن يكونوا عالين غالبين، تسبب ١٠ عنه قوله تعالى : (فاستعذ) أى اطلب العوذ (بالله) المحيط بكل شيء من شر كبرهم و غيره كما عاذ به موسى عليه السلام لينجز لك ما وعدك كما أنجز [له - ٢]، ثم علل ذلك بقوله : (انه) أى على ما له من البطون (هو) أى وحده (السميع) لكل ما يمكن أن يسمع . و لما كان السياق للعباد من شياطين الإنس الذين لهم المكر الظاهر و الباطن، ١٥ ختم بقوله : (البصير) الصالح للبصر و البصيرة فيعم المحسوس و المعلوم، [و ختم - ٣] أبني الأعراف و فصلت المسبوقتين لنزغ الشيطان الذى هو وسوس و خطرات باطنة بالعلم .

(١) زيد في الأصل و ظ : هـ، و لم تكن الزيادة في م و مد فحذفناها (٢) من ظ و م و مد، و في الأصل : لأن (٣) زيد من م و مد (٤) زيد من ظ و م و مد .

ولما كان أعظم النظر في آية المجادلة المكررة من أول السورة
إلى هنا إلى البعث وضرورة العباد إلى الله بالخسر ليقع فيه الحكم الفصل
و تحقق نصرة الأنبياء و أتباعهم يوم يقوم الأشهاد^١، دل على قدرته
عليه بما هو كالتعليق لما نقي^٢ في آية المجادلة من بلوغهم لما قصدوا من
الكبر، فقال مؤكدا تنزيلا للقر العالم منزلة الجاهل المعاند لمخالفة فعله^٣
لاعتقاده: (لخلق السموات) أى خلق الله لها على عظمها وارتفاعها
و كثرة منافعها و اتساعها (و الارض) على ما ترون من عجائبها
و كثرة متاعها (اكبر) عند كل من يعقل من الخلق فى الخلق
(من خلق الناس) أى خلق الله لهم لأنهم شعبة يسيرة من خلقها،
١٠ فلم قطعاً أن الذى قدر على ابتدائه على عظمه قادر على إعادة الناس
على حقاتهم (ولكن أكثر الناس) وهم الذين ينكرون البعث وغيره
بما يمكن أن تتعلق به القدرة و صح به السمع (لا يعلمون) أى لا علم
لهم أصلاً، بل هم كالبهائم لقلبة الغفلة عليهم و اتباعهم أهواءهم، فهم
لايستدلون بذلك على القدرة على البعث كما أن البهائم ترى الظاهر
١٥ فلا تدرك به الباطن، بل هم أنزل رتبة من البهائم، لأن هذا النجو
من العلم فى غاية الظهور فهو كالمحسوس^٤، فمن توقف فيه كان جهادا .

(١) من م و مد، وفى الأصل و ظ : بالفصل (٢) من م و مد، وفى الأصل
و ظ : المشاهد (٣) من ظ و م و مد، وفى الأصل : بقى (٤) من ظ و م
و مد، وفى الأصل : فعل (٥ - ٥) من ظ و م و مد، وفى الأصل : عما .
(٦) من م و مد، وفى الأصل و ظ : كالمحسوب .

و لما ثبت بهذا القياس الذى ' لاخفاء به ' لا دافع له ولا مطن فيه أن القادر على خلق الكبير ابتداء قادر على تسوية الصغير إعادة، و ثبت به أيضا أن خلق الناس ليس مستندا إلى طبائع السماوات والأرض / وإلا لتساواوا فى العلم والجهل، والقدر^٢ والهيئة والشكل، لأن اقتضاء الطبائع لذلك^٣ على حد سواء لا تفاوت فيه. وهى لا اختيار لها، وكان ه من الناس من يقول: إن هذا الإيجاد إنما هو للطبائع، ومن هؤلاء فرعون الذى مضى فى هذه السورة كثير من كشف عواره^٤ وإظهار عاره^٥، دل على إبطاله بأن ذلك قول^٦ يلزمه التساوى فيما نشأ عن ذى الطبع لأنه لا اختيار له ونحن نشاهد الأشياء مختلفة، فدل ذلك قطعا على أنها غير مستندة إلى طبيعة [بل إلى فاعل مختار، فكان التقدير بما أرشد ١٠ إليه سياق الآية قطعا مع ختمها بنفى العلم -^٧] وعطف ما بعدها على غير مذكور: وأقلهم يعلمون، فثبت أن خالقهم الذى فاوت بينهم قادر مختار لا شريك له، فانه ما يستوى العالم والجاهل: (وما يستوى) أى بوجه من الوجوه من حيث البصر (الاعنى والبصير لا) وذلك موجب للعلم بأن استناد المتخالفين ليس إلى الطبيعة، بل إلى فاعل مختار. ١٤

ولما ذكر الظلام والنور الحسين، أتبعه المعنويين نشر مشوشا

(١-١) من ظ و م و مد، وفى الأصل: سقا فيه (٢) من ظ و مد، وفى الأصل و م: القدرة (٣) من ظ و مد، وفى الأصل و م: كذلك (٤) من مد، وفى الأصل و ظ و م: عورات (٥) من م و مد، وفى الأصل و ظ: عادة (٦) من م و مد، وفى الأصل و ظ: قواه (٧) زيد من م و مد.

ليكشف^١ قسما الظلام^٢ فسمى النور إشارة إلى أن^٣ المهتدى عزيز الوجود، كالذهب الإبريز بين النقود، فقال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ أى أوجدوا هذه الحقيقة سواء ثبتت أولا ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ كذلك فكانوا محسنين ﴿وَلَا الْمُسِيءَ﴾ أى الثابت الإساءة الذى كفر وعمل الصالحات، ووقع
 ٥. التغاير فى العطف لأن المراد - والله أعلم - [نفس -] التساوى بين أفراد الأعمى و أفراد البصير و المحسن و المسيء، ولكنه لما كان^٤ فى مخاطبين الغنى و الذكى، عطف البصير بغيره ولا، ليكون ظاهر ذلك^٥ نفي المساواة بين نوعى الأعمى و البصير، لأن نفي المساواة بين أفراد الأنواع دقيق، واقتصر على الواو فى عطف "الذين آمنوا" لأنه لا ينتظم
 ١٠. أن يراد جعل الأعمى و البصير فريقا و المؤمن الموصوف فريقا، و يتقضى التساوى بينهما لأنه لا لبس فى أن المؤمنين الموصوفين^٦ كالْبصير، وليس فيهم^٧ من يتوهم مساواته للأعمى، فكان^٨ من الجلى معرفة أن المراد نفي مساواة الأعمى للبصير و^٩ نفي مساواة المؤمن الموصوف للمسيء، و زيدت

- (١) من م و مد، وفى الأصل و ظ: يكتشف (٢) زيد بعده فى الأصل: والنور، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفها (م) سقط من ظ: (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من مد، وفى الأصل و ظ و م: كانا. (٦) زيد فى الأصل: سبب، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفها. (٧) زيد فى الأصل: كالأعمى، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفها. (٨) زيد فى الأصل و ظ و م: يتوهم، ولم تكن الزيادة فى مد لحذفها. (٩) من ظ و م و مد، وفى الأصل: وكان (١٠) من ظ و م و مد، وفى الأصل: أو.

”لا“ في المسمى [و عبر فيه بالافراد - ١] [إشارة للفظن] إلى أن المراد نفي التساوى بين أفراد كل نوع لأن ذلك أدل على القدرة، وأنها بالاختيار، وهذا بخلاف الظلمات في سورة فاطر لأنه لو تركت ”لا“ هناك لتوهم متوهم أن النفي المساواة بين الأعمى والبصير وبين الظلمات، فيوجد حينئذ الطعن بأن الظلمات مساوية لها باعتبار أن الظلمة منها هـ ككيف جدا لا يمكن نقوذ البصر فيه، ومنها خفيف جدا يكون تسميته ظلاما بالنسبة إلى النور الساطع، والآية من الاحتباك: ذكر عمل الصالحات أولا دليلا على ضدها ثانيا. والمسمى ثانيا دليلا على المحسنين أولا، وسره أنه ذكر الصلاح رغبيا والإساءة ترهيبا.

ولما تقرر هذا على هذا النحو من الوضوح الذي لا مانع للإنسان ١٠ من فهمه ورسوخه في علمه إلا عدم تذكره لحسه حتى في نفسه قال تعالى:
(قليلًا ما يتذكرون) أي المجادلون أو أيها المجادلون أو الناس لأن المتذكر غاية التذكر - بما دل عليه الإظهار - منكم قليل - على قراءة الكوفيين بالخطاب لأنه أقوى في التبكيت، وأدل على الغضب.

ولما ثبت بهذا كله تمام القدرة، واتفق ما توهمه من لا بصر له ١٥

(١) زيد من م ومد (٢) من ظ وم ومد، وفي الأصل: للنظر (٣) من ظ وم مد، وفي الأصل وم: يتوهم (٤) من م ومد، وفي الأصل وم: متساوية (٥) زيد في الأصل: انتهى، ولم تكن الزيادة في ظ وم ومد فحذفها (٦-٦) من ظ وم ومد، وفي الأصل: فالآية (٧) تكرر في الأصل فقط (٨) راجع نثر المرجان ٦/ ٢٥١.

من الطبايع، ثبت قطعاً قوله: ﴿ان الساعة﴾ أى القيامة التى يجادلها فيها المجادلون ﴿لآية﴾ وعزى الحكم بالعدل فى المفاوطة بين المسىء والمحسن [لأنه - '] لا يسوغ فى الحكمة عند أحد من الخلق أن يساوى أحد^١ بين محسن عبيده ومسيئهم، فكيف يظن ذلك بأحكم الحاكمين الذى نشاهده^٢ يميت المسىء وهو فى غاية النعمة والمعصية، والمحسن وهو فى غاية البلاء والطاعة. والمظلوم قبل أن يتصف من الظالم، ولهذا الأمر الظاهر قال: ﴿لأرب فيها﴾ أى لاشك فى إتيانها بوجه من الوجوه، لأفضى فيها [بالعدل - '] فأدخل فيها ناساً دار رحمتى. وآخرين دار نقمتى.

١٠. ولما وصل الحال فى أمرها إلى حد لا خفاء به أصلاً، نعى الإيمان دون العلم فقال تعالى: ﴿ولكن أكثر الناس﴾ أى بما فيهم من النوس وهو لاضطراب، [وراعى معنى الأكثر لجمع لأن الجمع أدل على المراد وأقعد فى التبكيت - ']: ﴿لا يؤمنون﴾ أى لا يجعلون المخبر لهم بآياتها آمناً من التكذيب مع وضوح عليها لديهم، وما ذاك إلا لعناد بعضهم فقصور نظر الباقين على الجس.

١٥. ولما كان التقدير: فعل^٣ ذلك ربكم ليقضى بين عباده بالعدل فيدخل المحسن الجنة نصرة [له - ']، والمسىء النار حذلاً وإهانة له، لما برز به وعده من أنه ينصر رسله وأتباعهم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة،

(١) زيد من م ومدة ١ سقط من م (٣) من م ومدة، وفى الأصل وظ:

بشاهد (٤) فى م ١ ص ٤٠.

وقال

وقال لعباده كلهم: آمنوا لاسليكم من غوائل تلك الدار، عطف عليه قوله: ﴿وقل ربكم﴾ أى المحسن إليكم بهدايتكم ووعدهم النصر: ﴿ادعوني﴾ أى استجيوالى بأن تعبدوني وحدى قسألونى^١ ما وعدتكم به من النصر على وجه العباد. وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم «الدعاء هو العباد» فقد أحصر الدعاء^٢ فى العباد سواء كانت بدعاء أو صلاة أو غيرهما^٣، فمن [كان -^٤] عابدا خاضعا لله تعالى بسؤال أو غيره كانت عبادته دعاء، عن ابن عباس^٥ رضى الله عنهما: وحدونى أغفر^٦ لكم، وعن الثورى^٧ أنه قيل له: ادع، فقال: إن ترك الذنوب هو الدعاء. ﴿استجب﴾ أى أوجد الإجابة إجمادا عظيما كأنه ممن يطلب ذلك بغاية الرغبة فيه ﴿لكم﴾ فى الدنيا أى بإيجاد ما دعوتهم به، أو كشف مثله^٨ من الضر، أو ادخاره فى الآخرة. ليظهر الفرق بين من له الدعوة ومن ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة، ولا تتكلموا^٩ على ما سبق به الوعد فتركوا الدعاء فتركوا العباد التى^{١٠} الدعاء يخفى، فكل ميسر

(١) من ظ و م و مد، وفى الأصل: فسألون (٢-٢) من ظ و م و مد، وفى الأصل: من م و مد، وفى الأصل و ظ: حضر الداعى. (٤) من ظ و م و مد. وفى الأصل: غيرها (٥) زيد من م و مد (٦) ذكر هذا القول فى البحر المحيط ٧/ ٤٧٣ (٧) من ظ و م و مد والبحر، وفى الأصل: اكتمل من ظ و م و مد، وفى الأصل: الثورى، وراجع البحر المحيط لقول الثورى هذا (٩) من م، وفى الأصل و ظ: لا تتكلموا، وفى مد: لا تتكلموا (١٠) من م و مد، وفى الأصل و ظ: الذى.

لما خلق له ، قال القشيري : وقيل : الدعاء مفتاح الإجابة ، وأسانه لقمة
الحلال - انتهى - والآية بمعنى آية البقرة "أجيب دعوة الداع إذا
دعان فليستجيبوا لي" .

ولهذا كان السبب / في ترك الدعاء في العادة الكبر ، فكان كأنه
قيل : ولا تركوا دعائي تكونوا متكبرين ، علله رهيبا في طيه رغب
بقوله : ﴿ ان الذين يستكبرون ﴾ أى يوجدون الكبر ، وذلك على أن
المراد بالدعاء العبادة بقوله : ﴿ عن عبادي ﴾ أى عن الاستجابة لي فيما
دعوت إليه من العبادة بالمجادلة في آياتي والإعراض عن دعائي في جميع
ما ينوبهم^٢ في الشدة والرخاء ﴿ سيدخلون ﴾ بوعده لاخلف فيه
١٠ ﴿ جهنم ﴾ فتلقام جزاء على كبرهم بالتجهم والعبوسة والكراهة
﴿ دخرين ﴾ أى صاغرين حقيرين ذليلين ، فالآية من الاحتياك : ذكر
الدعاء أولا دليلا على حذفه ثانيا ، والعبادة ثانيا دليلا على حذفها أولا .
و [لما - ١] ختم ذلك أيضا بامر الساعة ، زاد في الدلالة عليه وعلى
الفعل^٣ بالاختيار والحكمة التي لا يسوغ معها إهمال الخلق من غير حساب .
١٥ في دار ثواب وعقاب ، بعد الإتيان لدار العمل بالخطأ والصواب ،
فقال معللا مفتتحا بالاسم الأعظم الذي لا يتخيل^٤ [أن - ١] المسمى به

(١) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : العبادة (٢) من م و مد ، وفي الأصل
و ظ : وكان (٣) من مد ، وفي الأصل و ظ و م : يقوم (٤) زيد من ظ
' و م و مد (٥) سقط من مد (٦) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : العقل .
(٧) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : يخيل .

يهمل التكبرين عليه مع الإبلاغ في الإحسان إليهم ﴿ الله ﴾ أى المحيط بصفات الكمال ﴿ الذى جعل لكم ﴾ لاغيره ﴿ آلل ﴾ [أى - '] مظلمًا ﴿ لتسكنوا فيه ﴾ راحة ظاهرية بالنوم الذى هو الموت الأصغر ، و راحة حقيقية بالعبادة التى هى الحياة الدائمة ﴿ والنهار مبصرًا ﴾ لتتسكروا فيه ^٢ باليقظة التى هى إحياء فى المعنى ، فالآية ^١ من الاحتباك : حذف ه الظلام أولاً لكونه إيس من النعم المقصودة فى أنفسها^٣ لما دل عليه من الإبصار الذى هو المقصود من نعمة الضياء المقصود فى نفسه ، وحذف الانتشار لأنه بعض ما ينشأ عن [نعمة - ^٤] الإبصار لما دل عليه من السكون الذى هو المقصود الأعظم من الليل : للراحة لمن أرادها ، و العبادة لمن اعتمدها واستزادها .

١٠

و لما كان بعض الكفرة ينسب الأفعال كما مضى للطبائع ويجعلها بغير اختيار ، قال مستأنفاً أو^٥ معللاً مؤكداً : ﴿ ان الله ﴾ أى ذا الجلال والإكرام ﴿ لذو فضل ﴾ أى عظيم جداً باختياره ﴿ على الناس ﴾ أى كافة^٦ باختلاف الليل والنهار و ما يحتويان عليه من المنافع . و لما بلغت هذه الآيات من الدلالة على الوحدانية و البعث و نفى أمر الطبائع حداً ١٥ قل أن يوجد فى غيرها ، فكان المخالف مذموراً لذلك غاية الذم ، فكان

(١-١) سقط ما بين الرقيين من م (٢) زيد من م و مد (٣) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : إليه (٤) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : والآية (٥) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : نفسها (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : « و » (٨) زيد فى الأصل و ظ : أى ، ولم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها .

التعميم بالذم للمخالفين واقعا في أوفق محالّه . وكان الاسم قد يراد به
بعض مدلوله ، وكان المراد هنا التعميم ، أظهر للافهام إرادة ذلك ،
ولم يضمّر^١ ليتعلق الحكم بالوصف المفهم للنوس المشير إلى أن صاحبه قاصر
عن درجة أول أستان المؤمنين فيعلم أن هذا النوع مطبوع على ذلك
ه فقال : (ولكن أكثر الناس) أي بما لهم من الاضطراب وعدم
الثبات في لزوم الصواب^٢ (لا يشكرونه) فينسبون أفعاله سبحانه إلى
غيره جهلا ، أو يعملون^٣ بما يسلب عنهم اسم^٤ الشكر من الشرك وغيره ،
ويحوز أن يكون المراد بالناس أولا كل من يتأتى منه النوس ، وهو
كل من برز من الوجود ، وبهم^٥ ثانيا الجن والإنس - والله أعلم .

١٠ / ٥٦٦ ولما ثبت بآية الحافقين / وآية الملون ثبوتا لاشك فيه أصلا
شمول القدرة بالاختيار ، قال معظما بأداة البعد وميم الجمع : (ذلكم)
[أي -^٦] أيها المخاطبون ١ - الواحد القهار العظيم الشأن الذي علم بما ذكر
من أفعاله أنه لا يشاركه أحد (الله) أي الملك الأعظم المعلوم لكل
أحد التميز عن كل شيء بالافعال التي لا يشاركه فيها أحد ، ولذلك^٧
١٥ قال : (ربكم) أي الربى لكم والمحسن إليكم بقدرته واختياره المنفرد
بربوبيتكم لا رب لكم سواه . ولما كان في سياق الامتنان بالنعمة للدلالة

(١) من ظ و مد ، وفي الأصل و م : لم يضمّره (٢) من م و مد ، وفي
الأصل و ظ : الثبات (٣) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : يعلمون (٤) من
ظ و م و مد ، وفي الأصل : عدم (٥) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : لهم .
(٦) زيد من م و مد (٧) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : كذلك .

على الساعة التي ينكرونها ويجادلون في امرها ، قدم الخلق على التهليل
 فقال : ﴿ خالق كل شيء ٢ ﴾ أى بما ثبت من تمام قدرته بأبداع الخافقين
 ثابتين والملوین متعاقبين دائبين ، ولا مانع له من إعادة الثقلين لأنه
 ﴿ لا اله الا هو نج ﴾ بل كان ذلك واجبا في الحكمة ، لأن المنعم عليهم
 انقسموا إلى شاكر وكافر ، فوجب في الحكمة إقامة الساعة للفصل بينهم ،
 وجاء ذلك على ترتيب مطلع السورة ، فان العزيز ناظر إلى كمال القدرة
 على الإيجاد والإعدام ، والعليم هو المتوحد^١ بكمال الذات ، فان إحاطة
 العلم تستلزم كل كمال ، والقدرة قد لا تستلزم العلم كما للحيوانات^٢ العجم ،
 وهذا بخلاف ما مضى في آية الأنعام ، فان السياق هناك لإنكار الشرك
 وإثبات الوجدانية بما دل عليها من عموم الخلق طبق ما مضى أيضا ١٠
 في مطلعها .

ولما أتت هذه الأخبار - التي كل [منها - ٢] مقرر لما قبله
 بكونه كالعلة له - الوجدانية المطلقة اللازم منها كل كمال ، سبب عنها
 قوله منكرا مبكنا : ﴿ فاني ﴾ أى فكيف ومن أى وجه ﴿ تؤفكون ٥ ﴾
 أى تقلبون عن وجوه الأدلة إلى أقفائها فتعبدون الأوثان وتجادلون ١٥
 في الساعة التي يلزم من الطعن فيها الطعن في الحكمة التي الطعن فيها
 طعن في الإلهية التي الطعن فيها طعن في وجود هذا الوجود ومكابرته
 فيه ، وذلك مؤدٍ إلى سقوط التكلم به بكل اعتبار لمكابرته في المشاهد
 (١) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : الموجد (٢) من م و مد ، وفي الأصل
 و ظ : للحيوان (٣) زيد من م و مد .

المحسوس، و في المعقول المركوز في جميع النفوس .
 و لما كشف هذا السياق عن أن هذا الصرف أمر لا يقدم عليه
 عاقل، كان كأنه قيل : هل وقع لأحد غير هؤلاء مثل هذا ؟ فأجيب بقوله :
 (كذلك) أى مثل هذا الصرف الغريب البعيد عن مناهيج العقلاء
 (يؤفك) أى يصرف صرفاً سيئاً - بناءً للفعل إشارة إلى تمام قدرته
 عليه بكل سبب كان، و لأنه المتعجب منه (الذين كانوا)^١ مطبوعين
 على أنهم (بآيت الله) أى ذى الجلال و الجمال (يمحذون) أى
 ينكرون عناداً و مكابرة، فدل هذا على أن كل من تكبر عن حق
 فأنكره مع علمه به عوقب بمسح القلب و عكس الفهم، فصار له الصرف
 ١٠ عن وجوه الدلائل إلى أقفائها ديدنا بحيث يموت كافراً إن لم يتداركه
 الله برحمة منه .

و لما تقرر أنه سبحانه ربنا وحده، و أن مدعى ربوية ما سواه
 معاند، لأنه سبحانه متميز بأفعاله التى لا يشاركه فيها أحد، دل على ذلك
 بوجه مركوز فى الطبائع صحته، و اوضح فى العقول معرفته، كالمعلل لتسمية
 ١٥ هذا الإسكار ججوداً، فقال دالا بالخافقين بعد الدلالة بما نشأ عنهما

/ من الملون، و آخر هذا لأنه مع كونه أجلى سبب بقرارية الأرض
 و فلكية السماء لذلك، بما حصل فيه من الاختلاف، فقال : (الله)
 أى الذى له الإحاطة الكاملة بكل شئ (الذى جعل) أى وحده
 (لكم الأرض) أى مع كونها فراشا ممهداً (قراراً) مع كونها فى

(١) زيد فى الأصل و م و مد : أى، ولم تكن الزيادة فى ظ لخذفناها (٢) من
 م و مد، و فى الأصل و ظ : عنها .

غاية الثقل . ولا تمسك لها سوى قدرته (والسما) على علومها وسعتها
مع كونها أفلاكا دائرة بنجوم طول الزمان سائرة ، ينشأ عنها الليل
والنهار والإظلام والإبصار (بناء) مظلة كالقبة من غير عماد حامل ،
ومن المعلوم لكل ذى عقل أن الأجسام الثقيلة تقتضى بطبعها تراص
بعضها على بعض ، فلا يمنع بعضها من السقوط على بعض إلا بقوة
وقس . فالآية من الاحتباك : ذكر الفرار أولا دليلا على الدوران ثانيا ،
والبقاء ثانيا دليلا على الفراش أولا .

ولما ذكر المسكن ذكر الساكن دالا على أنه الفاعل في الكل
باختياره . وتمام قدرته بتصويره الإنسان بصورة لا يشبهها صورة شيء
من الحيوانات . وفاتت بين أفرادها في هيئة تلك الصورة على أنحاء ١٠
لا تكاد تنضبط في نفسها ، ولا تشبه واحدة منها الأخرى ، لا في الحافقين
شيء يشبهها بحال تصويرها عليه فقال : (وصوركم) و التصوير على غير
نظام واحد لا يكون إلا بقدرة قادر تام القدرة مختار لا كما يقول
أهل الطبائع (فاحسن صوركم) على أشكال وأحوال مع أنها أحسن
الصور ليس في الوجود ما يشبهها ، وليس فيها صورة تشبه الأخرى ١٥
لتسندوا انطباع تصويرها إليه ، فثبت قطعا أنه [هو - ٢] المصور سبحانه
على غير مثال كما أنه الذى أبدع الموجود كله كذلك .
ولما ذكر المسكن والساكن ، ذكر ما يحتاج إليه في مدة السكن

(١) من م ومد ، وفي الأصل وظ : الساكن (٢) من مد ، وفي الأصل
وظ وم : فوات (٣) زيد من م ومد .

فقال: ﴿ورزقكم من الطيبات﴾ الشهية الملائمة للطبائع النافعة على وجه لا احتياج معه بوجه، فلا دليل أدل على تمام [العلم - ١] وشمول القدرة ووجود الاختيار من هذا التدبير في حفظ المسكن والسقف وتدير ما به البقاء على وجه يكفى الساكن من جميع الوجوه على مر السنين و تعاقب الأزمان، وبث^٥ من الساكن - مع أنه قطعة يسيرة جدا من أديم الأرض - أنسلا^{١٠} شعهم شعبا^{١٠} فرعها إلى فروع لا تسعها الأرض، فدير بحكمته وسعة علمه وقدرته تديرا وسع لهم به الأرض، وعمهم به الرزق، كما روى الإمام [أحمد - ١] في كتاب الزهد عن الحسن أنه قال: لما خلق الله آدم عليه الصلاة والسلام وذريته قالت الملائكة عليهم السلام: إن الأرض لا تسعهم، قال: فاني جاعل موتا، قالوا: إذا لايهنأتم العيش، قال: فاني جاعل أملا :

ولما دل هذا قطعا على التفرد، قال على وجه الإنتاج: ﴿ذلكم﴾ أي الرفيع^{١٠} الدرجات ﴿الله﴾ أي المالك لجميع الملك، [ودلهم على ماضى بتريبتهم وما فيها من بديع الصنائع فقال - ١]: ﴿ربكم عظمى﴾ ١٥ / ٥٦ [أى - ١] لا غيره، ولما أفاد هذا الدليل تربية لا مثل لها، / دالة على إحاطة العلم وتمام القدرة فانها على وجه لا حاجة معه مع حسنه وثباته

(١) زيد من م ومد (٢) من م ومد، وفي الأصل وظ: ثبت (٣-٣) من ظ وم ومد، وفي الأصل: شعهم شعبا (٤) من م ومد، وفي الأصل وظ: انتاج (٥-٥) من م ومد، وفي الأصل وظ: ارفع (٦) من ظ وم ومد، وفي الأصل: جميع (٧) من ظ وم ومد، وفي الأصل: حسه .

تسبب عنه ولا بد^١ قوله: ﴿فتبرك﴾ أى 'ثبت ثباتاً' عظيماً مع اليقين والخير وحسن المدد والفيض ﴿الله﴾ [أى - ٢] المختص بالكمال، [ورقى الخطاب وعظم إيضاحاً للدلالة فقال - ٤]: ﴿رب العالمين﴾ كلهم أنتم وغيركم، ثم دل على ما أفاده الدليل معلاً بقوله: ﴿هو﴾ أى وحده^٥ ﴿الحى﴾ وكل ما عداه لاهياة له، لأنه ليس له من ذاته هـ إلا البدم، فأتبع ذلك قطعاً قوله: ﴿لا اله الا هو﴾ فتسبب عنه قوله: ﴿فادعوه﴾ أى وحده بالقول^٦ والفعل على وجه العبادة، وذلك معنى ﴿مخلصين له الدين﴾ أى من كل شرك جلى^٧ أو خفى .

ولما أمر بقصر المهم^٨ عليه، علله بقوله: ﴿الحمد﴾ أى الإحاطة بأوصاف الكمال، [وأظهر موضع الإضمار إشارة إلى أن له من الصفات ١٠ العلى ما لا ينحصر - ٤]: ﴿الله﴾ أى المسمى بهذا الاسم الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى لذاته . ولما كان هذا الوجود على ما هو عليه من النظام، وبديع الارتسام، دالا دلالة قطعية على الحمد، قال واصفاً بما هو كالعلة للعلم بمضمون الخبر: ﴿رب العالمين﴾ أى الذى رباهم هذه الترية فانه لا يكون إلا كذلك، وعن ابن عباس^٩ رضى الله عنهما ١٥

(١) زيد فى الأصل وظ : لا ، ولم تكن الزيادة فى م ومدة لحذفها .
(٢-٣) من ظ وم ومدة ، وفى الأصل : ثبت نباتاً (٣) زيد من مده (٤) زيد من م ومدة (٥) زيد فى الأصل : لا مشارك له فى البقاء ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم ومدة لحذفها (٦) زيد فى الأصل : انعالى ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم ومدة لحذفها (٧) راجع معالم التنزيل بهامش الباب ٦ / ٨٥ .

قال : من قال " لا إله إلا الله " فليقل على أثرها " الحمد لله رب العالمين " .

ولما أمر سبحانه بما دل على استحقاقه^١ إياه، أتج قطعاً قوله :
 ﴿ قل ﴾ أى هؤلاء الذين يجادلونك فى التوحيد و البعث مقابلاً لإنكارهم
 ٥ بالتاكيد : ﴿ انى نهيت ﴾ أى ممن لا ناهى غيره^٢ ، نهياً عاماً ببراهين
 العقل ، و نهياً خاصاً بأدلة النقل ﴿ ان اعبد ﴾ و لما أهلوم لأعلى المقامات ،
 عبر عنهم إرخاء للذن بقوله : ﴿ الذين تدعون ﴾ أى يؤهلونهم لأن
 تدعوم ، و دل على سفولهم بقوله تعالى : ﴿ من دون الله ﴾ [أى - ٣]
 الذى له الكمال كله . و دل على أنه ما كان متعبداً قبل^٣ البعث بشرع
 ١٠ أحد بقوله : ﴿ لما جاءنى اليئس ﴾ أى الحجج الواضحة جداً من أدلة
 العقل و النقل ظاهرة ، [و لفت القول إلى صفة الإحسان تنبهاً على أنه
 كما يستحق الأفراد بالعبادة لذاته يستحقها شكراً لإحسانه فقال - ١] :
 ﴿ من ربى ﴾ أى الربى لى تربية خاصة هى أعلى من تربية كل مخلوق
 سوى^٤ ، فلذلك أنا أعبد عبادة تفوق عبادة كل عابد .

١٥ و لما أخبر بما يتخلى عنه ، أتبعه الأمر بما يتجلى به فقال :
 ﴿ و امرت ان اسلم ﴾ أى بأن أجدد^٥ 'إسلامكلى' فى [كل - ٢]

(١) العبارة من هنا إلى ما سنبينه عليه - اقاطعة من م (٢-٢) فى مد : نهى لغيره ،
 (٢) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : قل (٥) سقط من ظ
 و مد (٦) زيد من مد (٧) من ظ و مد ، وفى الأصل : أى (٨-٨) من ظ
 و مد ، وفى الأصل : اسلاماكلى .

وقت على سبيل الدوام ﴿ لرب العالمين ٥ ﴾ لأن كل ما سواه مربوب
فالإنفال عليه خسار ، وإذا نهى هو صلى الله عليه وسلم عن ذلك وأمر
بهذا لكون الأمر والنهي ربه لأنه رب كل شيء ، كان [غيره - ١]
مشاركاً له في ذلك لا محالة .

ولما قامت الأدلة و سطعت الحجج على أنه سبحانه رب العالمين ٥
الذين من جملتهم المخاطبون ، و لاحقهم للطبيعة ولا غيرها ، أتبع ذلك آية
أخرى في أنفسهم هي أظهر مما مضى ، فوصل به على طريق العلة لمشاركتهم
له صلى الله عليه وسلم في الأمر والنهي في التي قبلها قوله تعالى :
﴿ هو ﴾ لا غيره ﴿ الذي ﴾ ولما كان الوصف بالترية ماضياً ، عبر
عنه به فقال : ﴿ خلقكم من تراب ﴾ أى أصلكم و اكلكم التي تربي ١٠
به أجسادكم ﴿ ثم من نطفة ﴾ من منى بمنى ﴿ ثم من علقه ﴾ مباعدة
حالتها لحال النطفة كما كان حال النطفة [مباعدة - ١] لحال التراب ،
﴿ ثم ﴾ بعد أن جرت / شؤون أخرى ﴿ يخرجكم ﴾ أى يحدد إخراجكم شيئاً
بعد شيء ﴿ طفلاً ﴾ لا تملكون شيئاً و لاتعلون شيئاً ، ثم يدرجكم في
مدارج الترية صاعدين بالقوة في أوج الكمال طورا بعد طور و حالا ١٥
بعد حال ﴿ لتبلغوا أشدكم ثم ﴾ يهبطكم بالضعف والوهن في مهوى

٥٦٩ /

- (١) زيد من ظ و مد (٢) من مد ، وفي الأصل و ظ : المخاطبين (٣) من
ظ و مد ، وفي الأصل : لمشاركته (٤) من ظ و مد ، وفي الأصل : مباعدة .
(٥) من ظ و مد ، وفي الأصل : كحال (٦) زيد من مد .

السفول ﴿تكونوا شيوخا ج﴾ ضعفاء غرباء . قد مات أقرانكم . و هت^١
أركانكم ، فصرتم تخشون كل أحد .

و لما كان هذا مفهوماً لأنه حال الكل ، بين أنه ما أريد به إلا البعض
لأن المخاطب الجنس ، وهو يتناول البعض كما يتناول الكل فقال :
ه (و منكم من يتوفى) بقبض^٢ روحه و جميع معانيه . و لما كان الموت
ليس مستغرقاً للزمن^٣ الذي بين السنين ، وإنما هو في لحظة يسيرة مما
بينهما ، أدخل الجار على الظرف فقال : ﴿من قبل﴾ أى قبل حال
الشيخوخة أو قبل حال الأشدية . و لما كان المعنى : لتفاوت^٤ أعماركم
و أحوالكم و أعمالكم ، عطف عليه قوله : ﴿و لتبلغوا﴾ أى كل واحد
١٠ منكم ﴿اجلا مسمى﴾ أى [له - °] سماه الملك الذى وكل به فى بطن
أمه عن إدتنا و بأمرنا الذى قدرناه فى الازل ، فلا يتعداه مرة ، و لا بمقدار
ذرة ، فيتجدد للاثنتك إيمان فى كل زمان .

و لما كانت هذه الآءور مقطوعاً بها عند من يعلمها ، و غير مترجاة
عند من يجهلها ، فانه لا وصول للآدمى بحيلة و لا فكر إلى شيء منها ،
١٥ فغير فيها باللام ، و كان التوصل بالتفكر فيها و التدبر^٥ إلى معرفة أن
الإله واحد فى موضع الرجاء للعاقل قال : ﴿و لعلمكم تعقلون ه﴾ [أى - °]
فتعلموا بالمفاوطة بين الناس فيها براهين المشاعدة بالتقليب فى أطوار الخلقة

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : و هت (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل :
تقبض (٣) فى ظ و مد : الزمن (٤) فى ظ و مد : لتفاوت (ه) زيد من ظ
و مد (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : التدبير .

و أدوار

نظم الدرر (الجزء الرابع والعشرون) ج - ١٧

وأدوار الأسنان ، وإرجاع أواخر الأحكام على أوائلها أن فاعل ذلك قادر مختار حكيم قهار ، لا يشبه شيئا ولا يشبهه شيء .

ولما نظم سبحانه هذا الدليل في صنع الآدمي من التراب ، وختمه بأن دلالة على البعث - بإجراء سنته في إرجاع أواخر الأمور على أوائلها وغير ذلك - لا يحتاج إلى غير العقل ، أتبع [عنه - ٢] قوله : هـ

(هو) لا غيره (الذي يحيى ويميت ع) كما تشاهدونه في أنفسكم وكما مضى لكم الإشارة إليه بخلق السماوات والأرض ، فإن من خلقهما خلق ما بينهما من الآجال المضروبة باختلاف الليل والنهار والشهور والأعوام لبلوغ الأفلاك مواضعها ، ثم رجوعها عودا^٢ على بدء مثل تطوير الإنسان بعد الرابية من النطفة إلى العلقة إلى ما فوقها ، ثم رجوعه في مدارك ١٠ موطه إلى أن يصير ترابا كما كان ، فليست النهاية بأبعد من البداية .

ولما كانت إرادته لا تكون إلا تامة نافذة ، سبب عن ذلك قوله معبرا بالقضاء : (فإذا قضى أمرا) أى أراد أى أمر كان من القيامة أو غيرها (فانما يقول له كن) ولما كانت " إذا " شرطية أجابها في قراءة ابن عامر بقوله : (فيكون ع) وعطفها في قراءة غيره على " كن " ١٥ بالنظر إلى معناه ، أو يكون خبرا لمبتدأ [أى - ١] فهو يكون ، وعبر بالمضارع تصورا للحال وإعلاما بالتجدد عند كل قضاء ، وقد مضى في سورة البقرة إشباع الكلام في توجيه قراءة ابن عامر بما تبين به أنها

(١) ومن هنا استأنفت نسخة م (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : عود (٤) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : تطويل .

أشد من قراءة غيره .

/٥٧٠

و لما علم من هذا أنه لا كلفة / عليه في شيء من الأشياء بهذه
الأمور المشاهدة في أنفسهم وفي الآفاق، أتبع التعجب من حالهم لمن
له الفهم الثاقب و البصيرة الوقادة^١، و جعل ذلك من آياته الباهرة و قدرته
القاهرة الظاهرة، فلذلك قال لا فتا الخطاب إلى أعلى الخلق لأن^٢ ذم
الجدال بالباطل^٣ من أجل مقصود هذه السورة: ﴿الم تر﴾ أي يا أنور
الناس قلبا و أصفاهم لباً، و بين بعدم أداة النهاية فقال:
﴿إلى الذين يحادلون﴾ أي بالباطل، و نبه على ما في هذه الآيات من
عظمته التي لا نهاية لها بأعادة الاسم الجامع فقال: ﴿في آيات الله﴾ أي
١٠ الملك [الأعظم - ٢] ﴿إني﴾ أي كيف و من أي وجه ﴿بصرفون سائقه﴾
عن الآيات الحقة الواضحة التي سبقت بالفطرة الأولى إلى جذور قلوبهم،
فلا حجة يوردون و لا عذاب عن أنفسهم يردون، لأنه سبحانه استاقهم
- كما قال ابن برجان - بسلاسل قهره المصوغة من خالص عزماهم و عزائم
إرادتهم من حقيقة ذراتهم إلى خزي الدنيا و عذاب الآخرة - فصل ما
١٥ جادلوا فيه و اصفاهم بما يزيد في التعجب^٤ من شدة جهلهم و تعاظم
عمام فقال: ﴿الذين كذبوا﴾ و حذف المفعول إشارة إلى عموم
التكذيب: ﴿بالكذب﴾ أي بسية في جميع ما له من الشؤون التي
١) من م و مد، و في الأصل و ظ: الواقعة (٢-٢) من ظ و م و مد، و في
الأصل: ذم الجلال و الباطل (٣) زيد من م و مد (٤) من م و مد، و في
الأصل و ظ: التعجب .

تفوت^١ الحصر والعظمة في كل أمر [كما - ٢] أشير بأداة الكمال إلى أنه لكمال كآته لا كتاب غيره لأن^٢ من سمعه فكأنما^٣ سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم لإعجازه . فمن كذب بحرف منه فقد كذب بكل كتاب الله^٤ .

ولما كان التكذيب به تكذيباً بجميع الرسالات الإلهية ، أكد عظمته^٥ بذلك وبالإضافة إلى مظهر العظمة ، تحذيراً للمكذبين من سطواته ، وتذكيراً لهم بأن العمل مع الرسول عمل مع^٦ من أرسله ، " فلذا لفت^٧ الكلام على الاسم الجامع لصفى الجلال والإكرام فقال تعالى : ﴿ وبما أرسلنا ﴾ أى على ما لنا من العظمة ﴿ به أرسلنا ﴾ من جميع الملل والشرائع بكتاب كان أو بغيره ، وهو بحيث لا يحاط بكنهه جلاله وعظمة حاله . ١٠
ولذا تسبب عنه تهديدهم في قوله تعالى : ﴿ فسوف يعلمون ﴾ أى بوعيد صادق لا خلف فيه ، ما يحل بهم من سطوتنا .

ولما كانوا في الدنيا قد جمعت أيديهم إلى أذقانهم بجوامع السطوة ، ثم وصلت بسلاسل القهر يساقون بها عن مقام الظفر بالنجاح إلى أهويات الكفر بالجدال بالباطل ومهامه^٨ الضلال المبين كما قال تعالى ١٥
" أنا جعلنا في أعناقهم أغللاً " الآية ، لجعل باطن تلك السلاسل الدنيوية

(١) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : تفوق (٢) زيد من م و مد (٣) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : لكانما (٤) في م و مد : (٥) سقط من م و مد (٦-٧) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : فلذلك الفت (٨) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : مهامه .

و الاغلال ظاهرا في ذلك المجمع قال: ﴿اذ﴾ اي حين تكون
 ﴿الاغلل﴾ جمع غل، قال في ديوان الادب: هو الذي يعذب به
 الإنسان، و قال القزاز: الغل من الحديد معروف، ويكون من القد،
 و قال في النهاية: هو الحديد التي تجمع يد الاسير إلى عنقه، و يقال
 ه لها جامعة ايضا - انتهى . و أصله الإدخال . يدخل فيه العنق و اليد
 فتجمعان به، و ذلك معنى / قول الصغاني في مجمع البحرين: في رقبته
 / ٥٧١ غل من حديد، و قد غلت يده إلى عنقه ﴿في أعناقهم﴾ أي جامعة
 لايديهم إلى تراقيهم، و عبر باذ و معناها المضى مع سوف و معناها
 الاستقبال، لأن التعبير بالمضى إنما هو إشارة إلى تحقق الأمر مع كونه
 ١٠ مستقبلا ﴿و السلسل﴾ أي في أعناقهم أيضا يقيدهم ذلك عن كل
 تصرف لكونهم لم يتقيدوا بكتاب و لا رسول، و السلسلة من: تسلسل
 الشيء: اضطرب، قال الراغب: كأنه تصور منه تسلسل متروك، فردد
 لفظه تنديها على تردد معناه، و ما سلسل متروك في مقره حتى صفا، حال
 كونهم ﴿يسحبون﴾ أي بها، و السحب: الجر بضعف ﴿في الحميم﴾ أي
 ١٥ الماء الحار الحاضر الذي يكسب الوجه سوادا، و الاعراض عارا، و الأرواح

(١) من ظ و م و مد، و في الأصل: الفراء (٢) راجع ١٨٩/٣ (٣) من ظ و م
 و مد، و في الأصل: رقيه (٤) من ظ و م و مد، و في الأصل: لم يتقيد .
 (٥) زيد في الأصل: اذا، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٦) زيد
 في الأصل: به، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٧-٧) من ظ و م
 و مد، و في الأصل: بالسلسل متروك في هذه - كذا .

عذاباً والأجسام فارا، و القلوب هما واللحم ذوباناً واعتصاراً،
و ذلك عوض ترفيعهم لأنفسهم عن سجنها بأسباب الأدلة الواضحات في
كلف العبادات ومرارات المجاهدات و حرارات المنازل .
ولما أخبر عن تعذيبهم بالماء الحار الذي من شأنه أن يضيق
الأنفاس، ويضعف القوى، ويخفف القلوب، أخبر بما هو فوق ذلك ه
فقال: (ثم في النار) أى عذابها خاصة (يسجرون) أى يلقون
فيها وتوقد بهم مكردسين مركوبين كما يسجر التنور بالخطب - أى
بملاء - وتهيج ناره، وكما يسجر - أى يصب - الماء في الحلق، فيملأونها
فتحمى بهم ويشد اضطرامها لكونهم كانوا في الدنيا وقود المعاصي،
و الفتن بهم يشب وقودها، ويقوى عودها، ويثبت عمودها، لأنهم ١٠
لم يلقوا أنفسهم في نيران الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومخالفات
الشهوات في أبواب الآوامر والنواهي، التي هي في الظاهر نيران، وفي
الحقيقة جنان .

ولما كان المدعو إنما يدخر لأوقات الشدائد، قال موجها لهم
مندماً مقبحا لقاصر نظرهم لأنفسهم بانبا للفعول لأن المنكئ هذا القول ١٥

(١) من م ومد، وفي الأصل و ظ : ذبانا (٢) من ظ وم ومد، وفي
الأصل : اعتصار (٣) من م ومد، وفي الأصل و ظ : مرامات (٤) من ظ
وم ومد، وفي الأصل : عن الماء (٥) من ظ وم ومد، وفي الأصل :
يضيق (٦) من ظ وم ومد، وفي الأصل : عذابا (٧) من ظ وم ومد،
وفي الأصل : لما كان (٨) من م ومد، وفي الأصل و ظ : مقدما (٩) من
م ومد، وفي الأصل و ظ : الملى .

مطلقا لا لكونه من قائل معين : ﴿ ثم قيل لهم ﴾ أى بعد أن طال عذابهم ،
 و بلغ منهم كل مبلغ ، و لم يجدوا ناصرا يخلصهم و لا شافعا يخصصهم :
 ﴿ اين ﴾ و التعبير عنهم بأداة ما لا يعقل فى أحكم مواضعه فى قوله :
 ﴿ ما كنتم ﴾ أى دائما ﴿ تشركون ﴾ أى بدعائكم لهم فى مهماتكم دعاء عبادة
 ٥ مع تجديده فى كل وقت ؛ ثم بين سفولهم بقوله لا فانا القول عن ' مظهر
 العظمة إلى أعظم منه فقال : ﴿ من دون الله ﴾ أى المحيط بجميع العز
 و كل العظمة ، لطلبوا منهم تخلصكم مما أنتم فيه أو تخفيفه : ﴿ قالوا ﴾
 أى مسترسلين مع الفطرة ' و هى الفطرة ' الأولى على الصدق : ﴿ ضلوا عنا ﴾
 فلا نراهم كما ضللنا نحن فى الدنيا عما ينفعنا .

١٠ و لما راوا أن صدقهم قد أوجب اعترافهم بالشرك ، دعهم رداة
 المكر و رذالة الطباع إلى الكذب ، فاسترسلوا معها فبادروا إلى أن
 أظهروا الغلط فقالوا ملبسين على من يعلم خاتمة الاعين و ما تخفى الصدور
 ظانين أن ذلك / ينفعهم كما كان ينفعهم عند المؤمنين فى دار الدنيا :
 ﴿ بل لم نكن ندعوا ﴾ أى لم يكن ذلك فى طباعنا . و لما كان مرادهم
 ١٥ نفي دعائهم لهم أصلا و رأسا فى لحظة فافوقها ، لا النفي المقيد بالاستغراق ،
 فانه لا ينفى ما دونه ، أثبتوا الجار فقالوا : ﴿ من قبل ﴾ أى قبل هذه

/ ٥٧٢

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : من (٢) زيد فى الأصل : و الكمال ،
 و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لخذلها (٣) من م و مد ، و فى الأصل
 و ظ : الى ما (٤-٥) سقط ما بين الرقيين من ظ و م و مد (٥) من ظ و م
 و مد . و فى الأصل : عن (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الحال .

الإعادة

(٢٩)

١١٦

الإعادة ﴿ شيئاً ﴾ لتكون قد أشركنا به ، فلا يقدمهم الله إلا على ما يزيد في ضررهم^١ ويضاعف ندمهم ويوجب [لعن -^٢] أنفسهم ولعن بعضهم [بعضاً -^٣] بحيث لا يزالون في ندم كما كان حالهم في الدنيا " انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون " فالآية من الاحتباك : ذكر الإشراك أولاً دليلاً على^٤ نفيهم له ثانياً ، والدعاء ثانياً ه دليلاً على تقديره أولاً .

ولما كان هذا في غاية الإعجاب من ضلالهم ، كان كأنه قيل : هل يضل أحد من الخلق ضلال هؤلاء ، فأجيب بقوله : ﴿ كذلك ﴾ أى نعم مثل هذا الضلال البعيد عن الصواب ﴿ يضل الله ﴾ أى المحيط علماً وقدرة ، عن القصد النافع من حجة وغيرها ﴿ الكافرين ٥ ﴾ أى الذين ١٠ ستروا مرأى بصائرهم لئلا يتجلى فيها^٥ ثم صار لهم ذلك ديدناً .

ولما تم جواب السؤال عن^٦ التعجب من هذا الضلال ، رجع إلى خطاب الضلال فقال معظمها لما ذكر من جزائهم بأداة البعد وميم الجمع نصاً على تقرير كل منهم : ﴿ ذلکم ﴾ أى الجزاء العظيم المراتب ، [الصعب -^٧] المراكب ، الضخم المواكب ﴿ بما كنتم ﴾ أى دائماً ﴿ تفرحون ﴾ أى ١٥ تبالغون في السرور و تستغرقون فيه و تضعفون عن حمله للأعراض عن العواقب . ولما كانت الأرض سجيناً^٨ ، [فهي -^٩] في الحقيقة

- (١) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : ضررهم (٢) زيد من م ومد (٣) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : منها (٤) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : من . (٥) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : سجيناً .

دار الآحزان، حسن قوله: ﴿ في الارض ﴾ أى فقلعتم فيها ضيد ما وضعت له، وزاد ذلك حسنا قوله: ﴿ بغير الحق ﴾ فأشعر أن السرور لا ينبغي إلا إذا كان مع كمال هذه الحقيقة، وهى الثبات دائما للفرح به، وذلك لا يكون إلا فى الجنة ﴿ وبما ﴾ أى وبسبب ما ﴿ كنتم تمرحون به ﴾ أى تبالغون فى الفرح مع الأشر و البطر و النشاط الموجب للاختيال و التبخر و الحقة بعدم احتمال الفرح .

و لما كان السياق لذم الجدال، و كان الجدال إنما يكون عن الكبير، و كان^١ الفرح غير ملازم للكبر، لم يسبب دخول النار عنه، بل جعله كالنتيجة لجميع ما مضى فقال: ﴿ ادخلوا ﴾ أى أيها المكذبون . و لما كان فى النار أنواع من العذاب، دل على تعذيبهم بكل نوع منها بذكر الأبواب جزاء على ما كانوا يخوضون بجدالهم فى كل نوع من أنواع الأباطيل فقال: ﴿ ابواب جهنم ﴾ [أى - ٢] الدركة التى تلقى صاحبها بتكبر و عبوسة و تجهم ﴿ تخلص فيها ﴾ أى لازمين لما شرعتم فيه بالدخول من الإقامة لزوما لأبراح منه أصلا .

١٥ و لما كانت نهاية فى البشاعة و الحزى و السوء، و كان دخولهم فيها مقرونا^٢ بخلودهم سيالحو أن يقال: فهى مثواكم. تسبب عنه قوله: ﴿ فبئس مثوى ﴾ دون أن يقال: مدخل ﴿ المتكبرين ﴾ أى موضع

- (١) زيد فى الأصل و ظ : كنتم، ولم تكن الزيادة و فى م و مد فحذفناها .
(٢-٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فكان (٣) زيد من ظ و م و مد .
(٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: معروفا .

إقامتهم المحكوم بلزومهم إياه لكونهم تعاطوا ما ليس لهم، ولا ينبغي
 أن يكون إلا لله^١، الكبرياء ردائي والعظمة / إزارى فمن نازعنيهما قصته،
 ولم يؤكد جملة "بس" هنا لأن مقاولتهم هذه بنيت على تجدد عليهم
 في الآخرة بأحوال النار،^٢ وأحوال^٣ ما سبها^٤، والتأكيد يكون للترك
 ومن في عداد، و حال كل منهما مناف للعلم، وزاد ذلك حسنا أن
 أصل الكلام مع الأعم للسر الذي تقدم - صلى الله عليه وسلم فبعد جدا
 من التأكيد. ولما كان في هذا الجزاء أعظم الشبهة بهم، فكان فيهم
 أعظم التسلية لمن جادلوه وتكبروا عليه، سبب عنه قوله: (فاصبر)
 [أى-^٥] ارتقابا لهذه النصرة، ثم علل بقوله مؤكدا لأجل تكذيبهم
 بالوعد: (ان وعد الله) أى الجامع لصفات الكمال (حق ع) أى فى ١٠
 نصرتك فى الدارين فلا بد من وقوعه، وفيه أعظم تأسية [لك -^٦]
 ولذلك سبب عنه مع صرف القول إلى ما يأتى الاعتراض إشارة إلى
 أنه لا يسأل عما يفعل، قوله تعالى: (فأما نرينك) وأكده بـ «ما»
 والنون ومظهر العظمة لإنكارهم لنصرتهم عليهم ولبعضهم^٧
 (بعض الذى نعدهم) أى بما لنا من العظمة مما يسرك فيهم من عذاب ١٥
 أو متاب قبل وفاتك، فذاك إلينا وهو علينا حين.

ولما ذكر فعل الشرط وحذف جوابه للعلم به، عطف عليه قوله:

(١) زيد فى الأصل: يقول الله تعالى، ولم تكن الزيادة فى ظ و م ومـ
 لخدقناها (٢ - ٢) سقط ما بين الرقين من مد (٣) من م ومـ، وفى الأصل
 وظ: سبها (٤) زيد من م ومـ (٥) من م ومـ، وفى الأصل وظ: لبيهم.

(او توفينك) [أى - ١] قبل أن ترى ذلك فيهم، وأجاب هذا المعطوف بقوله: (فألينا) أى بما لنا من العظمة (يرجعون هـ) أى معنى في الدنيا قريهم^٢ بعد وفاتك من نصر أصحابك عليهم بما ترك به في برزخك فانه لا بقاء لجولة باطلهم، وحسا في القيامة فتريك فيهم هـ فوق ما تؤمل من النصرة المتضمنة لتصديقك وتكذيبهم، وإكرامك وإهانتهم، والآية من الاحتباك: ذكر الوفاة ثانياً دليلاً على حذفها أولاً، والرؤية أولاً دليلاً على حذفها ثانياً.

ولما قسم له الله سبحانه الحال إلى إصابتهم أو وفاته صلى الله عليه وسلم، وكان قد بقى مما هو أقر لعينه وأشفى لصدده أن يريهم في حياته ١٠ آية تلجئهم إلى الإيمان، وتحملهم على الموافقة والإذعان، فيزيل النزاع بحسن الاتباع، كما وقع لقوم يونس عليه الصلاة والسلام، قال عاطفاً على ما تقديره في تعليل الأمر بالصبر، فلقد أرسلناك إليهم ولننفذ^٣ أمرنا فيهم، وأما أنت فما عليك إلا البلاغ: (ولقد أرسلنا) أى على ما^٤ لنا من العظمة (رسلاً) أى بكثرة. ولما كان الإرسال إنما هو في بعض الزمان الماضي وإن كان بلوغ رسالة كل لمن بعده موجبة لانسحاب حكم رسالته إلى مجيء الرسول الذي يقفوه، أثبت الجار لإرادة الحقيقة فقال: (من قبلك) أى إلى أمهم ليلغوا عنا ما أمرناهم به:

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد، وفي الأصل: تربتهم - كذا (٣) سقط من ظ و مد (٤) من ظ و م و مد، وفي الأصل: لننفذ. (هـ) من ظ و م و مد، وفي الأصل: بما.

(منهم من قصصنا) أى بما لنا من الإحاطة (عليك) أى أخبارهم
 وأخبار أمهم (ومنهم من لم نقصص) وإن كان لنا العلم التام
 والقدرة الكاملة (عليك) لا أخبارهم ولا أخبار أمهم ولا ذكرناهم
 لك بأسمائهم (وما) أى أرسلناهم والحال أنه ما (كان لرسول)
 أصلا (أن يأتى بنايصة) أى ملجئة أو غير ملجئة مما يطلب الرسول ه
 استعجالا لا تباع قومه له ، أو اقتراحا من قومه عليه أو غير ذلك مما
 يجادل فيه قومه / أو يسلمون له أو ينقادون ، و صرف الكلام عن المظهر
 ٥٧٤ / المشير إلى القهر إلى ما فيه - مع الإهانة - الإكرام فقال : (إلا بأذن الله ج)
 أى بأمره وتمكينه ، فإن له الإحاطة بكل شيء ، فلا يخرج شيء عن
 أمره ، فإن لم يأذن فى ذلك رضا و سلوا و صبروا و احتسبوا ، وإن ١٠
 أذن فى شيء من ذلك من عذاب أو آية ملجئة أو غير ذلك جاءهم ما
 أذن فيه (فاذا جاء) وزاد الأمر عظما لمزيد الخوف والرجاء بالإظهار
 دون الإضمار فقال : (امر الله) أى المحيط بكل شيء قدرة و علما ،
 وأمره ما توعده به من العذاب عند العناد بعد الإجابة إلى المقترح ،
 ومن القيامة وما فيها ، و تكريرا لاسم الأعظم لتعظيم المقام باستحضار ١٥
 ماله من صفات الجلال والإكرام ، ولثبات ما أراد و لزومه عبر عنه

- (١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : انهم (٢) من ظ و م و مد ، وفى
 الأصل : استعجالا (٣) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : يحاول (٤) من ظ و م
 و مد ، وفى الأصل : الاغاة (٥) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : احسبوا .
 (٦) سقط من ظ و مد .

بالقضاء، فقال مشعرا بصيغة المفعول بغاية السهولة: ﴿ قضى ﴾ أى بأمره
على أيسر وجه وأسهله ﴿ بالحق ﴾ أى الأمر الثابت الذى تقدم الوعد
به وحكم بثبوته من إهلاك ناس وإجاء آخرين أو لإيمان قوم وكفر
آخرين - هذا كله هو الذى أجرى سبحانه سنته القديمة بثبوته، وأما
الفصل من الإهمال والتطول بالنعم فانما هو قبل الإجابة إلى المقترحات،
والدليل على أن هذا من مراد الآية ما يأتى من قوله " فلم يك ينفعهم
إيمانهم لما راوا بأسنا " وما أشبهه ﴿ وخسر ﴾ أى هلك أو تحقق وتبين
بالمشاهدة أنه خسر ﴿ هنالك ﴾ أى فى ذلك الوقت العظيم بعظمة ما
أنزلنا فيه، ظرف مكان استعير للزمان إيذانا بغاية الثبات والتمكن فى
الحصار تمكن الجالس ﴿ المبطلون ﴾ أى المنسوبون إلى إثارة الباطل
على الحق، إما باقتراح الآيات مع إتيانهم بما يغنيهم عنها وتسميتهم
له سحرا أو بغير ذلك، إما بتيسرهم على الرجوع عما هم فيه من العناد من
غير إذعان، وإما بالهلاك، وإما بادحاض الحجج والحكم عليهم بالغلب
ثم النار ولو بعد حين، ومن هذه الآية أخذ سبحانه فى رد مقطع السورة
على مطالعها، فهذه الآية ناظرة إلى قوله تعالى " وهمت كل أمة برسولهم
ليأخذوه " [" وما كان لرسول ان يأتى بآية " إلى - ١] " وجادلوا بالباطل "

- (١) من م و مد، وفى الأصل و ظ : بثبوته (٢) سقط من مد (٣) من م
و مد، وفى الأصل و ظ : الإهمال (٤) من ظ و م و مد، وفى الأصل : لها .
(٥ - ٥) سقط ما بين الرقعين من م و مد (٦) زيد من ظ و م و مد .

و^١ " أفلم يسيروا في الأرض " إلى " فاخذتهم فكيف كان عقاب " وهذا
وما بعده مما اشتمل عليه من الحكمة و القدرة إلى الثلاث الآيات الأولى .
وما كان المبطلون^٢ ليسوا أشد نقرة ولا أقوى من بعض
الحيوانات العجم ، دل على ما أخبر به من نافذ نصرته فيهم بقوله مذكرا
لهم بنعمته مستعظفا إلى طاعته دالا على التوحيد بعد تليينهم بالوعيد مظهرا ه
الاسم الجامع إشارة إلى أن ما في هذه الآية من الدلالات لا يحصى :
(الله) أى الملك الأعظم (الذى جعل لكم) لا غيره (الانعام)
أى الأزواج الثمانية بالتدليل و التسخير (لتركبوا منها) وهى الإبل
مع قوتها و نقرتها ، و التعبير باللام فى الركوب مطلقا ثم فيه مقيدا ببلوغ
الاماكن الشاسعة إشارة إلى أن ذلك هو المقصود منها بالذات ، و هو ١٠
الذى اقتضى تركيبها على ما هى عليه ، فنشأ منه بقية المنافع فكانت تابعة .
وما كان الاقيات منها - فى عظيم نفعه و كثرته و شهوته - بحيث
لا يناسبه غيره ، / عد الغير عدما فقال تعالى : (ومنها) أى من الأنعام
كلها (تاكلون^٣) بتقديم الجار .

وما كان التصرف فيها غير منضبط ، أجله بقوله : (و لكم فيها) ١٥
أى كلها (منافع) أى كثيرة بغير ذلك من الدر و الوبر و الصوف
و غيرها . و لما [كان - ٢] سوقها و بلوغ الاماكن الشاسعة عليها فى
أقرب مدة لنيل الأمور الهائلة عظيم الجدوى جدا ، به على عظمتها^٤ بقطعه
(١) زيد فى الأصل : قوله تعالى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م ومد لحذفها .
(٢) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : المطلوب (٣) زيد من ظ و م ومد .
(٤) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : عظمة .

عما قبله باجمال المافع ثم تفصيله منها فقال : ﴿ و لتبلغوا ﴾ أى مستعلين
 ﴿ عليها ﴾ وهى فى غاية الذل و الطواغية ، و نبههم على نقصهم و عظيم نعمته
 عليهم بقوله : ﴿ حاجة ﴾ أى جنس الحاجة . و لما كان فى مقام التعظيم
 لنعمه لأنه من سياق الامتنان و إظهار القدرة و تحدها و جمع ما تضرر
 ه فيه فقال : ﴿ فى صدوركم ﴾ إشارة إلى أن حاجة واحدة ضاقت عنها
 قلوب الجميع حتى فاضت منها فلات مساكنها . و لما كان الحمل يكون
 مع مطلق الاستعلاء سواء كان على أعلى الشئ ، أو لا بخلاف الركوب ،
 قال معبرا بأداة الاستعلاء فيها و فى الفلك غير سفينة نوح عليه الصلاة
 و السلام ، فانها كانت مغطاة كما حكى فكأوا فى بطنها [لا - ٢] على
 ١٠ ظهرها : ﴿ و عليها ﴾ أى فى البر ﴿ و على الفلك ﴾ أى فى البحر
 ﴿ تحملون ﴾ أى تحمل لكم أمتعكم فان حمل الإنسان نفسه تقدم بالركوب ،
 و أشار بالبناء للفعول إلى أنه سخر ذلك تسخييرا عظيما لاحتاج معه إلى
 علاج فى نفس الحمل .

و لما كانت هذه آية عظيمة جعلها سبحانه مشتملة على آيات كثيرة ،
 ١٥ عبر فيها بالماضى و عطف بالمضارع تنبيها على التجدد على ما تقديره :
 فأراكم هذه الآيات البينات منها ، قوله : ﴿ و يربكم ﴾ أى فى لحظة
 ﴿ آيته ﴾ أى الكثيرة الكبيرة فيها و فى غيرها من أنفسكم و من الآفاق ،
 و دل على كثرة الآيات و عظمتها باسقاط تاء التأنيث كما هو المستفيض

(١) فى م : مشتغلين (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الجمع (٣) زيد من
 م و مد (٤) فى م : ذلك .

في غير النداء باظهار الاسم الاعظم في قوله: ﴿ فأتى آيت الله ﴾ أى المحيط بصفات الكمال ﴿ تنكرونه ﴾ حتى توجه لكم المجادلة في آياته التى من أوضحها البعث .

ولما وصل الأمر إلى حد من الوضوح لا يخفى على أحد، تسبب عنه لفت الخطاب عنهم دلالة على الغضب الموجب للعقاب المقتضى للرهب ه فقال: ﴿ افلم يسيرا ﴾ [أى - ٢] هؤلاء الذين هم أضل من الأنعام ﴿ فى الارض ﴾ أى أرض كانت، سير اعتبار ﴿ فينظروا ﴾ نظر ادكار فيما سلكوه من سبلها ونواحيها، ونبه على زيادة العظمة فيما حثهم على النظر فيه بسوقه مساق الاستفهام تنبيها على خروجه عن أمثاله، ومباينته لأشكاله، بقوله: ﴿ كيف كان عاقبة ﴾ أى آخر أمر ﴿ الذين ﴾ ١٠ ولما كانوا لا يقدرّون على استغراق نظر جميع الأرض و آثار جميع أهلها، [نبه - ٣] بالجار [على - ٤] ما تيسر فقال تعالى: ﴿ من قبلهم ﴾ أى مع قرب الزمان والمكان، ولما كانوا معتمدين فى مقابلة الرسول صلى الله عليه وسلم و مجادلته بالباطل^٦ فى الآيات الظاهرة على كثرتهم وقوتهم وقلة اصحابه^٧ مع ضعفهم، وكان قد تقدم الإنكار عليهم فى ١٥ المجادلة لإدحاض الحق، و عظم النكير عليهم بعدم النظر عند المسير فى

- (١) من ظ و م و مد، وفى الأصل: توجد (٢) زيد من ظ و م و مد .
 (٣) من م و مد، وفى الأصل و ظ: ذلك (٤) زيد من م و مد (هـ-هـ) من ظ و م و مد، وفى الأصل: كان هؤلاء معتمدا (٦) من ظ و م و مد، وفى الأصل: بلا باطل (٧) من ظ و م و مد، وفى الأصل: اصحابهم .

الأرض بأعين / الاعتبار في الآثار، من المساكن والديار، لمن مضى من
 الأشرار، وأثبت لهم الأشدية، أنها لم تغن عنهم، وذكر فرعون وما
 كان له من المكنة بالمال والرجال، وأنه أخذه أخذه صارت مثلاً من
 الأمثال، و'كان قد' بقي مما قد يتعلل به في المغالبة الكثيرة، ذكرها
 ه مضمومة إلى الشدة تأكيداً لمضمون الخبر في' أنه لا أمر' لأحد مع
 أمره، فقال مستأنفا جواباً لمن يقول: ما كانت عاقبتهم؟ فقال:
 (كانوا أكثر منهم) أى عدداً أضافاً مضاعفة [و - °] لاسيما قوم
 نوح عليه الصلاة والسلام: (و أشد قوة) في الأبدان كقوم هود
 عليه الصلاة والسلام الذين قالوا كما يأتي في التي بعدها " من أشد منا
 ١٠ قوة " (و أمارا في الأرض) بنحت^٦ البيوت في الجبال، وحفر الآبار،
 وإنباط المياه، وبناء المصانع الجليلة^٧ - وغير ذلك مما كانوا عليه^٨ .

ولما كان [التقدير - ١٠] : فنظروا فأهلكهم الله، سبب عن
 كثرتهم وشدتهم في [قوتهم - ١١] قوله نافياً صريحاً، أو يكون استفهاماً^{١٢}

(١-١) من م ومد، وفي الأصل وظ : كانه (٢) من م ومد، وفي الأصل
 وظ و « (٣-٣) من م ومد، وفي الأصل وظ : لامر (٤) من م ومد،
 وفي الأصل وظ : اضعاف (٥) زيد من ظ ومد (٦) ليس في الأصل فقط .
 (٧) من م ومد، وفي الأصل وظ : نحت (٨) من م ومد، وفي الأصل
 وظ : الجلية (٩-٩) سقط ما بين الرقين من ظ وم ومد إلا أن السقوط
 امتد في ظ إلى « فنظروا » (١٠) زيد من م ومد (١١) زيد من ظ وم ومد
 (١٢) من ظ وم ومد، وفي الأصل : استفهام .

إنكاريا (فآ) أى أى شئ (اغنى عنهم) أولم يغن عنهم شيئا من
الغنى (ما كانوا) أى دائما كما فى جبلاتهم من دواعيه (يكسبون)
بقوة أبدانهم و عظم عقولهم و احتياهم و ما رتبوا من المصانع لنجاتهم
حين جاءهم أمرنا بل كانوا كأمس الزاهب .

و لما أخبر عن كثرتهم وقوتهم و آثارهم الدالة على [مكتتهم -] ،
سبب عنه شرح حالهم ، الذى أدى إلى هلاكهم و اغتيالهم ، فقال مبينا
لما أغنى : (فلما جاءتهم رسلهم) أى الذين أرسلناهم إليهم و هم منهم
يعرفون صدقهم و أمانتهم (بالبينت) أى الدالة على صدقهم لآحالة
(فرحوا) أى القوم الموصوفون (بما عندهم من العلم) الذى أثروا به تلك
الآثار فى الأرض من إنباط المياه و جر الأثقال و هندسة الأنفية .
و معرفة الأقايم و إرصاد الكواكب لأجل معرفة أحوال المعاش ،
و غير ذلك من ظواهر العلوم المؤدية إلى التفاخر و التعظيم و التكاثر
و قوامع الوم ، و تقييدا بالحاضر من [الرسم -] ، من علم ظاهر الحياة
الدنيا و قناعة بالفانى كما قال فى التى قبلها ” ثم اذا خولته نعمة منا
قال انما اوتيته [على علم -] “ و كما قال قارون لما قيل له ” و احسن
كما احسن الله اليك “ : ” انما اوتيته على علم عندى “ و فرحهم به

(١) زيد من م و مد (٢) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : ترفة (٣) زيد
فى الأصل : الى الأمور ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فخذناها (٤) زيد
فى الأصل : الظواهر ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فخذناها (٥) زيد
من م و مد (٦) من م و مد ، وفى الأصل : فرعون (٧) زيد فى الأصل
و ظ : قال ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فخذناها .

لأنه أدام إلى التوسع في الدنيا و التلذذ بما فيها و استهزأوا بما اتهم به الرسل من علم الباطن الداعي إلى الإعراض عن الفاني و الإقبال على الباقي و الخوف بما بعد الموت من الأمور الغائبة و الأهوال الآتية و الكوائن العظيمة المستورة بحجاب هذه [الحياة - '] الدنيا الواهي ، على ما فيها من الذوات و المعاني و الأحوال و الأوجال و الدواهي ، و الذي حركهم إلى الفرح بما عندهم [هو - '] ما هم فيه من الزهرة مع ما يرون من تقلل الرسل و أتباعهم من الدنيا . و إسراع المصائب إليهم ، و كثرة ما يعانونه من الهوم و الإنكاد ، و يكابدونه من الأنداد و الأضداد ، فاشتد استهزؤهم بهم / و بما أتوا به بعد ذلك محالا و باطلا و ضلالا ، و كانوا لا ينفكون من فعل الفرح الأشر البطر بالتضاحك و التمايل كما قال الله تعالى " فلما [جاءهم - '] إذا هم منها يضحكون " و نصبوا للرسل و أتباعهم المكائد ، و أحاطوا بهم المكر و الغوائل ، و هموا بأخذهم فأنجيناهم و أرسلناه من آمن بهم منهم و آتيناهم بما أزال فرحهم ، و أطال غمهم و ترحهم (: حاق) أي أحاط على وجه الشدة (بهم ما كانوا) أي ١٥ عادة مستمرة .

و لما كان استهزؤهم بالحق عظيما جدا ، عد استهزاءهم بغيره عدما ، و أشار إلى ذلك بتقديم الجار فقال : (به يستهزئون ه) من الوعيد الذي (١) زيد من م و مد (٢) من م و مد ، و في الأصل و ظ : بما (٣) زيد في الأصل و م : لا ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فخذناها (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) في م : از - لهم .

كانوا قاطعين بطلانه فلم قطعا أنه إنما يفرح من العلم بما تضمن النجاة
والسعادة الأبدية على أن سوق الكلام هكذا ملي بالاستهزاء بهم و انتهم
عليهم لأنهم نصبوا أنفسهم منصب العالم المطبق [المنطبق - '] الذى
إذا غلب خصمه فأسكنه^١ وأقمه الحجر فأخرسه^٢ وأفحمه بواضح الحجة
و 'قويم المحجة' ظهر عليه السرور و غلبه^٣ الفرح . فإن عاند خصمه ووقف ه
مع وهمه استهزأ به و تضاحك منه - هذا مع ما عنده من عمايات الجهل
التي لا يقدرّون على إنكارها بدليل اعتراف هؤلاء الذين أرسل إليهم
هذا النبي الكريم أن أهل الكتاب أعلم منهم ، فكانوا يوجهون ركايبهم
إلى اليهود يسألونهم عن [أمرهم - '] وأمره [على أنه - '] قد أتاهم
بما يعلى به قدرهم على أهل الكتاب ، ويعلمهم المخصوصين بالسيادة ١٠
على مر الاحقاب ، وهم يأبون بمجادلتهم بالباطل إلا سفولا وإعراضا
عن الصواب ، وعدولا ونكوصا ونكولا ، والآية مرشدة^٤ إلى أنه
لا يتعلم^٥ إلا من ظن من نفسه القصور ، ولهذا [كان - '] أقبل شيء
للعلم الصغار ، والآية من الاحتباك : إثبات الفرح أولا دليل^٦ على حذف

- (١) زيد من ظ و م ومد (٢) من م ومد ، وفي الأصل و ظ : واسكنه (٣) من
م ومد ، وفي الأصل و ظ : وأخرسه (٤-٤) من م ومد ، وفي الأصل
و ظ : قوائم الحجة (٥) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : عليه (٦) من ظ
و م ومد ، وفي الأصل : اعترفهم (٧) زيد من م ومد (٨-٨) من ظ
و م ومد ، وفي الأصل : شدة - مع بياض في البداية (٩) من ظ و م
و مد ، وفي الأصل : لا يعلم (١٠) من م ومد ، وفي الأصل و ظ : دليلا .

ضده ثانياً، وإثبات الاستهزاء ثانياً دليل على حذف مثله أولاً .

و لما كانت هذه السورة في بيان العزة التي هي نتيجة كمال العلم
وشمول القدرة، و كان عظم العزة بحسب عظمة المأخوذ بها المعاند لها،
كرر ذكر المجادلة في هذه السورة تكريراً أذن بذلك فقال في أولها
هـ " ما يجادل في آيت الله الا الذين كفروا " ثم دل على أنهم مأخوذون
من غير أن يغنى [عنهم - '] جدالهم الذي أتجه ضلالمهم، و على توابع
ذلك ترغيباً و ترهيباً إلى أن قال " هو الذي يريدكم آيته " و ذكر بعض
ما اشتد إلفهم له حتى سقطت غرابته عندهم، فنبههم على ما فيه ليكفهم
عن الجدال و يغتنوا به عن اقتراح غيره، ثم ذكر قصة موسى عليه
الصلوة و السلام مذكراً لهم ما حصل من تعذيب المكذبين المجادلين بعد
وقوع ما اقترحوا من الآيات بقولهم " فانت بآية ان كنت من الصادقين "
ومضى يذكر و ينذر و يحذر في تلك الأساليب التي هي أمضى من
السيوف، و أجلى من الشمس في الصحو دون الكسوف، حتى قال
" الذين يجادلون في آيت الله بغير سلطان اتهمك كبر مقتاً عند الله و عند
الذين آمنوا " ثم / شرع في إتمام قصة موسى عليه السلام إلى أن قال
١٥ / ٥٧٧ " ان الذين يجادلون في آيت الله بغير سلطان اتهمك ان في صدورهم
الا كبر ما هم ببالغيه " ثم شرع بعدد الآيات العظيمة التي تأتي لشدة
وضوحها جدال المجادل، و ضلال المهاك الماحل، لولا أنه قد

(١) زيد من م و مد (٢) تكرر في الأصل و ظ (٣) من ظ و م و مد
و في الأصل : بعدادالات - كذا .

أخرجتها

اخرجتها شدة الإلف لها من حبز الغرابة من 'خلق الخافقين' و تكوير
 الملوك، وبسط الأرض ورفع السماء و تصوير الإنسان و ما فيه من عظم
 الشأن، فكشف ستورها، و بين دلالتها و ظهورها، و لفت الكلام إلى
 تهديد المجادلين بقوله منكرا عليهم "الم تر الى الذين يجادلون في آيت الله
 انى يصرفون" على عادة البلاء في أنه إذا أخرس أحدهم خصمه بما هو ه
 من حججه كالشمس نورا و طلعة [و ظهورا - ٢] أنكر بالاستفهام الذى
 هو أمر من وقع الهام . فلما ثبت بذلك عنادهم و غلظتهم و قوتهم
 فى لددهم و اشتدادهم ، بين جهلهم بذلمهم عند ما بدا لهم وبال^٢ أمرهم
 و حان أن تبرك^٣ عليهم أثقال العذاب القائمة للقوى ، فخلت ما أحكموا
 عقده من شرم ، فقال مبينا لما أجمل من الحيق^٤ مسيئا عنه لافتا القول إلى ١٠
 مظهر العظمة ترهيا : ﴿ فلما راوا ﴾ أى عابثوا ﴿ باسنا ﴾ أى عذابنا
 الشديد على ما له من العظمة التى^٥ أدنت بها نسبته إلينا و صدور عنا
 ﴿ قالوا أئنا بالله ﴾ أى الذى له مجامع العظمة ، و معاهد العز و نفوذ
 الكلمة ، كما ظهر لنا فى هذا البأس من غير إشكال و لا إلباس ، و أكدوا
 ذلك نافرين لما كانوا فيه [من الشرك - ٦] : بقولهم ﴿ وحده ﴾ و دل على ١٥
 انحلال عراهم و وهى قواهم بزيادة التصريح فى قولهم : ﴿ وكفرنا بما كنا ﴾
 أى جبلة و طبعنا ﴿ به مشركين ه ﴾ لأننا علمنا أنه لا يغنى من دون الله شىء^٧ .

(١-١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : خلف الخافقين (٢) زيد من ظ و م
 و مد (٣) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : وما ل (٤) من ظ و م و مد ،
 وفى الأصل : ينزل (٥) من مد ، وفى الأصل و ظ : الحق ، وفى م : الحيف .
 (٦) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : الذى (٧) من م و مد ، وفى الأصل
 و ظ : شيئا .

و لما كان الكفر بالغيث سببا لعدم قبول الإيمان عند الشهادة قال :

(فلم بك) أى لم يصح ولم يقبل بوجه من الوجوه لأنه لا كون يساعد على ذلك ولا بأدنى درجات الكون، فأشار بكان إلى أن هذا أمر مستقر و شأن مستمر لكل أمة ليس خاصا بالمحدث عنهم و من مضى قبلهم [و - ٢] بحذف لام الكلمة إلى أنهم أمعنوا في الترفق بتقرير الإيمان و تكريره و تصريحه في إطلاقه و تسريحه، و الوقت ضيق و المجال حصر، و قد أزفت الآزفة، ليس لها من دين الله كاشفة، فلم يكونوا لقوات الوقت موفين بما طلب منهم (ينفعهم إيمانهم) أى يتجدد لهم نفعه بعد ذلك لأنه إيمان إجماع و اضطراب لا إيمان طوعية و اختيار ١٠ (لما راوا) [و - ٢] أظهر موضع الإضمحار زيادة في الترهيب فقال : (باسنا) لأن الإيمان لا يتحقق ولا يتصور إلا مع الغيب، و أما عند الشهادة فقد كشفت سريرته على أنه قد فأت حقيقته و صورته، فلو ردوا للعادوا، و لو أتاهم بعد ذلك العذاب لانقادوا، و لهذا السر قال تعالى صارفا القول إلى الاسم المقتضى لمزج الحكمة بالعظمة : (سنت الله) أى ١٥ سن^١ الملك الأعظم المحيط علما و قدرة ذلك في كل دهر سنة، و لذا قال : (التى قد خلت في عبادته) أن الإيمان بعد كشف الغطاء لا يقبل، و كل أمة كذبت الرسل أهلكت، و كل من أجيب إلى الإيمان المقترحة لم يؤمن عذب، سنهاسنة / و أمضاها عزمة، فلا غير لها، فرج

/ ٥٧٩

(١) من م | و بمد، و في الأصل و ظ : يادى (٢) زيد من ظ و م و مد
(٣) زيد من م و مد (٤) زيد في الأصل : الله . و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها

إذ ذاك المؤمنون ﴿ وخسر ﴾ أى هلك أو تحقق وتبين أنه خسر .
ولما كان المكان لا ينفك عن الزمان ، استعير ظرفه له وليدل على غاية
التمكن فقبل : ﴿ هنالك ﴾ أى فى ذلك الوقت العظيم الشأن بما كان
فيه و كان ﴿ الكفرون ﴾ أى العريقون فى هذا الوصف فلا انفكاك
بينهم وبينه ، وقد التف آخرها بما بين من كمال العزة و تمام القدرة ٥
وشمول العلم مما رتب من^١ أسباب الهداية و الإضلال و الإشقاء و الإسهاد
و النجاة و الإهلاك بأولها أى التفاف ، و اكتفت^٢ البداية و النهاية
بيان ذلك مع ما اشتمل عليه الوسط أيضا منه أعظم اكتناف^٣ ، فسبحان
من هذا إنزاله ، و تبارك اسمه و جل جلاله ،^٤ و لا إله سواه و لا حول
و لا قوة إلا بالله - رب سهل يا كريم^٥

١٠

* * * *

(١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : فى (٢) من مد ، وفى الأصل و ظ
وم : اكتشفت (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل و م : اكتشف (٤-٥) سقط
ما بين الرقيين من ظ و م و مد .

سورة حم السجدة وتسمى فصلت

مقصودها الإعلام بأن العلم إنما هو ما اختاره المحيط بكل شيء
 قدرة وعلما من علمه لعباده فشرعه لهم ، فجاءتهم به عنه رسله ، وذلك
 العلم هو الحامل على الإيمان بالله والاستقامة على طاعته المقترن بهما -
 ٥ كما تقدم في الزمر في قوله " هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون " فكون عاقبته الكشف الكلى حين يكون سبحانه سميع العالم الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، وبده الذى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها - إلى آخر الحديث القدسي الذى معناه انه يوفقه سبحانه فلا يفعل إلا ما يرضيه ، وعلى ذلك دل اسمها " فصلت " بالإشارة إلى [ما -]
 ١٠ فى الآية المذكورة فيها هذه الكلمة من الكتاب المفصل لقوم يعلمون ، والسجدة بالإشارة إلى ما فى آيتها من الطاعة له بالسجود الذى هو اقرب مقرب من الملك الديان ، والتسبيح الذى هو المدخل الاول للإيمان ﴿ بسم الله ﴾ الذى لم يرض لإحاطته بأوصاف الكمال من جلال العلم إلا ما اقترن بهما العمل ﴿ الرحمن ﴾ الذى وسع كل شيء رحمة وعلما
 ١٥ ففصل الكتاب تفصيلا وبينه غاية البيان ﴿ الرحيم ﴾ الذى خص العلماء العالمين بسماع الدعوة ونفوذ الكلمة ﴿ حم ن ﴾ [- أى حكمة محمد التى

(١) الحادية والأربعون من سور القرآن الكريم ، وعدد آياتها خمسون وآيتان بصرى وشامى وثلاث مكى ومدنى ، وأربع كوفى - كما فى روح المعاني ٧ / ٤٧٠ (٢) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : يوافق (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : فيما (هـ) زيد من م و مد .

أعجزت

عجزت الخلائق [.

لما ختمت غافر بأن الكفرة جادلوا في آيات الله بالباطل ، وفرحوا
بما عندهم من علم ظاهر الحياة الدنيا ، وأنهم عند البأس انسلخوا عنه
و تبرأوا منه و وجعوا إلى ما جاءت به الرسل فلم يقبل منهم ، فلم أن
كل علم لم ينفع عند الشدة و البأس فليس بعلم ، بل الجهل خير منه ، ه
و كان ذلك شاقا على النبی صلی الله علیه و سلم خوفا من أن يكون آخر
أمر أمته الهلاك ، مع الإصرار على الكفر إلى مجيء البأس ، و ان يكون
أغلب أحواله صلی الله علیه و سلم النذارة ، افتتح سبحانه هذه السورة
بان هذا القرآن رحمة لمن كان له علم وله قوة توجب له القيام فيما
ينفعه ، و كرر الوصف بالرحمة في صفة العموم و صفة الخصوص إشارة
إلى أن أكثر الأمة مرحوم ، / و أعلم أن الكتاب فصل تفصيلا و بين
٥٨٠ / تبينا لا يضره جدال مجادل ، و كيد ماحك ماحل ، و أنه مغن بعجز
الخلق عنه عن اقتراح الآيات فقال [مخبرا عن مبتدأ -] : ﴿ تنزيل ﴾
أي بحسب التدرج عظيم ﴿ من الرحمن ﴾ أي الذي له الرحمة العامة
للكافر و المؤمن بانزال الكتب و إرسال الرسل ﴿ الرحيم ﴾ [أي -] ١٥
الذي يخص رحمته بالمؤمنين بالزامهم ما يرضيه عنهم .

و لما تشوف السامع إلى بيان هذا التنزيل المفرق بالتدرج ، بين

(١) سقط من ظ و م و مد (٢) زيد في الأصل ، هذا ، و لم تكن الزيادة في
ظ و م و مد لخدمتها (٣) زيد من م و مد (٤) في ظ و مد : شوف (هـ) من
ظ و م و مد ، وفي الأصل : المعرق .

أنه مع ذلك حاول لكل خير فقال [مبدلاً من تنزيل - ١]: ﴿كتب﴾
 أى جامع قاطع غالب . ولما كان الجمع ربما أدى^٢ إلى اللبس قال :
 ﴿فصلت﴾ أى تفصيل الجوهر ﴿أينته﴾ أى ينت يانا شافيا فى اللفظ
 والمعنى مع كونها مفصلة إلى أنواع من المعانى ، وإلى مقاطع وغايات
 ٥ رزق جلائل المعانى إلى أعلى النهايات ، حال كونه ﴿قرأنا﴾ أى جامعا
 مع التفصيل ، وهو مع الجمع محفوظ بما تؤديه مادة "قرا" من معنى
 الإمساك . وهو مع جمع اللفظ وضبطه وحفظه وربطه منشور اللواء
 منتشر المعانى لا إلى حد ، ولانهاية [و - ٢] عد ، بل [كلها - ١] دقق
 النظر جل المفهوم ، ولذلك قال تعالى : ﴿عربيا﴾ لأن لسان العرب
 ١٠ أوسع اللسان ساحة ، وأعمقها عمقا واغمرها باحة ، وأرفعها^٣ بناء
 وأفصحها لفظا ، وأينها^٤ معنى وأجلها فى النفوس وقعا ، قال الحرالى :
 هو قرآن لجمعه ، فرقان لتفصيله ، ذكر لتنبهه على ما فى الفطر والجلبات ،
 وجوده^٥ حكيم لإنباته الاقتضاءات الحكيمية ، مجيد لإقامته قسطاس العدل ،
 عربى لبيانته عن كل شئ ، كما قال تعالى فى سورة أحسن القصص ،
 ١٥ وتفصيل كل شئ مبين لمحوه الكفر بما أبان من إحاطة أمر الله ، محفوظ
 لإحاطته حيث لم يختص فيقبل العدول عن سنن .

ولما كان لا يظهر إلا لمن له قابلية ذلك ، وأدمن اللزوم ذلا

(١) زيد من م ومد (٢) من مد ، وفى الأصل وظ وم : ادنى (٣) من م
 ومد ، وفى الأصل وظ : ارفها (٤) فى م : نبتها (٥) من ظ وم ومد ،
 وفى الأصل : وحوزه - كذا .

للأعتاب، والقرع خضوعاً وحباً للأبواب، قال معلماً^١ به فصلت أو تنزيلة
 أو الرحمن الرحيم: ﴿لقوم﴾ أى ناس فيهم قوة الإدراك لما يحاولونه
 ﴿يعلمون﴾ أى فيهم قابلية العلم وتجدد الفهم بما فيهم من سلامة الطبع
 وسلاسة^٢ الانقياد لإبراهيم العقل والسمع وحدة الأذهان وفصاحة اللسان
 وصحة الأفكار وبعد الأغوار، و [فى - ٣] هذا تبكيت لهم فى كونهم لا ينظرون
 بحاسنه فيهدوا بها كما يعتنون بالنظر فى القصائد حتى يقضوا لبعضها على
 بعض حتى^٣ أنهم ليلقون بعضها على الكعبة المشرفة تشريفاً له، وفيه
 حث لهم - وهم أولوا العزائم الكبار - على العلم به ليغتنوا عن سؤال
 اليهود، وفيه بشرى بأنه تعالى يهب العرب بعد هذا الجهل علماً كثيراً،
 وعن هذا الكفر إيماناً عظيماً كبيراً، وفي الآية إشارة إلى ذم المقترحين
 المشار إليهم آخر التي قبلها بأنهم قد آتاهم ما أغنهم عنه من آيات هذا
 الكتاب الذى^٤ عجزوا عن مباراته، ومناظرته ومجاراته^٥ وذلك فى غاية
 الغرابة، لأنه كلام من جنس كلامهم فى كونه عربياً، وقد خالف كلامهم
 فى تخطيه من ذرى البلاغة إلى فن تضاءلت عنها أشعارهم، وتقاصرت
 دونها خطبهم وأبجاءهم^٦، مع كونه ليس شعراً ولا سجعاً أصلاً ولا هو^٧
 من أنواع نثرهم، ولا من ضروب خطبهم، فميجزوا عن / الإتيان بشيء
 ٥٨١ /

(١) من ظ و م ومد، وفى الأصل: معلنا (٢) من م ومد، وفى الأصل
 وظ: سلامة (٣) زيد من م ومد (٤) من م ومد، وفى الأصل وظ:
 على (٥) من ظ و م ومد، وفى الأصل: التى (٦) من م ومد، وفى
 الأصل وم: محاربه (٧) من م ومد، وفى الأصل وظ وم: اشجاءهم.

من مثله في مر الاحقاب. وكر الدهور و الانصار، و كفى بذلك معجزة شديدة الغرابة لمن ينيب .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما تضمنت سورة غافر بيان حال المعادين و جاحدى الآيات ، و ان ذلك ثمرة تكذيبهم و جدلهم ، و كان بناء السورة على هذا الغرض بدليل افتتاحها و ختمها ، ألا ترى قوله تعالى ٥ " ما يعادل في آيت الله الا الذين كفروا " و تأنيس نبيه عليه أفضل الصلاة و السلام بقوله " فلا يغرك تقلبهم في البلاد " فقد تقدم ذلك من غيرهم فأعقبتهم سوء العاقبة و الأخذ الويل " كذبت قبلهم قوم نوح و الاحزاب من بعدهم و هممت كل أمة برسولهم لياخذوه " فعصمتهم واقية " انا لننصر رسلنا " و قال تعالى " و لجدلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاخذتهم فكيف ١٠ كان عقاب " أى رأيت ما حل بهم و قد بلغك خبرهم ، فهلا اعتبر هؤلاء

بهم " اولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا هم اشد منهم قوة و اثارا فى الارض فاخذهم الله بذنوبهم و ما كان لهم من الله من واق " و إنما أخذهم بتكذيبهم الآيات " ذلك بانهم كانت تاتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فاخذهم الله " ثم ذكر تعالى ١٥ من حزب المكذبين فرعون و هامان و قارون ، و بسط القصة تنبيها على سوء عاقبة من عاند و جادل بالباطل و كذب الآيات ، ثم قال تعالى بعد آيات " ان الذين يحادلون فى آيت الله بغير سلطان اشهدهم ان فى

(١) تكرر فى الأصل فقط (٢) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : عن (٣) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : فعصمتهم (٤) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : وصل .

صَدُورِهِمُ الْاَكْبَرُ مَا هُمْ بِيَالِغِيهِ “ اِذْ الْحَوْلُ وَالْقُوَّةُ لَيْسَتْ لَهُمْ ” فَاسْتَعِذْ
 بِاللّٰهِ “ مِنْ شَرِّهِمْ ، خَلَقَ غَيْرَهُمْ لَوْ اسْتَبْصَرُوا اَعْظَمَ مِنْ خَلْقِهِمْ ” لَخَلَقَ
 السَّمَوَاتِ وَالْاَرْضَ الْاَكْبَرَ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ “ وَهُمْ غَيْرُ اَمْنِيْنَ مِنْ الْاِخْذِ
 مِنْ كُلِّ الْخَلْقِيْنَ ” اِنْ نَّشَاءُ نَخْضِفْ بِهِمُ الْاَرْضَ اَوْ نَسْقُطْ عَلَيْهِمْ كِسْفًا
 مِنَ السَّمَاءِ “ ثُمَّ قَالَ تَعَالٰى بَعْدَ هٰذَا ” اَلَمْ تَرَ اِلَى الَّذِيْنَ يَجَادِلُوْنَ فِيْ اٰيَاتِ اللّٰهِ ه
 اَنِّ يَصْرِفُوْنَ “ ، اِنْ اَمْرُهُمْ لَعَجِيْبٌ فِيْ صَرْفِهِمْ عَنْ اسْتِضَاحِ الْاٰيَاتِ بَعْدَ
 بَيَانِهَا ، ثُمَّ ذَكَرَ تَعَالٰى سَوْءَ حَالِهِمْ فِي الْعَذَابِ الْاٰخِرَاوِى وَوَاهِىَ اعْتِذَارَهُمْ
 بِقَوْلِهِمْ ” ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوْا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا “ ثُمَّ صَبَرَ تَعَالٰى نَبِيْهِ
 صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ ” فَاصْبِرْ اِنَّ وَعْدَ اللّٰهِ حَقٌّ “ ثُمَّ اَعَادَ تَنْبِيْهِهُمْ
 فَقَالَ تَعَالٰى ” اَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْاَرْضِ “ اِلَى خَتْمِ السُّورَةِ ، وَلَمْ يَقَعْ مِنْ ١٠
 هٰذَا التَّنْبِيْهِ الَّذِى دَارَتْ عَلَيْهِ اٰى هٰذِهِ السُّورَةِ فِي سُوْرَةِ الزَّمْرِ شَيْءٌ
 وَلَا مِنْ تَكَرُّرِ التَّحْذِيْرِ مِنْ تَكْذِيْبِ الْاٰيَاتِ ، فَلَمَّا بَنِيَتْ عَلَى هٰذَا الْفَرْضِ
 اَعْقَبَتْ بِذِكْرِ الْاٰيَةِ الْعَظِيْمَةِ الَّتِى تَحْدِيْثُ بِهَا الْعَرَبُ ، وَقَامَتْ بِهَا حُجَّةُ اللّٰهِ
 سَبْجَانَهُ عَلَى الْخَلْقِ ، وَكَانَ قِيْلَ لَهُمْ : اِحْذَرُوا مَا قَدِمَ لَكُمْ ، فَقَدْ جَاءَكُمْ
 مُحَمَّدٌ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِاَرْضَاحِ آيَةٍ وَّ اَعْظَمِ بَرَهَانٍ ” تَنْزِيْلٍ مِنَ الرَّحْمٰنِ ١٥
 الرَّحِيْمِ كُتِبَ فَصَلَتْ اٰيَتُهُ قِرَآئًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُوْنَ بَشِيْرًا وَنَذِيْرًا “
 وَتَضَمَّنَتْ هٰذِهِ السُّورَةُ الْعَظِيْمَةُ مِنْ بَيَانِ عَظِيْمِ الْكِتَابِ وَجَلَالَةِ قُدْرِهِ
 وَكِبَرِ الرَّحْمَةِ بِهِ مَا لَا يُوْجَدُ فِيْ غَيْرِهَا مِنْ اَقْرَانِهَا كَمَا اَنَّهَا فِي الْفَصَاحَةِ

(١) فَم : اِذْ (٢) مِنْ ظ و م و مَد ، وَفِي الْاَصْلِ : عَنْ .

نظم الدور (سورة حم السجدة ٤١ : ٣ و ٤) ج - ١٧

/ ٥٨٢

تبر العقول بأول / وهلة ، فلا يمكن العربي الفصيح في شاهد برهانها
أدنى توقف ، ولا يحول في وهمه إلى معارضة بعض أيها أدنى تشوف ،
و أنه لكتاب عزيز " لا ياتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيل
من حكيم حميد " "ولو جعلته قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت آيته ء اعجمي
و عربي " فوبخهم سبحانه و تعالى و أدحض حجتهم و أرغم باطلهم و بكت
دعائهم ثم قال " قل هو للذين امنوا هدى و شفاء و الذين لا يؤمنون
في اذانهم وقر و هو عليهم عمى اوائلك ينادون من مكان بعيد " " انما
يستجيب الذين يسمعون " و قرعهم تعالى في ركيك جوابهم عن واضح
حجته بقولهم ^٢ " قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه و في اذاننا وقر " ^{١٠}
و قولهم " لا تسمعوا لهذا القرآن و الغوا فيه " و هذه شهادة منهم على
أنفسهم بالانقطاع عن معارضته ، و تسجيلهم بقوة عارضته ، ثم فضحهم
بقوله " قل اريدتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به " - الآية ،
و تحملت السورة مع هذا بيان هلاك من عاند و كذب عن كان قبلهم
و أشد قوة منهم ، و هم الذين قدم ذكرهم بحملا في سورة غافر في آيتي
١٥ " ا ولم يسيروا في الارض " [" ا فلم يسيروا " - ^١] فقال تعالى مفصلا

(١) من ظ و مد ، و في الأصل و م : دعاهم (٢) زيد في الأصل : قل ، و لم
تكن الزيادة في ظ و م و مد فخذناها (٣) من م و مد ، و في الأصل و ظ :
بقولهم (٤) من ظ و م و مد ، و في الأصل : تدعونا (٥) من ظ و م و مد ،
و في الأصل : عارضة (٦) زيد من م و مد .

لبعض

(٣٥)

١٤٠

لبعض ذلك الإجمال "فإن عرضوا فقل اندرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود"، ثم قال "فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة"، ثم قال تعالى "فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا" - الآية، ثم قال "وأما ثمود" فبين [تعالى -] حالهم وأخذهم، فاعتضد التحام السورتين، واتصال المقصدين - والله أعلم - انتهى . ٥

ولما كان حال الإنسان إن مال إلى جانب الخوف الهلع أو إلى جانب الرجاء البطر، فكان لا يصلحه إلا الاعتدال، بالتوسط الموصل إلى الكمال، بما يكون لطبعه بمنزلة حفظ الصحة ودفع المرض لبدنه. قال واصفاله قرأنا: (شيرا) أي لمن اتبع (ونذراج) أي لمن امتنع فانقطع - روى أبو نعيم في الحلية في ترجمة إمامنا الشافعي رضي الله عنه ١٠

وأرضاه أنه روى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال في خطبة له: وأعجب ما في الإنسان قلبه، وله مواد من الحكمة وأضداد من خلافها إن سنع له الرجاء ادلهمه الطمع، وإن هاج به الطمع أهلكه الحرص، وإن ملكه اليأس قتله الأسف، وإن عرض له الغضب اشتد به الغيظ، وإن سجد بالرضى نسي التحفظ، وإن ناله الخوف ١٥

شغله الحزن، وإن أصابه مصيبة قصمه الجزع، وإن أفاد مالا أطعاه الغنى، وإن عضته فاقة شغله البلاء، وإن أجهده الجوع قعد به الضعف،

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) زيد في الأصل: النبي الامي أو الله سبحانه والنبي . ولم تكن الزيادة في ظ و م و مد فخذناها (٣) من م و مد، وفي الأصل و ظ: و روى (٤) من ظ و م و مد. وفي الأصل: اذا همه .

فكل تقصير به مضر^١ و كل إفراط به مفسد .

ولما كانت عادتهم دوام الاحتياط في كل بشارة و نذارة بأمر

دنيوى، سبب عن هذا مخالفتهم لعادتهم في ترك الحزم [بالجزم -]

بالإعراض فقال : (فاعرض أكثرهم) أى عن / تجوز شئ من بشارته

/ ٥٨٣

أو نذارته^٢ (فهم) لذلك (لا يسمعون^٣) أى يفعلون فعل من ' لا يسمع

فهم^٤ لا يقبلون شيئاً مما دعا إليه و حث عليه .

ولما أخبر عن إعراضهم، أخبر عن مباعدهم فيه فقال : (وقالوا)

أى عند إعراضهم بمثلين^٥ لمباعدهم في عدم قبولهم : (قلوبنا في اكنة)

أى أغشية محيطة بها ، ولما كان السياق في الكهف للعظمة كان الأنسب

١٠ له أداة الاستعلاء فقال " انا جعلنا على قلوبهم اكنة " و عبروا هنا بالظرف

إيعاداً لأن يسمعوا (بما) أى مبتدئة تلك الأغشية و ناشئة من الأمر

الذى (تدعون^٦) أيها^٧ المخبر بأنه نبي (إليه) فلا سبيل له إلى الوصول

إليها لنفيه أصلاً . ولما كان القلب أفهم لما يرد إليه^٨ من جهة السمع

قالوا : (وفي اذاننا) التى هى أحد الطرق^٩ الموصلة إلى القلوب^{١٠}

١٥ (وقر) أى ثقل " قد أصمهما " عن سماعه (و من بيننا و بينك) أى

(١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : نصير (٢) زيد من م و مد (٣) من م

و مد ، وفى الأصل و ظ : نذارة (٤ - ٥) من ظ و م و مد ، وفى الأصل :

لا يسمعون فيهم (٥) من مد . وفى الأصل و ظ و م : يملين (٦) من م و مد ،

وفى الأصل و ظ : أى (٧) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : عليه (٨) من

ظ و م و مد ، وفى الأصل : الطر (٩) من ظ و م و مد ، وفى الأصل :

القلب (١٠ - ١٠) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : قاصمها .

و مبتدئ من الحد الذى فصلك منا و الحد الذى فصلنا منك فى منتصف المسافة فى ذلك (حجاب) سار كثيف ، فنحن لا نراك لنفهم عنك بالإشارة ، فانسدت طرق الفهم لما تقول (فاعمل) [أى - '] بما تدين به . و لما كان تكرار الوعظ موضعا للرجاء فى رجوع الموعوظ قطعوا ذلك الرجاء بالتأكيد بأداته ، وزادوه بالنون الثالثة والتعير ه بالاسمية فقالوا : (اتناعملون ه) أى بما تدين به فلا مواصلة بيننا بوجه ليستحى أحد منا من الآخر فى عمله أو يرجع إليه ، ولو قال " [و - '] بيننا " من غير " من " لفهم أن اليقين بأسرها حجاب ، فكان كل من الفريقين ملاصقا لبيته ، و هو نصف الفراغ الحاصل بينه وبين خصمه ، فيكون حينئذ كل فريق محبوسا بحجابه لا يقدر على عمل فينا فى ما بعده ١٠ أو يكون بينهما اتصال أقله " بالإعلام بطرق " من أراد من المتباينين الحجاب ، فأفادت " من " التبعض مع إفادة الابتداء ، فانهم لا يثبتون الحجاب فى غير أمور الدين .

ولما أخبروا بأعراضهم و عللوا بعدم فهمهم لما يدعو إليه ، أمره سبحانه بحجاب بين أنهم على محض العناد فقال : (قل) أى لهؤلاء ١٥ الذين عجزوا عن رد شئ من أمرك بشئ يقبله ذو عقل فادعوا ما ينادى

- (١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل و م : تكرير .
 (٣) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : بالتكيد (٤) زيد من م و مد .
 (٥ - ٥) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : بأعلام بطريق (٦) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : أخبر (٧) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : فارغوا .

عليهم بالعجز : ﴿ انما انا بشر مثلكم ﴾ لاغير 'بشر بما' لا يرى ، والبشر يرى بعضه بعضا ويسمعه ويبصره' فقولكم أنه لاوصول لكم إلى رؤيتي ولا إدراك شيء مما أقول بما لا وجه له أصلا . ولما كان ادعائهم لعدم المواصلة بينهم قد تضمن شيئين : أحدهما فيه ، والآخر فيما يدعوا إليه ،

٥ ونقض الأول ، قال في الثاني : ﴿ يوحى الى ﴾ أى بطريق يخفى عليكم ﴿ انما الهكم ﴾ أى الذى يستحق العبادة " ﴿ اله واحد ﴾ لاغير [واحد - '] ، وهذا بما دلت عليه الفطر الأولى السوية ، وقامت عليه الأدلة العقلية ، وأيدتها' فى كل عصر' الطرق النقلية ، وانهقد عليه الإجماع فى أوقات الضرورات النفسانية ، أى لست مغايرا للبشر من

١٠ يخفى عليكم شخصه كالمالك ، ولا يعجم عليهم مراده بصوته كسائر الحيوانات ، ومع كونى بشرا فليست بمغاير لكم فى الصنف بكونى أعجميا ، بل أنا مثلكم سواء فى كونى عربيا ، ومع ذلك كله فأصل ما أوحى إلى ليس معبرا / عنه بجمل طوال تمل أو تنسى ، أو يشكل فهمها' ، وإنما هو حرف واحد وهو التوحيد ، فلا عذر لكم أصلا فى عدم فهمه ولا سماعه

١٥ ولا رؤية قائله .

/ ٥٨٤

ولما قطع حجتهم وأزال علتهم ، سبب عن ذلك قوله :

(١ - ١) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : مبشرا (٢) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : يبصر (٣) زيد فى الأصل و ظ : له ، ولم تكن الزيادة فى م ومد فحذفنا (٤) زيد من م ومد (٥) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : ايدها (٦) من م ومد ، وفى الأصل : يحصر - كذا (٧) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : فهما .

(فاستقيموا) أى اطلبوا و اقصدوا و اوجدوا القوام متوجهين و إن كان فى غاية البعد عنكم (اليه) غير معرجين أصلا على نوع شرك بشفيع ولا غيره . و لما [كان - ٢] أعظم المراد من الوحي العلم و العمل ، و كان رأس العلم التوحيد ففرعه و أمر بالاستقامة فيه ، أتبعه رأس العمل و هو ما أنبأ عن الاعتراف بالعجز مع الاجتهاد فقال : هـ (واستغفروه) أى اطلبوا منه غفران ذنوبكم ، و هو محوها عينا و آثرا [حتى - ٢] لا تعاقبوا عليها و لا تعاتبوا بالندم عليها ، و الإقلاع عنها حالا و مآلا . و لما أمر بالخير ، وغب فيه و رهب من ضده ، فكان التقدير للترغيب : فالفلاح و الفوز لمن فعل ذلك ، فعتطف عليه ما السياق له فقال : (وويل) أى سواة و هلاك (للشركين) .

١٠ و لما كانت العقول و الشرائع ناطقة بأن خلاصة السعادة فى أمرين : التعظيم لأمر الله ، و الشفقة على خلق الله ، و كان [أفضل - ٢] أبواب التعظيم لأمر الله الإقرار بوحديته ، فكان أحسن الأعمال التى بين العبد و ربه الإخلال بذلك ، و كان أحسن الأعمال التى بين العبد و بين الخلق منع ما أوجب الله من الزكاة ، و كان معنى الشرك الحكم بأن ما لا ١٥ شئ له أصلا و ما لا يمكن أن يكون له ملك تام على شئ أصلا قد شارك منه له الكل خلقا و تصرفا فيما هو عليه من الملك التام الذى

(١) فم : القيام (٢) زيد من م و مد (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) فم : مد : أحسن (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : الأخص ، و فى مبد : احسن . (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ارجب .

لا شوب فيه ، وكانت الزكاة إشراك من له ملك غير تام لمثله في جزء
يسير من ماله ، قال ذاما لمن أبى أن يشارك الخلاق وأشرك بالخالق :
(الذين لا يؤتون) أى أمثالهم من أولاد آدم (الزكوة) من المال الذى
لا صنع لهم فى خلقه ، فهو مخلف عن أيهم آدم ، فالقياس يقتضى
اشتراكهم كلهم فيه على حد سواء ، ولكننا رحنا بتخصيص كل
واحد منهم بما ملكت يمينه منه بطريقه ، فقد حكموا فى أمر ربهم بما
لا يرضونه لأنفسهم ، فانهم أبوا أن يشركوا ببذل الزكاة بعض أخوانهم
فى بعض مالهم الذى ملكهم له ضعيف ، وأشركوا ما لا يملك شيئاً أصلاً
بما لا يقع فيه مع المالك المطلق .

١٠ ولما كان مما تضمنه إشراكهم وإنكارهم البعث أنهم أدام شحهم
إلى استغراقهم فى الدنيا والإقبال بكلياتهم على لذاتها ، فأنكروا الآخرة ،
فصار محط حالهم أنهم أثبتوا لمن لا فعل له أصلاً فعلاً لا يمكنه تعاطيه
بوجه ، ونفوا عن الفاعل المختار الذى هم لأفعاله الهائلة فى كل وقت
يشاهدون ، وإليه فى منافعهم ومضارهم يقصدون ، ما أثبت لنفسه من
١٥ فله ، فقال مؤكداً تنبيهاً على أن إنكارهم هذا بما لا يكاد يصدق :
(وهم بالآخرة) أى الحياة التى بعد هذه ولا بد لها (م) أى خاصة
من بين أهل الملل (كفرونه) فاختصوا بانكار شيء لم يوافقهم عليه

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل و م : اشراكهم (٢) من ظ و م ، وفى
الأصل و مد : رحنا (٣) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : ما (٤) من م
و مد ، وفى الأصل و ظ : فاختصوا .

أحد في حق من يشاهدون في كل وقت من أفعاله أكثر من ذلك،
و أثبتوا لمن لم يشاهدوا له فعلا قط ما لا يمكنه فعله أصلا، وهم يدعون
العقول الصحيحة والآراء المتينة ورضوا لأنفسهم بالدناءة في منع
[الزكاة - ١] / و حكموا بأعظم منها على الله وهم يدعون مكارم الأخلاق
ومعالي المهيم، فأصبح بهذه عقولا وأسفل بها هما [فقد - ١] تضمنت ٥
الآية أن الويل لمن اتصف بصفات ثلاثة: الشرك الذي هو ضد التعظيم
لأمر الله، والامتناع من الزكاة الذي هو ضد الشفقة على خلق الله،
وإنكار القيامة المؤدى إلى الاستغراق فيما أبض الله من طلب الدنيا
ولذاتها و [هو - ٢] من الاستهانة بأمر الله، قال الأصهباني: وتام
الكلام في أنه لا زيادة على هذه المراتب الثلاثة أن الإنسان له ثلاثة ١٠
أيام: أمس واليوم والغد، فعرفة أنه كيف كانت أحواله بالأمس في
الازل هو بعمرة الخالق لهذا العالم، ومعرفة كيف ينبغي وقوع
الأحوال في اليوم الحاضر هو بالإحسان إلى أهل العلم بقدر الطاقة، ومعرفة
الأحوال في اليوم المستقبل بالإقرار بالبعث والقيامة، فإذا كان الإنسان
على ضد الحق في هذه المراتب الثلاثة كان في نهاية الجهل والضلال ١٥
ولما ذكر ما للجاهلين وعيدا وتحذيرا، ذكر ما لأضدادهم وعدا
وتبشيرا، فقال مجييا لمن تشوف لذلك* مؤكدا الإنكار من ينكره:

(١) زيد من ظ و م ومد (٢) زيد من م ومد (٣-٣) من م ومد، وفي
الأصل و ظ: هذا الترتيب (٤) من م ومد، وفي الأصل و ظ: أمس.
(٥) من م ومد، وفي الأصل و ظ: بذلك.

(ان الذين امنوا) أى بما آتاهم الله من العلم النافع (وعملوا الصالحات) من الزكاة وغيرها ليكون عليهم شرعا نافعا، ولا كان اقتراح السورة بالرحمن الرحيم مشعرا بأن الاسباب الظاهرية انمحت عند السبب الحقيقي الذى هو رحمته، أعزى الخبر عن الفاء، فقال إيدانا بعظم الجزاء لأن سيه رحمة الرحيم، ولو كان بالفاء لأذنت أنه على مقدار العمل الذى هو سيه: (لهم اجر) أى عظيم (غير ممنون ع) أى مقطوع - جزاء على سماحهم بالفانى اليسير من أموالهم فى الزكاة وغيرها وما أمر الله به من أموالهم وأفعالهم فى الآخرة والدنيا، والممنون: المقطوع من منفى' الحبل أى قطعه بقطع منته' ومنه قولهم: قد منه السفر أى قطعه ١٠ واذهب منته .

ولما ذكر سبحانه سفههم فى كفرهم بالآخرة، شرع فى ذكر الأدلة على قدرته عليها وعلى كل ما يريد بخلق الأكوان وما فيها الشامل لهم ولعبوداتهم من الجمادات وغيرها' الدال على أنه واحد لا شريك له، فقال منكر عليهم [ومقررا بالوصف لأنهم كانوا عالمين بأصل الخلق: ١٠ (قل) أى لمن أنكر الآخرة منكر عليه -] بقولك: (انكم) وأكد لإنكارهم التصريح بما يلزمهم من الكفر (لتكفرون) أى توجدون حقيقة الستر لأنوار العقول الظاهرة (بالذى خلق الارض)

(١) من م ومد، وفى الأصل و ظ : منت (٢) فى م : منته (٣) من مد، وفى الأصل و ظ وم : قوله (٤) من م ومد، وفى الأصل و ظ : غيرهم . (٥) زيد من م ومد (٦) من م ومد، وفى الأصل و ظ : بقوله .

أى على سعتها وعظمتها^١ من العدم (فى يومين) فتكفرون قدرته على إعادة ما خلقه [منها -^٢] ابتداء مع اعترافكم بأنه ابتداء خلقها وخلق ذلك منها، وهذان اليومان الأحد والاثنين - نقل هذا عن ابن عباس رضى الله عنهما وعبد الله بن سلام رضى الله عنه - قال ابن الجوزى : والاكثرين، وحديث مسلم الذى تقدم فى سورة البقرة « خلق الله التربة يوم السبت » هـ يخالف هذا، فإن البداية فيه يوم^٣ السبت وهو مصرح بأن خلق الأرض وما فيها فى ستة أيام كما هو ظاهر هذه الآية، ويحاج بأن المراد بالخلق فيه إخراج أوقاتها بالفعل، والمراد هنا تهيتها لقبول ذلك، ويشكل أيضا بأن الأيام إنما كانت بدوران الأفلاك، وإنما كان ذلك بعد تمام الخلق بالفعل، فالظاهر / أن المراد باليوم ما قال الحرالى : مقدار ما يتم ١٠ / ٥٨٦ فيه أمر ظاهر أو مقدار يومين تعرفونها من أيام الدنيا . ولما ذكر كفرهم بالبعث وغيره، عطف على " تكفرون " قوله : (ونجملون)، أى مع هذا الكفر (له اندادا^٤) مما خلقه، فثبتون له^٥ أفعالا وأقوالا مع أنكم لم تروا شيئا من ذلك، فانكرتم ما تعلمون مثله وأكبر منه، واثبتتم ما لم تعلموه أصلا، هذا هو الضلال المبين . ولما بكتهم على ١٥ قبيح معتمد، عظم ذلك بتعظيم شأنه سبحانه فقال : (ذلك) أى

(١) فى ظ و مد : عظمها (٢) زيد من م و مد (٣) من ظ و م و مد، وفى الأصل : يوم (٤) من ظ و م و مد، وفى الأصل : ذكرهم (٥ - هـ) من ظ و م و مد، وفى الأصل : أفعالكم وأقوالكم (٦ - ٦) من ظ و م، وفى الأصل : اثبتتم ما لم تعلموا، وفى مد : أثبتتم بما لم تعلموه .

الإله العظيم ﴿رب العالمين﴾ أي موجدهم ومريهم، وذلك يدل قطعاً على [جميع - ١] ماله من صفات الكمال.

ولما ذكر^٢ ما هم به^٣ مقرون من إبداعها، أتبعه ما جعل فيها من الغرائب، فقال عاطفاً على ما تقديره: أبداع الأرض على ما ذكر: ﴿وجعل﴾ ولا يجوز عطفه على صلة الموصول للفصل بأجنبي ﴿فيها رواسى﴾

[هي أشدها - ١] وهي الجبال، ونه على أنها مخالفة للرواسي في كونها تحت ما يراد إرساؤه فقال: ﴿من فوقها﴾ ففعتها من الميد، فعل ذلك لكونه أدل على القدرة، فإنها لو كانت من تحت لظن أنها، أساطين حاملة، وتظهر منافع الجبال بها أنفسها وبما فيها، ويشاهد أنها أثقال مفتقرة^٤ إلى حامل. ولما هيأها لما يراد منها، ذكر ما أودعها فقال:

﴿وبُرك فيها﴾ أي جعلها قابلة ميسرة صالحة بالاقوات والمنافع من الذوات والمعانى المعينة على محاسن الأعمال الميسرة للسير إليه والإقبال عليه، ودالة على جميع صفاته الحسنى وأسمائه العلى وغير ذلك من المعارف والقدرة والقوى ﴿وقدر فيها اقواتها﴾ أي جعلها مع البركة على مقدار لانتعاده^٥، ومنهاج بديع دره في الأزل وارتضاه،

وقدره فأمضاه^٦، ومن ذلك أنه خص بعض البلاد بشيء لا يوجد في غيرها لتنظيم عمارة الأرض كلها باحتياج بعضهم إلى بعض، فكان

(١) زيد من م ومد (٢) من ظ وم ومد، وفي الأصل: ذكرهم (٣) زيد في الأصل وظ: من، ولم تكن الزيادة في م ومد لحذفها (٤) من م ومد، وفي الأصل وظ: تفتقر (٥) من م ومد، وفي الأصل وظ: القدرة. (٦) من ظ وم ومد، وفي الأصل: لا يتعدها (٧) من م ومد، وفي الأصل وظ: وأمضاه.

جميع ما تقدم من إبداعها و إبداعها ما ذكر من متاعها، دفعة واحدة لا ينقص عن حاجة المحتاجين أصلا، و إنما ينقص توصلهم أو توصل بعضهم إليه فلا يجد [له - ١] حيثذ ما يكفيه، و في الأرض أضعاف أضعاف كفايته، ثم ذكر فذلك خلق الأرض^١ و ما فيها فقال :

(في أربعة أيام^٢) و هذا العدد عند ضم اليومين [الماضين إلى - ٢] ٥ يومى الآفوات و هما الثلاثاء و الأربعاء، أو يكون المعنى فى تمتة أربعة أيام، و لا يحمل على الظاهر ليكون ستة لأنه سيأتى للسموات يومان^٣ فكانت تكون ثمانية، فتعارض آية "الم السجدة" "الله الذى خلق السموات و الأرض و ما بينهما فى ستة أيام" و فصل مقدار ما [خلقها فيه و مقدار ما - ١] خص الآفوات و المنافع لإحاطة العلم بأنه يخص كل أمر من ١٠ الأمرين يومان، و نص على الأولين ليكون ذلك أدل على القدرة فيحسن موقع النعى عليهم بما فصل به الآيتين من اتخاذ الأنداد، و إنما كان أدل على القدرة، لأنه إيجاد ذوات محسوسة من العدم^٤ قائمة بأنفسها بخلاف البركة، و تقدير الآفوات فإنه أمر لا يقوم بنفسه، فلم يفرد يوميه^٥ بالذكر، بل جعلها تابعين كما أن ما قدر فيها تابع، و لم يفعل ١٥ ذلك فى أقل من ملح البصر مع تمام القدرة عليه، لأن هذا أدل على الاختيار و أدخل فى الابتلاء و الاختبار. ليضل / به كثيرا و يهدى

٥٨٧ /

(١) زيد من م و مد (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ : الله (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل و م : يومين (٥) من ظ و مد، و فى الأصل و م : العدد (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ : يومه .

به كثيرا، فيكون أعظم لأجورهم لأنه أدل على تسليمهم، وجعل مدة خلقها ضعف مدة السماء مع كونها أصغر من السماء دلالة على أنها [هى - '] المقصودة بالذات لما فيها من الثقلين، فزادت بما فيها من كثرة المنافع وتبين أصناف الأعراض والجواهر لأن ذلك أدخل في المنة على سكانها، والاعتناء بشأنهم وشأنها، وزادت أيضا بما فيها من الابتلاء بالتهيئة للعاصي والمجاهدات والمعالجات^١ التي يتنافس فيها الملا^٢ الأعلى ويتخاصم - كل ذلك دلالة على أن المدة ما هى لأجل القدرة بل لأجل التنبيه على ما فى المقدر من المقدور ومعجائب الأمور، ولعلم أيضا بخلق السماء التى هى أكبر جرما وأتقن جسما وأعظم زينة وأكثر ١٠ منافع^٣ بما لا يقاس^٤ فى أقل من مدة خلق الأرض أن خلقها فى تلك المدة ليس للمعجز عن إيجادها فى أقل من اللح، بل لحكم تعجز عن حملها العقول، ولعل تخصيص السماء بقصر المدة دون العكس لإجراء أمرها [على - '] ما تتعارفه^٥ من أن بناء السقف^٦ أخف من بناء البيت تنبها على أنه بنى أمر دارنا هذه على الأسباب^٧ تعلما للتأني وتدريرا^٨ ١٥ على السكينة والبعد من العجلة .

- (١) زيد من م ومد (٢) من ظ وم ومد . وفى الأصل : المصالحات .
 (٣) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : منافع (٤) من م ومد ، وفى الأصل
 وظ : لا يقاسى (٥) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : تتقاده (٦) من م
 ومد ، وفى الأصل وظ : المسقف (٧-٧) من م ومد ، وفى الأصل وظ :
 تعلما على التأني وتدريرا .

و لما كان لفظ "سواء" الذى هو بمعنى العدل الذى لا يزيد عن'
 [النصف ولا ينقص يطلب اثنين، تقول: سواء زيد وعمرو "الى كلمة سواء
 بيننا وبينكم" قال تعالى -^٢] مزيلا^٢ لما أوهمه قوله "اربعة أيام"
 من أنها للاقوات والبركة ليكون مع يومين من الارض ستة، ناصبا
 على المصدر: ﴿سواء﴾ أى التوزيع إلى يومين ويومين على السواء ه
 ﴿للسائلين ه﴾ أى لمن سأل أو كان بحيث يسأل و يشتد بحته بسؤال أو نظر
 عن التوفيق بين ظاهر هذه الآية وبين غيرها، ولا يتأتى السواء إلا بين
 يومين ويومين [لا بين يومين -^٤] و أربعة، لا يزيد أحد الشقين من
 اليومين على اليومين الآخرين ذرة بعلم محيط و قدرة شاملة، وإيس ذلك
 كأيام الدنيا، لا بد فى [كل -^٢] يوم منها من زيادة عن* الذى قبله أو نقص، ١٠
 و مجموع الاربعة كأربعة من أيام الدنيا لا يزيد عليها ولا تنقص، و قراءة
 يعقوب^٣ بجر "سواء" معينة لأن تكون نعتا^٢ له اربعة، و قراءة أبى جعفر
 بالرفع خبر لمبتدأ^٤ محذوف، وعن خلقها و تميمها [فى -^٢] اربعة
 أيام كانت فصولها أربعة^٥، قال ابن برجان: ألا ترى الأمر ينزل إلى
 السماء أولا فى إنزال الماء فيخلق فيها هنالك ثم ينزله إلى الارض والنبات ١٥

(١) من ظ و م و مد، وفى الأصل: على (٢) زيد من م و مد (٣) من ظ
 و م و مد، وفى الأصل: من بلا (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من م و مد،
 وفى الأصل و ظ: على (٦) راجع نثر المرجان ٦ / ٢٨٣ (٧) من م و مد، وفى
 الأصل و ظ: وصفا (٨) فى م و مد: مبتدأ (٩) زيد فى الأصل: انتهى، ولم
 تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

والحيوان. عن الماء الذى ينزل من السماء إلى الأرض بمنزلة النسل بين الذكر والآثى و بمنزلة تسخير السماء و الأرض و ما بينهما لما وجدتا له فافهم - أمر قويم و حكمة شائعة آية ذلك قضاؤه بركات الأرض فى أربعة أيام بواسطة ما قدر فى السماء من أمر و هى الأربعة الفصول^١ من السنة. ٥ الشتاء و^٢ الربيع و الصيف^٣ و الخريف، فهذه الأيام معلومة بالمشاهدة، فيهن يتم زرع الأرض و بركات الدنيا و جميع ما يخرج منها من فوائد و عجائب، قال : و قوله «للسائلين» تعجيب و إغراب و تعظيم للراد المعنى بالخطاب، و قد يكون معنى السواء زائدا إلى ما تقدم أن بهذه الأربعة الأيام استوت السنة مضالها و مغاربها و قربها و بعدها و ارتفاعها و نزولها ١٠ فى شمالى و روجها و جنوبها^٤ باحكام ذلك كله و توابعه - انتهى . و لما كانت السماوات أعظم من الأرض فى ذاتها بنور / أبنيتها و اتساعها [و زينتها - ^٥] و دوران أفلاكها و ارتفاعها^٦، نبه على^٧ ذلك بالتعبير بأداة التراخى، و لفظ الاستواء و حرف الغاية الدال على عظيم العناية^٨ فقال : (^٩ ثم استوى^١) أى^٨ قصد قصدا هو القصد منتها قصده ١٥ (إلى السماء و هى) أى و الحال أنها (دخان) بعد ما فتقها من

(١) من ظ و مد، و فى الأصل و م : فصول (٢-٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ : الصيف و الربيع (٣) من مد، و فى الأصل و ظ و م : جنوبها. (٤) زيد من م و مد (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل : اتساعها (٦) من مد، و فى الأصل و ظ و م : عن (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ : الغاية. (٨-٩) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط .

الأرض ، قالوا : كان ذلك الدخان بخار الماء فهو مستعار من المرتفع من النار ، وهو تشبيه صوري ، فالسما^١ متقدمة في الدخانية على الأرض ، تقدم^٢ الذكر على^٣ الأثني ثم خلقت ذات الأرض و بعد تصوير السماء وتسميها دحيت أثني [الأرض - ٢] وسويت لذكر السماء ، قال ابن برجان : فالذي يعتقد أن السماء أولا^٤ إيجادا وتسميها^٥ والأرض بعدها^٥ إيجادا ورتبة ، وأيام الخلق يومان لإيجاد الأرض ويومان لتسوية السماء بعد أن كانت دخانا ، ويومان لتسميم المنافع فتدخلت الأعداد لتدخل الأفعال^٦ . (فقال لها) أى عقب هذا الاستواء (و الأرض) بعد خلقها وقبل دحوها : (اتبيا) أى تعاليا وأقبلا^٧ مواتيتين مقارنتين^٨ لما قدرته فيكما وأردته منكما من إخراج المنافع من المياه والنبات والمعادن^٩ . و غيرها ، ووضع المصدر موضع الحال مبالغة فقال : (طوعا أو كرها^{١٠}) أى طاعتين أو كارهتين في إخراج ما أودعتهما من الأمانة في أوقاتها وعلى ما ينبغي من مقاديرها وهياتها طوع تسخير لا تكليف

(١) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : و السماء (٢ - ٢) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : ذكر (٣) زيد من م و مد (٤ - ٤) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : وإيجادا وتسميها (٥) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : بعد (٦) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : لسوية (٧) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : الا (٨) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : أقبلا ، وزيد في الأصل بعده : متوالين ، ولم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٩ - ٩) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : متواتين مقارنتين .

(قَالَاتَا إِنِنَا) أى نحن وما فينا وما يتنا .

ولما جعلهما موضع المخاطبة التى هى للعقلاء والتكلم، قال جامعاهما باعتبار أفرادهما وما فيها جمع من يعقل : (طَائِعِينَ هـ) أى فى كل ما رسمته فينا لانهمل من ذلك شيئا بل نبذله على ما أمرت به لا نغير هـ ولا نبذل، وذلك هو بذلها للأمانة، وعدم حملها، وجمع الأمر لهما فى الإخبار لا يدل على جمعه فى الزمان، بل قد يكون القول لهما متعاقبا (فَقَضَيْنَ) أى خلقهن وصنعهن حال كونهن معدرات (سَبْعَ سَمُوتٍ) صنعا نافذا^١ هو كالقضاء^٢ لا تخلف [فيه -^٣] (فى يومين) أى الخميس والجمعة إذا حسب^٤ مقدار ما يخصهن من التكوين فى الستة الأيام^٥ التى ١٠ كان فيها جميع الحافقين، وما بينهما كان بمقدار ما خص واحدا من الأرض ومن أقواتها لا يزيد على مدة منها ولا ينقص، فيكون الذى خصهما تلك المجموع، قال ابن جرير^٦ : وإنما سمي^٧ [يوم -^٨] الجمعة^٩ لأن الله تعالى جمع فيه خلق السماوات والأرض . يعنى فرغ من ذلك وأتمه (واوحى) أى ألقى بطريق خفى وحكم مبتوت قوى

(١) من ظ و م و مد، وفى الأصل : الاختبار (٢) من م و مد، وفى الأصل و ظ : نافذ (٣) من مد، وفى الأصل و ظ و م : القضا (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) زيد فى الأصل و ظ : ما، ولم تكن الزيادة فى م و مد لخذلتاها (٦) من مد، وفى الأصل و ظ و م : أيام (٧) فى تفسيره ٥٨ / ٢٤ . (٨) من ظ و م و مد والتفسير، وفى الأصل : سميت (٩) زيد من التفسير . (١٠) زيد فى الأصل : جمعة، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد والتفسير لخذلتاها .

(في كل سماء امرها^١) أى الأمر الذى دبرها^٢ و در منافعها به على نظام محكم لا يتخلل ، و زمام^٣ مبرم [لا يتحلل - ٢] .

و لما عم ، خص ما للتي تلينا إشارة إلى تشریفنا ، فقال صارفا القول إلى مظهر العظمة تنبيها على ما فى هذه الآية من العظم : (و زينا)

أى بما لنا من العظمة (السماء الدنيا) أى القربى إليكم لأجلكم ٥ (بمصايح دلمه) من زواهر النجوم ، و شفوفا عنها لا ينافى أن تكون

في غيرها بما^٤ هو / أعلى منها ، و دل السياق على أن المراد : زينة (و) / ٥٨٩ / حفظناها بها (حفظا^٥) من الشياطين ، فالآية من الاحتباك : حذف فعل الحفظ بدلالة المصدر ، و مصدر الزينة بما دل عليه من فعلها .

و لما كان [هذا - ٢] أمرا باهرا ، نبه على عظمته بقوله صارفا الخطاب ١٠

إلى صفى العزو العلم إعلاما بأنها أساس العظمة و مدارها : (ذلك)

[أى - ٢] الأمر الرفيع و الشأن البديع (تقدير العزيز) الذى لا يغلبه

شئ ٥ و هو يغلب كل شئ (العلم ٥) المحيط علما بكل شئ ٥ و كما قدر

سبحانه ذلك بعزته و علمه قضى أنه لا يفيد العز الدائم إلا ما شرعه من

العلم ، و فى ختمه بالوصفين بشارة للامة التى خوطبت بهما^٦ أنه يؤتيها ١٥

من عزه و علمه^٧ لاسيما بالهبة و ما شاكلها من الطوائع و غيرها ما لم يؤت

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : دبره (٢) من ظ و م و مد ، و فى

الأصل : رما (٣) زيد من م و مد (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ما .

(٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بها (٧) من

ظ و م و مد ، و فى الأصل : عليها .

نظم الدرر (سورة حم السجدة ٤١ : ١٣ و ١٤) ج - ١٧

أمة من الأمم قبلها، [وسر خلقه سبحانه العالم في مدة ولم يكن في لحظة وجعلها ستة لا أقل ولا أكثر أنه لو خلقه في لحظة لكان ذلك شبهة لمن يقول: إنه فاعل بالذات لا بالاختيار، فاقضى الحال عدداً، ثم اقتضى الحال أن يكون ستة لأنها أول عدد يدل على الكمال لأنها عدد تام كسورها لا تزيد عنها ولا تنقص، فأذن ذلك بان للفاعل نعوت الكمال وأوصاف التمام 'والتعال'، ولم يخلقها فيما دون ذلك من العدد لأنه ناقص، وخلق الأرض في يومين لأن الاثنين عدد يدل على الفردانية فهو قائد للعبيد إلى التوحيد، وجعل اليومين مكررين باعتبار الذات والمنافع إيداناً بما يقع فيها من المعصية بالشرك الذي هو تثنية وإفك، ولم يكرر في السماء لأن آياتها أدل على التوحيد ولم يحصل من أهلها ما يدل على الوعيد، وليكون إيجادها في أقل من مدة الأرض - مع أنها أكبر جرماً وأعجب صنفاً وأتقن جسماً - أدل على الفعل بالاختيار بعجائب الحكم وغرائب الأسرار الكبار - '] .

ولما كان هذا القدر من العلم موجبا للانقياد لكل خير من الوحدة وغيرها، والإقبال على الحق في كل أمر، فكان المتماهى على إعراضه قبل الوعظ [به - '] كأنه جدد إعراضاً غير إعراضه الأول، قال مفصلاً بعض قوله " فاعرض أكثرهم " : (فان عرضوا) أى استمروا على إعراضهم، أو أعرض غيرهم عن قبول ما جتهد به .

(١) من مد . وفي الأصل : عدد (٢ - ٢) ليس ما بين الرقين من مد (٣) من مد، وفي م : الحكمة (٤) زيد ما بين الحاجزين من م و مد (٥) من م و مد، وفي الأصل و ظ : منه .

من الذكر بعد هذا البيان الواضح في هذه الآيات التي دلت على الوحداية والعلم والقدرة وغيرها من صفات الكمال أتم دلالة ﴿ قفل ﴾ أى لهم: إن لكم سلفا سلكتم طريقهم في العناد، فإن أيتهم إلا الإصرار الحقاكم^١ بهم كأثمالم^٢ وهو معنى ﴿ انذرتكم ضعة ﴾، أى حلول صاعقة مهياة لمن كشف له الأمر فعاند، فإن وظيفة الحجة قد تمت^٣ ه على أكمل الوجوه. قال البغوى^٤ وابن الجوزى: والصاعقة المهلكة من كل شيء - انتهى . والحاصل أنه عذاب شديد الوقع كأنه^٥ في شدة وقعه صاعقة .

ولما كان التخويف بما تسهل مشاهدة مثله أوقع في النفس قال: ﴿ مثل ضعة عاد و ثمود ﴾ أى الذين تنظرون ديارهم وتستعظمون^{١٠} آثارهم، وعلل إيقاع ذلك [بهم -^١] بقوله: ﴿ اذ ﴾ ويجوز أن يكون ظرفا^٢ لصاعقة وظرفيته لاتنافى عليه^٣ أى حين ﴿ جاءتهم الرسل ﴾ لأن الزمان الطويل يجوز نسبة ما وقع في جزء منه إليه . ولما كانت الرسل إنما أتت بالفعل في بعض الزمان أدخل الجار فقال: ﴿ من بين أيديهم ﴾ أى من قبلهم لأن النذير الأول نذير لكل من أتى بعده بأنه إن واقع^{١٥} ما واقعه أتاه ما عذب به ﴿ ومن خلفهم ﴾ وهم من أتى إليهم لأنهم

(١) من ظ و م و مد، وفي الأصل: الحق معكم (٢) سقط من م (٣) من م و مد، وفي الأصل: تقدمت (٤) راجع المعالم بهامش الباب ٨٩/٦ (٥) من ظ و م و مد، وفي الأصل: وانه (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) من ظ و م و مد، وفي الأصل: ظرف (٨) من ظ و م و مد، وفي الأصل: علته .

نظم الدرر (سورة حم السجدة ٤١ : ١٤) ج - ١٧

لم يكونوا يعلمون^١ إتيانهم، فالحلف كناية عن الخفاء، و القدم عن الجلاء،
ولاشك أن الإنسان لما انتقاد له من قبله فسمع منه أقبل مما رآه
بعينه، لأن النفس لا انتقاد لما خالفها إلا بعد 'جدال و جهاد'، فإذا تنازل
الزمن^٢ وانتقاد له الغير، سهل عليها الأمر، وخف عليها الخطب، و أيضا
٥ الآتي إلى ناس إنما يأتيهم بعد وجودهم و بلوغهم حد التكليف، فهو
بهذا آت إليهم من ورائهم أي بعد وجودهم أو يكون ما بين الأيدي
هو من جاءهم لأنهم علموا بمجيئه / علم من ينظر من^٣ قدامه، و ما خلفهم
١٠ ما غاب عنهم^٤ ممن تقدمهم، فلم تنقل إليهم أخبارهم إلا على وجوه
تحتل الطعن^٥، أو المعنى: أتاهم رسولهم الذي هو باظهار المعجزة كجميع
الرسل بالوعظ من كل جانب يخفى عليهم أو يتضح لهم و اعمل^٦ فيهم
كل حيلة بكل حجة حتى لم يدع لهم شبهة، ثم بين أن مجيء الرسل ينفي
عبادة غير الله وقصر العبادة عليه، فقال مظهرها مع العبادة الاسم الذي
هو أولى بها^٧: (ان): أي بأن قالوا لهم (لا تعبدوا الا الله) أي
الذي له جميع صفات^٨ الكمال.

/ ٥٩٠

(١) من ظ و م و مد، وفي الأصل: يعلموا (٢-٣) سقط ما بين الرقين من
ظ و م و مد (٣) في م: الزمان (٤) من مد، وفي الأصل و ظ: إلى، وفي
م: ما (٥) من مد، وفي الأصل و ظ: إلى، وفي م: ما (٦-٧) سقط ما بين
الرفين من مد (٧) من ظ و م و مد. وفي الأصل: الظن (٨) من ظ و م
و مد، وفي الأصل: عمل (٩) من مد، وفي الأصل و ظ و م: لها،
وزيد في الأصل و ظ بعده: فقال، ولم تكن الزيادة في م و مد لحذفها
(١٠) سقط من ظ و م و مد.

ولما

(٤٠)

١٦٠

• لما كان هذا موضعاً تشوف السامع إلى خبرهم عند ذلك اجابه^١
 بقولهم: ﴿ قالوا ﴾ أى كل منهم: ﴿ لو شاء ربنا ﴾ أى^٢ الذى ربانا احسن
 رية وجعلنا من خواصه بما جانا به من النعم أن يرسل إلينا رسولا
 ﴿ لا نزل ﴾ أى إلينا ﴿ ملثمة ﴾ فأرسلهم إلينا بما يريد منا لكنه
 لم ينزل ملائكة فلم يشأ أن يرسل رسولا ، فتسبب عما قالوه من القياس^٥
 الاستثنائي الذى استنجوا فيه من نقيض تاليه نقيض مقدمه ، لما جعلوا
 بين المقدم و التالى من الملازمة بزعمهم قولهم: ﴿ فانا بما ﴾ أى بسبب
 الذى • ولما كانوا لم ينكروا مطلق رسالتهم ، إنما أنكروا كونها من الله ،
 بنوا للجهول قولهم مغلبا تعالى فى الترجمة^٦ عنهم للخطاب على الغيبة لأنه
 أدخل فى بيان قلة أدبهم: ﴿ أرسلتم ﴾ [أى -^١] أيها الرسل ومن كان^{١٠}
 على مثل حالهم من البشر ﴿ به ﴾ [أى -^٢] ما تزعمون خاصة
 لا بغير ما أرسلتم به عما أزل به ملائكة مثلا ﴿ كفرون • ﴾ لأن قياسنا
 قد دل على أنه تعالى لم يشأ الإرسال ، فأنتم لستم بمرسل عنه لأنكم بشر
 لا ملائكة وقد كذبوا فى قياسهم الذى لم يأخذه عن عقل و لا نقل لأنه
 لا ملازمة بين مشيئة الإرسال إلى الناس كافة أو إلى أمة منهم وبين^{١٥}
 أن يكون المرسل إليهم كلهم ملائكة .

- (١) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : اجابوا (٢) فى ظ و مد : بقوله .
 (٣) سقط من م و مد (٤) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : الاستثناء .
 (٥) فى مد : انتجوا (٦-٦) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : بالترجمة .
 (٧) زيد من م و مد .

ولما جمعهم فيما اجتمعوا فيه حتى كانوا تواسوا به ، فصل ما
 اختلفوا فيه فقال مسيا عما مضى من مقالهم : ﴿ فاما عاد ﴾ أى قوم
 هود عليه الصلاة والسلام ﴿ فاستكبروا ﴾ أى طلبوا الكبر وأرجدوه
 ﴿ فى الارض ﴾ أى كلها التى كانوا فيها بالفعل وبقيتها بالقوة ، أو فى
 الكل بالفعل لكونهم ملكوها كلها . ولما كان الكبر قد يكون بالحق
 كما على من خالف أمر الله قال : ﴿ بغير الحق ﴾ أى الأمر الذى يطابقه
 الواقع ، وهو إنكار رسالة البشر ، فان اتواقع إرسالهم ﴿ وقالوا ﴾
 أى وضموا إلى استكبارهم على قبول ما جاءهم من الحق أن قالوا
 متعاضمين على أمر الله بما آتاهم الله من فضله : ﴿ من اشد مناقرة ﴾
 ١٠ فحن نقدر على دفع ما يأتى من العذاب الذى يهددنا به هود عليه الصلاة
 والسلام لأنهم كانوا أشد الناس قوى واعظمهم أجساما .

ولما كان التقدير أن يقال إنكارا عليهم : ألم يروا أن الله لو شاء
 لجعلهم كغيرهم ، عطف عليه قوله : ﴿ او لم يروا ﴾ أى يعلموا علما كما
 هو كالمشاهدة لأنه غريزة فى الفطرة الأولى فهو علم ضرورى ﴿ ان الله ﴾
 ١٥ أى المحيط بكل شئ . قدرة وعلما ﴿ الذى خلقهم ﴾ ولم يكونوا شيئا
 ﴿ هو اشد منهم قوة ﴾ ومن علم أن غيره أقوى منه و كان عاقلا

(١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : مهكوها (٢) من ظ و م و مد ، وفى
 الأصل : لا يطابقه (٣) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : على (٤) من م و مد ،
 وفى الأصل و ظ : هددنا (٥) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : جعلهم .
 (٦) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : ان .

انقاد له فيما ينفعه ولا يضرد. واجتماع / قوتهم التي هي شدة البنية وقوته سبحانه التي هي كمال القدرة وهي صفة قديمة قائمة بذاته سبحانه إنما هو في الآثار الناشئة عن القوة، فلذلك جمعا بأشد.

ولما بين أنهم أوجدوا الكبير، عطف عليه من غرازم ما [هو -']
 اصل لكل سوء، فقال [مينا فرط جهلهم باجترانهم على العظمة التي ه
 شأنها قسم الظالم وأخذ الآثم -'] : (وكانوا) أى طبعاً لهم (نائيتنا)
 على ما لها من العظمة بنسبتها إلينا (يحدون ه) أى ينكرون إنكاراً
 يضمنحل عنده كل إنكار عنادا مع علمهم بأنها من عندنا (فارسلنا)
 بسبب ذلك على ما لنا من العظمة، ودل على صغارهم وحقارتهم بأداة
 الاستعلاء فقال: (عليهم) وزاد في تحقيرهم بأن أخبر أنه أهلكتهم ١٠
 لأجل ما تعزوا به من قوة أبدانهم وثاقة خلقهم بما^٢ هو من أطف
 الأشياء جسماً وهو الهواء فقال: (ربحا) أى عظيمة (صرصرا)
 أى شديدة الورد والصوت والمصوف حتى كانت تحمد البدن ببردها
 فيكون كأنها تصره^٣ - أى تجمع - في موضع واحد فتمنعه التصرف
 بقوته، وتقطع القلب بصوتها، فتقهر شجاعته، وتحرق بشدة بردها ١٥
 [كل -'] ما مرت عليه .

ولما تقدم في هذا السياق استكبارهم على الوجه المذكور وادعاؤهم

(١) زيد من ظ و م ومد (٢) زيد من م ومد (٣) من م ومد، وفي
 الأصل و ظ : لا (٤) من ظ و م ومد، وفي الأصل : سما (٥) من م ومد،
 وفي الأصل و ظ : نضره .

انهم اشد الناس قوة اقضى الحال تحريم في إهلاكهم ، فذكر الأيام
دون الليالي وإن تضمنتها فقال تعالى : (في أيام) [ولما كان -^١]
جمع القلة [قد -^٢] يستعار للكثرة^٣ حتى أن المراد القلة بوصفه بجمع
السلامة فقال : (تحسات) وكان ذلك أدل على هذا المراد من أفراد
هـ اليوم كما في القمر لأنه قد يراد به زمان يتم فيه امر ظاهر ولو طال
مدته ، ويصح للجنس فيشمل مع القليل ما يصلح له جمع الكثرة .
وفيه - مع أنه نذارة - ' رمز للزل ' عليه هذا الوحي صلى الله عليه
وسلم بأعظم بشارة بما أوما إليه افتتاح السورة باسمي الرحمة ، وقوله
تعالى " لقوم يعلمون " من أنه يكون لقومه قوة وعلم ، ومن قرن
النذارة بالبشارة في قوله " بشيرا ونذيرا " ومن جعل أيام هذا العذاب
ثمانية ، أشار إلى الحلم والتأني كما أشار إليه ما تقدم من خلق هذا
الوجود في ستة أيام ، وقد كان قادرا على كل من التعذيب والإيجاد
في لحظة [واحدة -^٢] ، فأشار ذلك إلى أنه في السنة السادسة من الهجرة
يكون الفتح السبي بعمره الحديدية التي كانت سبب نزول سورة الفتح ،
١٥ وفي السابعة يكون الاعتماد الذي كان عليهم أشد من وقوع الصارم
البار ، حتى ذهب عمرو بن العاص من أجل ذلك إلى الحبشة لئلا يرى
من دخول النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم ما لا صبر له

(١) زيد من ظ و م ومد (٢) زيد من م ومد (٣) من ظ و م ومد ، وفي
الأصل : لكتو (٤-٤) من م ومد ، وفي الأصل و ظ : عن المنزل (هـ) من
م ومد ، وفي الأصل و ظ : قوم .

عليه، وفي الثامنة يكون الفتح الحقيقي بعشرة الآف مقاتل أكثرهم دارع^١.
لا يرى منهم إلا الحدق، حتى خالوا بياض لأمهم السراب، فظنوا بهم
غاية العذاب، فكانوا^٢ رحمة، وعاد رأوا السحاب فظنوه رحمة فكان^٣ عذابا
ونقمة، و وصفها بالنحس مبالغة / مثل 'رجل عدل' يدل على أنها كانت

٥٩٢ /

قابلة لانفعال^٤ الجسد وما كان^٥ فيه من القوى^٦ بهذه الريح، وهو مصدر
جمع لاختلاف أنواع النحس فيها - هذا على قراءة الجماعة^٧ بسكون الحاء،
وأما قراءة ابن عامر والكوفيين بكسر الحاء فهي صفة من فعل بالكسر
مثل: فرح فهو فرح، وأول هذه الأيام^٨ الأربعاء في قول يحيى بن سلام^٩،
وقال غيره: وما عذب^{١٠} قوم إلا يوم الأربعاء (لنديهم) وأضاف
الموصوف إلى صفته على المبالغة من وادى رجل عدل فقال: ١٠

(عذاب الخزي) أي الذي يهينهم ويفضحهم ويذلهم بما تعظموا^{١١}
وافتخروا على كلمة الله التي آتتهم بها رسله، و" وصف العذاب بالخزي
الذي هو للعذب به مبالغة في إخزائه له (في الحياة الدنيا) لذلوا عند^{١٢}

- (١) من ظ و م ومد، وفي الأصل: وداع (٢) من م ومد، وفي الأصل
وظ: وكانوا (٣) من ظ و م ومد، وفي الأصل: وكان (٤) من م
ومد، وفي الأصل وظ: لانقال (٥) سقط من مد (٦) من م ومد، وفي
الأصل وظ: القوة (٧) راجع نثر الرجان ٢٩١/٦ (٨) سقط من م (٩) وفي
البحر المحيط ٤٩١/٧: وقال يحيى بن سلام: يوم الأحد (١٠) من ظ و م
ومد، وفي الأصل: عدم (١١) من م ومد، وفي الأصل وظ: تعظموا.
(١٢) سقطت الواو من م ومد (١٣) من م ومد، وفي الأصل وظ: عن.

من تعظموا عليهم في الدار التي اغتروا بها فتعظموا فيها ، فان ذلك أدل
على القدرة عند من تفيد بالوم (و لعذاب الآخرة) الذي أعد للتكبرين
(اخزى) أى أشد إخزاء كما قالوا : هو اعطاهم للدراهم وأولاهم للعروف ،
وأكد لإنكارهم له . ولما انتفت مدافعتهم عن أنفسهم ، نفى دفع غيرهم
ه فقال : (و هم) أى أصابهم هذا العذاب وسيصيبهم عذاب الآخرة
والحال انهم (لا ينصرونه) أى لا يوجد ولا يتجدد لهم نصر أبدا
بوجه من الوجوه .

ولما انتهى امر صاعقتهم ، شرع في بيان صاعقة ثمود فقال :
(و اما ثمود) وهم قوم صالح عليه الصلاة والسلام (فهديتهم)
١٠ [أى - ٢] بينا لهم طريق الهدى من أنا قادرون على البعث وعلى
كل شيء ، فلا شريك لنا ، وكان بيان ذلك بالناقصة غاية البيان فأبصروا
ذلك بأبصارهم التي هي سبب أبصار بصارهم غاية الإبصار ، ففكروها
ذلك لما يلزمه من تنكب طريق آباتهم وأقبلوا على لزوم طريق آباتهم :
(فاستجوا العمى) أى الضلال الناشئ عن عمى البصر أو البصيرة
١٥ أو هما معا (على الهدى) أى أوجدوا من الأفعال والآقوال ما يدل

(١) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : انتهزوا (٢) من ظ و م و مد ، وفي
الأصل : لقد (٣) زيد من مد (٤ - ٤) وقم ما بين الرقيين في الأصل و ظ بعد
" طريق الهدى " والترتيب من م و مد (٥ - ٥) من ظ و م و مد ، وفي
الأصل : أبصارهم (٦ - ٦) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : فكسر - مع يسير
من البياض (٧ - ٧) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : بك طريقا - مع يسير
من البياض .

على حب ذلك وعلى طلب حبه فعموا فضلوا، وقال القشيري: قيل: إنهم آمنوا وصدقوا ثم ارتدوا و كذبوا، فأجرام مجرى إخوانهم في الاستصال. (فاخذتهم) أى بسبب ذلك أخذ قسر وهوان (ضعفة العذاب) وأبلغ في وصفه يجعله نفس الهون فقال: (الهون) أى ذى الهون، قامت ضمته مقام ما فى الهوان من الصيغة فعلم أن المراد أنه المهين المخزى (بما كانوا) أى دائما (يكسبون) أى يتجدد تحصيلهم له وعدم له فائدة، فالآية من الاحتباك: ذكر الهداية أولا دليلا على حذف الضلال 'ثانيا' والعمى 'ثانيا' دليلا على حذف الإبصار أولا، وسره أنه نسب إليه اشرف فعليه، وأسند إليهم ما لا يرضاه [ذو روح - ١] .

١٠

ولما آم الخبر عن الكافرين من الفريقين، أتبعه الخبر عن مؤمنهم بشارة لمن اتبع النى صلى الله عليه وسلم ونذارة لمن صد عنه فقال: (ونجينا) [أى - ١] تنجية عظيمة (الذين آمنوا) أى أوجدوا هذا الوصف ولو على أدنى وجوهه من الفريقين (وكانوا) أى كونا عظيما (يتقون) أى يتجدد لهم هذا / الوصف فى كل حركة وسكون ١٥ / ٥٩٣ فلا يقدمون على شيء بلا دليل .

(١) من ظ و م و مد، وفى الأصل: وصموا و ضلوا (٢) من ظ و م و مد، وفى الأصل: ذا (٣) من ظ و م و مد، وفى الأصل: الصفة (٤-٤) من م و مد، وفى الأصل و ظ: او (٥) سقط من م و مد (٦) زيد من ظ و م و مد .

نظم الدرر (سوره حم السجدة ٤١ : ١٩ - ٢١) ج - ١٧

و لما ذكر حالهم في الدنيا، و أشار إلى حال الآخرة، أتبعه تفصيل ذلك فقال: ﴿ و يوم ﴾ أى اذكر أيام أعداء الله في الدنيا في إنزال عذابه بهم و إحلال مثلاته بساحاتهم، و اذكر يوم يحشرون - هكذا كان الأصل، ولكنه بين ما عذبوا به ليعم كل من اتصف به من الأولين و الآخرين فقال: ﴿ يحشر ﴾ أى يجمع بكثرة بأمر قاهر لا كلفة علينا فيه - هذا على قراءة الجماعة بالبناء للفعول، و على قراءة نافع و يعقوب^١ بالنون مبنيًا للفاعل يكون 'ناظرًا إلى' - ياق و و نجينا، و في كلتا القراءتين^٢ معنى العظمة، فلذلك ناسبهما 'الاسم الأعظم الذى هو أعظم من مظهر العظمة الذى وقع الصرف عنه لما في ذكره من زيادة التوبيخ لهم و التهجين لفعالهم و التخسيس^٣ لعقولهم في قوله: ﴿ أعداء الله ﴾ أى الملك الأعظم و لا يخفى إعرابه بحسب كل قراءة ﴿ الى النار ﴾ دار الأشقياء ﴿ فهم ﴾ بسبب حشرهم ﴿ يوزعون ﴾ أى يدفعون و يرد بأيسر أمر أرلهم على آخرهم، و من يريد ان يعرج منهم يمينا أو شمالا ظنا منه أنه قد يخفى بسبب كثرتهم و يزجرون زجر إهانة. و يجمع ١٥ إليهم من شد منهم، فان كل شئ من ذلك نوع من العذاب و لما بين إهانتهم بالوزع، بين غايتها فقال: ﴿ حتى اذا ﴾ و أكد

(١) راجع ثر الرجان ٢٩٤/٦ (٢-٣) من م و مد، و في الأصل و ظ: ظرفا على (٣) من م و مد، و في الأصل و ظ: القراءة (٤) من م و مد، و في الأصل و ظ: ناسبها (٥) من ظ و م و مد، و في الأصل: التحيير (٦) من م و مد، و في الأصل و ظ: اعداده.

الكلام لإنكارهم مضمونه بزيادة النافي ليكون اجتماعه مع الإثبات نفياً
 للضد فيفيد غاية القوة بمضمون^١ الخبر في تحقيقه وثباته واتصاله بالشهادة
 على الفور فقال : (ما جآؤها) أى النار التى كانوا [بها -]^٢ يكذبون
 (شهد عليهم) حين التكوير فيها مركومين^٣ بعضهم على بعض . ولما
 كان فى مقام الترهيب ، وكان التفصيل أهول قال : (سمعهم) أفرد ه
 لتقارب الناس فيه (و ابصارهم) جمع لعظم^٤ التفاوت فيها (و جلودهم بما)
 و اثبت الكون^٥ يانا لأنهم كانوا مطبوعين على ما أوجب لهم النار من
 الأوزار فقال : (كانوا يعملونه) أى يحددون عمله مستمرين عليه ،
 فكان هذه الاعضاء تقول فى ذلك الحين إقامة للحجة البالغة : أيها الأكوان
 والحاضرون من الإنس والملائكة والجنان ، اعلوا أن صاحبي كان يعمل ١٠
 بى كذا وكذا مع الإصرار ، فاستحق بذلك النار ، و غضب الجبار -
 ثم يقذف به .

ولما أخبر بهذا الذى يفتت الحجارة لو عقلت ساعة ما ، أخبر أنه
 لم يقدم الرجوع عن طبعهم الجافى و بلادتهم الكثيفة ، فقال عاطفاً
 على ما تقديره : فلم تقدم هذه الشهادة خجلاً من الله ولا خضوعاً فى ١٥
 أنفسهم ولا رجوعاً عن ' الجدال ' و ' العناد ' كما لم يقدم ذلك مجرد علم الله

(١) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : لمضمون (٢) زيد من م و مد (٣) من
 ظ و م و مد ، وفى الأصل : مركومين (٤) من ظ و م و مد ، وفى
 الأصل : تعظيم (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل و م : لكون (٦) من م و مد ،
 وفى الأصل و ظ : الايها (٧-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ و م و مد .

فيهم^١: ﴿و قالوا لجلودهم﴾ و دخل فيها ما صرح به من منافعها بها
لفقد ما يدعو إلى التفصيل . و لما فعلت فعل العقلاء خاطبوها مخاطبتهم
فقالوا: ﴿لم شهدتم علينا^٢﴾ .

و لما كان هذا محل عجب منهم ، و كان متضمنا لجهلهم بظنهم انه
كان لها قدرة على السكوت ، و كان سؤا لهم عن العلة ليس على حقيقته
و إنما المراد به اللوم ، أجيب من تشوف إلى الجواب بقوله معبرا لنطقها
بصيغة ما يعقل: ﴿قالوا﴾ [معتذرين - ٣]: ﴿انطقنا﴾ قهرا ﴿الله﴾
الذى له مجامع المز على وجه لم نقدر / على التخلف عنه . و لما كان
حال الكفار دائما دائرا بين غباوة و عناد ، أقاموا لهم على ذلك دليلين
١٠ شهوديين فقالوا: ﴿الذى انطق كل شيء﴾ أى فعلا أو قوة
أو حالا و مقالا .

/ ٥٩٤

و لما كانت الأشياء كلها متساوية الاقدام فى الإنطاق و الإخراس
و غيرها من كل ما يمكن بالنسبة إلى قدرته سبحانه ، نبههم على ذلك
بقولهم: ﴿و هو خلقكم اول مرة﴾ و العلم القطعى حاصل عندكم بأنكم
١٥ كنتم عدما ثم نطقا لا تقبل النطق فى مجارى العادات بوجه ، ثم طوركم
فى ادوار الاطوار كذا ذلك إلى أن أوصلكم إلى حيز الإدراك ، ففسركم

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل: غيهم (٢) زيد فى الأصل: ذلك انهم ،
و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لخذلتها (٣) زيد من م و مد (٤) فى ظ
و م و مد: غيرها (٥) زيدت الواو فى الأصل و م ، و لم تكن فى ظ
و مد لخذلتها .

على النطق بحيث لو أردتم سلبه عن أنفسكم ما قدرتم . ولما كان الخلق شيئا واحدا فعبّر عنه بالماضي وكان الرجوع تارة بالحس وتارة بالمعنى وكان الذى بالمعنى كثير التعدد بكثرة التجدد قال : (واليه) [أى -] إلى غيره (ترجعون) أى فى كل حين بقسركم بأيسر أمر على كل ما يريد من أول ما خلقتم إلى ما لانهاية له ، فلو كان لكم نوع علم لـ كفاكم ذلك واعظا فى الدنيا تعلمون به أنكم فى غاية العجز ، وأن له العظمة والكبر والقدرة والقهر ، روى مسلم فى صحيحه عن أنس رضى الله عنه قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال : هل تدررون بما أضحك ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ، قال : من مخاطبة العبد ربه ، يقول : يا رب ألم تجزنى من الظلم ؟ قال : يقول : بلى ، ١٠٠ قال : فيقول : فانى لا أجيز إلا شاهدا منى ، قال : فيقول : كفى بنفسك [اليوم -] شهيدا وبالكرام الكاتبين شهدوا ، قال : فيختم على فيه فيقال لأركانہ : انطقى ، فتطلق بأعماله ، ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول : بعدا لكن وحقا فعنكن كنت أناضل .

ولما اعتذروا بما إخبارهم به فى هذه الدنيا وعظ وتنبه ، وفى ١٥ الآخرة توبخ وتندبم ، قالوا مكررين للوعظ محذرين من جميع الكون :

- (١) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : فقال (٢) زيد من م ومد (٣) راجع أبواب الزهد : ٤٠٩/٢ (٤) - قط من م (٥) من ظ وم ومد وصحيح مسلم ، وفى الأصل : يم (٦) من ظ ومد وصحيح مسلم ، وفى الأصل وم : ألم تجزنى . (٧) زيد فى صحيح مسلم : على نفسى (٨) زيد من ظ وم ومد وصحيح مسلم .

ظم الدرر (سورة حم السجدة ٤١ : ٢٢ و ٢٣) ج - ١٧

(وما كنتم) أى بما هو 'لكم كالجبل' (تسترون) أى تكفون
 الستر عند المعاصى و أنتم تنوهمون ، وهو مراد قتادة بقوله : تظنون .
 (ان يشهد عليكم) بتلك المعاصى . ولما كان المقصود الإبلاغ فى
 الزجر ، أعاد التفصيل فقال : (سمعكم) وأكد بتكرير النافى فقال :
 ه (و لا ابصاركم) جمع و أفرد لا مضى (و لا جلودكم و لكن) إنما
 كان استتاركم لأنكم (ظنتم) بسبب إنكاركم البعث جهلا منكم
 (ان الله) الذى له جميع الكمال (لا يعلم) أى فى وقت من الاوقات
 (كثيرا مما تعملون ه) أى تجددون عمله مستمرين عليه ، و هو ما كنتم
 تعدونه خفيا فهذا هو الذى جراكم على ما فعلتم ، فان كان هذا ظنكم
 ١٠ فهو كفر ، و إلا كان عملكم عمل من يظنه فهو قريب من الكفر
 و المؤمن حقا من علم أن الله مطلع على سره و جهره ، فلم يزل مراقبا
 خائفا هائبا ، روى الشيخان فى صحيحهما^١ و اللفظ للبخارى فى كتاب
 التوحيد^٢ عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : اجتمع عند البيت
 ثقفان و قرشى أو قرشيان و ثقفى كثيرة شحم بطونهم قليلة فقه قلوبهم ،
 ١٥ فقال أحدهم : آرون أن الله يسمع ما تقول ؟ قال الآخر : يسمع إن
 جهرنا و لا يسمع إن أخفينا ، و قال / الآخر : إن كان يسمع [إذا -^٣
 جهرنا فانه يسمع إذا أخفينا ، فأنزل الله " وما كنتم " - الآية ، قال
 (١-١) فى م : كالجبل لكم (٢) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : صحيحهما ،
 و راجع من صحيح مسلم أبواب المناقين (٣) ١٢٢ / ٢ (٤) زيد من م
 و مد و صحيح البخارى .

البعوى^١ : قيل : انتفى عبدليل وختاه^٢ ، و القرشيان : ربيعة و صفوان ابن أمية .

ولما كان ذكر المعصية و ما جراً عليها يقتضى اتقاصا يقدر في الإلهية ، بين أنه الموجب للغضب فقال : ﴿ و ذاكم ﴾ أى الامر العظيم في القباحة ، ثم بينه بقوله : ﴿ ظنكم ﴾ أى الفاسد ، و وصفه بقوله : ﴿ الذى ظنتم بربكم ﴾ أى الذى طال إحسانه إليكم من أنه لا يعلم حالكم . ثم أخبر عنه^٣ بقوله : ﴿ اردنكم ﴾ أى تسبب عنه خاصة أنه أهلككم . و أما معاصي الجوارح مع التوحيد و التنزيه^٤ فأمرها أسهل ، و الحاصل أن كل ظن كان غير مأذون فيه من الشارع فهو يردى صاحبه .

ولما كان الصباح محل رجاء الأفراح ، فكان شر الاتراح ما كان فيه ، قال : ﴿ فاصبحتم ﴾ أى بسبب أن ما أعطيتموه من النعم لتستقذروا به أنفسكم^٥ من الهلاك^٦ كان سبب هلاككم^٧ ﴿ من الخسرين^٨ ﴾ أى العريقين^٩ في الخسارة ، المحكوم بخسارتهم في جميع ذلك اليوم ، و صورته بأقبح صورة و هو الصباح ، فالغنى^{١٠} أنه إذا صار حالكم حال من أصبح كذلك لم يكن للرجح وقت يتدارك فيه بخلاف ما لو وجد ذلك عند المساء فانه^{١١}

(١) في معالم التنزيل بهامش لباب التأويل ٦ / ٩٢ (٢) من مد و المعالم ، و في الأصل و ظ و م : حسنه (٣) من م و مد ، و في الأصل و ظ : عنهم (٤) من ظ و م و مد ، و في الأصل : التنزيل (٥-٥) في م و مد : أنفسكم به (٦-٦) من ظ و م و ند ، و في الأصل : الترتب عليكم (٧) من ظ و م و مد ، و في الأصل : الخسرين التارقين (٨) من ظ و م و مد ، و في الأصل : و المعنى .

نظم الدرر (سورة حم السجدة ٤١ : ٢٤ و ٢٥) ج - ١٧

كان ينتظر الصباح للسعى في الريح، و يوم القيامة لا يوم بعده يسعى فيه
للريح، فينبغي للؤمن أن يكون حال خلوته أشد ما يكون هية لله .
و لما كان ذلك، تسبب عنه قوله لاقتا القول عن خطابهم إيدانا
بشدة الغضب و إشارة إلى أنهم لما وصلوا إلى ما ذكر من الحال أعياء
عليهم المقال، فلم يقدروا على نطق بلسان، و لا إشارة برأس و لا بنان :
(فان يصبروا) أى على ما جوزوا به فليس صبرهم بنافعهم، و هو
معنى قوله : (قالنار مثوى) أى منزلا (لهم) و ان يستعقبوا (أى
يطلبوا الرضى بزوال العتب، و هو المؤاخذه بالذنب) (فاهم من المعتبين)
أى المرضيين الذين يزال العتب [عليهم -^١] عنهم ليعفى عنهم
١٠ و يترك عذابهم .

و لما ذكر وعيدهم في الدنيا و الآخرة، أتبعه كفرهم الذى هو
سبب الوعيد، و عطفه على ما تقديره : فانا طبعناهم طبيعة سوء تقتضى
أنهم لا ينفكون عما يوجب العتب، فأعرضوا و لم تنفعهم النذرى بصاعقة
عاد و نمود، فقال صارفا القول إلى مظهر العظمة إشارة إلى، أن التصرف
١٥ فى القلوب أمر عظيم جدا : (و قيضنا) أى جئنا و آتينا و بعثنا
وسينا و وكلنا و هيأنا، من القيض الذى هو المثل، و قشر البيضة الأعلى
اليابس (لهم قرناء) أى أشخاصا أمثالهم فى الأخلاق و الأوصاف

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل : بإشارة (٢) ليس فى ظ و م و مد .
(٣) زيد فى الأصل : القوم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فخذناها (٤) زيد
من م و مد (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ : او .

أقوياء

أقرباء وهم مع كونهم شديدي الالتصاق بهم والإحاطة في غاية التحس
والشدة في اللؤم والخبث واللجاجة فيما يكون به ضيق الخير واتساع
الشّر من غواية الجن والإنس ﴿ فزينوا لهم ﴾ أى من القبايح ﴿ ما ﴾
وعم الأشياء كلها فلم يأت بالجوار فقال: ﴿ بين أيديهم ﴾ أى يعلمون
قباحتها حتى حسنوه لهم فارتكبوه ورجعوا فيه ﴿ وما خلفهم ﴾ [أى هـ
ما يجهلون أمره ولا يزالون -] في كل شيء يزينونه^٢ ويلحون فيه ويكررونه
حتى يقبل، فإن التكرير مقرون / بالتأثير، قال القشيري: إذا أراد الله
بعبد سوءا قيص له إخوان سوء وقرناء سوء يحملونه على المخالفات
و يدعونه إليها، وإذا أراد الله بعبد خيرا قيص له قرناء خير يعينونه^٣
على الطاعات^٤ و يحملونه عليها و يدعونه إليها، ومن ذلك الشيطان، ١٠
و شر منه النفس و بش القرين، تدعو اليوم إلى ما فيه الهلاك و تشهد
غدا عليه .

ولما كان التقدير: فلم يدعوا قبيحة حتى ارتكبوها، عطف عليه
قوله: ﴿ وحق ﴾ أى وجب [و ثبت - °] ﴿ عليهم القول ﴾ أى
بدوام الغضب .

١٥

ولما كان هذا مما يوجب شدة أسفه صلى الله عليه وسلم [عليهم - °]،
خفف منه بقوله: ﴿ في ﴾ أى كائنين [في - °] جملة ﴿ امم ﴾ أى

- (١) زيد من ظ و م ومد (٢) من م ومد، وفي الأصل و ظ: يزينوه .
(٣) من ظ و م ومد، وفي الأصل: يعينوه (٤) من م ومد، وفي الأصل
و ظ: الطاعة (٥) زيد من م ومد .

نظم الدرر (سورة حم السجدة ٤١ : ٢٥ و ٢٦) ج - ١٧

كثيرة . ولما عبر عنهم بما يقتضى تعظيمهم بأنهم مقصودون ، حقرهم^٢
بضمير التانيث فقال : ﴿ قد خلت ﴾ أى لم تتعظ أمة منهم بالآخرى .
ولما كان الخلو قد يكون بالموت فى زمانهم ، بين أنه مما
مضى "وفات"^٣ .

ولما كان بعض من مضى غير مستغرق لجميع الزمان ، عبر بـ "ومن"^٤
فقال : ﴿ من قبلهم ﴾ أى فى الزمان ، و قدم الأقوى لتفهم القدرة عليه^٥
القدرة على ما دونه من باب الأولى ، فان الإنسان كانوا يعدون أنفسهم
دون الجن فيعوذون بهم فقال : ﴿ من الجن و الانس^٦ ﴾ ثم علل حقوق
الشفاء عليهم بقوله منها بالتأكيد على أنهم ينكرون أن تكون القبايح
١٠ موجبة للخسر^٧ ﴿ انهم ﴾ أى جميع المذكورين منهم ومن قبلهم :
﴿ كانوا ﴾ أى طبعاً و فعلاً ﴿ تخسرين^٨ ﴾ فعلى العاقل أن يجتهد فى اختيار
أصحابه^٩ و أخدانه^{١٠} و أجابه ، فان العاقبة فيهم حسنة جسيمة أو قبيحة
وخيمة ، روى صاحب الفردوس^{١١} عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن
النبي صلى الله عليه وسلم قال : إذا أراد الله بعبد شراً قبض له قبل موته

(١) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : اخبر (٢) من مد ، وفى الأصل و ظ
وم : خفهم (٣-٣) سقط ما بين الرقيين من ظ و م و مد (٤) من ظ و م
ومد ، وفى الأصل : ليفهم منه (٥) زيدت الواو فى الأصل ولم تكن فى
ظ و م و مد فحذفنا (٦) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : للجزاء (٧) من
مد ، وفى الأصل و ظ و م : صاحبه (٨) من ظ و م و مد ، وفى الأصل :
اخلايه (٩) راجع تلخيص مسند الفردوس (خط) ص : ١٦ / ب .

شيطانا

(٤٤)

١٧٦

شيطانا فلا يرى [حسنا - ١] إلا قبحه عنده ولا قبيحا إلا حسنه عنده .
 ولاحمد^٢ وأبي داود و النسائي و أبي يعلى و ابن حبان فى صحيحه عن عائشة
 رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إذا أراد الله بالوالى
 خيرا جعل له وزير صدق ، إن نسى ذكره ، و إن ذكره أعانه ، و إن
 أراد به غير ذلك جعل له وزير سوء إن نسى لم يذكره ، و إن ذكر لم ينه .
 و روى [البخارى - ٣] عن أبى سعيد الخدرى و أبى هريرة رضى الله
 عنهما و النسائي^٤ عن أبى هريرة وحده رضى الله عنه و البخارى أيضا عن
 أبى أيوب^٥ رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما
 بعث الله من نبى ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانة تأمره بالمعروف
 و تحضه عليه . و بطانة تأمره بالشر و تحضه عليه ، و المعصوم من عصمه الله .
 تعالى . و فى رواية [النسائي - ٦] : ما من وال إلا وله بطانتان : بطانة
 تأمره بالمعروف و تنهاه عن المنكر ، و بطانة لا تألوه خبالا ، فمن وفى
 شرهما فقد وفى ، [و هو إلى من يغلب عليه منهما ، و رواية البخارى عن
 أبى أيوب نحوها .

و لما أخبر بخسرانهم ، دل عليه - ٧] بما عطف على ما أورد ١٥

- (١) زيد من م و مد و التلخيص (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل و ظ :
- قيحة ، و ليس هذا الشطر الاخير فى التلخيص (٣) راجع مسند الإمام أحمد
- ٧٠ / ٦ حيث ذكر الحديث بدون ذكر وزير السوء (٤) زيد من م و مد .
- (٥) راجع أبواب الأحكام و أبواب القدر من صحيح البخارى (٦) راجع
- أبواب البيعة من سنته (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : أبى يعقوب .
- (٨) زيد من ظ و م و مد (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ما .

إليه السياق / من تقديره من قولي : فأعرضوا - أى هؤلاء العرب -
وقالوا - هكذا كان الأصل و' لكنه قال تنبيها على الوصف الذى
أوجب إعراضهم : ﴿ وقال الذين كفروا ﴾ أى ستروا ما دلّهم عليه
عقولهم من الحق ﴿ لا تسمعوا ﴾ أى شيئا من مطلق السماع ﴿ لهذا القرآن ﴾
٥ تعيينا بالإشارة احترازا من غيره من الكتب القديمة كالنوراة، قال
القشيري : لأنه يغلب القلوب و يسلب العقول، و كل من استمع له
صبا إليه ﴿ والغوا ﴾ [أى اهذوا - ١] من لغى - بالكسر يلغى -
بالفتح - إذا تكلم بما لا فائدة [فيه - ٢] ﴿ فيه ﴾ أى اجعلوه ظرفا
للغو بأن تكثرُوا من الخرافات والهديانات واللغو بالمكاء والتصديّة
١٠ أى الصغير والتصفيق وغيرهما في حال تلاوته ليقع تاليه في السهو
والغلط، قال القشيري : قالوا ذلك ولم يعلموا أن من نور قلبه بالإيمان
وأيد بالفهم وأمد بالبصرة وكشف بسماع السرّ من الغيب، فهو
الذى يسمع ويؤمن، والذي هو في ظلمات جهله لا يدخل الإيمان قلبه،
ولا يباشر السماع سره . ﴿ لعلمكم تغلبون ٥ ﴾ أى ليكون حالكم حال من
١٥ يرجى له أن يغلب و يظفر بمراده في أن لا يميل إليه أحد، أو يسكت

(١) سقطت الواو من ظ و م ومد (٢) زيد من ظ و م ومد (٣) زيد من
م ومد (٤) من مد، وفي الأصل و ظ و م : اللفظ (٥ - ٥) من ظ و م
ومد، وفي الأصل : من حالة (٦) من م ومد، وفي الأصل و ظ : الستر .
(٧) من ظ و مد، وفي الأصل و م : كالذى (٨) من ظ و م ومد، وفي
الأصل : امان .

او ينسى ما كان يقول، و هذا يدل على انهم عارفون بأن من سمعه ولا هوى عنده مال إليه و اقبل بكيته عليه، و قد فضحوا أنفسهم بهذا فضيحة لا مثل لها، و ذلك لانهم تحدوا به في أن يأتوا بشيء من مثله ليعدوا غالبين فلم يجدوا شيئاً يترجون به الغلب إلا ' الصفير و التصفيق و نحوه' من اللغو في معارضة ما علا عن أعلى ذرى الكلام إلى حيث لا مطمع و لا مرام، فلا يفيد ما أتوا به معنى غير أنهم عاجزون عن المعارضة قاطعون بأنهم متى أتوا بشيء منها افتضحوا، و قطع كل من سمعه بأنهم مغلوبون .

ولما استحقوا بهذا العقوبة، سبب عن ذلك مؤكداً لإنكارهم قوله تعالى : ﴿ فلذيقن ﴾ و أظهر في موضع الإضمار تعميماً و تعليقا بالوصف ١٠ فقال : ﴿ الذين كفروا ﴾ أى هؤلاء، و غيرهم ﴿ عذاباً شديداً ﴾ في الدنيا بالحرمان و ما يتبعه من فنون الهوان^٢ و في الآخرة بالنيران ﴿ و لنجزينهم ﴾ أى بأعمالهم . و لما كان من قدر على الأغلاظ، قدر على ما دونه قال : ﴿ اسوا ﴾ أى جزاء أسوأ العمل ﴿ الذى كانوا ﴾ بما هو لهم كالغرائز ﴿ يعملونه ﴾ مواظبين عليه . ١٥

ولما أبلغ سبحانه في الترهيب من عقابهم^٣، زاد في تعظيمه و فضله لطفاً لمن أراد هدايته من عباده و إقامة الحجة على غيرهم فقال :

- (١) زيد في الأصل : ان كان، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد لحذفها .
 (٢) من م و مد، و في الأصل و ظ : نحو (٣-٣) سقط ما بين الرقيين من م .
 (٤) من م و مد، و في الأصل و ظ : عقابه .

نظم الدرر (سورة حم السجدة ٤١: ٢٨ و ٢٩) ج - ١٧

(ذلك) اى الجزاء الاسوأ العظيم جدا (جزاء) ولما كانت عداوة
من لا يطاق أمراً^١ زائد العظمة، نبه^٢ على ذلك بصرف الكلام عن مظهرها^٣
إلى أعظم منه فقال: (اعزآه الله) أى الملك الأعظم، لأنهم ما كانوا
يفعلون ما دون الأسوأ إلا عجزا عنه لأن جلبتهم تقتضى ذلك، و بينه
بقوله: (النارج) و فصل بعض ما فيها بقوله: (لهم فيها) أى النار
(دار الخلد) اى المحل المحيط بهم الدار من غير علم / من زاوية / ٥٩٨
أو غيرها يعرف^٤ به خصوص موضع منه، مع إيذائه بالدوام واللزوم
وعدم الانفكاك، أو هو على التجريد بمعنى: هى لهم دار خلود كما كان
لهم فى الدنيا دار سرور بمعنى أنها كانت لهم نفسها دار لهُ و غرور .
١٠ ولما كانوا على أعمالهم التى استحقوا بها هذا العذاب مصرين إصراراً
يتمتع انفكاكهم عنه، زاد حسنا قوله: (جزاء) أى رفاقاً (بما كانوا)
أى جيلة وطبعا، ورد الكلام إلى مظهر العظمة المقتضى للنكال فقال:
(بأيتنا) أى على ما لها من العظمة (يمجدون^٥) أى ينكرون عنادا
من غير مراعاة لعلوها فى نفسها و لا علوها بنسبتها إلينا، فلاجل جلودهم
١٥ كانوا يقدمون على ما لايرضاه عاقل من اللهُ و غيره .
ولما تراءى [لهم - ٧] أن الذى أوجب لهم هذا السوء جلودهم

(١) من م و مد، وفى الأصل و ظ : كان (٢) من م و مد، وفى الأصل :
امر (٣) من م و مد، وفى الأصل و ظ : منبها (٤) من م و مد، وفى الأصل
و ظ : مظهر (٥) من ظ و م و من، وفى الأصل : يرفون (٦) م و مد،
وفى الأصل و ظ : انا (٧) زيد من م و مد .

بالشهادة عليهم و قرناؤهم 'باضلاهم لهم' و كان التباغض و العداوة قد وقع^١ بين الجميع ، فصار تمنى كل للآخر السوء زيادة في عذابهم ، و كانت مساواة جلودهم مساواة لهم ، خصوا القرناء بارادة الانتقام منهم ، فحكي سبحانه قولهم بقوله عطفًا على " و قالوا لجلودهم " أو على ما تقديره : فعلوا حيثئذ أنهم كانوا على ضلال لتقصيرهم في النظر و تقليد غيرهم : ٥

(و قال الذين كفروا) أى غطوا أنوار عقولهم داعين بما [لو - ٢] يسمع لهم ، فهو زيادة في عقوبتهم^٢ ، و حكاية لنا وعظ و تحذير : (ربنا) أى أيها الذى لم يقطع قط إحسانه عنا (ارنا) الصنفين (الذين أضلنا) عن المنهج الموصل إلى محل الرضوان (من الجن و الانس) المزينين لنا ارتكاب السوء خفية و جهرا ، قرأ الجماعة بكسر الراء من ارنا ، و قرأ ١٠ ابن كثير^٣ و ابن عامر و يعقوب و السوسى عن أبى عمرو و أبو بكر عن عاصم باسكان الراء^٤ هنا خاصة^٥ . قال الاصبهاني^٦ : يحكى عن الخليل أنك إذا قلت : أرني ثوبك - بالكسر فالغنى بصريه^٧ ، و إذا قلته بالسكون فهو 'استعطاء' و معناه^٨ أعطى ثوبك ، و نظيره اشتهاى الإتياء فى معنى الإعطاء ، و أصله الإحضار - انتهى . (نجعلهما تحت اقدامنا) فى ١٥

(١-١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : بضلاهم (٢) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : وقت (٣) زيد من م و مد (٤) من م و مد ، وفى الأصل : وظ : عقولهم (٥) راجع نثر المرجان ٦/٣٠٣ - ٣٠٤ (٦-٦) سقط ما بين الرقين من م و مد (٧) و ذكره الزمخشري أيضا - راجع البحر المحيط ٧/٩٥ (٨) من م و مد و البحر ، وفى الأصل : وظ : قلت (٨-٨) من ظ و م و مد و البحر ، وفى الأصل : استعطاف و معنى .

نظم الدرر (سورة حم السجدة ٤١: ٢٩ و ٣٠) ج - ١٧

النار إذلالا لها كما جعلنا^١ تحت أرها (ليكونا من الأسفلين) ه
أى من أهل الدرك الأسفل ومن هو دوننا كما جعلنا كذلك فى الدنيا
فى حقيقة الحال باتباعنا لها^٢ فيما أرادا^٣ بنا، وفى الآخرة بهذا المآل،
والظاهر أن المراد أن كل أحد يتمنى أن يعرف من أضله من القيلتين
ه ليفعل بهم ذلك إن قدر عليه .

ولما ذكر الأعداء وقرناءهم نذارة، أتبعه ذكر الأولياء وأوداءهم
بشارة، فقال مبينا لحالم القابل للأعراض وثمراته جوابا لمن يسأل عنهم
مؤكدًا لأجل إنكار المعاندين: (ان الذين) قال أبو حيان: قال ابن
عباس رضى الله عنهما: نزلت فى الصديق رضى الله عنه وأرضاه .
١٠ (قالوا) أى قولاً حقيقياً مدعنين به بالجنان وناطقين باللسان تصديقاً
لداعى الله فى دار الدنيا متدللين حيث ينفع الذل جامعين بين الآس
الذى هو المعرفة والاعتقاد، والبناء الذى هو العمل الصالح بالقول والفعل
على السداد، فان أصل الكمالات النفسانية يقين مصلح وعمل صالح،
/ تعرف الحق لذاته والخير لتعمل به ورأس المعارف اليقينية ورئيسها
١٥ معرفة الله، ورأس الأعمال الصالحة الاستقامة على حد الاعتدال من
غير ميل إلى طرف إفراط أو تفريط: (ربنا) أى المحسن إلينا (الله)
المختص بالجلال والإكرام وحده لا شريك له .

(١) من م ومد، وفى الأصل وظ: جعلنا (٢) من ظ وم ومد، وفى
الأصل: لهم (٣) من ظ وم ومد، وفى الأصل: ارادوا (٤) من م ومد،
وفى الأصل وظ: أتبعها (٥) فى البحر المحيط ٧/ ٤٩٦ .

ولما

ولما كان الثبات على التوحيد و مصححاته إلى المهمات أمرا في
 علو رتبته لا يرام إلا بتوفيق ذى الجلال والإكرام، أشار إليه بأداة
 التراخي فقال: ﴿ثم استقاموا﴾ طلبوا و أوجدوا القوام بالإيمان بجميع
 الرسل و جميع الكتب و لم يشركوا به صنما ولا وثنا ولا آدميا ولا ملكا
 ولا كوكبا^١ ولا غيره بعبادة ولا رياء، و عملوا بما يرضيه و تجنبوا كل ما
 يسخطه و إن طال الزمان، امثالاً لما أمر^٢ به أول السورة في قوله "إنما
 الهكّم الله واحد فاستقيموا إليه" فمن كان له أصل الاستقامة في التوحيد
 أمن من النار بالخلود، و^٣ من كان له كمال الاستقامة في الأصول والفروع
 أمن^٤ الوعيد ﴿تنزل﴾ على سبيل التدرج المتصل ﴿عائهم﴾ من حين
 نفخ الروح فيهم إلى أن يموتوا ثم إلى أن يدخلوا الجنة باطنا فظاهرا^٥ .
 ﴿اللائكة﴾ بالأيدي في جميع ما ينوبهم فتستعمل الأحوال الملكية
 على صفاتهم البشرية و شهواتهم الحيوانية فتضمحل عندها، و تشرق
 مراتبهم، ثم شرح ما يؤيدونهم^٦ به و فسر^٧ فقال: ﴿الا تخافوا﴾
 أى من شيء مثله يخيف، و كأهم يثبتون ذلك في قلوبهم ﴿ولا تحزنوا﴾
 أى على شيء فانكم، فان ما حصل لكم أفضل منه، فأوقاتكم الآخروية^٨ ١٥

(١-١) سقط ما بين الرقين من ظ و م و مد (٢) من م و مد، وفي الأصل
 و ظ : اقر (٣) من م و مد، وفي الأصل و ظ : دون (٤) من م و مد،
 وفي الأصل و ظ : من (٥) من ظ و مد، وفي الأصل و م : و ظاهرا (٦) من
 مد، وفي الأصل و ظ و م : اللائكة (٧) من ظ و م و مد، وفي الأصل :
 يؤيدهم (٨) سقط من ظ و م و مد (٩) من ظ و م و مد، وفي الأصل :
 الآخروية .

فيها بل هي كلها روح وراحة، فلا يفوتهم لذلك محبوب ولا يباحقهم
مكروه ﴿وابشروا﴾ أى املاؤا صدوركم [سرورا - ١] يظهر أثره على
بشرتكم بتهلل الوجه ونعمة سائر الجسد ﴿بالجنة التي كنتم﴾ أى كوناً^١
عظيماً على ألسنة الرسل ﴿توعدون﴾ أى يتجدد لكم ذلك كل حين
هـ بالكتب و الرسل، وقال الرازى فى اللوامع: يبشرون فى ثلاثة مواضع:
عند الموت، وفى القبر، و يوم البعث - انتهى . وهذا محمول على الكلام
الحقيقى و ما قبله على أنهم يفعلون معه ما ترجمته ذلك .

ولما أثبتوا لهم الخير، ونفوا عنهم الضير، عللوه بقولهم:
﴿نحن أولئوكم﴾ أى أقرب الأقرباء إليكم، فنحن نفعل معكم كل ما يمكن
١٠ أن يفعله القريب ﴿فى الحياة الدنيا﴾ نجتلب لكم المسرات و نبعد
عنكم المضرات و نحملكم على جميع الخيرات بحيث يكون لكم فيها ما
تؤثره العقول بالامتناع عما تهواه النفوس وإن تراءى للرائين فى الدنيا
أن الأمر بخلاف ذلك، فتوقظكم من المنام، و نحملكم على الصلاة و الصيام،
و نبعدكم عن الآثام، ضد ما تفعله الشياطين مع أوليائهم ﴿وفى الآخرة ج﴾
١٥ كذلك حيث يتعاضد الاخلاء إلا الاتقياء ﴿و لكم فيها﴾ أى الآخرة
فى الجنة و قبل دخولها فى جميع أوقات الحشر ﴿ما تشتهى﴾

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من م و مد، وفى الأصل و ظ: كونهما .
(٣) من ظ و م و مد، وفى الأصل: عنهم (٤) من م و مد، وفى الأصل
و ظ: إلى (٥) من م و مد، وفى الأصل و ظ: ثورة (٦) من م و مد،
وفى الأصل و ظ: ضده .

[ولو على أدنى وجوه الشهوة بما يرشد إليه حذف المفعول -^١]
 ﴿ انفسكم ﴾ لاجل^٢ ما منعتموها من الشهوات في الدنيا ﴿ ولكم ﴾ .
 ولما كان السياق للذين استقاموا العام للسابقين وأصحاب اليمين على
 ما أشير إليه الختم [بصفة -^١] المغفرة وتقديمها، قيد بالظرف بخلاف
 ما في يَسْ فقال: ﴿ فيها ﴾^٢ أى الآخرة^٣ ﴿ ما تدعون ﴾^٤ [أى -^١] .
 ما تؤثرون دعاءه وطلبه و تسألونه وتمنونه بشهوة نفوسكم ورغبة قلوبكم .
 ولما كان / هذا كله بالنسبة إلى ما يعطون شيئاً يسيراً، نبه عليه
 بقوله: ﴿ نزلاً ﴾ أى هذا كله يكون لكم كما يقدم إلى الضيف عند
 قدومه إلى أن يتهاى ما يضاف به . ولما كان من حوسب عذب، فلا
 يدخل أحد الجنة إلا بالرحمة، أشار إلى ذلك بقوله^٥: ﴿ من ﴾ أى كائناً
 ذلك النزل من ﴿ غفور ﴾ إله صفة المحو للذنوب عينا وأثراً على
 غاية لا يمكن وصفها ﴿ رحيم ﴾ أى بالغ الرحمة بما ترضاه الإلهية، فالحاصل
 أن المفسد يقيض^٦ الله [له -^١] قرنائه السوء من الجن والإنس يزيدونه
 فساداً والمصلح ييسر الله له أولياء الخير من الإنس والملائكة يعينونه
 ويجيبونه في جميع الخيرات و يبعدونه ويكرهونه في جميع المضرات - ١٥
 والله يتولى الصالحين .

(١) زيد من م ومد (٢) من ظ وم ومد، وفي الأصل: لا (٣-٢) وقع ما
 بين الرقمين في الأصل بعد: في الدنيا ولكم، والترتيب من ظ وم ومد،
 و وقع في الأصل: أى في الآخرة (٤) زيد من ظ وم ومد (٥) من ظ وم
 ومد، وفي الأصل: ب كله (٦) من م ومد، وفي الأصل وظ: مقبض .

نظم الدرر (سورة حم السجدة ٤١: ٢٣ و ٣٤) ج - ١٧

ولما كان هذا لمن كمل نفسه، أتبعه بمن أكل غيره إشارة إلى
أن السعادة التامة أن يكتسب الإنسان من الصفات الفاضلة ما يصير
بها كاملا في نفسه، فاذا فرغ اشتغل بتكميل الناقص عاطفا على ما تقديره:
ما أحسن هذا الذي كمل نفسه، وقاله تنويعا بعلو قدر النفع المتعدى
هـ وحثا على مداومة الدعاء وإن أبوا وقالوا "قلوبنا في اكثة" ثم قالوا
"لا تسمعوا لهذا القرآن" فانهم لم يقولوا من ذلك شيئا إلا ذكرت
أجوبته الشافية الكافية فاندفعت جميع الشبهات وزالت غياهب الضلالات،
فصار تحذير الدعاء موضحا للقبول: (ومن احسن قولاً) أى من جهة
القول (ومن دعاءً) وحد الضمير دلالة على قلة هذا الصنف (إلى الله)
١٠ [أى - ٢] الذى عم بصفات كماله جميع الخلق فهو يستعطف كل أحد
بما تعرف إليه سبحانه [به - ٢] من صفاته (وعمل) أى والحال
أنه قد عمل (صالحاً) فى نفسه ليكون ذلك أمكن لدعائه أعم من
أن يكون ذلك الصالح نية أو قولاً أو عملاً للجوارح الظاهرة سرا كان
أو علناً، ولذا حذف الموصوف لثلاث يوم تقيده بالأعمال الظاهرة وللإغناء
د عنها بقوله «دعاء» بخلاف ما كان سياقه للتوبة كآية الفرقان أو اعتقاد الحشر
كآية الكهف، فانه لا بد فيه من إظهار العمل ليكون شاهداً على صحة
الاعتقاد وكمال التوبة، والدعاء هنا معنى عن ذلك (وقال) مؤكداً

(١) من م ومد، وفي الأصل وظ: الغلطات (٢) زيد من م ومد.
(٣) زيد من م ومد (٤) من م ومد، وفي الأصل وظ: الصلح (هـ) من
ظ وم ومد، وفي الأصل: علانية (٦) من م ومد، وفي
الأصل: معنى.

عند المخالف والمؤالف قاطعا لطمع المفسد فيه : ﴿ اننى من المسلمين ٥ ﴾ اى
الراحمين فى صفة الإسلام متظاهرا بذلك لا يخاف فى الله لومة لائم وإن
سماه أبناء زمانه كذا جافيا و غليظا عاسيا لتصلبه فى مخالفته لإياهم فيما هم
عليه بتساهله^٢ فى انقياده لكل ما أمره^٣ به ربه سبحانه .

ولما كان التقدير : لا أحد أحسن قولاً منه ، بل هو المحسن ٥
وحده ، فلا يستوى هذا المحسن وغيره أصلا ، ردا عليهم أن حالهم
أحسن من حال الدعاة^٤ إلى الله ، [وكان -^١] القيام بتكميل الخلق يحتاج
إلى جهاد للنفس عظيم من تحمل المشاق والصبر على الآذى ، وغير
ذلك من جميع الأخلاق ، عطف عليه التفرقة بين عمليهما^٥ ترغيبا فى
الحسنات فقال : ﴿ ولا تستوى ﴾ أى وإن اجتهدت^٦ فى التحرير والاعتبار ١٥
﴿ الحسنة ﴾ أى لا بالنسبة إلى أفراد جنسها / ولا بالنسبة إلى عاملها
عند وحدتها ، لتفاوت الحسنات فى أنفسها ، والحسنة الواحدة باعتبار
نيات العاملين لها واجتهادهم فيها ولا بالنسبة إلى غيرها ، وإلى ذلك
أشار بالتأكيد فى قوله : ﴿ ولا السيئة^٧ ﴾ أى فى نفسها ولا بالنسبة إلى
جنس آخر .

١٥

(١) من م ومد ، وفى الأصل وظ : غايظا (٢) من ظ وم ومد ، وفى
الأصل : تسهله (٣) من م ومد ، وفى الأصل وظ : امر (٤) من ظ وم
ومد ، وفى الأصل : احدا (٥) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : الدعاء .
(٦) زيد من م ومد (٧) من م ومد ، وفى الأصل وظ : عملها (٨) من م
ومد ، وفى الأصل وظ : اجتهد .

نظم الدرر (سورة حم السجدة ٤١: ٢٤ و ٣٥) ج - ١٧

ولما أنتج هذا الحث على الإقبال على الحسن والإعراض عن
السئ، وأفهم أن كلا من القسمين متفاوتا الجزئيات متعالى الدرجات،
وكان الإنسان لا ينفك عن عوارض^١ تحصل له من الناس ومن نفسه
يحتاج إلى دفع^٢ بعضها، أنتج عنه قصد الأعلى فقال: ﴿ادفع﴾ أى
ه كل ما يمكن أن يضرك من نفسك ومن الناس ﴿بالتى﴾ أى الخصال
والأحوال التى ﴿هى احسن﴾ على قدر الإمكان من الأعمال الصالحات فالغفو
عن المسمى حسن، والإحسان أحسن منه ﴿فاذا الذى بينك وبينه عداوة﴾
عظيمة قد ملأت ما بين البيتين فاجأته حال كونه ﴿كانه ولى﴾ أى
قريب فاعل ما يفعل القريب ﴿حميم ه﴾ [أى - ٢] فى غاية القرب
١٠ لا يدع مهبا إلا قضاء وسهله ويسره، وشفاه الله، وقرب بعبده،
وأزال درنه، كما يزيل الماء الحار الوسخ.

ولما كانت هذه الخصلة أمّا جامعا لجميع مصالح الدين والدنيا،
قال منبها على عظيم فضلها وبديع نبلها^٣ حاثا على الاستغلال بجميع^٤
ظلالها مشيرا بالبناء^٥ للفعول إلى أنها هى العمدة المقصودة بالذات على
١٥ وجه منبه على أنها مخالفة لجملة الإنسان حثا على الرغبة فى طلبها من

(١) زيد فى الأصل: ما، ولم تكن الزيادة فى ظ و م ومد فخذناها (٢) من
ظ و م ومد، وفى الأصل: رفع (٣) زيد من م ومد (٤) من ظ و م
ومد، وفى الأصل: جامعة (٥) من ظ و م ومد، وفى الأصل: مصلح.
(٦) من ظ و م ومد، وفى الأصل: ديلها - كذا (٧) من م ومد، وفى
الأصل و ظ: بجميل (٨) من ظ و م ومد، وفى الأصل: بالقاء.

واهبها

(٤٧)

١٨٨

وامبها ﴿ وما يلقَّها ﴾ اى يجعل لافيا لهذه الخصلة التى هى مقابلة
 الإساءة بأحسن الحسن وهو الإحسان الذى هو أحسن من العفو والحلم
 والصبر والاحتمال بأن يعلق الله تعالى إرادته على وجه الشدة والمبالغة
 بالقائها إليه ﴿ الا الذين صبروا ﴾ اى وجدت منهم هذه الحقيقة وركزت
 فى طباعهم ، فصاروا يكظمون الغيظ ويحملون المكارة ، وكرر إظهار هـ
 البناء للفعول للتنبيه على أنه لا قدرة عليها إلا بتوفيق الخالق بأمر
 باطنى يقذفه الله فى القلب قذفا وحيا تظهر ثمرته على سائر البدن ، فقال
 دالا باعادة النافى على زيادة العظم وعلى أن أصحاب هذه الخصلة على
 رتبتين كل رتبة منهما مقصودة فى نفسها ﴿ وما يلقَّها ﴾ على ما هى
 عليه من العظمة ﴿ الا ﴾ و أفرد هنا بعد جمع الصابر دلالة على ندرة ١٠
 المستقيم على هذه الخصلة ﴿ ذو حظ ﴾ أى نصيب وقسم وبخت ﴿ عظيم ﴾
 أى جليل فى الدنيا والآخرة عند الله وعند الناس .

ولما كان التقدير: فان لقيت ذلك وأعاذك الله من الشيطان فانت
 أنت ، عطف عليه قوله [معبرا بأداة الشك المفهمة لجواز وقوع ذلك
 فى الجملة ، مسح العلم بأنه صلى الله عليه وسلم معصوم إشارة إلى رتبة ١٥
 الإنسان من حيث هو إنسان وإلى أن الشيطان يتوهم مع عليه بالعصمة أنه
 يقدر على ذلك فيعلق أمه به ، وكأنه لذلك أكد لأن نزغ له فى محل
 الإنكار -] : ﴿ واما ﴾ ولما كانت وسوسة الشيطان تبعث على ما

(١) سقط من م (٢) زيد من م ومد (٣) من م ومد ، وفى الأصل
 وظ : كان .

لا ينبغي ، و كان العاقل لا يفعل ما لا ينبغي إلا بالإلجاء ، شبه المتعاطى له
 بالمنخوس الذى حمله النخس على ارتكاب ما يضر فقال : ﴿ ينزغك ﴾
 أى ينخسك و يطعنك طعنا مفسدا فيحصل لك تألم ﴿ من الشيطان ﴾
 البعيد من الرحمة المحترق باللعة . و لما كان المقام خطرا لأن الطبع
 ه مساعد للوسواس ، جعل النزغ نفسه نازغا إشارة إلى ذلك فقال : ﴿ نزغ ﴾
 أى وسوسة تحرك نحو الموسوس من أجله / و تبعث إليه بعث المنخوس
 إلى الجهة التى يوجه إليها ، فانه ينبعث إلى تلك الجهة بعزم عظيم
 ﴿ فاستعذ بالله ﴾ أى استجر بالملك [الأعلى - ٢] و اطلب منه الدخول
 فى عصمته مبادرا ١ إلى ذلك حين نخس بالنزغة فانه لا يقدر على الإعاذة
 ١٠ منه غيره ، و لا تذر النزغة تتكرر ، بل ارجع إلى المحيط علما و قدرة فى
 أول الخطرة ، فإك إن لم تخالف أول الخطرة صارت فكرة ، فيحصل
 العزم فتقع الزلة فتصير قسوة فيحصل التماهى ٢ - به عليه القشبرى .
 و لما كانت الاستعاذة هنا من الشيطان ، وكان نزغه مما يعلم لا عما يرى ،
 وكانت صفة السمع تعم ما يرى و ما لا يرى ، قال مؤكدا لوقوف
 ١٥ الجامدين مع الظواهر : ﴿ انه هو ﴾ أى وحده ﴿ السميع ﴾ و ختم
 بقوله : ﴿ العليم ﴾ الذى يسمع كل مسموع من استعاذتك و غيرها ،
 (١-١) سقط ما بين الرقنين من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى
 الأصل : بحزم (٣) زيد من م و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل و م :
 متبادرا (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فتحصل (٦) زيد فى الأصل : به ،
 و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

و يعلم كل معلوم من نزغ و غيره، فهو القادر على رد كيده، و توهين أمره و أبيده. وليس هو كما جعلتموه له من الانداد الصم البكم التي لا قدرة لها على شيء أصلاً.

- ولما ذكر أنهم جعلوا له أندادا مع أنه خلق الأرض في يومين، و ختم ذلك بأن أحسن الحسن الدعاء إلى الله، و ختم الأمر [بالدعاء - ٥]
- صفة العلم. أتبعه دلائل التوحيد إعلاما بأن التوحيد أحسن الحسن يطرد كل شيء، و تنبها على أن الدعوة إلى الله تعالى عبارة عن تنوير الدلائل الدالة على الذات و الصفات، و ذلك ببيان الأفعال و آثارها و هو العالم بجميع ما فيه من الأجزاء و الأبعاد جوهرًا^٢ و عرضًا، و بدأ بذكر الفلكيات لأنها أدل، فقال عاطفا على ما تنذره: فن آياته الناشئة ١٠
- عن شمول علمه المستلزم لشمول قدرته المنتجة لإعاداته لمن يريد و نفوذ تصرفه في كل ما يشاء المستلزم لتفردّه بالإلهية أنه خلق الخافقين كما مضى في ستة أيام: (ومن آياته) الدالة على وحدانيته:
- و في كل شيء له آية تدل على أنه الواحد^٣

ولما كانت الظلمة^٤ عدما و النور وجودا و العدم مقدم قال: ١٥

(الليل و النهار) أي الدالان^٥ باختلافهما و هيئتهما على قدرته على

- (١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد، و في الأصل: بطرد.
- (٣-٢) من ظ و م و مد، و في الأصل: لوعرض أو - كذا (٤) من م و مد، و في الأصل و ظ: لأنه (ه-ه) سقط ما بين الرقيين من ظ و م و مد.
- (٦) من ظ و م و مد، و في الأصل: العظمة (٧) من م و مد، و في الأصل و ظ: الدالين.

البعث و على^١ كل مقدور ﴿ و الشمس و القمر ﴾ اللذان هما الليل و النهار
كالروح لذوى الأجساد ، و هذه الموجودات - مع [ما -^٢] مضى من
خلق الخافقين - كتاب الملك الديان ، إلى الإنس و الجن ، المشهود لهم
بالبیان كما قيل^٣ يا إنسان :

٥ تأمل سطور الكائنات فانها من الملك الأعلى إليك رسائل

و قد خط فيها لو تأملت خطه الا كل شيء ما خلا الله باطل

و لما ثبت^٤ له سبحانه التفرد بالخلق و الأمر ، و كان باطلا إلا عند

من نور الله أو كانت الشمس و القمر من آياته^٥ المعرفة المشيرة في وجود

الدنيا و الآخرة إليه ، و كانا مشاهدين^٦ . و كان الإنسان قاصر العقل مقيد

١٠ الوهم بالمشاهدات لما عنده من الشواغل إلا من عصم^٧ الله ، أتج قوله

محذرا من عبادتهما لما یرى لهما من البهاء و فيهما من المنافع :

﴿ لا تسجدوا للشمس ﴾ التي هي أعظم أو ثأنكم فانها من جملة مبدعاته^٨ ،

و أعاد^٩ التافى تأكيدا للتفنى و إفادة لأن التفنى عن كل منهما على

حدته ، و لذلك أظهر موضع الإضمار^{١٠} فقال : ﴿ و لا للقمر ﴾ كذلك .

١٥ و لما نهى عن السجود لهما ، أمر بالسجود بما بين^{١١} استحقاقه لذلك

(١) سقط من م و مد (٢) زيد من ظ و مد (٣-٤) سقط ما بين الرتين من

ظ و م و مد (٤) من م و مد ، و في الأصل وظ : أثبت (٥) من مد ، و في

الأصل وظ و م : آيات (٦) من ظ و م و مد ، و في الأصل : شاهدين .

(٧) من ظ و م و مد ، و في الأصل : عظم (٨) من م و مد ، و في الأصل

وظ : مبتدعته (٩-٩) من ظ و م و مد ، و في الأصل : التاكيد التافى

في تأكيد المنفى (١٠) سقط من م (١١) من م و مد ، و في الأصل وظ : بين .

وعدم استحقاقهما، أو استحقاق شيء غيرهما له فقال: ﴿ واسجدوا ﴾
 'و نه على مزيد عظمته بالإظهار موضع الإضمار فقال: ﴿ لله ﴾ أى
 الذى له كل كمال من [غير - '] شائبة نقص [من أفول أو تجدد حلول - ٢]
 ﴿ الذى خلقهن ﴾ 'أى الأربعة' لأجلكم فهو الذى يستحق الإلهية، وأنث
 لأن [ما - '] لا يعقل حكمه حكم المؤنث [فى الضمير - ٢] وهى أيضا ٥
 آيات، وفيه إشارة إلى تنهى سفولها عما أهلوها له و ذم عابديها
 بالإفراط فى الغاوة، ويمكن أن يكون عد القمر اقمارا لأنه يكون تارة
 هلالا و أخرى بدرا و أخرى محوا، فلذلك جمع إشارة إلى قهرهما بالتغير
 له فى الجرم و لمهما بالتسير، و لذلك عبر بضمير المؤنث الذى يكون
 لجمع الكثرة عما لا يعقل.

١٠

و لما ظهر أن الكل عبيده، و كان السيد لا يرضى بإشراك عبده
 عبدا آخر فى عبادة سيده قال: ﴿ ان كنتم اياه ﴾ أى خاصة بغاية الروسخ
 ﴿ تعبدونه ﴾ [كما - '] هو صريح قولكم فى الدعاء فى وقت الشدائد
 لاسيما فى البحر، و محصل قولكم " ما نعبدكم الا ليقربونا إلى الله زلفى "
 فان اشركتم به شيئا بسجود أو غيره فما خصصتموه بالعبادة لأن السجود ١٥

(١-١) وقع ما بين الرقيين فى الأصل بعد « تجدد حلول » و الترتيب من ظ و م
 و مد (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) زيد من م و مد، و زيد فى الأصل:
 و أتى باسمه الجامع للصفات العلية المنزه عن الأفول أو التجدد أو الحلول
 فقال، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفها (٤-٤) من م و مد، و فى
 الأصل و ظ: الأربعة أى (٥) زيد من م و مد (٦) فى الأصل و ظ بياض
 ملائناه من م و مد (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ما .

من العبادة و فعله ولو في وقت واحد لغيره إشراك في الجملة ، و من
أشرك به لم يعبد وحده ، و من لم يعبد وحده لم يعبد أصلا ، لأنه
أغنى الأغنياء ، لا يقبل إلا الخالص وهو أقرب إلى عباده من كل شيء
فيوشك أن ينتقم منكم بأشراككم ، وفي الآية إشارة إلى الحث على
ه صيانة الآدميين عن أن يقع منهم سجود^١ لغيره رفعا لمقامهم عن^٢ أن
يكونوا ساجدين لمخلوق بعد أن كانوا مسجودا لهم ، فانه سبحانه أمر
الملائكة الذين هم أشرف خلقه بعدم بالسجود^٣ لآدم و هم في ظهريه فتكبر
اللعين^٤ إبليس ، فابد لعنه ، فشتان ما بين المقامين .

ولما كانوا في هذا الأمر بين طاعة ومعصية ، وكان درأ المفاسد
١٠ مقدما ، سبب عن ذلك قوله معبرا بأداة الشك تنبيها [لهم -^٥] على أن
استكبارهم بعد إقامة هذه الأدلة ينبغي أن لا يتوهم ، و صرف القول إلى
الغية تحقيرا لهم و إبعادا على تقدير وقوع ذلك منهم : ﴿ فان استكبروا ﴾
أي أوجدوا الكبر عن اتباعك فيما أمرتهم به من التوحيد^٦ فلم يوحّدوا
الله ولم ينزهوه^٧ تعالى عن الشريك ﴿ فالذين عند ﴾ و أظهر موضع الإضمار
١٥ معبرا بوصف الإحسان بشارة له و نذارة لهم ﴿ ربك ﴾ خاصة لا عندهم
لكونهم مقربين لديه في درجة الرضاء و الكرامة و لكونهم بما يستغرق

(١) من ظ و مد ، وفي الأصل و م : الى (٢) من ظ و م و مد ، وفي
الأصل : سجوده (٣) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : من (٤) من ظ و م
و مد ، وفي الأصل : للسجود (٥) سقط من ظ و م و مد (٦) زيد من ظ
و م و مد (٧-٧) في الأصل و ظ و م : فلم ينزهوا الله .

وعدم استحقاقهما، أو استحقاق شيء غيرهما له فقال: ﴿ واسجدوا ﴾
 ونبه على مزيد عظمته بالإظهار موضع الإضمار فقال: ﴿ لله ﴾ أى
 الذى له كل كمال من [غير - °] شائبة نقص [من أفول أو تجدد حلول - °]
 ﴿ الذى خلقهن ﴾ أى الأربعة؛ لاجلكنم فهو الذى يستحق الإلهية، و أنت
 لأن [ما - °] لا يعقل حكمه حكم الموث [فى الضمير - °] وهى أيضا ه
 آيات، وفيه إشارة إلى تنهاى سفولها عما أهلوها له و ذم عابديها
 بالإفراط فى الغاوة، ويمكن أن يكون عد القمر اقمارا لأنه يكون تارة
 هلالا وأخرى بدرا وأخرى محوا، فلذلك جمع إشارة إلى قهرهما بالتغير
 له فى الجرم ولهما بالتسير، ولذلك عبر بضمير الموث الذى يكون
 لجمع الكثرة عما لا يعقل.

١٠

ولما ظهر أن الكل عبيده، وكان السيد لا يرضى بإشراك عبده
 عبدا آخر فى عبادة سيده قال: ﴿ ان كنتم اياه ﴾ أى خاصة بغاية الروح
 ﴿ تعبدونه ﴾ [كما - °] هو صريح قولكم فى الدعاء فى وقت الشدائد
 لاسما فى البحر، ومحصل قولكم " ما نعبدكم الا ليقربونا إلى الله زلفى "
 فان اشركتم به شيئا بسجود أو غيره فإنا خصصتموه بالعبادة لأن السجود ١٥

(١-١) وقع ما بين الرقيين فى الأصل بعد « تجدد حلول » والترتيب من ظ و م
 ومد (٢) زيد من ظ و م ومد (٣) زيد من م و مد، وزيد فى الأصل:
 وأتى باسمه الجامع للصفات العلية المنزهة عن الأفول أو التجدد أو الحلول
 فقال، ولم تكن الزيادة فى ظ و م ومد فحذفناها (٤-٤) من م و مد، وفى
 الأصل و ظ: الأربعة أى (٥) زيد من م و مد (٦) فى الأصل و ظ بياض
 ملائكة من م و مد (٧) من ظ و م و مد، وفى الأصل: ما.

من العبادة و فعله ولو في وقت واحد لغيره إشراك في الجملة ، و من
أشرك به لم يعبد وحده ، و من لم يعبد وحده لم يعبد أصلا ، لأنه
أنقى الأغنياء ، لا يقبل إلا الخالص و هو أقرب إلى عباده من كل شيء
فيوشك أن ينتقم منكم بإشراككم ، و في الآية إشارة إلى الحث على
ه صيانة الآدميين عن أن يقع منهم سجود لغيره رفعا لمقامهم عن أن
يكونوا ساجدين لمخلوق بعد أن كانوا مسجودا لهم ، فانه سبحانه أمر
الملائكة الذين هم أشرف خلقه بعدم بالسجود لآدم و هم في ظهري فتكبر
اللعين إبليس ، فابد لعنه ، فستان ما بين المقامين .

ولما كانوا في هذا الأمر بين طاعة و معصية ، و كان درأ المفاسد
١٠ مقدما ، سبب عن ذلك قوله معبرا بأداة الشك تنبيها [لهم - ١] على أن
استكبارهم بعد إقامة هذه الأدلة ينبغي أن لا يتوهم ، و صرف القول إلى
الغية تحقيرا لهم و إبعادا على تقدير وقوع ذلك منهم : (فان استكبروا)
أى أوجدوا الكبر عن اتباعك فيما أمرتهم به من التوحيد فلم يوحدا
الله و لم ينزهوه تعالى عن الشريك (فالذين عند) و أظهر موضع الإضمار
١٥ معبرا بوصف الإحسان بشارة له و نذارة لهم (ربك) خاصة لا عديم
لكونهم مقربين لديه في درجة الرضاء و الكرامة و لكونهم بما يستغرق

(١) من ظ و مد ، و في الأصل و م : الى (٢) من ظ و م و مد ، و في
الأصل : سجوده (٣) من ظ و م و مد ، و في الأصل : من (٤) من ظ و م
و مد ، و في الأصل : للسجود (٥) سقط من ظ و م و مد (٦) زيد من ظ
و م و مد (٧-٧) في الأصل و ظ و م : فلم ينزهوا الله .

ه الآدميون و لكون الكفار لاقدرة لهم على الوصول إليهم^١ بوجه :
 (يسبحون له) أى يوقعون التنزيه عن النقائص و يعدون عن الشركة
 لأجل علوه الأقدس و عزه الأكبر لا لثىء غيره^٢ إخلاصا فى عبادة
 و هم لا يستكبرون .

و لما كان حال الكفار فى الإخلاص مختلفا فى الشدة و الرخاء ، ٥ / ٦٠٤
 أشار إلى تقييح ذلك منهم بتميم خواصه عليهم^٣ الصلاة و السلام بالإخلاص
 حالى الإثبات الذى هو حالة بسط فى الجملة ، و المحو الذى هو حالة قبض
 كذلك يحددون هذا التنزيه مستمرين عليه فى كل وقت [فقال - °] :
 (باليل و النهار) أى على مر الملون و كر الجديدين لا يفترون . و لما كان
 فى سياق الفرض لاستكبارهم المقتضى^٤ لإنكارهم ، أكد بالعاطف و الضمير ١٠
 فقال مؤذنا بأن هذا ديدنهم لا ينفكون عنه : (و هم) أى و الحال أنهم
 على هذا الدوام (لا يسمون ه) أى لا يكون لهم فى وقت من الأوقات
 فتور و لاملل ، فهو غنى عن عبادة هؤلاء^٥ بل و^٦ عن عبادة كل عابد ،
 و الحظ الأوفر لمن عنده . و أما هر سبحانه فلا يزيده شيئا و لا ينقصه
 شيء فدع هؤلاء إن استكبروا و شأنهم ، فيسعلون من الخاسر ، فالآية ١٥

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : إليه (٢) زيدت الواو بعده فى الأصل
 و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفها (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : عليه .
 (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : التى (٥) زيد من م و مد (٦) من م
 و مد ، و فى الأصل و ظ : المودى (٧-٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل :
 لا بل (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الأفر .

نظم الدرر (سورة حم السجدة ٤١ : ٣٩) ج- ١٧

[من الاحتباك - ١]: ذكر الاستكبار أولا دليلا على حذفه [ثانيا
والتمسيح ثانيا دليلا على حذفه - ١] أولا، وسر ذلك أنه ذكر أقبح
ما لأعدائه وأحسن ما لأولياته .

ولما ذكر بعض آيات السماء لشرها، ولأن بعضها عبد، ومن
آثار الإلهية، فذكر دلالتها على وحدانيته^١ اللازم منه إبطال عبادتها،
أتبعه بعض آيات الأرض بخلاف ما في ينس، فإن السياق هناك للبعث
وآيات الأرض أدل فقال: ﴿ ومن آياته ﴾ [أى - ٢] الدالة على
عظم شأنه وعلو سلطانه ﴿ انك ترى الأرض ﴾ أى بعضها بحاسة
البصر وبعضها بعين البصيرة قياسا على ما أبصرته، لأن الكل بالنسبة
١٠ إلى القدرة^٢ على حد سواء .

ولما كان السياق للوحدانية، عبر بما هو أقرب إلى حال العابد^٣
بخلاف ما مضى في الحج فقال: ﴿ خاشعة ﴾ أى يابسة لانبات فيها فهي
بصورة الذليل الذى لا منعة^٤ عنده لأنه [لا - ١] مانع من المشى^٥ فيها
لكونها مطمئنة^٦ بعد السار لوجهها بخلاف ما إذا كانت مهتزة راية^٧
١٥ متزخرة تحتال بالنبات .

(١) زيد من ظ و م ومد (٢) من م ومد، وفي الأصل و ظ : الوحدانية .
(٣) زيد من م ومد (٤) في م : عظيم (٥) من م ومد، وفي الأصل
و ظ : قدرته (٦) من م ومد، وفي الأصل و ظ : العباد (٧) من مد،
وفي الأصل و ظ و م : متعة (٨) من ظ و م ومد، وفي الأصل : الشئ .
(٩) من م ومد، وفي الأصل و ظ : مطمئنة (١٠) من ظ و م ومد، وفي
الأصل : تايبة .

ولما

(٤٩)

١٩٦

ر لما كان إنزال الماء مما استأثر به سبحانه، فهو من اعظم الأدلة
 على عظمة الواحد، صرف القول إلى مظهر العظمة فقال: ﴿فاذا أنزلنا﴾
 بما لنا من القدرة التامة و'العظمة' (عليها الماء) من الغمام أو سقناه
 إليها من الأماكن العالية و جلبنا به إليها من الطين ما تصلح به اللابات
 و إن كانت سبخة كأرض مصر ﴿اهتزت﴾ أى تحركت حركة عظيمة ٥
 كثيرة سريعة، فكانت كمن يعالج ذلك بنفسه ﴿وربت^١﴾ أى تشققت
 فارتفع ترابها و خرج منها النبات و سما فى الجو مغطيا لوجهها، و تشعبت
 عروقه، و غلظت سوقه، فصار يمنع سلوكها على ما كان فيه من السهولة،
 و صار بحسن زيه بمنزلة الختان فى أبواب ثرية^٢ بعد أن كان عاريا ذليلا
 فى أطار رثة و حال زرىء، و كذلك القلوب إذا خشعت لاستشعارها ١٠
 بما ألت به من الذنوب أقبل^٣ الحق سبحانه عليها فظهرها^٤ بيماء المعارف
 فظهرت / فيها ركات الدم و عفا عن أربابها ما قصروا فى صدق^٥ القدم
 و أشرقت^٦ بحلى الطاعات و زمت بملابس القربات، و زكت بأنواع
 التجليات .

٦٠٥ /

و لما كان هذا دليلا عظيما مشاهدا^١ على القدرة على إيجاد المعدوم، ١٥
 وإعادة البالى المحطوم، أنتج و لابد قوله مؤكدا لأجل ما هم فيه من الإنكار
 صارفا القول عن مظهر العظمة إلى ما ينبه على القدرة على البعث و لابد:

- (١-١) سقط ما بين الرقين من ظ و م و مد (٢) من مد، وفى الأصل و ظ
 و م: بزينة (٣) من ظ و م و مد، وفى الأصل: امد (٤) من م و مد، وفى
 الأصل و ظ: فزاه (٥-٥) من م و مد، وفى الأصل و ظ: القلب و اشفت.
 (٦) من م و مد، وفى الأصل و ظ: شاهدا .

نظم الدرر (سورة حم السجدة ٤١ : ٣٩ و ٤٠) ج - ١٧

(ان الذى احياها) بما أخرج من نباتها الذى كان يلى وتحطم و صار
 ترابا (لحي الموتى) كما فعل بالنبات من غير فرق . ولما كانوا مع
 إقرارهم بتمام قدرته كأنهم ينكرون قدرته لإنكارهم البعث [قال - ١] معللا
 مؤكدا : (انه على كل شئ قديره) لأن الممكنات متساوية الأقدام
 ه بالنسبة إلى القدرة ، فالقادر قدرة تامة على شئ منها قادر على غيره .
 و لا بين أن الدعوة إلى الله أعظم المناصب ، وأشرف المراتب .
 و بين أنها إنما تحصل ببيان دلائل التوحيد التى ٢ من أعظمها البعث ،
 و بينه إلى أن كان بهذا الحد من الوضوح ، كان مجزأ التهديد من عرض
 عن قبوله ، فقال فى ٣ عبارة عامة له ٤ و لغيره ، مؤكدا تنبيها على أن فعلهم
 ١٠ فعل من يظن أنه سبحانه لا يطلع [على - ١] أعماله : (ان الذين يلحدون)
 أى يميلون بصرف المعانى عن القصد و سنن العدل بنحو قولهم ” ما نعبدهم
 الا ٥ ليقربونا الى الله زلفى “ ، او يماحلون باللغو بالمكاه ٦ و التصدية و غير
 ذلك من أنواع اللفظ و كل ما يشمله معنى الميل عما تصح إرادته .
 و لا كان الاجترار على الإلحاد قادحا فى الاعتراف بالعظمة ، أعاد ٧
 ١٥ مظهرها فقال : (فى ايتنا) على ما لها من العظمة الدالة على ما لنا

(١) زيد من م و مد (٢) زيد فى الأصل و ظ : كل ، ولم تكن الزيادة فى
 م و مد لخصفها (٣) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : الذى (٤) من م و مد ،
 وفى الأصل و ظ : محر (٥) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : عن (٦) من م
 و مد ، وفى الأصل و ظ : لها (٧) فى م و مد : انما (٨) ليس فى م و مد .
 (٩) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : بالمكاه (١٠) فى م : إعادة .

من الوحداية و شمول العلم و تمام القدرة . و لما كان العلم بالإساءة مع القدرة سببا للاخذ، قال مقرر العلم بعد تقرير القدرة: ﴿ لا يخفون علينا ﴾ أى فى وقت من الأوقات و لا وجه من الوجوه، و نحن قادرون على أخذهم، فتى شئنا أخذنا، و لا يعجل إلا ناقص يخشى الفوت .

- و لما كان الإلحاد سببا لإلقاء صاحبه فى النار، و كان التقدير: ٥
و نحن نحلم عن العصاة فنرجع إلينا أمن كل مخوف، و من أعرض إلى الممات ألقيناه فى النار، سبب عنه قوله تعالى: ﴿ افن يلقى فى النار ﴾ أى على وجه أبسر أمر بسبب إلحاده فى الآيات و إعراضه عن الدلالات الواضحات، فيكون خائفا يوم القيامة لما يرى من مقدمات ذلك حتى يدهمه ما خاف منه ﴿ خير ام من يأتى ﴾ إلينا ﴿ امنا يوم القيمة ﴾ حين ١٠
نجمع عبادنا للعرض علينا للحكم بينهم بالعدل فيدخل الجنة دار السلام فيدوم أمنه، و الآية من الاحتباك: ذكر الإلقاء فى النار أولا دليلا على دخول الجنة ثانيا، و الأمن ثانيا دليلا على الخوف أولا، و سره أنه ذكر المقصود بالذات، و هو ما وقع الخوف لأجله أولا، و الأمن الذى هو / العيش فى الحقيقة ثانيا .

١٥ / ٦.٦

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بالإشارة (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تقدير (٣) زيد فى الأصل: من، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فخذناها (٤) فى م: يدهم (٥) زيد فى الأصل: صارنا القول عن الغيبة إلى الخطاب لأنه أدل على الغضب على التبادى بعد هذا البيان و من كان امنا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فخذناها (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: دخل .

نظم الدرر (سورة حم السجدة : ٤١ - ٤٢) ج - ١٧

ولما كان هذا 'رادا و لا بد' للعاقل عن سوء أعماله إلى الإحسان
رجاء إنعام الله و إفضاله، أتبع قوله مهديا و مخوفا و متوعدا صارفا
القول عن الغيبة إلى الخطاب^٢ لأنه أدل على الغضب على المتنادى بعد هذا
البيان: ﴿اعملوا ما شئتم﴾ أي فقد علمتم مصير المسىء و المحسن، فمن أراد
ه شيئا من الجزائين فليعمل أعماله، فإنه ملاقيه^٣. و لما كان العامل^٤ لا يطمع
في الإهمال إلا على تقدير خفاء الأعمال، و المعمول له لا يترك الجزاء
إلا للجهل أو عجز، بين [أنه -] سبحانه محيط العلم^٥ عالم بمثاقيل^٦ الذر
فقال مرغبا مرهبا مؤكدا لأنهم يعملون عمل من يظن أن أعماله تخفى،
عادلا^٧ عن مظهر العظمة إلى ما هو أدل شيء على الفردانية، لئلا يظن أن
١٠ مزيد العلم بواسطة كثيرة: ﴿انه﴾ و قدم أعمالهم تنبيها على الاهتمام
بشأنها جدا فقال: ﴿بما تعملون﴾ أي في كل وقت ﴿بصيرة﴾
بصرا و علما، فهو على كل شيء منكم قدير.

ولما جعل لإيهم الاختيار في العمل تهديدا، أنبهه الإخبار بما لمن
خالفه، فقال مؤكدا للإنكارهم مضامين ما دخل عليه التأكيد:
١٥ ﴿ان الذين كفروا﴾ أي ستروا مرأى العقول الدالة على الحق مكذبين

(١-١) من ظ و م و مد، وفي الأصل: ولا بد رادا (٢) سقطت الواو من م.
(٢-٢) من ظ و م و مد، وفي الأصل: إلى الخطاب بعد الغيبة (٤) من م
و مد، وفي الأصل و ظ: قد (٥) من م و مد، وفي الأصل و ظ: لاقية.
(٦) من م و مد، وفي الأصل و ظ: العاقل (٧) زيد من م و مد (٨-٨) من
ظ و م و مد، وفي الأصل: علما مثاقيل (٩) من م و مد، وفي الأصل
و ظ: عادة.

بالذكر

(٤٠)

٢٠٠

بالذكر الذي لا ذكر في الحقيقة غيره (لما جاءهم ج) من غير توقف أصلاً ، فدل ذلك منهم على غاية العناد (وانه) أى والحال أنه (لكذب) أى جامع لكل خير (عزيز) أى لا يوجد مثله فهو يغلب كل ذكر [ولا يغلبه ذكر - ١] ولا يقرب من ذلك ، ويعجز كل معارض ، ولا يعجز أصلاً عن إبعاد مناهض .

٥

ولما كان من معاني العزة انه ممتنع بمثاقه رصفه و جزالة نظمه و جلالة معانيه من أن يلحقه تغيير ما ، بين ذلك بقوله : (لا ياتيه الباطل) أى البين البطلان إتيان غلبة فيصير 'أرشي' منه باطلاً بينا . ولما كان المراد تعميم النفي : لا نفي العموم ، أدخل الجار فقال : (من بين يديه) أى من جهة الظاهر مثل أمر أخبر به عما كان قبله (ولا من خلفه) ١٠ من جهة العلم الباطن مثل علم ما لم يشتهر من الكائن والآتي سواء كان حكماً أو خبراً لأنه في غاية الحقيقة والصدق ، والحاصل أنه لا يأتيه من جهة من الجهات ، لأن ما قدام أوضح ما يكون ، وما خلف أخفى ما يكون ، فما بين ذلك من باب الأولى ، فالبارة كناية عن ذلك لأن صفة الله 'لا وراء لها ولا أمام' على الحقيقة ، ومثل ذلك ليس وراء الله ١٥ مرمى ، ولا دون الله منتهى ، ونحوه مما تفهم العرب ومن علم لسانها

- (١) زيد من ظ و م ومد (٢) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : علته .
 (٣) من م ومد ، وفي الأصل و ظ : يخلفه (٤-٤) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : ارشي (٥-٥) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : امام لها ولا وراء .
 (٦) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : لسانها .

نظم الدرر (سورة حم السجدة ٤١ : ٤٢ و ٤٣) ج - ١٧

المراد به دون لبس، ثم علل ذلك بقوله : ﴿ تنزيل ﴾ أى بحسب التدرج لأجل المصالح ﴿ من حكيم ﴾ بالغ الحكمة فهو يضع كل شيء منه فى آتم محاله فى وقت النزول و سياق النظم ﴿ حميده ﴾ أى بالغ الإحاطة بأوصاف الكمال من الحكمة وغيرها و التنزه و التطهر و القدس ه عن كل شائبة نقص، يحمده كل خلق بلسان حاله إن لم يحمده بلسان قاله، بما ظهر عليه من نقصه أو كماله، والخبر محذوف تقديره : خاسرون لا محالة لأنهم لا يقدرّون على شيء مما يوجهونه^١ إليه من الطعن لأنهم / عجزه ضعفاء صغرة^٢ كما قال المعرى :

/ ٦٠٧

أرى الجوزاء تكبر أن تصادا فعائد من تطبيق له عنادا^٣

١٠ و حذف الخبر أهول لتذهب النفس كل مذهب .

ولما وصف الذكر بأنه لا يصح ولا يتصور أن يلحقه نقص، فبطل قولهم ” لا تسمعوا لهذا القرآن و الغوا فيه “ و نحوه مما مضى و حصل الأمن منه، أتبعه التسلية مما يلحق به من الغم ليقع الصبر على جميع أقوالهم و أفعالهم فقال : ﴿ ما يقال لك ﴾ أى يبرز إلى الوجود ١٥ قوله سواء كان فى ماضى الزمان أو حاضره أو آتية من^٤ شيء من الكفار أو غيرهم يحصل به ضيق صدر أو تشويش فكر من قولهم ” قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه “ إلى آخره، و غير ذلك مما تقدم أنهم قالوه له

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ : يوجهون (٢) من مد، و فى الأصل و ظ و م : صغيرة (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ : الفساد (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل : عن .

متعنتين به ﴿الاما﴾ أى شيء ﴿قد قيل﴾ أى حصل قوله على ذلك الوجه ﴿لرسل﴾ وإن لم يقل لكل واحد منهم فانه قيل للجموع، وبه على أن ذلك ليس مستغرق للزمان بل تارة [وتارة -^١] بادخال الجار في قوله: ﴿من قبلك^١﴾ ولما حصل بهذا الكلام ما أريد من التأسية، فكان موضع التوقع لهم أن يحل بهم ما حل^٢ بالآدم قبلهم من عذاب ٥ الاستئصال، وكان صلى الله عليه وسلم شديد الشفقة عليهم والمحنة لصالحهم، سكن سبحانه روعه بالإعلام بأن رحمته سبقت غضبه، فقال مخوفا مرجيا^٣ لأجل إنكار المنكرين: ﴿ان﴾ وأشار إلى مزيد رفعته بذكر صفة الإحسان وإفراة الضمير فقال: ﴿ربك﴾ أى المحسن إليك بإرسالك وإزال كتابه [إليك -^١]، ومن أكرم بمثل هذا لا ينبغي له ١٠ أن يحزن لشيء يعرض ﴿لذو مغفرة﴾ أى عظيمة جدا في نفسها وزمانها [ومكانها -^١] لمن يشاء منهم، فلا يقطع لأحد بشقاء.

ولما رغبهم باتصافه بالمغفرة، رهبهم باتصافه بالانتقام، وأكد باعادة "ذو" والواو فقال: ﴿وذو عقاب﴾ والختم بما رويه الميم مع تقديم الاسم الميمى فى التى قبلها دال للاشعرى الذى قال بأن الفواصل ١٥ غير مراعية فى الكتاب العزيز، وإنما المعول عليه المعانى لا غير، والمعنى [هنا على -^١] إيلام من كانوا يؤلمون^١ أوليائه باللغو عند

(١) زيد من م ومد (٢) فى م: حصل (٣) زيد فى الأصل وظ: لا راجيا، ولم تكن الزيادة فى م ومد لخذفناها (٤) من م ومد، وفى الأصل وظ: افراد (٥) فى ظ ومد: مرعية (٦) من م ومد، وفى الأصل وظ: يلامون.

نظم الدرر (سورة حم السجدة ٤١ : ٤٣ و ٤٤) ج - ١٧

التلاوة الدالة على غاية العناد، فلذلك قدم حكيم، ولم [يقول -^١]
شديد، [وقال -^٢] : ﴿اليمه﴾ [أى -^٣] كذلك، فلا يقطع لاحد
بجاءه إلا من أخبره هو سبحانه بأشقائه أو إجماعه، وقد تقدم فعله لكل
من الأمرين أنجى ناساً وغفر لهم كقوم يونس عليه الصلاة والسلام،
و عاقب آخرين، و سيفعل في قومك من كل من الأمرين ما هو الأليق
بالرحمة بأرسالك، كما أشار إليه ابتداءه بالمغفرة، فالآية نحو: إن ربك
لذو مغفرة للناس على ظلمهم، ولعله لم يصرح هنا تعظيماً للقرآن الذى
الكلام بسية .

ولما افتتحت السورة بأنه أنزل على أحسن الوجوه و أجملها وأعلامها
١٠ و آيتها و أكملها من التفصيل و الجمع و البيان بهذا اللسان العظيم الشأن،
فقالوا فيه ما وقعت هذه القسيلة لأجله / من قولهم "قلوبنا فى اكنة"
إلى آخره، و كان ربما قال قائل: لو كان بلسان غير العرب، و أعطى
هذا النبى فهمه و القدرة على تبيينه لكان أقوى فى الإعجاز و أجدر
بالاتباع، أخبر أن الأمر ليس كذلك، لأنهم لم يقولوا: هذا الشك
١٥ حصل لهم فى أمره، بل عنادا، و المعاند لا يردده شيء، فقال على سبيل
التأكيد، معلماً بأن الأمر على غير ما ظنه هذا الظان، و قال الأصبهاني:
إنه جواب عن قولهم "وقالوا قلوبنا فى اكنة" . و الأحسن عندى

(١) فى م و مد: فلذا (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) زيد من م و مد.
(٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بنتاجة (هـ) من ظ و م و مد، و فى
الأصل: اكبر (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فاه .

أن

(٥١)

٢٠٤

أن يكون عطفاً على " فصلت آيته قرأنا عرياً " و بناء للفعول لأنه
 بلسانهم فلم يحتاج إلى تعيين المفضل^١، فيكون التقدير: فقد جعلناه عرياً
 معجزاً، وهم أهل العلم باللسان، فأعرضوا عنه وقالوا فيه ما تقدم،
 ولقت القول عن وصف الإحسان الذي اقتضى أن يكون عرياً إلى
 مظهر العظمة الذي هو محط إظهار الاقتدار وإفاد الكلمة (ولو جعلته) ه
 أى هذا الذكر بما لنا من العظمة^٢ والقدرة^٣ (قرأنا) أى على ما هو
 عليه^٤ من الجمع (عجمياً) أى لا يفصح وهو مع ذلك على وجه ياسب
 عظمتنا إيشهد [كل -^٥] أحد أنه معجز للعجم كما أن هذا معجز للعرب
 وأعطيناك فهمه والقدرة على إفهامهم إياه (لقالوا) أى مؤلاء المتعنتون^٦
 فيه كما يقولون في هذا بغياء وتعنتا: (لولا) أى ملا ولم لا (فصلت آيته) ١٠
 أى بينت على طريقة تفهيمها^٧ بلا كلفة ولا مبين، حال كونه قرأنا عرياً
 كما قدمنا أول السورة .

ولما تبين^٨ بشاهد الوجود^٩ أنهم قالوا في العري^{١٠} الصرف و شهادة

- (١) من م ومد، وفي الأصل و ظ : الفعل (٢ - ٣) سقط ما بين الرقبتين من
 ظ و م ومد (٣) سقط من م (٤) زيد من م ومد (٥ - ٥) من ظ و م
 ومد، وفي الأصل : انه (٦) من ظ و مد، وفي الأصل و م : المتعنتين -
 كذا (٧ - ٧) من م ومد، وفي الأصل و ظ : طريق تفهيمها (٨) من م ومد،
 وفي الأصل و ظ : بين (٩) من ظ و م ومد، وفي الأصل : الوحوه .
 (١٠) من م ومد، وفي الأصل و ظ : العري .

الحكيم الودود، وأنهم يقولون في الأعجمي^١ الصرف، لم يبق إلا المختلط
منهما المنقسم إليهما، فقال مستأفا منكرا عليهم للعلم بأن ذلك منهم مجرد
لدد لاطلبا للوقوف على سبيل الرشد: ((عجمي)) أى أمطلوبكم^٢
أو مطلوبنا - على قراءة الخبر من غير استفهام - أعجمي ((وعربي)) مفصل
باللسانين، [و الأعجمي - ٣] كما قاله الرازي في اللوامع: الذى لا يفصح
ولو كان عربيا. والعجمي من العجم ولو تفصح بالعربية.

ولما كان من الجائز أن يقولوا: نعم، ذلك مطلوبنا، وكان نزول
من الرتبة العليا إلى ما دونها مع أنه لا يجيب إلى المقترحات إلا مرید
للعذاب، أو عاجز عن إنفاذ ما [نريد - ٤]، بين أن^٥ مراده نافذ من
١٠ غير هذا فقال: ((قل هو)) أى هذا القرآن على ما هو عليه من العلو
الذى لا يمكن أن يكون شيء يناظره ((للذين آمنوا)) أى اردنا وقوع
الإيمان منهم ((هدى)) بيان لكل مطلوب ((وشفاء)) لما فى صدورهم من
داء الكفر والهواء والإفك فأذاتهم به سمعة، وقلوبهم له^٦ وأعية،
وهو لهم بصائر، قال القشيري، فهو شفاء للعلماء حيث استراحوا عن
١٥ كد الفكرة وتحير الخواطر وشفاء لضيق [صدور - ٥] المريدين^٧ بما
فيه من التنعم بقراءته والتلذذ بالتفكر فيه، وقلوب المحبين من لواجم^٨

- (١) من ظ و م و مد، وفى الأصل: العجمي (٢) من ظ و مد، وفى
الأصل و م: مطلوبكم - بدون همزة الاستفهام (٣) زيد من ظ و م و مد -
(٤) زيد من م و مد (٥) من ظ و م و مد، وفى الأصل: يدين (٦) من
م و مد، وفى الأصل و ظ: به (٧) من مد، وفى الأصل و ظ و م: المهدين -
(٨) من ظ و م و مد، وفى الأصل: نواعج.

الاشتياق بما فيه من لطائف المواعيد، و لقلوب العارفين بما يتوالى عليها'
 من أنوار التحقيق و آثار خطاب الرب العزيز (و الذين لا يؤمنون)
 أى اردنا أنه لا يتجدد منهم إيمان' (فى آذانهم وقر) أى ثقل مذهب
 للسمع مصم، فهم لذلك لا يسمعون سماعا ينفعهم لأنهم بادروا إلى رده
 ٢ أول ما سمعوه و تكبروا عليه / فصاروا لا يقدرُونَ على تأمله ٥ / ٦٠٩
 فهزيم الكسل و أصمهم الفشل' فعز عليهم فهمه (وهو عليهم) أى
 خاصة (عمى) [مستعل - ٢] على أبصارهم و بصارهم لازم لهم، فهم
 لا يعونه حق الوعى، و لا يبصرون' الداعى به [حق - ٢] الإبصار، فلهم
 به ضلال و داء، فلذلك قالوا " و من بيننا و بينك حجاب " و ذلك
 لما يحصل لهم من الشبه' التى هيئت قلوبهم لقبولها'، أو يتبادى بهم فى ١٠
 الأرقام التى لا يألفون سوى فروعها و أصولها، فقد بان أن سبب الورق
 فى آذانهم الحكم بعدم إيمانهم للحكم بأشقيائهم، فالآية من الاحتباك: ذكر
 الهدى و الشفاء أولا دليلا على الضلال و الداء ثانيا، و الورق و العمى
 ثانيا دليلا على السمع. و البصار أولا، و سر ذلك أنه ذكر أمدح صفات
 المؤمنين و أذم صفات الكافرين، لأنه لا أحقر من أعمى أعمى . ١٥

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عليهم (٢) من ظ و م و مد، و فى
 الأصل: إيمانهم (٣-٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: أو (٤) من م و مد،
 و فى الأصل وظ: عته (٥-٥) - سقط ما بين الرقین من ظ و م و مد (٦) سقط
 من م و مد (٧) زيد من م و مد (٨) من ظ و مد، و فى الأصل و م:
 لا يبصرونه (٩) من م و مد، و فى الأصل وظ: السية (١٠) من ظ
 و م و مد، و فى الأصل: لقلوبها .

و لما بان بهذا بعدهم عن عليائه و طردهم عن فائه قال : ﴿اولئك﴾
 [أى - ١] البعداء البعضاء مثلهم مثال من ﴿ينادون﴾ أى يناديهم
 من يريد نداءهم غير الله ﴿من مكان بعيد﴾ فهم بحيث لا يتأنى سماعهم ،
 و أما الاولون فهم ينادون بما هيئوا له من القبول من مكان قريب ،
 فهذه هى القدرة الباهرة ، و ذلك ان شيئا واحدا يكون للناس فى غاية
 القرب و لناس معهم فى مكائهم فى انهى البعد .

و لما كان التقدير : فلقد آتيناك الكتاب على هذه الصفة من
 العظمة ، فاختلفت فيه أمتك على ما اعليناك به أول البقرة من انقسام
 الناس فعاقبنا الذين تكبروا عليه أن ختمنا على مشاعرهم ، عطف عليه
 ١٠ مسلينا قوله مؤكدا لمن يقول من اهل الكتاب إضللا : لو كان نبياً
 ما اختلف الناس عليه و نحو ذلك مما يلبس به : ﴿ولقد آتينا﴾ [أى - ١]
 على ما لنا من العظمة ﴿موسى الكتب﴾ أى الجامع لما فيه هداهم
 ﴿فاختلف﴾ أى وقع الاختلاف ﴿فيه﴾ أى من أمته كما وقع فى
 هذا الكتاب لأن الله تعالى خلق الخلق الاختلاف مع ما ركب
 ١٥ فيهم من العقول الداعية إلى الاتفاق ﴿ولولا كلمة﴾ أى إرادة
 ﴿سبقت﴾ فى الأزل ، و ائت القول إلى صفة الإحسان ترصية بالقدر*

(١) زيد من م و مد (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بينا (٣) زيد فى
 الأصل و ظ : من ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فخذناها (٤) زيد فى الأصل :
 فيه كذلك ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فخذناها (٥) من م و م
 و مد ، و فى الأصل : بالقدرة .

و تسلية ، و [زاد - '] ذلك بافراده بالإضافة فقال : ﴿ من ربك ﴾
 أى المحسن إليك بتوفيق الصالح لاتباعك و خذلان الطالح بالطرده عك
 لإراحتك منه من غير ضرر لدينك و باهمال كل إلى أجل معلوم ثم
 إهمال الكل إلى يوم الفصل الأعظم من غير استئصال بعذاب كما صنعنا
 بغيرهم من الأمم ﴿ لقضى ﴾ أى وقّع القضاء الفصيل ﴿ بينهم ' ﴾ هـ
 المختلفين بانصاف المظلوم من ظالمه الآن . و لما علم بهذا و غيره ان يوم
 القيامة قد قدره و جعله موعدا من لا يبدل القول لديه ، فاتضح أنه
 لا بد منه و لا يحيد عنه و هم يجادلون فيه ، قال مؤكدا : ﴿ و انهم لفي شك ﴾
 أى محيط بهم ﴿ منه ﴾ أى [القضاء - '] يوم الفصل ﴿ مريبه ﴾
 أى موقع فى الريب و هو التهمة و الاضطراب بحيث لا يقدر. ن على ١٠
 التخلص من دائرته أصلا .

و لما تقرر بما مضى أن / المطيع ناج ، و تحرر أن العاصي هالك ،
 ٦١٠ / كانت النتيجة من غير تردد : ﴿ من عمل صالحا ﴾ كائنا من كان من
 ذكر أو أنثى ﴿ فلنفسه ﴾ أى ففعل عمله لها [ببركتها به - '] لا يتعدها ،
 [و النفس فقيرة إلى التزكية بالأعمال الصالحة لأنها محل القصاص ، فلذا ١٥
 عبر بها ، و كان قياس العبارة فى جابب الصلاح . و من عمل سيئا
 فأفاد العدول إلى ما عبر به مع ذكر العمل أولا الذى مبناه العلم إن
 الصالح تتوقف صحته على نيته ، و أن السوء يؤاخذ به عامله فى الجملة
 من الله أو الناس و لو وقع خطأ فلذا قال - '] : ﴿ و من أسأ . ﴾

(١) زيد من م و مد (٢-٢) سقط ما بين الرقنين من ظ و م و مد .

نظم الدرر (سورة حم السجدة ٤١ : ٤٦ - ٤٧) ج - ١٧

أى^١ فى عمله ﴿ فعليها ﴾ أى على نفسه خاصة ليس على غيره منه شىء .
 و لما كان لمقصد السورة نظر كبير إلى الرحمة ، كرر سبحانه وصف
 الربوبية فيها كثيرا ، فقال عاطفا على ما تقدّمه : فإ ربك ببارك جزاء
 أحد أصلا خيرا كان أو شرا : ﴿ وما ربك ﴾ أى المحسن [إليك -^٢]
 ٥ بارسالك لتعميم مكارم الأخلاق . و لما كان لا يصح أصلا ولا يتصور
 أن ينسب إليه سبحانه ظلم ، عبر للدلالة على ذلك بكرة فى سياق النفي
 دالة^٣ على النسبة مقرونة بالجاء فقال : ﴿ بظلام ﴾ أى بنى ظلم ﴿ للعبيد ﴾
 أى هذا الجنس فلا يتصور أن يقع منه ظلم لأحد منهم أصلا لأن له
 الغنى المطلق والحكمة البالغة ، و عبر بـ « عبيد » دون « عباد » لأنه
 ١٠ موضع إشفاق وإعلام بضعف وعدم قدرة على انتصار و عناد^٤ يدل
 على طاعة وعدم حقارة بل إكرام هذا أغلب الاستعمال ، ولعل حكمة
 التعبير بصيغة المبالغة الإشارة إلى أنه لو ترك الحكم والأخذ للظلم من
 الظالم ، لكان بليغ الظلم من جهة ترك الحكمة التى هى وضع الأشياء
 فى أتن محالها ثم من جهة^٥ وضع الشىء وهو العفو عن المسمى
 ١٥ وترك الانتصار للظلم فى غير موضعه ، ومن جهة التسوية بين المحسن
 والمسمى ، و ذلك أشد فى تهديد الظالم لأن الحكيم لا يخالف الحكمة فكيف
 إذا كانت المخالفة فى غاية البعد عنها - هذا مع أن التعبير بها لا يضر

(١) سقط من م ومد (٢) زيد من م ومد (٣) من م ومد ، وفى الأصل وظ
 دلالة (٤) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : بعبد (٥) من م ومد ، وفى
 الأصل وظ : عباد (٦) من م ومد ، وفى الأصل وظ : وجهة - كذا .

لأنها

لأنها موضوعة أيضا للنسبة إلى أصل المعنى مطلقا ولأن نفي مطلق الظلم^١ مصرح به [في - ٢] آيات أخرى .

ولما تضمنت الآية السالفة الجزاء على كل جليل وحقير، وقليل وكثير، والبراءة من الظلم، كما قال تعالى ” وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون “، ” وفيت كل نفس ما عملت “، ” وهو اعلم بما يفعلون “ وأشير ه إلى التوعد بالجزاء في يوم الفصل لأننا نشاهد أكثر الخلق يموت من غير جزاء، و^٢ كان من عادتهم السؤال عن علم ذلك اليوم، وكان ترك الجزاء إنما يكون للعجز، والظلم إنما يكون للجهل، لأنه وضع الأشياء في غير محالها فعل الماشي في الظلام، دل على تعاليه عن كل منهما بتمام العلم المستلزم لشمول القدرة على وجه فيه جوابهم ١٠ عن السؤال عن علم الوقت الذي تقوم فيه الساعة الذي كان سببا لنزول هذه الآية - كما ذكره ابن الجوزي - بقوله على سبيل التعليل :

(١) من ظ و م و مد، وفي الأصل: المظالم (٢) زيد من م و مد (٣) من ظ و م و مد، وفي الأصل: او (٤) من ظ و م و مد، وفي الأصل: التي .

(إليه) أي إلى المحسن إليك لا إلى غيره (يرد) من كل راد
 (علم الساعة^١) أي التي لاساعة في الحقيقة غيرها، لما لها من الأمور التي
 لانسبة غيرها بها، فهي الحاضرة لذلك في جميع الأذهان، وإما يكون الجزاء
 على الإساءة والإحسان فيها حتى يظهر لكل أحد ظهوراً بيناً لكل أحد أنه
 لا ظلم أصلاً، فلا يمكن أن يسأل أحد سواه عنها ويخبر [عنها -^١] بما
 يغنى في تعيين وقتها^٢ وكيفية صنعها^٣، / وكلها^٤ انتقل السائل [من -^٥] مسؤل
 إلى أعلم منه وجده كالذي^٥ قبله حتى يصل الأمر إلى الله تعالى،
 والعالم منهم هو الذي يقول: الله أعلم، فاستشاره بعلمها دال على تاهي
 عليه، وحجبه له عن كل من دونه دال على تمام قدرته، واجتماع^٦
 الأمرين^٧ مستلزم لبعده عن الظلم، وأنه لا يصح اتصافه به، فلا بد من
 إقامته لها ليوفي كل ذي حق حقه، ويأخذ لكل مظلوم ظلامته
 غير متعج^٨.

/ ٦١١

ولما كانوا ينازعون في وقوعها فضلاً عن العلم بها، عدها أمراً محققاً
 مفروغاً منه^٩ وذكرها^{١٠} يدل على شمول عليه لكل حادث في وقته دليلاً
 ١٥ على علمه بما يعين وقت الساعة، وذلك على وجه يدل على قدرته عليها
 وعلى كل مقدور بما لا نزاع لهم فيه من ثمرات النبات والحيوان التي

(١) زيد من م ومد (٢-٢) ليس ما بين الرقنين في م ومد ام من ظ وم ومد،
 وفي الأصل: لما (٤) زيد من ظ وم ومد (٥) من م ومد، وفي الأصل وظ:
 كاتي (٦) من ظ وم ومد، وفي الأصل: لاجتماع (٧) زيد في الأصل:
 وذلك، ولم تكن الزيادة في ظ وم ومد لحذفها (٨) من م ومد، وفي الأصل
 وظ: متصنع (٩) سقط من م (١٠-١٠) من ظ وم ومد، وفي الأصل: ذكره.

هي خبء^١ في ذوات ما هي خارجة منه، فهي كخروج الناس بعد موتهم من خبء^١ الأرض، فقال مقدما للرزق على الخلق كما هو الأليق، عطفًا على ما تقديره: فاعلمها ولا يعلمها إلا هو: ﴿وما نخرج﴾ [إي -^٢]
في وقت من الأوقات الماضية والكائنة والآية، فإن «ما» النافية لا تدخل [إلا -^٣] على ما معناه الحلول، فالمراد بمجرد تصوير الحال وإن كان هـ زمانه قد مضى أو لم يأت، وأكد النفي بالجار فقال: ﴿من ثمرة﴾ أي صغيرة أو كبيرة صالحة أو فاسدة من الفواكه والحبوب وغيرها؛ والإفراد في قراءة الجماعة للجنس^٢ الصالح للقليل والكثير، نهت قراءة نافع وابن عامر وحفص عن عاصم^٣ بالجمع على كثرة الأنواع ﴿من اكمامها﴾ جمع كم وكامة^٤ بالكسر وبها و هو: عا. اطلع و غطاء. ١٥
النور، وكل ما غطى على وجه الإحاطة شيئًا من شانه أن يخرج فهو كم، ومنه قيل للقلنسوة: كمة، ولكم القميص وبحوه: كم، [إي إلا يعلمه -^٥] ﴿وما تحمل من انثى﴾ خداجا أو تمامًا، ناقصًا^٦ أو تامًا^٧، [و رد النفي باعادة النافي ليشمل كلا على حياله، وعبر به دلاء، لأن الوضع ليس كالحمل يقع في لحظة بل يطول زمان انتظاره فقال -^٨]: ﴿ولا تصع﴾ ١٥
حلا حيا^٩ أو ميتا ﴿الا﴾ حال كونه ملتبسا^{١٠} ﴿يعلمه^{١١}﴾ ولا علم

- (١) من م ومد، وفي الأصل وظ: حب (٢) رد من م ومد.
(٣) من مد، وفي الأصل وظ: الجنس، والكلمة سائطة من م (٤) راجع نثر المرجان ٦ / ٣٢٥ (٥) من ظ وم ومد، وفي الأصل: كامة (٦) من م ومد، وفي الأصل وظ: بكم (٧) زيد في الأصل: كان، ولم تكن الزيادة في ظ وم ومد فحذفناها (٨) من مد، وفي الأصل وظ وم: تماما.
(٩) من م ومد، وفي الأصل وظ: ما ملتبسا (١٠) زيد في الأصل: أي الابلعه، ولم تكن الزيادة في ظ وم ومد فحذفناها.

لأحد غيره بذلك، و من ادعى علما به فليخبر بأن ثمرة الحديقة الفلانية و البستان الفلاني [و البلد الفلاني - '] تخرج في الوقت الفلاني او لا تخرج العام شيئا أصلا، و المرأة الفلانية تحمل في الوقت الفلاني و تضع في وقت كذا او لا تحمل العام شيئا، و من المعلوم أنه لا يحيط بهذا علما إلا الله سبحانه و تعالى .

و لما ثبت بهذا علمه صريحا و قدرته لزوما و عجز من سواه و جهله، و تقرر بذلك امر الساعة من أنه قادر عليها بما أقام من الأدلة، و أنه لا بد من كونها لما وعد به من تكوينها لينصف المظلوم من ظالمه لأنه حكيم و لا يظلم أحدا و إن كانوا في إيجادها ينازعون، و له ينكرون، قال تعالى مصورا ما تضمنه ما سبق من جهلهم، و مقرا بعض أحوال القيامة، عاظما على ما ارشد [السياق - '] إلى تقديره من نحو: فهو على كل شيء قدير لأنه على كل شيء شهيد و هم بخلاف ذلك، مقرا قدرته صريحا و عجز ما أدعوا من الشركاء: ﴿ و يوم يناديهم ﴾ أي المشركين بعد بعثهم من القبور، للفصل بينهم في سائر الأمور فيقول المحسن إليك بأنواع الإحسان الذي منه إنصاف المظلوم من ظالمه على سبيل التوبيخ و التقريع و التنديد: ﴿ اين شركاءي لا ﴾ [أي - '] الذين زعمتم أنهم يشفعون لكم في هذا اليوم و يحمونكم من العقاب و اللوم، و العامل^١

(١) زيد من م و مد (٢) من م و مد، و في الأصل و ظ: بذلك (٣) من م و مد، و في الأصل و ظ: لأنه (٤) زيد في الأصل: و الانداد و الآلهة فقال تعالى - و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد تخدفتها (٥) زيد في الأصل: و التويع، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد تخدفتها (٦) من ظ و م و مد، و في الأصل: العلى قل - كذا .

في الظرف (قالوا) أى المشركون: ﴿اذنك﴾ أى أعلنناك سابقا باللسنة
أحوالنا والآن باللسنة^١ مقالنا، وفي كلتا الحالتين أنت سامع لذلك لأنك
سامع لكل [ما - ٢] يمكن أن يسمع وإن لم يسمعه غيرك، ولذا
عبروا بما منه الإذن (ما منا) وأكدوا^٣ النفي بادخال الجار في المبتدأ
المؤخر فقالوا: ﴿من شهيد^٤﴾ أى حتى دائما حاضر دون غيبة، مطلع^٥
على ما يريد من [غير - ٥] خفاء بحيث لا يغيب عن علمه شيء فيخبر
بما يخبر به على سبيل القطع والشهادة، قال الأمر إلى^٦ أن المعنى: لانعلم
أين ما كنا نسبيهم شركاء^٧ لأنه^٨ ما منا من هو محيط العلم .
ولما قرر جهلهم، أتبعه بحزم فقال: ﴿و ضل﴾ أى ذهب
وشذ^٩ وغاب وخفي (عنهم) ولما كانت معبوداتهم إما عن لا يعقل ١٠
كالأصنام وإما في عداد ذلك لكونهم لا فعل لهم في الحقيقة، عبر عنهم
بأداة ما لا يعقل فقال: ﴿ما كانوا﴾ أى دائما ﴿يدعون﴾ فى كل
حين على وجه العبادة .

ولما كان دعاؤهم غير مستغرق لزمان القبل، [أدخل الجار - ١٠]
فقال: ﴿من قبل﴾ فهم لا يرونه فضلا عن أنهم^{١١} يحدون نفعه ويلقونه، ١٥

(١) من م ومد، وفي الأصل وظ: بالسن (٢) زيد من ظ وم ومد (٣) فى
م ومد: أكد (٤) فى الأصل: فقال تعالى قاوا، وفى ظ: فقال تعالى،
والكلمات ساقطة من م ومد (٥) زيد من م ومد (٦) من م ومد، وفى
الأصل وظ: لا (٧) من م ومد، وفى الأصل وظ: لانا (٨-٨) ليس ما
بين الرقيين فى ظ وم ومد (٩) من م ومد، وفى الأصل وظ: ان .

نظم الدرر (سورة حم السجده ٤١ : ٤٨ - ٥٠) ج - ١٧

و كأهم كانوا لما هم عريمون فيه من الجهل وسوء الطبع يتوقعون أن
يظفروا بهم فيشفعوا لهم ، فلذلك عبر بالظن في قوله : ﴿ وظنوا ﴾ اى
في ذلك الحال ﴿ ما لهم ﴾ و أبلغ في النقي بادخال الجار على المبتدأ
المؤخر فقال . ﴿ من محيص ﴾ اى مهرب و ملجأ و مودل .
٥ و لما دل اتباعهم للظن حتى في ذلك اليوم الذى تكشف فيه
الامور ، و تظهر عظام المقدور ، و إقاؤهم بأيديهم فيه على اهم في
غاية العراقة في الجهل و الروح في العجز ، أتبع ذلك الدليل على أن
ذلك طبع هذا النوع فلا يزل متبدل الاحوال متغير المناهج . إن احسن
بخير انتفخ عظمه و تطال دبرا . و إن مس يلاء تضائل ذلا و املا .
١٠ ضعفا و عجزا ، و ذلك ضد مقصود السورة الذى هو العلم ، يانا لأن
حال هذا النوع بعيد من العلم ، عرق الصفات في الجهل و الشر إلا من
عصمه الله فقال تعالى : ﴿ لا يسم ﴾ اى يمل و يضجر ﴿ الانسان ﴾ اى
من الانس بنفسه الناظر في أعطافه ، الذى لم يتأهل للعارف الإلهية و الطرق
الشرعية ﴿ من دعاء الخير ﴾ اى من طلبه طلبا عظيما ، و ذلك دال
١٥ مع شرهه على جهله ، فانه لو كان عالما بأن الخير يأتيه اولا يأتيه لخفف
عن نفسه من جهده في الدعاء ” و لو كنت اعلم اني لا استكثر
من الخير و ما مسنى السوء “ ﴿ و ان مسه الشر ﴾ اى هذا النوع قلبه
و كثيره بغته من جهة لا يتوقعها ﴿ فيؤس ﴾ اى عريق في اليأس ، و هو
انقطاع الرجاء و الامل / و الحزن العظيم و القطع بلزوم تلك الحالة

(١) في م و مد : عصم .

/ ٦١٣

بحيث صار قدوة في ذلك ﴿ قوط ه ﴾ اى مقيم في دارة انقطاع الامل
والخواطر الرديئة، فهو تأكيد للمعنى على احسن وجه و آتمه ، وهذا هو
ما طبع عليه الجنس، فمن أراد الله به^٢ منهم خيرا عصمه، ومن اراد به
شرا أجراه مع الطبع فكان كافرا، لأنه لا يأس من روح الله إلا القوم
الكافرون^٣، قال أبو حيان^٤؛ والياس من صفة القلب، وهو ان ينقطع^٥
رجاؤه من الخير، والقنوط ان يظهر عليه آثار اليأس فيتضاءل^٦
وينكسر، وبدأ بصفة^٧ القلب لأنها هي المؤثرة فيما يظهر على الصورة
من الانكسار^٨.

ولما دل ذلك على عظيم جهله و غلبة أفكاره الرديئة على عقله،
أتبعه تأكيداً لذلك ما يدل على أن حاله بعد هذا اليأس الذى قطع^{١٠}
فيه بلزوم الشر و امتناع حصول الخير أنه لو عارذته^{١١} "النعمة بغته من
وجه لا يرجوه، وليس له دليل ما على دوامها وانصرامها لعاد إلى البطر
والكبر والاشتر، ونسى ما كان فيه من الشدة، فقال مستندا إلى نفسه
الخير بعد أن ذكر الشر، ولم يسنده إليه تعليما للأدب" معبرا بمظهر العظمة

-
- (١) من ظ وم و مد، وفي الأصل: المعنى (٢) من م و مد، وفي الأصل وظ:
بهم (٣) زيد في الأصل: انتهى، ولم تكن الزيادة في ظ وم و مد لحدتها.
(٤) راجع البحر المحيط ٧ / ٥٥٤ (٥) في البحر: صيغة (٦) في البحر: يقطع.
(٧) من ظ وم و مد والبحر، وفي الأصل: فينضال (٨) في البحر: بصيغة.
(٩) من البحر، وفي الأصول: الانكسار (١٠) من م و مد، وفي الأصل
وظ: عاوته (١١) زيد في م: ولفت القول.

تنبيهها على أن ذلك من جليل التدبير ﴿وَلَنُذِقْنَهُ﴾ أى الإنسان الذى غلبت عليه حالة الآنس بنفسه حتى اسفلته عن أبناء جنسه إلى رتبة الحيوانات العجم بل درنهما •

و لما اخبر آخر^١ الآية السالفة عن حاله عند الشر . قدم هنا ضده على صلته^٢ اهتماما به بخلاف ما فى سورة هود عليه السلام فقال : ﴿رحمة ما﴾ أى نعمة عظيمة دلت على إكرامه من جهة لا يرجوها ، وهو من فائدة التعبير بأداة الشك ، و دل باثبات الجار على انفصالها عن الضر مع قرب زمانها^٣ منه ليكون قد جمع مباشرة الأحوال الثلاث^٤ : الانتقام والإكرام وما بينهما من الوسط^٥ الذى بين حالى الرضا والسخط ؛ ١٠ ثم شرع^٦ يبان ذلك فقال : ﴿من بعد ضراء﴾ أى محنة وشدة عظيمة ﴿مسته﴾ فطال بروكها عليه ، و أجاب القسم لتقدمه على الشرط بقوله : ﴿ليقولن﴾ بمجرد ذوق تلك الرحمة على أنها ربما كانت بلاء عظيما لكونها استدراجا إلى الهلاك : ﴿هذا﴾ أى الأمر العظيم ﴿لى لا﴾ أى مختص بى لما لى من الفضل ، لا مشاركة لأحد معى فيه مع أنه ثابت ١٥ لا يتغير انتقالا من حالة اليأس إلى حالة الأمن والبطر والكبر والاشتر على قرب الزمن من ذوق المحن^٧ وينسى أنها من فضل الله ليقيدها بشكرها ،

(١) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : الآخر (٢) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : العلة (٣) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : زمنها (٤) من م ومد ، وفى الأصل : الثلاثة (٥) فى م : الوسط (٦) فى م ومد : اسرع . (٧) فى م : المحسن .

و يطردها بكفرها ﴿ وما اظن الساعة ﴾ أى ' القيامة التى هى لعظمها المستحقة أن تحتص باسم الساعة ﴿ فآئمه لا ﴾ أى ثابتا قيامها ، فقطع الرجاء منها سواء عبر عن ذلك بلسان قاله أو بلسان حاله ، لكونه يفعل أفعال الشاك فيها كما كان قطع الرجاء من الخير عند مباشرته للشر لكنه هنا

[قال - '] على سبيل التقدير و الفرض ، لدفع من يعظه محققا لدوام ه

نعمته : ﴿ و ائن رجعت ﴾ أى على سبيل الفرض بقسر قاسر ما ﴿ الى ربى ﴾ أى الذى أحسن إلى بهذا الخير الذى أنا فيه ﴿ ان لى عنده ﴾ وأكد

للد على من / يعظه بأنه يذهب إن لم يحسن قلبه و قاله ﴿ للحسنى ج ﴾ أى
٦١٤ / الحالة و الرتبة البالغة في الحسن حد لا يوصف لأنى أهل لذلك ،

و الدليل على تأملى له ما أنا فيه الآن من الخير ، ونسى ما يشاهده غالبا ١٠
من أن كثيرا من النعم يكون للاستدراج ، و من أن كثيرا من الناس يكون فى غاية النعمة فيصبح و قد أحاطت به كل نقمة ، فهو بين أمتين فى الدنيا بقوله ' هذا ' ، و فى الآخرة يقول : يا ليتنى كنت ترابا ، فلا يزال فى المحال ' - نعوذ بالله من سوء الحال .

ولما كان هذا هو الكفر الصراح^٤ لنسيان نعمة المنعم و جملة الإنعام ١٥

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : التى هى (٢) زيد من م و مد (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : التى (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : كثير (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : يقول (٦) زيد فى الأصل : لى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لخدفتها (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الحال (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الصريح .

من الواجب اللازم وشكه فيما احبر سبحانه على السنة جميع الرسل انه
محط حكمته، سبب عنه سبحانه قوله ، .ؤكدنا في نظير تأكيد هذا الناسي :
(فلننبئن) أى تنبئة عظيمة بحير الوصف فيها مستقصاة على سبيل
العدل ، وجعل موضع الضمير الوصف تصريحاً بالعموم وبياناً للعلة
الموجبة فقال : (الذين كهروا) أى ستروا ما دلت عليه العقول ،
وأوجبه صرائح النقول ، من إقامة الساعة لإظهار جلاله وجماله ، ومن
أنه تعالى يحل بالإنسان السراء والضراء ليخافه ويرجوه ويشكره ويدعوه
(بما عملوا) لاندع منه قليلا ولا كثيرا صغيرا ولا كبيرا ، فليرون
عيانا ضد ما ظنوه في الدنيا من ان لهم الحسى ”وقدما الى ما عملوا
١٠ من عمل فجعلنه هباء منثورا“ (ولنديفهم) بعد إقامة الحجج عليهم
بموازن القسط الوافية لمثاقيل الذر (من عذاب غليظه) لا يدع جهة
من اجسامهم ولا قواهم إلا أحاط بها ولا تقوى على دفعه قوهم .

ولما بين جهل الإنسان في حالات مخصوصة باليأس عند [مس -]
الشر ، والأمن عند ذوق النعمة بعد الضر ، بين حاله عند النعمة مطلقا
١٥ ودعائه عند الشر وإن كان قانطا تكريرا لتقلب أحواله و تناقض
أقواله وأفعاله^١ تصريفا لذلك على وجوه شتى ليكون داعيا له^٢ إلى عدم
الافتقار من الرجوع عن الكفر إلى الإيمان ، ومسقطا عنه^٣ خوف الشبه^٤

(١) سقط من ظ و م ومد (٢) زيد في الأصل : ولا ، ولم تكن الزيادة في
ظ و م ومد فحذفناها (٣) زيد من ظ و م ومد (٤-٤) من م ، وفي الأصل
و ظ ومد : أفعاله وأقواله (٥) سقط من م (٦) من ظ ومد ، وفي الأصل
وم : عند (٧) من م ومد ، وفي الأصل و ظ : السبئية .

بذلك والنسبة إلى الخفة و عدم الثبات، فقال معبرا بأداة التحقيق دلالة على غلبة نعمه تعالى في الدنيا لتقمه، و دلالة على حالة الإنسان عند^١ مس النعمة من جهة يتوقعها بعد بيان حاله عند مسها بغتة من غير توقع تأكيداً لبيان جهله حيث جعل ظرف النعمة ظرفاً للإعراض من غير خوف من نزعها على قرب عهده بالضر: (و إذا انعمنا) بما لنا من ه العظمة^٢ والإحسان^٣ (على الإنسان) أى الواقف مع نفسه نعمة تليق بعظمتنا، فسه الخير، [ولم يعبر في هذا الجانب بما عبر به في الذى عده] إذانا بأن المعرض مسمى لمجرد الإعراض لا المبالغة فيه فقال -^٤: (اعرض) أى انحرف عن سواء القصد إلينا عنا في جميع مدة النعمة - بما أفهمه الظرف، فلم يقيد تلك النعمة بالشكر بعد ما رأى من ١٠ حلالتنا، قاطعاً بأن تلك النعمة خير محض ظاهراً و باطناً فهو يستدبرها، و ربما كانت [بلاء -^٥] استدراجاً^٦ و امتحاناً^٧ (و نأ) أى أبعد^٨ لإبعاداً شديداً بحيث جعل بيننا وبينه حجاباً عظيماً^٩ حال كونه مال^{١٠} (بجانبه) أى بشقه كناية عن / تكبره و بآره و إعجابه بنفسه و زهوه ٦١٥ / و تصويراً له بمن [كلمته -^{١١}] فازور عنك و التوى، و أبعد في ١٥ ضلاله و غوى .

ولما تقدم حال الإنسان عند مس الشر بغتة، بين حاله عند مسه

- (١) من ظ و م و مد، وفي الأصل: عن (٢-٢) -قط ما بين الرقين من ظ و م و مد (٢) زيد ما بين الحاجزين من م و مد (٤) زيد من ظ و م و مد. (٥-٥) في ظ و م و مد: بعدا .

و هو يتوقعه ، فقال معبرا في جانب الشر بأداة التحقيق على غير عادة القرآن في الأغلب ، ليدل على أنه لزيادة جهله على الحد يلزم الكبر وإن كان يتوقع الشر ولا يزال حاله حال الآمن إلى أن يخالطه وحينئذ تنحل عراه و تضمحل قواه : (واذا مسه الشر) أى هذا النوع قليله ه و كثيره لا تتقامنا منه ، فالآية من الاحتباك : ذكر الإنعام أولا دليل الاتقام ثانيا و ذكر الشر ثانيا دليل الخير أولا ، و مره تعليم الأدب بنسبة الإنعام دون الشر إليه وإن كان الكل منه ' .

ولما كان تعظيم العرض دالا على عظمة الطول ، قال معبرا بما يدل على الملازمة و الدوام : (فذودعآه) أى فى كشفه ، وربما كان نعمة باطنة و هو لا يشعر ولا يدعو إلا عند المس ، و قد كان [ينبغى - ٢] له أن يشرع فى الدعاء عند التوقع بل قبله تعرفا إلى الله تعالى فى الرخاء ليعرفه فى الشدة و هو خلق شريف لا يعرفه إلا أفراد خصهم الله بلطفه ، فدل تركه له على عدم شكره لما مضى و خفة عقله لما باتى و مفاجأته للزوم الدعاء عند المس على عدم صبره و تلاشى جلده و قلة حياته (عريض ه) أى مديد العرض جدا ، و أما طوله فلا تسئل عنه ، و هذا كناية عن النهاية فى الكثرة .

(١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : دليلا على (٢) زيد فى الأصل : فى الحقيقة قدر الخير وأرادته و ضده و لم يريده ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحدوثها (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : لا يفعل (هـ) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : فلا شكل .

ولما ذكر سبحانه من أحوالهم المدرجة في [أحوال - '] هذا النوع كله ما هو مكشوف بشاهد^١ الوجود من أنه لا ثبات لهم لاسيما عند الشدائد إعلاما بالعراقة في الجهل والعجز، دل على الأمرين معا بما لا يمكن عاقلا دفعه من أنهم لا يجوزون^٢ الممكن فيعدون له ما يمنعه على تقدير وقوعه، فأمره صلى الله عليه وسلم أن يذكر ذلك^٣ إنيانا بالإعراض عنهم دليلا على تناهي الغضب فقال: (قل اريتم)^٤ أي أخبروني (ان كان)^٥ أي هذا القرآن الذي نصبتُم لمغالته حتى بالإعراض عن السماع باللغو حال قراءته من الصغير^٦ والتصفيق وغير ذلك، وليس ذلك^٧ منكم صادرا^٨ عن حجة قاطعة في أمره أتم معها على يقين [بل هو - '] عن خفة وعدم تأمل منكم أنه (من عند الله)^٩ ١٠ الذي له الإحاطة بجميع صفات الجلال والجمال فهو لا يغالب .

ولما كان الكفر به على هذا التقدير في غاية البعد، وكان مقصود السورة داثرا على العلم، نه على ذلك بأداة التراخي مع الدلالة على أن ذلك ما كان منهم إلا بعد تأمل طويل، فكانوا معاندين حتى نزلوا بالصغير^{١١} والتصفيق عن^{١٢} أعلى رتب الكلام^{١٣} إلى أصوات الحيوانات العجم فقال: ١٥

- (١) زيد من م ومد (٢) من م ومد، وفي الأصل وظ : مشاهد (٣) من م ومد، وفي الأصل وظ : لا يجيزون (٤) من مد، وفي الأصل وظ وم : لمبالغته (٥) من ظ وم ومد، وفي الأصل : التصفيق (٦ - ٧) من ظ وم ومد، وفي الأصل : صادرا منكم (٧) من م ومد، وفي الأصل وظ : بالتصفيق (٨) من ظ وم ومد، وفي الأصل : على (٩) من م ومد، وفي الأصل وظ : الكمال .

(ثم كفرتم به) أى بعد إيمان^١ النظر فيه والتحقق لأنه حق ،
 / فكنتم بذلك فى شقاق هو فى غاية البعد من الملامه لمن لم يزل يستعطفكم
 بجميل أفعاله ، ويردكم بجليل^٢ أقواله وآمن به غيركم لأنه من عند الله
 (من اضل) منكم - هكذا كان الأصل ولكنه قال : (من هو فى شقاق)
 ه أى لأولياء الله (بعيده) تنبيهها على أنهم صاروا كذلك ، وأن من
 صار كذلك فقد عرض^٣ نفسه لسطوات الله وتعالى التى من واقعته
 هلك لا محالة ، ومن أهدى بمن هو فى إسلام قريب وهو الذى آمن
 لأنه سالم الله الذى من سالمه سالمه كل شيء ، فنجنا من كل خطر^٤ - فالآية
 من الاحتباك : ذكر الكفر أولا دليلا على الإيمان ثانيا ، والضلال ثانيا
 ١٠ دليلا على الهدى أولا ، وسره أن ذكر المضار^٥ اصدع للقلب فهو
 أنفع فى الوعظ^٦ .

ولما كان هذا محزنا للشفوق^٧ عليهم لإفهامه لشدة بعدهم عن الرجوع ،
 قال منها على أنه إذا أراد سبحانه قرب ذلك منهم غاية القرب لافتا
 القول إلى مظهر العظمة إيدانا بسهولة^٨ ذلك عليه : (سريهم) أى عن
 ١٥ قرب^٩ بوعد لا خلف فيه (أيتنا) أى على ما لها^{١٠} من العظمة

(١) فى م ومد : انعام (٢) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : بجميل (٣) فى
 الأصل وظ بياض ملأناه من م ومد (٤) زيد فى الأصل : عظيم ، ولم تكن
 الزيادة فى ظ وم ومد لحذفناها (٥ - ٥) من ظ وم ومد ، وفى الأصل :
 الضلال (٦ - ٦) من م ومد ، وفى الأصل وظ : للوعظ (٧) من ظ وم
 ومد ، وفى الأصل : للشفوق (٨) من م ومد ، وفى الأصل وظ : لسهولة
 (٩) من م ومد ، وفى الأصل وظ : قريب (١٠) من م ومد ، وفى
 الأصل وظ : لنا .

ولما ذكر سبحانه من أحوالهم المندرجة في [أحوال - '] هذا النوع كله ما هو مكشوف بشاهد^٢ الوجود من أنه لا ثبات لهم لاسيما عند الشدائد إعلاما بالعراقة في الجهل والعجز، دل على الأمرين معا بما لا يمكن عاقلا دفعه من أنهم لا يجوزون^٣ الممكن فيعدون له ما يمنعه على تقدير وقوعه، فأمره صلى الله عليه وسلم أن يذكر ذلك .
إذنا بالإعراض عنهم دليلا على تنهى الغضب فقال : (قل اريدتم)
أى أخبروني (ان كان) أى هذا القرآن الذى نصبتم لمغالبته^٤ حتى بالإعراض عن السماع باللغو حال قراءته من الصغير^٥ والتصفيق وغير ذلك، وليس ذلك^٦ منكم صادرا^٧ عن حجة قاطعة فى أمره أتم معها على يقين [بل هو - '] عن خفة وعدم تأمل منكم أنه (من عند الله) ١٠
الذى له الإحاطة بجميع صفات الجلال والجمال فهو لا يغالب .

ولما كان الكفر به على هذا التقدير فى غاية البعد، وكان مقصود السورة دأرا على العلم، نبه على ذلك بأداة التراخي مع الدلالة على أن ذلك ما كان منهم إلا بعد تأمل طويل، فكانوا معاندين حتى نزلوا بالصغير^٨ والتصفيق عن^٩ أعلى رتب الكلام^{١٠} إلى أصوات الحيوانات العجم فقال : ١٥

- (١) زيد من م ومد (٢) من م ومد، وفى الأصل وظ : مشاهد (٣) من م ومد، وفى الأصل وظ : لا يجيزون (٤) من م ومد، وفى الأصل وظ وم : لمباغتة (٥) من م ومد، وفى الأصل : التصفير (٦ - ٧) من م ومد : صادرا منكم (٧) من م ومد، وفى الأصل وظ : بالتصفير (٨) من م ومد، وفى الأصل : على (٩) من م ومد، وفى الأصل وظ : الكمال .

(ثم كفرتم به) أى بعد إيمان^١ النظر فيه والتحقيق لأنه حق،
 / فكنتم بذلك فى شقاق هو فى غاية البعد من الملامه لمن لم يزل يستعطفكم
 بحميل أفعاله، ويردكم بحليل^٢ أقواله وآمن به غيركم لأنه من عند الله
 (من اضل) منكم - هكذا كان الأصل ولكنه قال: (من هو فى شقاق)
 ه أى لأولياء الله (بعيده) تنبيهها على أنهم صاروا كذلك، وأن من
 صار كذلك فقد عرض^٣ نفسه لسطوات الله وتعالى التى من واقعته
 هلك لاحالة، ومن أهدى عن هو فى إسلام قريب وهو الذى آمن
 لأنه سالم الله الذى من سالمه كل شئ، ففجا من كل خطر^٤ - فالآية
 من الاحتباك: ذكر الكفر أولا دليلا على الإيمان ثانيا، والضلال ثانيا
 ١٠ دليلا على الهدى أولا، وسره أن ذكر المضار^٥ اصدع للقلب فهو
 أنفع^٦ فى الوعظ^٧.

ولما كان هذا محزنا للشقوق^٨ عليهم لإفهامه لشدة بعدهم عن الرجوع،
 قال منها على أنه إذا أراد سبحانه قرب ذلك منهم غاية القرب لافتا
 القول إلى مظهر العظمة إيدانا بسهولة^٩ ذلك عليه: (سزيرهم) أى عن
 ١٥ قرب^{١٠} بوعد لا خلف فيه (أيتنا) أى على ما لها^{١١} من العظمة

(١) فى م ومد: انعام (٢) من ظ وم ومد، وفى الأصل: بحميل (٣) فى
 الأصل وظ بياض ملثناه من م ومد (٤) زيد فى الأصل: عظيم، ولم تكن
 الزيادة فى ظ وم ومد لحدفتها (٥ - ٥) من ظ وم ومد، وفى الأصل:
 الضلال (٦ - ٦) من م ومد، وفى الأصل وظ: للوعظ (٧) من ظ وم
 ومد، وفى الأصل: للشقوق (٨) من م ومد، وفى الأصل وظ: بسهولة -
 (٩) من م ومد، وفى الأصل وظ: قريب (١٠) من م ومد، وفى
 الأصل وظ: لنا.

(في الآفاق) أى النواحي ، جمع افق كعق و أعناق ، أبدلت الهمزة الثانية ألفا لسكونها بعد مثلها^١ . أى وما ظهر من نواحي الفلك أو مهب الرياح ، وذلك بما يفتح [الله من - ٢] البلاد بغلب أهلها بوقائع كل واحد منها علم من أعلام النبوة ، وشاهد عظيم كاف في صحة الرسالة ، تصديقا لوعده سبحانه وما أهلك من أهلها لنصر أياته ورسله وبما ه فيها من عجائب الصنع و غرائب الآثار و الوضع باختلاف الأحكام مع اتفاق جواهرها في التجانس - و غير ذلك من الآيات المشاهدة بالبصر اللآنى يشرحها بآيات السمع .

ولما كان الإيمان بالغيب هو المعتبر ، و كل ما كان أقرب إليه كان أقرب إلى الكمال ، وكانت آيات الآفاق أقرب إلى ذلك ، بدا بها ، ١٠ ثم قال : (وفي أنفسهم) أى من فتح مكة وما أصابهم من سنى الجوع وقصة أبى بصير ونحو ذلك ، و تفصل لهم مع ذلك ما فى الآدمى نفسه من بدائع^٢ الآيات و عجائب الخلق و غرائب الصنعة و ما فيه من أمارات الحدوث و اختلاف الأوصاف و غير ذلك من الشواهد المطابقة لما تضربه من الأمثال و الدلائل المعقولة عند اعتبار الأقوال و الأفعال ، ١٥ و بما فى بلاد العرب من الآيات المرئية من نفي الشرك بعد إسرائهم إليه و إطباقهم عليه و إثبات التوحيد عن جميعهم بعد إبعادهم عنه و قتالهم الداعى إليه ، و قد بين سبحانه فى هذه 'من آيات' الآفاق فى آية

(١) فى م : بمثلها (٢) زيد من م و مد (٣) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : بديم (٤-٤) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : الآيات .

” انكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين “ و ما شاكلها، و فى
الانفس فى آيات ” فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد و ثمود ‘ و الذين
من بعدهم “، و نحوها، و آيات ” لا يسم الانسان من دعاء الخير “ إلى
آخرها الدالة على أن الإنسان مبنى أمره على الجهل و العجز، فأكثر ما
٥ يتصوره ليس كما تصوره، فعليه أن يتأمل كتاب ربه و يتدبره - و الله
أعلم، / قال الرازى فى اللوامع : الاستدلال بالآفعال على فاعلها واضح
و طريق لائح، و الآفعال على قسمين أحدهما الآفاق و هو جملة العالم،
و الثانى النفوس، فان من عرف نفسه عرف ربه، أى من عرف روجه
و كونها جوهر متصرفا فى البدن تصرف التدبير و علم صفاتها من أنها
١٠ باقية بغير البدن لا يحتاج فى قوامها إلى البدن، بل البدن محتاج إليها و أنها
محل المعرفة فن عرف أمثال هذه المعارف عرف ربه و صفاته من وحدانيته
و علمه و قدرته و إرادته و تصرفه فى جملة العالم يعنى و أن وجوده تعالى
مباين وجود غيره .

/ ٦١٧

و لما كان التقدير : و لا نزال نواتر ذلك شيئا فى أثر شيء، عطف
١٥ عليه قوله : ﴿ حتى يتبين لهم ﴾ غاية البيان بنفسه من غير إعمال فكر
﴿ انه ﴾ أى القرآن ﴿ الحق ﴾ الكامل فى الحقيقة الذى تطابقه الوقائع

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ و م و مد (٢) من م و مد، و فى الأصل
و ظ : تصوره (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل : معرفة (٤ - ٤) من م
و مد، و فى الأصل و ظ : لا يزال متواتر (٥) من م و مد، و فى الأصل
و ظ : الحقيقة (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل : يطابق .

و تصادفه

و تصادفه الأحوال العارضة و الصنائع ، فيجتمعوا عليه و يقبلوا بكل قلوبهم
إليه ، فلا يأباه في جزيرة العرب إنسان ، ولا يختلف فيه منهم اثنان ،
ثم يثبون^١ في أرجاء الأرض بطولها^٢ و العرض فيظهر بهم على سائر
الاديان ، و يبید على أيديهم أهل الكفران ، في سائر البلدان ، و يزول
كل طغيان ، فيكون ظهورهم في هذا الوقت و ضعف المؤمنين بعد أن ه
كان سببا لازديادهم من الكفر عظة لهم و لكل من يأتي بعدهم يوجب
الثبات في محال الزلازل^٣ علما بأن الله أجرى عادته أن يكون للباطل ربح
تحقق ثم تسكن ، و دولة تظهر ثم تضمحل ، و صولة نجول ثم تحول .
و لما كان هذا القول منها على أن [في - ٤] الآفاق و الانفس
من الآيات المرتبة التي يقرأها أولو الأبصار بالبصائر ، و يتأملها أهل ١٠
الاعتبار بأعين السرائر ، أمرا لا يحيط به الوصف ، فكان حاديا^٥ على
تجريد^٦ الأفكار للنظر و الاعتبار ، و الوقوف على بعض ما في ذلك من
لطائف الأسرار ، كان كأنه قيل : ألم يروا بعقولهم ما في ذلك من
الأدلة على أن القرآن من عند الله فيكفيهم عن شهادة شيء خارج
عن أنفسهم ، [عطف عليه - ٥] قوله : ﴿ أو لم يكف ﴾ و أكد بادخال ١٥
الجار ، و حقق الفاعل فقال مؤكدا بالباء و محققا أنه الفاعل صارفا القول

(١) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : يثبتون (٢) من م و مد ، وفي الأصل
و ظ : طولها (٣) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : الزلازل (٤) زيد من
م و مد (٥) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : حاويا (٦) من م و مد ، وفي
الأصل و ظ : تحديد .

نظم الدرر (سورة حم السجدة ٤١ : ٥٣ و ٥٤) ج - ١٧

إلى وصف الإحسان إيدانا بالرفق بهم بردم إليهم دون ارتكابهم ما
يوجب نكالهم وإهلاكمهم واستئصالهم: ﴿ربك﴾ أي المحسن إليك
بهذا البيان المعجز للانس والجان شهادة بأنه من عنده ﴿انه﴾ أي
أولم يكف شهادة ربك^١ لانه ﴿على كل شيء شهيد﴾ لا يغيب عنه
شيء من الأشياء، لا هذا القرآن ولا غيره، وقد شهد لك فيه باعجازه
جميع الخلق بكل ما تضمنته آياته، ونطقت به كلماته، ففيه أعظم بشارة
بتأم أمر الدين وظهوره على المعتدين، وذلك لأن كل أحد يجد في
نفسه أنه إذا أراد ثبوت حق ينكره من هو عليه وإصاحب الحق من
الشهود ما يتحقق قولهم فيه ورسوله بهم إليه أنه يكون مطمئنا لا يزعج
١٠ / ٦١٨ بالجحد علنا منه بأن حقه / لا بد أن يظهر ويخزي معانده ويقهر^٢،
وفي هذا تأديب لكل من كان على حق ولا يجد من يساعده على
ظهوره فإن الله شاهده فلا بد أن يظهر أمره فتوكل على الله إليك على
الحق المبين .

ولما لم يبق بعد هذا المتعنت^٣ مقال، ولا شبهة أصلا اضال، كان
١٥ موضع المناذاة على من استمر على تناده بقوله مؤكدا لادعائهم^٤ أنهم
على جليبه من أمرهم، ﴿الآنهم﴾ أي الكفرة ﴿في مرة﴾ أي جحد
وجدال وشك وضلال عن^٥ العث ﴿من لقاء﴾ و صرف القول
(١) من م ومد، وفي الأصل وظ : إلى (٢) من م ومد، وفي الأصل
وظ : بربك (٣) من ظ وم ومد، وفي الأصل : يقهره (٤) من م ومد،
وفي الأصل وظ : المتعنت (٥) من ظ وم ومد، وفي الأصل : لا عليهم .
(٦) من ظ وم ومد، وفي الأصل : على .

[إلى - '] إضافة وصف الإحسان [إليهم - '] إشارة إلى أنه لابد من كال تريتهم بالبعث لأنه أحكم الحاكمين فقال : (ربهم ') أى المحسن إليهم بأن خلقهم و رزقهم للحساب و الجزاء بالثواب و العقاب كما هو شان كل حكيم فيمن تحت أمره .

و لما كانوا مظهرين ' الشك في القدرة ' على البعث ، قرره إيمانهم ، معترفون به من قدرته على كل شيء من البعث و غيره فقال : (الآ أنه) أى هذا المحسن إليهم (بكل شيء) أى من الأشياء كلها و تفاصيلها كلياتها و جزئياتها أصولها و فروعها غيبها و شهادتها ملكها و ملكوتها (محيط) قدرة و علما من كثير الأشياء و قليلها كليها و جزئها ، فعما قليل يجمعهم على الحق و يبدلهم بالمرية إذعانا و بالشك يقينا ١٠ و برهاناً ، فرحمته عامة لجميع أهل الوجود و خاصة لمن من عليه بالإيمان الموصل إلى راحة الأمان ، فكيف يتصور في عقل أن يترك البعث ليوم الفصل الذى هو مدار الحكمة ، و محط إظهار النعمة و النعمة ، و قد علم بذلك انطباق آخرها المادح للكتاب المقرر للبعث و الحساب على أولها المفصل للقرآن المفيض لقسمي الرحمة : العامة و الخاصة لأهل الأكوان ، ١٥ على ما اقتضاه العدل و الاحسان ، بالبشارة لأهل الإيمان ، و النذارة لأهل الطغيان - و الله الهادى ' و عليه التكلان ' .

(١) زيد من م و مد (٢-٢) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : في الشك للقدرة (٣) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : قورهم (٤) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : يده (٥) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : برهانه . (٦-٦) سقط ما بين الرقيين من ظ و م و مد .

سورة حم عسق^١ وتسمى أيضا عسق [و الشورى -^٢]

مقصودها الاجتماع على الدين الذى أساسه الإيمان ، و أم دعائمه الصلاة ، و روح امره الألفة بالمشاورة المقتضية لكون أهل الدين كلهم فيه سواء كما أنهم فى العبودية لشارعه سواء ، و أعظم نافع فى ذلك الإتفاق و المؤاساة فيما فى اليد ، و العفو و الصفح عن المسىء ، و الإذعان للحق فى الخضوع للأمر الحق و إن صعب و شق ، و ذلك كله الداعى إليه هذا الكتاب الذى هو روح جسد هذا الدين المعبر عما دعا إليه من محاسن الأعمال ، و شرائف الخلال بالصراط المستقيم ، و إلى ذلك لوح آخر السورة الماضية "حتى يبين [لهم -^٣] أنه الحق" "الا انه بكل شيء محبط" و صرح ما فى هذه^٤ من قوله "اقيموا الدين و لا تفرقوا فيه الا المودة فى القربى" "استجيبوا لربكم" "نهى به من نشاء من عبادنا" "و انك لتهدى الى صراط مستقيم" "الا الى الله تصير الامور" و تسميتها بالشورى / واضح المطابقة لذلك لما فى الانتهاء و كذلك بالاحرف المتقطعة فانها جامعة للخارج الثلاثة^٥ : الحلق و الشفة و اللسان ، و كذا

/ ٦١٩

- (١) الثانية و الأربعون من سور القرآن الكريم مكية باستثناء بعض الآيات ، و عدد آياتها ثلاث و خمسون فى الكوفى و خمسون فيما عداه - راجع روح المعانى ٥٠٣/٧ (٢) سقط من ظ و م و مد (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اسبابه على (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : دعاية (٦) زيد من م و مد (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : هذا . (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : التلات .

جمها

جمعها لصنفي المنقوطة و العاطلة ، ووصفي المجهورة و المهموسة ، و هي
 واسطة جامعة بين حروف أم الكتاب الذكر الأول ، و حروف القرآن
 العظيم ، و هذا المقصود هو غاية المقصود من أختها سورة مريم الموافقة
 لها في الابتداء بالتساوي في عدد الحروف المقطعة ، وفي الانتهاء من حيث
 أن من اختص بمصير الأمور ، كان المختص بالقدرة على إهلاك القرون ، و
 وذلك لأن مقصودها اتصافه تعالى بشمول الرحمة بأفاضة جميع النعم
 على جميع خلقه ، و غاية هذا الاجتماع على الدين ، ولما توافقنا في
 المقصود و في الابتداء و الانتهاء ، و اختصت الشورى بأن حروفها اثنان ،
 دل سبحانه بذلك أرباب البصائر على أنه إشارة إلى أن الدين قسمان :
 أصول و فروع ، دلت مريم على الأصول " ذلك عيسى بن مريم قول ١٠
 الحق الذي فيه تمترون " ، و ان الله ربي و ربكم فاعبدوه هذا صراط
 مستقيم ، " هل تعلم له سميًا " و الشورى على مجموع الدين أصولا و فروعا
 " شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا و الذي اوحينا إليك " - الآية ،
 هذا موافقة البداية ، و أما موافقة النهاية فهو انها ختمتا بكلمتين : أول
 كل منهما آخر الأخرى " و آخر كل أول الأخرى " إيدانا بأن السورتين ١٥
 دائرة واحدة محيطة بالدين متصلة لا انفصام لها ، و ذلك أن آخر مريم
 أول الشورى و آخر الشورى أول مريم " فانما يسرناه بلسانك " ، الآية
 " هو كذلك يوحي إليك و الى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم "
 " و كذلك اوحينا إليك روحا من امرنا " " ما كنت تدري ما الكتاب "

(١) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : انما (٢-٢) سقط ما بين الرقنين من م -
 (٣-٣) سقط ما بين الرقنين من م و مد .

١. "ولا الايمان" إلى آخرها هو "ذكر رحمة ربك عبده زكريا" -
 إلى آخر القصة في الدعاء بآرث الحكمة والنبوة الذي روحه الوحي
 والله الهادي، وكذا تسميتها ببعضها بدلالة الجزء على الكل
 (بسم الله) الذي أحاط بصفات الكمال، ففقد أمره، فاستجاب له كل
 شيء طوعاً أو كرها (الرحمن) الذي عمت رحمته [فهيأت -] عبادته
 لقبول أمره (الرحيم) الذي خص أولاده بما ترتضيه الإلهية من
 رحمته، فجمع كلمتهم على دينه عقداً وفعلًا ومآلاً (حَمَّ عَسَقَهِ) هذه
 الحروف يجوز أن تكون إشارة إلى كلمات منتظمة من كلام عظيم
 يشير إلى أن معنى هذا الجمع يجوز أن يقال: حكمة محمد علت وعمت
 ١٠ ففتت سقام القلوب، وقسمت^١ حروفها قسمين موافقة لبقية أحواتها
 وبعدها آيتين، ولم تقسم "كهينص" لأنها آية واحدة [ولا أخت -] لها
 ولم تقسم "المص" مثلاً وإن كان لها أخوات لأنها آية واحدة،
 ولم يعد في شيء من القرآن حرف واحد آية، ويجوز أن يعتبر مفردة
 فتكون إشارة إلى أسرار تملأ الأقطار، وتشرح الصدور والأفكار،
 ١٥ فإن نظرت إلى مخارجها^٢ وجدت أنها قد حصل الابتداء فيها بأدنى وسط

(١-١) سقط ما بين الرقين من م ومد (٢) من م ومد، وفي الأصل وظ :
 بآرث (٣) من م ومد، وفي الأصل وظ : هو (٤) من ظ وم ومد، وفي
 الأصل : كذلك (٥) زيد في الأصل : انتهى، ولم تكن الزيادة في ظ وم ومد
 لحذفها (٦) زيد من ظ وم ومد (٧) في ظ وم ومد : ترضاه (٨) من م
 ومد، وفي الأصل وظ : كلمهم (٩) سقط من م ومد (١٠) من ظ وم
 ومد، وفي الأصل : سميت (١١) زيد من م ومد (١٢) من ظ وم ومد
 وفي الأصل : محاري .

الحلق إلى اللسان باسم الحاء، وثى بأوسط حروف الشفة وهي الميم،
 وحصل الرجوع إلى وسط / الحلق بأقصاه من اللسان في اسم العين،
 ٦٢٠ / وهو جامع للحلق واللسان، وقصد رابعا إلى اللسان بالسین التي هي
 من أدناه إلى الشفتين وهو رأسه ولها التصاق بالشفيتين و اتصال بأعلى
 الفم، ففيها بهذا الاعتبار جمع، ثم جعل بعد هذا الظهور بطونا إلى أصل ه
 اللسان، وهو أقصاه من الشفة بالقاف، ولاسم هذا الحرف جمع بالابتداء
 بأصل اللسان مع سقف الحلق والاختتام بالشفة العليا والشتين السفليين،
 ففي هذه الحروف ثلاثة وهي أكثرها لها نظر بما فيها من الجمع إلى
 مقصود السورة، وقد اتسق الابتداء فيها فيما كان من حرفين جمعهما
 مخرج بالأعلى ثم بالأدنى إشارة إلى أنه يكون لأهل هذا الدين بعد ١٠
 الظهور بطون كما كان في أول الإسلام حيث [حصر - ٢] النبي صلى الله
 عليه وسلم وأقاربه في الشعب، وذلك أيضا إشارة إلى أنه من تحلية
 الظاهر ينتقل إلى تصفية الباطن من زين ظاهره بجمع الأعمال الصالحة
 صحح الله باطنه بالمراقبة الخاصة الناصحة، على أن في هذا التدلي بشري،
 بأن الحال الثاني يكون أعلى من الأول، كما كان [عند - ٢] الظهور ١٥
 من الشعب بما حصل من نقض الصحيفة الظالمة الذي كان الضيق سببا
 له، لأن الثاني من مراتب هذه الحروف أقوى صفة بما هو أعلى منه
 مخرجا، فإن الحاء لها من الصفات الخمس والرخاء والاستفال
 (١) من ظ و م و مد، وفي الأصل: بما (٢) من م و مد، وفي الأصل
 و ظ: تطل (٣) زيد من م و مد.

[والافتتاح -] والميم له من الصفات الجهر والافتتاح والاستفال
وبين الشدة والرخاوة، والعين لها من الصفات ما للميم سواء، والسين
لها من الصفات ما للحاء، وتزيد بالصفير، والقاف له من الصفات الجهر
والشدة والافتتاح والاستعلاء والقلقلة^١ فالحرف^٢ الأول أكثر صفاته
الضعف، ويزيد بالإمالة التي قرأ بها كثير من القراء، والثاني والثالث
على السواء، وهما إلى القوة أرجح قليلا، وذلك كما تقدم من وسط
الحال عند الخروج من الشعب، والرابع فيه قوة وضعف وضعفه
أكثر، فإن فيه للضعف ثلاث^٣ صفات وللقوة صفتين، وذلك كما
كان حال النبي صلى الله عليه وسلم عند آخر أمره بمكة المشرقة حين
١٠ مات الوزيران خديجة رضى الله عنها وأبو طالب^٤ لكن ربما كانت
الصفتان القويتان عاليتين على الصفات الضعيفة بما فيهما بالانتشار بالصفير
والجمع الذي مضت الإشارة إليه من الإشارة^٥ إلى ضخامة تكون باجتماع
أنصار كما وقع من يعة الأنصار، والخامس وهو الأخير كله قوة كما
وقع بعد الهجرة عند اجتماع الكلمة وظهور العظمة، كما قال صلى الله
عليه وسلم «فلما هاجرنا اتصفنا من القوم وكانت سجال الحرب بيننا
وبينهم» ثم تكاملت القوة عند تكامل الاجتماع بعد قتال أهل الردة

(١) زيد من م ومد (٢) من ظ وم ومد، وفي الأصل: الفلقه (٣) من م
ومد، وفي الأصل وظ: والحرف (٤) من ظ وم ومد، وفي الأصل
ثلاثة (٥) زيدت الواو في الأصل ولم تكن في ظ وم ومد لخذناها (٦) من
م ومد، وفي الأصل وظ: الاشارات .

بعد موته صلى الله عليه وسلم لاجرم انتشر أهل هذا الدين في الأرض
 يمينا وشمالا، فقام لهم مخالف، ولا وافقتهم^١ أمة من الأمم على ضعف
 حالهم وقلتهم^٢ وقوة غيرهم وكثرتهم إلا دمروا عليهم فجعلوهم كأس^٣
 الدابر، وقد جمعت هذه الحروف كما مضى وصفي المجهورة والمهموسة
 [كانت -^٤] المجهورة أغلبها إشارة/ إلى ظهور هذا الدين على كل دين ٥ / ٦٢١
 كما حققه شاهد الوجود، وصنفي^٥ المنقوطة والعاطلة، وكانت كلها عاطلة
 إلا حرفا واحدا، إشارة إلى أن أحسن أحوال المؤمن أن يكون أغلب
 أحواله محو لا يرى له صفة من الصفات بل يعد في زمرة^٦ الأموات
 وإلى أن المتحلي بالأعمال الصالحة الخالصة من أهل القلوب من أرباب
 هذا الدين قليل جدا، وكان المنقوط آخرها إشارة إلى أن نهاية المراتب ١٠
 عند أهل الحق الجمع بعد المحو والفرق، وكان حرف الشفة من بين
 حروفها الميم، وهي ذات الدائرة المستوية الاستدارة^٧ إشارة إلى أن
 لأهل هذا الدين من^٨ الاجتماع فيه والانطباق عليه والإطاعة به
 والإسراع إليه ما ليس لغيرهم، وإلى أن هم من القدم الراسخ في القول
 المقتطع من الفهم المحتتم بالشفتين ما لا يبلغه غيرهم بحيث أنه لا نهاية له ١٥

- (١) من م ومد، وفي الأصل و ظ : وافقتهم (٢) من م ومد، وفي الأصل
 و ظ : قوتهم (٣) من م ومد، وفي الأصل و ظ : كاسر (٤) زيد من م
 ومد (٥) من م ومد، وفي الأصل : صفا (٦) من م ومد، وفي
 الأصل و ظ : زمرات (٧) من م ومد، وفي الأصل و ظ : استدارة .
 (٨) سقط من م .

مع حسن استنارته بقناسب^١ استدارته، ثم إنك إذا بلغت نهاية الجمع في هذه الأحرف بأن جمعت أعداد مسمياتها^٢ وهو مائتان وثمانية وسبعون إلى أعداد أسمائها، وهو خمسمائة وأحد وثلاثون بلغ تسعا^٣ وثمانمئة، وفي السنة الموافقة لهذا العدد كانت ولادتي، فكان الابتداء في هذا الكتاب الديني حينئذ بالقوة القرية من الفعل، وسنة ابتدائي فيه بالفعل وهي سنة إحدى وستين في شعبان كان سني إذ ذك [قد -^٤] شارف أربعاً وخمسين سنة، وهو موافق لعدد حرفي "دن" أمراً من الدين الذي هو مقصود السورة، فكأنه أمر إذ ذاك بالشروع في الكتاب ليحصل مقصودها، وسنة وصولي إلى هذه السورة وهي سنة ١٠ إحدى وسبعين في^٥ شعبان منها كان سني قد شارف أربعاً وستين سنة، وهو موافق لعدد [أحرف -^٦] "دين" الذي هو مقصود السورة، فأنا أرجو بهذا الاتفاق الغريب أن يكون ذلك مشيراً إلى أن الله تعالى يجمع بكتاني هذا الذي خصني بالهامه وادخر لي المنحة بحله وإبرامه، واعتاقه والتزامه، أهل هذا الدين القيم جمعا عظيما جليلا جسيما، يظهر ١٥ له اثر بالغ في اجتماعهم وحسن تأسيهم برؤس نقلته وأتباعه، ومن الآثار الجليلة في لحظها للجمع انه لما كان مقصود سورة مريم عليها

(١) زيد في الأصل: استنارته و، ولم تكن الزيادة في ظ و م ومد فخذناها.

(٢) من ظ و م ومد، وفي الأصل: مسمياتها (٣) في الأصل بياض ملأناه من

ظ و م ومد (٤) زيد من ظ و م ومد (٥) زيد من م ومد.

السلام يان اتصاف الرحمن، المنزل لهذا القرآن، بشمول الرحمة لجميع
الأكوان، وكانت هذه السورة لرحمة خاصة من آثار تلك الرحمة
العامة، وهى الاجتماع على هذا الدين المراد ظهوره وعلوه على كل
دين وقهره لكل أمر، فكان لذلك محيطا قاهرا لحظ كل قاهر وظالم،
وكانت هذه الرحمة الخاصة - لنسبتها إلى الخلق - ثانية لتلك العامة ومنشعبة^٥
منها، كانت لكونها من أوصاف الخلق بمنزلة اليسار، وتلك لكونها
من صفة الحق بمنزلة اليمين، ولذلك - والله اعلم - قال الأستاذ
أبو الحسن الحرالى فى كتاب له فى الحرف: ولما كان ذلك - أى هذا
الاسم المجتمع من هذه الأحرف المقطعة - أول هذه السورة بما ينسب^{١٠}
إلى أمر الشمال كان متى وضع^٢ على أصابع اليسار ثم وضعت على
هاتمة ظلم أو جور استولى عليه بحكم إحاطة حكمة الله /، وكانت خمسمائة
مضافة إلى خمس "كهيمص" المستولية على حكمة اليمين محيطا بذلك بالعشر
المحيط بكل الحكمة التى مستنها الياء الذى هو أول العشر و محل الاستواء
بما هو عائد وحدة الألف - انتهى .

ولما كانت هذه الحروف - والله أعلم - مشيرة إلى الاجتماع كما^{١٥}
أشار إليه آخر السورة الماضية، قال الله سبحانه وتعالى: (كذلك)
أى مثل: هذا الإيحاء العظيم الشأن الذى أخبرك به ربك صريحا أول
"فصلت" من [أن الإله - °] إله واحد وآخرها من أنه ما يقال لك

- (١) من ظ و م و مد، وفى الأصل: مشبهة (٢) من ظ و م و مد، وفى
الأصل: يتناسب (٣) من م و مد، وفى الأصل و ظ: وقع (٤) فى م: بمثل .
(٥) زيد من م و مد .

إلا ما قد قيل للرسول من قبلك، ومن أنه يجمع لك أمتك على هذا الدين بما يتبين لهم أن هذا القرآن هو الحق بما يريهم من الآيات البينات^١ والدلالات الواضحات في الآفاق وفي أنفسهم وبشهادته^٢ سبحانه بأعجاز القرآن لجميع^٣ الإنس والجان ولاسيما إذا أقدم^٤ ضال على معارضته كمسيلة فانه يتبين لهم الأمر بذلك غاية البيان^٥ وبضدها تتبين الأشياء، ورمز لك به سبحانه تلويحا أول هذه السورة بهذه الأحرف المقطعة التي هي أعلى وأعلى من الجواهر المرصعة - إلى مثل ذلك، فهما نوعان من الوحي: صريح وعبرة، و تلويح وإشارة .

ولما كان المقصود الإفهام لأن الإيجاء منه سبحانه عادة مستمرة إلى جميع أنبيائه ورسله والبشارة له صلى الله عليه وسلم بتجديده له، مدة حياته تثبيتا لقواده، ودلالة على دوام وداده، عبر بالمضارع الدال على التجدد والاستمرار، وتقدم في أول البقرة نقلا عن أبي حيان ومن قبله الزمخشري وغيره أنه قد لا يلاحظ^٦ منه زمن معين، بل يراد مطلق الوجود [فقال -^١] : (يوحى^٢ إليك) أى سابقا ولاحقا ما^٣ دمت حيا لا يقطع ذلك عنك أصلا توديعا ولا قلى^٤ بما يريد من أمره، بما يعلى لك مقدارك، وينشر أنوارك ويعلى منارك .

- (١) زيد في الأصل: والأدلة بل، ولم تكن الزيادة في ظ وم ومد فحذفناها .
 (٢) من ظ وم ومد، وفي الأصل: بمشادته، (٣) من م ومد، وفي الأصل وظ: بجميع (٤) من م ومد، وفي الأصل وظ: قدم (٥) في م: لا يلاحظ .
 (٦) زيد من م ومد (٧) من ظ وم ومد، وفي الأصل: قليره .

[ولما - '] كان الاهتمام بالوحي لمعرفة أنه حق - كما ' إشارت إليه قراءة ابن كثير^٢ بالبناء للفعول - والموحي إليه لمعرفة أنه رسول حقا [وكان - '] المراد بالمضارع مجرد إيقاع مدلوله لا يفيد الاستقبال صحت أن ' يتعلق به ' قوله مقدما على الفاعل : (والى الذين) والقائم مقام الفاعل في قراءة ابن كثير ضمير يعود على ' كذلك ' .

ولما كان الرسل مض من تقدم في بعض أزمنة القبل ، أدخل الجار فقال : (من قبلك لا) أي من الرسل الكرام والأنبياء الأعلام ، بأن أمتك أكثر الأمم وأنت أشرف الأنبياء ، وأخذ على كل [منهم - '] العهد باتباعك ، وأن يكون من أنصارك وأشياحك . ولما قدم ما هو الأهم من الوحي والموحي إليه ، أتى بفاعل " يوحى " في قراءة العامة ١٠ فقال : (الله) [أى - '] الذى له الإحاطة بأوصاف الكمال ، وهو مرفوع عند ابن كثير بفعل مضمر^٤ تقديره الذى يوحى . ولما كان نفوذ الأمر دأرا على العزة والحكمة قال : (العزيز) [أى - '] الذى يغلب كل شيء ولا يغلبه شيء (الحكيم) الذى يضع ما يصنع^٥ فى أتقن محاله ، فلاجل ذلك لا يقدر أحد على نقض ما أبرمه ، ولا نقص ١٥

(١) زيد من م ومد (٢) فى م : لا (٣) راجع نثر المرجان ٦ / ٢٣٦ (٤) فى الأصل وظ بياض ملأناه من م ومد (هـ-هـ) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : سعا ، كذا مع يسير من البياض (٦) من م ومد ، وفى الأصل وظ : تقدم (٧) زيد من ظ وم ومد (٨) من م ومد ، وفى الأصل وظ : مقدر (٩) زيد فى الأصل وظ : على ، ولم تكن الزيادة فى م ومد فحذفنا (١٠) من م ومد ، وفى الأصل وظ : يضم .

ما احكمه^١ .

وقال الإمام أبو جعفر بن الزبير: لما تضمنت^٢ سورة غافر ما تقدم من بيان حال^٣ المعاندين و^٤ الجاحدين، وأعقب^٥ بسورة السجدة بياناً أن حال كفار^٦ العرب في ذلك كحال من تقدمهم وإيضاحاً لأنه الكتاب العزيز وعظيم برهانه، ومع ذلك فلم يجد على من قضى عليه تعالى بالكفر، اتبعت السورتان بما اشتملت عليه سورة شورى من أن ذلك كله إنما جرى على ما سبق في عليه تعالى بحكم المشيئة [الآزلية -^٨]

”فريق في الجنة وفريق في السعير“ ”وما أنت عليهم بوكيل“

”ولوشاء الله لجعلهم أمة واحدة“ ”ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضى بينهم“ ”لنا أعمالنا ولكم أعمالكم“ ”ولولا كلمة الفصل لقضى بينهم“ ”وهو على جمعهم إذا يشاء قدير“ ”وما أتم بمعجزين في الأرض“ ”ومن يضل الله فما له من سيل“ ”إن عليك إلا البلغ“

”نهدى به من نشاء من عبادنا“ فتأمل هذه وما التحم بها بما لم يجر في السورة المتقدمة منه إلا النادر، ومحكم ما استجره^{١١}، وبناء هذه السورة

(١) زيد في الأصل: انتهى، ولم تكن الزيادة في ظ وم ومد فحذفنا (٢) في م ومد: ضمنت (٣) من م، وفي الأصل وظ وم: مد: حال (٤) زيد في الأصل: حال، ولم تكن الزيادة في ظ وم ومد فحذفنا (٥) من م ومد، وفي وظ: أعقب (٦) من ظ وم ومد، وفي الأصل: بيان إلى (٧) من ظ وم ومد، وفي الأصل: الكفار (٨) زيد من ظ وم ومد (٩-١٠) سقط ما بين الرقيين من م (١٠) من م ومد، وفي الأصل وظ: ما (١١) من ظ وم ومد، وفي الأصل: استجده .

٢٤٠ (٦٠) على

على ذلك ومدار آيها، يلح الك وجه اتصالها بما قبلها و التحامها بما
جاورها .

ولما ختمت سورة السجدة بقوله تعالى ” الا انهم في مرية من
لقاء ربهم “ أعقبها سبحانه بتنزيهه وتعالیه عن ربيهم وشكهم، فقال تعالى
” تكاد السموت يتفطرن من فوقهن “ كما أعقب بمثله في قوله تعالى ه
” وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا اذ تكاد السموت
يتفطرن منه “ و لما تكرر في سورة حم السجدة ذكر تكبر المشركين
و بعد انقيادهم في قوله تعالى ” فاعرض اكثرهم وقالوا قلوبنا في اكنة “
إلى ما ذكر تعالى من حالهم المنيبة عن بعد استجابتهم فقال تعالى في
سورة شوري ” كبر على المشركين ما تدعوهم اليه “ - انتهى . ١٠

ولما أخبر سبحانه أنه صاحب الوحي بالشرائع دائما قديما و حديثا،
علل ذلك بأنه صاحب الملك العام فقال : ﴿ له ما في السموت ﴾ أى
من الذوات والمعاني ﴿ وما في الارض ﴾ كذلك . ولما كان العلوم مستلزما
للقدرة قال : ﴿ و هو العلي ﴾ أى على العرش الذى السماوات فيه علو رتبة
و عظمة و مكانة لا مكان و ملابسة، فاستلزم ذلك أن تكون له السموات ١٥
كلها و الاراضى كلها مع ما فيها ﴿ العظيم ه ﴾ أى فلا يتصور شيء في
وهم ولا يتخيل في عقل إلا و هو اعظم منه بالقهر و الملك ، فلذلك يوحى
إلى من يشاء بما يشاء من إقرار و تبديل ، لا اعتراض لأحد عليه .

(١) من ظ و م و مد، وفي الأصل : تضمنت هذه السورة (٢ - ٢) من م
ومد، وفي الأصل و ظ : بقوله (٣) من م و مد، وفي لأصل و ظ : السية .

ولما كان هذا السياق مفهما عظيم ملكه سبحانه وقدرته بكثرة ما فى الأكوام من الأجسام والمعاني التى هى لفظاعتها لا تحتمل ، قال مبينا لذلك : ﴿ تكاد السموات ﴾ أى على عظم خلقهن وثاقه إبداعهن ، ولفقهن بما أعلم^٢ به الواقع ، ونبه عليه بتذكير "تكاد" فى قراءه نافع والكسائي ﴿ يتفطرن ﴾ أى يتشققن ويتفرط أجزاءهن مطلق انفطار فى قراءة "من قرأ" بالنون وخفف^٣ وهم هنا أبو عمره ويعقوب وشعبة^٤ عن عاصم ، و تفطرا شديدا فى قراءة الباقين بالتاء المثناة من فوق مفتوحة وتشديد الطاء ، مبتدئا ذلك ﴿ من فوقهن ﴾ الذى جرت العادة أن يكون أصلب مما تحته ، فانفطار غيره من باب الأولى ، وابتداء الانفطار من ثم لأن جهة الفوق أجدر بتجلى ما يشق حمله / من عظيم العظمة والجلال والكبرياء والعزة التى منها ما يحمل من الملائكة الدين^٥ لا تسع عقولكم وصفهم على ما عليه من كل واحد منهم من عظم الخلق^٦ فى الهيئة والطول والمثانة والكبر إلى غير ذلك مما لا يحيط به علما إلا الذى برام^٧ بحيث أن أحدهم إذا أشير له إلى الأرض حملها كما قال صلى الله عليه وسلم^٨ أقلت السماء وحق لها أن تظ^٩ ما فيها موضع قدم

(١) زيد فى الأصل : ملهاو ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م ومد فحذفنا .
(٢) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : فلمهن (٣) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : ابدع (٤) راجع نثر المرحان ٦/٣٣٧ (٥-٦) سقط ما بين الرقيين من م (٦) فى م : سميد (٧) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : التى (٨) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : الحلة (٩) فى م : يراهم (١٠) زيد فى الأصل و ظ : لها ، ولم تكن الزيادة فى م ومد فحذفنا .

إلا فيه ملك قائم يصلي ، ، ومن غير ذلك من العظمة والكبرياء
والجبروت والعلاء، أو يكون انقطاعهم من عظيم شناعة الكفر بالذي
خلق الأرض في يومين و جعلهم له أندادا كما قال في السورة المأطرة
لهذه سورة مريم " تكاد السموات يتفطرن منه و تنشق الأرض و تخر
الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا " و نقص ما في هذه عن تلك لأنه ه
لم يذكر هنا الولد ، وهذا كناية عن التخويف بالعذاب لأن من المعلوم
أن العالی إذا انفطر تهيأ للسقوط ، فإذا سقط أهلک من تحته فكيف
إذا كان من العلو و العظم و ثقل الجسم على صفة لا يحيط بها إلا بارتئها ،
فذكر الفوق تصويراً لما يترتب على هذا الانقطاع من البلايا الكبار ،
[و على - '] هذا يحسن أن يعود الضمير على الأراضى التي كفروا ١٠
بفطرها .

ولما بين ان سبب كيدودة انقطاعهم جلالة العظمة التي منها
كثرة الملائكة و شناعة الكفر ، بين لها سببا آخر وهو عظم قولهم ،
فقال : (و الملتصكة) أى و الحال أنهم ، [و عدل عن التأنيت مراعاة
للفظ إلى التذكير و ضمير الجمع ، إشارة إلى قوة التسييح و كثرة المسبحين ١٥
فقال - '] : (يسبحون) أى يوقعون التنزيه^١ و التقديس^٢ لله سبحانه

(١) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : تحت (٢) من ظ و م و مد ، وفي الأصل :
با - مع يسير من البياض (٣) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : تصويرا (٤) زيد
من م و مد (٥) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : الأرض (٦) من م و مد ، وفي
الأصل و ظ : جلال (٧) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : شياعه (٨-١٨) سقط
ما بين الرقمين من ظ و م و مد .

و تعالى ملتبيين' (بحمد ربهم) أى باثبات الكمال للحسن إليهم [تسبيحا يليق بما لهم - بما أشارت إليه الإضافة -^١] دائما لا يفترون، فلهم بذلك زجل و أصوات لانحملها العقول^٢، و لا تثبت لها الجبال، فلا تستبعدن ذلك، فكم من صاعقة سمعتها من السحاب فرجت لها الأرض فتصدعت لها الأبنية المتينة^٣ و الجبال الصلاب، و لفت^٤ القول إلى صفة الإحسان ٥
لمدح الملائكة بالإشارة إلى أنهم عرفوا إحسان المحسن و عملوا في الشكر بما اقتضاه إحسانه فصار تعريضا بذم الكفرة بما غطوا من إحسانه، و تذرعوا من كفرانه .

و لما كانوا^٥ لما عندهم من العلم بجلال الله سبحانه يستحيون^٦ منه ١٠ سبحانه^٧ كما يفعل^٨ اهل الأرض و يقولون ما^٩ لا يليق بحضرة الشاه و جنبه الاسمى، و كانوا^{١٠} يعلمون بما جادلهم سبحانه عنهم أن له بهم عناية، فكانوا يرون أن الأقرب إلى رضاه الاستغفار لهم، فذلك [عبر -^{١١}] عنهم سبحانه بقوله حاذفا ما اوجبه السياق في "غافر" من ذكر الإيمان، إشارة إلى [أن -^{١٢}] أقرب الخلق من^{١٣} العرش كأبعد الناس في الإيمان

(١) من م ومد، وفي الأصل وظ: ملتبيين (٢) زيد من م ومد (٣) من م ومد، وفي الأصل وظ: القول (٤) من م ومد، وفي الأصل وظ: المنبتة (٥) من ظ وم ومد، وفي الأصل: الفت (٦) من م ومد، وفي الأصل وظ: بما (٧) من م ومد، وفي الأصل وظ: كان الملائكة (٨) من ظ وم ومد، وفي الأصل: يسبحون (٩-١٠) من م ومد، وفي الأصل وظ: بفعل (١٠) فم: بما (١١) من ظ وم ومد، وفي الأصل: كان (١٢) زيد في الأصل: اله، ولم تكن الزيادة في ظ وم ومد فحذفها .

المشروط بالغيب إبلاغا في التنزيه لانه لامقتضى له هنا : ﴿ و يستغفرون ﴾
 أى وهم مع التسييح يطلبون الغفران ﴿ لمن في الارض ﴾ لما يرون
 من شدة تقصيرهم في الوفاء بحق تلك العظمة التي لاتضاهى ، أما للمؤمن
 فطلقا ، و أما للكافر فتأخير^١ المعالجة ، وكذا لبقية الحيوانات ، وذلك
 لما يهولهم^٢ بما يشاهدونه من عظمة ذى الكبرياء و جلالة^٣ ذى الجبروت ، ه
 قال [ابن - ^٤] برجان : لم يشأ الله جل ذكره كون شيء [إلا - ^٥]
 قبض ملائكة من عباده يشفعون^٦ في كونه ، وكذلك في إبقاء ما شاء
 إبقاءه وإعدام ما شاء إعدامه ، وهذه أصول الشفاعة فلا تكن من
 المتبرين ، / و ألطف من ذلك أن تكون كيدودة انفطارهم في حال
 ٦٢٥ / تسييح الملائكة واستغفارهم^٧ لما يرين من فوقهن من العظمة ، ومن ١٠
 تحتهن^٨ من ذنوب الثقلين ، فلولا ذكرهم انفطرون و حضر العذاب ، فعوجل
 الخلق بالهلاك ، وقامت القيامة ، وقضى الأمر ، وإذا كانت^٩ كيدودة
 الانفطار مع هذا التنزيه والاستغفار ، فما ظنك بما يكون لو عرى^{١٠} الأمر
 عنه و خلا منه ، ولذلك ذكر العموم هنا ولم يخص المؤمنين بالاستغفار
 كما في ” غافر “ لما اقتضاه السياق هنا من العموم ، ولأن مقصود غافر ١٥

- (١) من م ومد ، وفي الأصل وظ : فتأخير (٢) من م ومد ، وفي الأصل وظ :
 هولهم (٣) من م ومد : جلال (٤) زيد من ظ وم ومد (٥) زيد من م (٦) من م
 ومد ، وفي الأصل وظ : فيشفعون (٧) من م ومد ، وفي الأصل وظ :
 استغفارهن (٨) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : تحتلن (٩) من ظ وم ومد ،
 وفي الأصل : كان (١٠) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : عدى .

تصنيف الناس في الآخرة صنفين ، و توفية كل ما يستحقه فناسب ذلك
[أفراد - '] الذين تلبسوا بالإيمان ، و مقصود هذه الجمع على الدين في
الدنيا فناسب الدعاء لكل ليجازى كل^٢ بما يستحقه من إطلاق "المغفرة
في الدارين" للؤمن و تقييدها بالتأخير في الدنيا للكافر .

٥ و لما كانت أفعال أهل الأرض و أقوالهم عظيمة المخالفة لما يرضيه
سبحانه فهم يستحقون المعالجة^٣ بسببها ، أجب من كأنه قال : هذا يستجاب
لهم في المؤمنين ، فكيف يستجاب^٤ لهم في الكافرين^٥ ليجمع الكلام
التهيب و التحويل في أوله و البشارة و اللطف و التيسير في آخره ،
فقال لافتنا القول عن صفة الإحسان إلى الاسم الأعظم تعريفاً بعظيم
١٠ الأمر حملاً على لزوم الحمد و إدامة الشكر : ﴿ الآ ان الله ﴾ [اى - ']
الذى له الإحاطة بصفات الكمال ، فله جميع العظمة ، و أكد لأن ذلك
لعظمه لا يكاد يصدق ﴿ هو ﴾ اى وحده ، [ورتب وصفه سبحانه على
أعلى وجوه البلاغة فبدأ بما أفهم إجابة الملائكة ، و أتبعه الإعلام بمزيد
الإكرام فقال - '] : ﴿ الغفور الرحيم ه ﴾ اى العام السر و الإكرام
١٥ على الوجه الأبلغ أما لأهل الإيمان فواضح دنيا و آخرة ، و أما لأهل
الكفران ففي الدنيا فهو برزقهم و يعافهم و يعلى لهم " و لو يؤاخذ الله
الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة " و أما غير الله فلا يغفر

(١) زيد من م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كلا (٣-٢) فى
الأصل وظ يياض ملأناه من م و مد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المعالجة .
(٥-هـ) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لكم بالكافرين (٦) من م و مد ، و فى
الأصل و ظ : اداة .

لأهل معصيته، ولو اراد ذلك ما تمكن .

و لما كان التقدير: فالذين تولوه و ماتوا في ولايته فهو يفتقر ذنوبهم بمعنى أنه يزيلها عنا و أثرا، عطف عليه قوله: ﴿ و الذين اتخذوا ﴾ اى عاجلوا فطرهم الأولى و عقولهم حتى أخذوا ﴿ من دونه ﴾ اى [من -'] أدنى رتبة من رتبته ﴿ أولياء ﴾ يعبدونهم كالآصنام و كل من اتبع هواه في شيء من الأشياء، فقد اتخذ الشيطان الأمر له بذلك وليا من دون الله بمخالفة أمره .

و لما كان ما فعلوه عظيم البشاعة، اشتد التشوف إلى جزائهم عليه فأخبر [عنه -'] سبحانه بقوله معبرا بالاسم الأعظم إشارة إلى وضوح ضلالهم و عظم تهديدهم معريا له عن الفاء ثلثا يتوم أن ١٠ الحفظ مسبب عن الانخاذ المذكور [عادلا إلى التعبير بالجلالة تعظيما لما في الشرك من الظلم و تغليظا لما يستحق فاعله من الزجر -'] : ﴿ الله ﴾ اى المحبط بصفات الكمال ﴿ حفيظ عليهم ﴾ اى رقيب و راع و شهيد على أعمالهم، لا يغيب عنه شيء من أحوالهم، فهو إن شاء أبقاهم على كفرهم و جازاهم عليه بما أعدّه للكافرين، و إن شاء تاب عليهم ١٥ و محاذ ذلك عنا و أثرا، فلم يعاقبهم و لم يعاتبهم، و إن شاء محاه عنا و أبقى الأثر حتى يعاتبهم * ﴿ و ما انت عليهم بوكيل ﴾ اى حتى

(١) زيد من م و مد (٢) من ظ و م و مد، وفي الأصل: تعريا (٣) من م و مد، وفي الأصل و ظ: جزاهم (٤) من ظ و م و مد، وفي الأصل: لا . (هـ) من ظ و م و مد، وفي الأصل: ليعاتبهم .

يلزمك ان تراعى جميع احوالهم من افواهم وافعالهم ، / فتحفظها
وتقرهم^١ على تركها و محو ذلك بما يتولاه الوكيل بما يقوم فيه مقام
الموكل سواء قالوا " لا تسمعوا لهذا القرآن " أو قالوا " قلوبنا فى اكته "
أو غير ذلك .

/ ٦٢٦

٥ ولما كان الإيحاء السابق أول السورة للبشرى لأنها المقصود
بالذات وكانت البشرى مقتضية^٢ تلويحا و رمزا بالأحرف المقطعة لاجتماع
أهل الدين و غلبتهم على سائر الأديان و أن دينهم يعم سائر الأمم
و يحيط بجميع الخلق ، و لا يريد أحد بأهله سوما إلا^٣ كان له^٤ فيه رفعة
كما مضى بيانه ،^٥ و كانت رمزا^٦ لأن المقام للإنذار بما تشهد به السورة
١٠ الماضية ، و كان المراد بها التكرار حتى لاتزال لذاذتها فى أذن المبشر
و حلاوتها فى قلبه ، ذكرها بلفظ المضارع الدال على التجدد و التكرار
و الحدوث و الاستمرار ، و كان المتعنت^٧ ربما حمله^٨ له على الوعد بالإيحاء
[فى المستقبل - "] ، و كان العاقل يكفيه فى التذرى مرة واحدة فقال^٩
معبرا بالماضى الدال على الإمضاء و القطع و القضاء الحتم فى كل من
١٥ الإيحاء و فائدته التى هى الإنذار ، عاطفا على ما يتصل بالآية السالفة المختومة

(١) فى ظ : قرهم (٢) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : لأنه (٣) فى ظ :
مقصودة (٤) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : فى (٥) زيد فى الأصل و ظ :
ان ، ولم تكن الزيادة فى م و مد لخذفها (٦) من م و مد ، وفى الأصل و ظ :
لهم (٧-٧) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : كما رمز (٨) من م و مد ، وفى
الأصل و ظ : التلقت (٩) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : يحمله (١٠) زيد
من ظ و م و مد (١١) من ظ ، وفى الأصل و م و مد : قال .

بنفي الوكالة بما تقديره: إنما عليك البلاغ بالبشارة والندارة، وقد أوحينا إليك البشارة رمزاً، كما جرت به عادة الأجاب في محاورات الخطاب، ولفت القول إلى مظهر العظمة لأن الإنذار من مجازة: (وكذلك) أي ومثل ذلك الإيحاء^٢ الذي قدمنا أنا خبوناك به من وحى الإشارة بالحروف المقطعة (أرجباً) بما لنا من العظمة مع الفرق بين كل ه ملبس (إليك قرأنا) جامعاً لكل حكمة^٢ (عريباً) فهو بين الخطاب واضح الصواب معجز الجنب (لتنذر) أي به (أم القرى) مكة التي هي أم الأرض وأصلها، منها دحيت^٣، ولشرفها أوقع الفعل عليها، غدا لها عداد العقلاء، ثم بين أن المراد أهلها بقوله: (ومن) أي وتنذر من (حولها) وهم سكان جميع الأرض التي هي أمها، وبذلك ١٠ فيسره البغوي^٤ فقال: قرى الأرض كلها، وكذا القشيري وقال: العالم محقق بالكعبة ومكة لأنها سرّة الأرض.

ولما كان مفعول "تنذر" الثاني على ما هدى إليه السياق ما عذبت به الأمم السالفة والقرون الماضية حين^٥ تمدى بهم الكفر وغلب عليهم الظلم في انجادهم أولياء من دون الله، عطف عليه: (وتنذر) أي أم القرى ومن حولها مع^٦ عذاب الأمم في الدنيا (يوم الجمع) أي لجميع الخلائق يبعثهم من الموت، حذف المفعول الأول من الشق الثاني،

(١) من ظ ومده، وفي الأصل و م: محاذة (٢) من ظ وم ومده، وفي الأصل: الأحياء (٣) زيد في الأصل: مهر - كذا، ولم تكن الزيادة في ظ وم ومده لحذفها (٤) من ظ وم ومده، وفي الأصل: وحت (٥) في معالم التنزيل بهامش باب التأويل ٩٨/٦ (٦) من م ومده، وفي الأصل وظ: حتى (٧) في ظ: من .

والمفعول الثاني من الأول، فالآية [من الاحتمالك -^١] : ذكر المنذرين أولا دلالة على إرادتهم ثانيا، وذكر المنذر^٢ به وهو يوم الجمع ثانيا دلالة على المنذر به من عذاب الأمم أولا، ليذهب [به -^٣] اليوم في المحذوف كل مذهب، فيكون أهول، وذكر هذا المذكور ه انغم وأوجل .

ولما كان الإنذار - وهو الإعلام بموضع المخافة^٤ - تارة يكون عما لا علم به، وهو الأغلب، وتارة عما وقع العلم به ثم خالف المنذر [به -^٣] عليه فعمل^٥ أعمال من لا علم له به، به على أن هذا من القسم الثاني بقوله في جملة حاله: (لا ريب فيه^٦) أى لانه قد ركز^٧ في فطرة كل أحد أن الحاكم إذا استعمل عبده في شئ - ثم تظالموا فلا بد له بما تقتضيه السياسة من جمعهم / لينصف بينهم [و -^٨] إلا عد سفيها، فاظنك بأحكم الحاكمين .

/ ٦٣٧

ولما تشوف [السامع -^٩] إلى ما يفعل في جمعهم، وكان الثقلان لا طبعوا عليه من نقصان أهل فرقة وطغيان، ذكر نهايته معمرا^{١٠} بما هو من الفرقة بقوله مسوغا الابتداء بالنكرة للتفصيل^{١١} أو تقرير الوصف: (فريق) أى من المجموعين أهل فرقة تداركهم الله بأن جعلهم أهل

(١) زيد من مد (٢) من م ومد، وفي الأصل وظ: المنذور (م) زيد من م ومد (٤) من م ومد، وفي الأصل وظ: المخافة (ه) من ظ وم ومد، وفي الأصل: بعمل (٦) من م ومد، وفي الأصل وظ: اركز (٧) زيد من ظ وم ومد (٨) من ظ وم ومد، وفي الأصل: معمرا (٩) من ظ وم ومد، وفي الأصل: للتفصيل .

جمع ﴿ في الجنة ﴾ فصلا منه وهم الذين قبلوا الإنذار و بالغوا في الحذر
 ﴿ وفريق ﴾ أى منهم [أهل -^١] فرقة خذلهم الله وكلهم إلى أنفسهم
 فزادوا في الفرقة ﴿ في السعير ﴾ عدلا منه، قال القشيري: كما أنهم
 في الدنيا فريقان: فريق في درجات الطاعة و^٢ حلاوات العبادات^٣،
 وفريق في ظلمات الشرك وعقوبات الجحد والشك، فلذلك^٤ غدام^٥
 فريقان: فريق هم أهل اللقاء، وفريق^٦ هم أهل البلاء والشقاء، [روى
 الإمام أحمد^٧] [عن -^٨] عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال: خرج
 علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده كتابان فقال: أتدرون
 ما هذان الكتابان؟ قال: قلنا: لا، إلا أن تخبرنا يا رسول الله! قال
 للذي في يده النبی: هذا كتاب من رب العالمين بأسماء أهل الجنة وأسماء^٩
 آبائهم وقبائلهم، ثم أجمل على آخرهم، لايزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدا،
 ثم قال للذي في يساره: هذا كتاب أهل النار بأسمائهم وأسماء آبائهم
 وقبائلهم، ثم أجمل على آخرهم، لايزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدا،
 فقال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: فلابى شيء نعمل إن
 كان هذا أمرا قد فرغ منه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: سدودوا^{١٠}
 وقاربوا فان صاحب الجنة يختم له بعمل الجنة [وإن عمل أى عمل -^{١١}]
 وأنه صاحب النار يختم له بعمل النار وإن عمل أى عمل، قال يده

(١) زيد من م ومد (٢-٢) من ظ وم ومد، وفي الأصل: حلاوة العبادة .
 (٣) من ظ وم ومد، وفي الأصل: فكذلك (٤) ومن هنا انقطعت نسخة مد .
 (٥) راجع مسنده ١٦٧/٢ (٦) زيد ولا بد منه (٧) زيد من المسند .

فقبضها، ثم قال: فرغ ربكم عز وجل من العباد، ثم قال بالني فبذ بها فقال: فريق في الجنة، وبذ باليسرى فقال: فريق في السعير، قال ابن كثير: وهكذا رواه النسائي والترمذي جميعاً، وقال الترمذي: حسن صحيح غريب - [٢].

٥ ولما كان ملوك الدنيا غالباً لا يريدون أن يعصى أمرهم، فإذا حذروا من شيء أرادوا أن لا يقرب، فإن فعله أحد كان فعله له خارجاً عن مرادهم، وكانت عقوبتهم له لخروجه عن المراد شفاء لما حصل لهم من داء الغيظ، بين [أنه - ٢] سبحانه على غير ذلك، وأنه منزّه عن خروج شيء عن مراده، وعن أن يلحقه نفع بطاعة أو ضرر بمعصية، وإن عقوبته إنما هي على مخالفة أمره مع الدخول تحت مراده بالجائز وقسره، وهذا في نفس الأمر، وأما في الظاهر فالأمر أن لا يظهر [أنه - ٢] لشيء منها مانع إلا صرف الاختيار، فقال [صارفاً القول عن مظهر العظمة استيفاء لإنذار ما هو حقيق به منها إلى الاسم الجامع صفات العظمة وغيرها لاقتضاء الحال له - ٢]: ﴿ولو شاء الله﴾

١٥ أى المحيط بجميع صفات الكمال ﴿لجعلهم﴾ أى المجموعين ﴿أمة واحدة﴾ للعذاب أو الثواب ولكنه لم يشأ ذلك بل شاء أن يكونوا فريقين: مقسطين وظالمين، ليظهر فضله وعدله وأنه إله جبار واحد قهار،

(١) في كتاب الإيمان (٢) في جامعه ٣٦/٢ (٣) زيد ما بين الحاذرين من م. (٤) من ظ وم، وفي الأصل: اراداً (هـ) من م، وفي الأصل وظ: فاذا. (٦) من ظ وم، وفي الأصل: قهره (٧) من ظ وم، وفي الأصل: صرو.

لا يبالي بأحد وهو معنى قوله: ﴿ ولكن يدخل من يشاء ﴾ أى إدخاله
 ﴿ فى رحمته ﴾ بخلق الهداية فى قلبه فتكون أفعالهم فى مواضعها وهم
 المقسوطون، ويدخل من يشاء فى نعمته بخلق الضلال فى قلوبهم فيكونون
 ظالمين، فلا يكون لهم [فعل - ١] فى حاق موضعه، فالمقسطون ما لهم
 من عدو ولا تنكير ﴿ والظالمون ﴾ أى العريقون فى الظلم الذين شاء ه
 ظلهم فيدخلهم فى لعنته ﴿ ما لهم من دلي ﴾ بلى أمورهم فيجتهدوا فى
 إصلاحها ﴿ ولا نصير ه ﴾ ينصرهم من الهوان، فالآية من الاحتباك، وهو
 ظاهر ذكر الرحمة أولا دليلا على اللعة ثانيا، والظلم وما معه ثانيا
 دليلا على أضداده أولا، وسره أنه ذكر السبب الحقيقى فى أهل السعادة
 ليحملهم على مزيد الشكر، والسبب الظاهرى فى أهل الشقاوة لينهاهم ١٠
 عن الكفر.

ولما كان التقدير: هل قصر هؤلاء الذين تنذرهم همهم وعزائمهم
 وأقوالهم وأفعالهم على الله تعالى اتعاضا وانتذارا بهذا الكلام المعجز،
 عادل به قوله: ﴿ ام اتخذوا ﴾ أى عاجلوا فظروهم الشاهدة بذلك بشهادة
 أوقات الاضطراب حتى لفتوها عنه سبحانه فأخذوا ﴿ من دونه أولياء ج ﴾ ١٥
 هم عالمون بأنهم لا يغنون عنهم شيئا، ولهذا قال: ﴿ فانه ﴾ أى فتسبب
 عما أفهمته صيغة الاقتعال من أنهم عالمون بأنه وحده الضار النافع علمهم
 (١) زيد من م (٢) من م، وفى الأصل وظ: على (٣) من ظ وم، وفى
 الأصل: يجتهد (٤) من ظ وم، وفى الأصل: الهول (٥) من م، وفى
 الأصل وظ: الاضطرابات (٦) من م، وفى الأصل وظ: تسبب.

بأنه (هو) وحده (الولي) لا غيره، ويجوز ان يكون مسييا عن
هذا الاستفهام الإنكارى التويخى كأنه قيل : هل قصرُوا همهم عليه
سبحانه، فسبب^١ أنه وحده المستحق لما يقصدونه من التولى (وهو)
أيضا^٢ وحده "لا غيره" (يحى الموتى) أى يحدد إحياءهم فى أى وقت
يشاءه (وهو) [أى - °] وحده^٣ (على كل شىء قدير^٤) أى بالغ
الفرة / لا يشاركه شىء فى ذلك بشهادة كل عاقل ، وأكده بالقصر لأن
شركهم بالأولياء إنكار لاختصاصه بالولاية .

/ ٦٢

ولما كانوا جميعا يقرن بجميع ما وصف به نفسه المقدسة فى هذه
الآية عند الشدائد، بعضه تصرىحا من الوجدانية فى الولاية والإحياء فى
١٠ هذه الدار و الفرة على كل شىء، وبعضه لزوما وهو الإحياء بالبعث،
تسبب عن ذلك قطعا ان يقال مع صرف القول إلى الخطاب إشارة إلى
أنه تعالى قرب إليهم كل خير^٥ وقرب^٦ إليهم فهم الوجدانية لعقولهم
بعد أن فطروهم على لزومها عند الاضطرار^٧، فما اتفقتم فيه^٨ من أمره سبحانه
فهو الحق ، وذلك هو اصل الدين الذى أطبق عليه الخلائق فى وقت
١٥ الاضطرار ، لم يتلعم فيه منهم ضعيف ، ولا جبار منيف ، عطف عليه قوله :

(١) من م ، وفى الأصل و ظ : سبب (٢) سقط من ظ و م (٣ - ٢) سقط
ما بين الرقيين من ظ و م (٤) فى م : كل (٥) زيد من ظ و م (٦) زيد فى
الأصل : لا شريك له ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لخذلها (٧ - ٧) من م ،
وفى الأصل و ظ : تقرب (٨) من م ، وفى الأصل و ظ : الاضطرار (٩) من
ظ و م ، وفى الأصل : عليه .

﴿ وما اختلفتم ﴾ اى ايها الخلق ﴿ فيه من شيء ﴾ وذلك هو الفروع
مطلقا و الأصول فى حال الرفاهية ﴿ فحكمة الى الله ﴾ اى الذى هو
الولى لا غيره و هو القدير لا غيره، فلا يخرج شيء عن امره، فخصوا
عنه تجوده فى كتابه لأن فيه تبيان كل شيء، فان قصرت أفهامكم عن
إخراجه منه فاطلبوه فى سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، فان عز عليكم
فى إجماع اهل دينه، فان أعوزكم ذلك فى القياس على شيء من ذلك،
قال القشيري: هذه الأشياء هى قانون الشريعة، و جعلتها من كتاب الله،
فان الكتاب هو الذى يدل على صحة هذه الجملة - انتهى . وما اجتهدتم
فيه على ما شرع لكم وفصلتموه بما ظهر لكم على حكم بذل "الجهد مضى"،
وما لا فصله بينكم سبجانه فى هذا اليوم إن أراد بنصر الحق و خذلان^{١٠}
الظالم، وإن أراد آخره إلى يوم الدين، فان شاء عفا [عنه - ٦] وإن
شاء عاقب عليه، فلا حكم لغيره لا فى الدنيا ولا فى الآخرة .

ولما أنتج هذا انه لا عظيم غيره، ولا إله إلا هو، رجم ذلك
بقوله مخاطبا للكل: ﴿ ذلكم ﴾ اى العظيم الرتبة جدا ﴿ الله ﴾ المحيط
بجميع أوصاف الكمال، فلا شريك له فى شيء منها بوجه ﴿ ربى ﴾^{١٥}
الذى لا مربى لى غيره فى ماض ولا حال ولا استقبال . ولما كان
ذلك، أنتج ولا بد قوله: ﴿ عليه ﴾ اى وحده ﴿ توكلت عليه ﴾ اى أسليت

(١) سقط من ظ وم (٢) من ظ وم، وفى الأصل: لأنه (٣-٢) من ظ وم،
وفى الأصل: المجهود قضى (٤) من ظ وم، وفى الأصل: يليكم (٥) زيد فى
الأصل: البطل، ولم تكن الزيادة فى ظ وم لحذفها (٦) زيد من م .

جميع أمرى ﴿ واليه ﴾ أى ' لا إلى غيره ﴿ انيبه ﴾ أى ارجع بالتوبة
إذا قصرت فى شيء من فروع شرعه و ارجع إلى كتابه إذا نابى امر
من الأمور، فأعرف منه حكمه فافعلوا انتم كذلك، اجعلوه^٢ الحكم ففعلوا^٢،
ولا تعدلوا عنه فى شيء من الأشياء تهللكوا .

٥. ولما تقرر بهذا الكلام أنه قد ركز فى الفطر أنه لا إله غيره
لأنه لا خالق سواه كما يهدى إليه الاضطراب وإن أغفل عنه البطر،
وصفه بالدليل على ذلك الذى جبل عليه جميع الفطر:
﴿ فاطر السموات والارض ﴾ أى مبتدئهما بالخلق والإخراج من
العدم، وكل ما اتخذتموه ولياً من دونه فهو منهما، فهو بما فطره كما يعلم
١٠. كل أحد منكم ذلك لا يمارى فيه، وهذا هو السبب فى العلم المركوز فى
الفطر من أنه الواحد الذى لا إله معه [كما كان فى الأزل ولا شيء
معه - ٧] .

ولما ذكر سبحانه ما شق العدم بإيجاده من غير سبب أصلاً،
أتبعه ما سببه عن ذلك فأنشأه من العناصر التى^٨ أبدعتها يد القدرة^٩
١٥ فى الخافقين، فقال [معبرا بالفعلية تذكيراً بما يوجب لهم الاعتراف بما
اعترف به نبيه صلى الله عليه وسلم من أنه وحده ربه لا شريك له فى
ذلك، فيوجب التوكل عليه وحده - ٧] : ﴿ جعل لكم ﴾ أى [بعد - ٧]

(١) سقط من م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : اجعلوا (٣) من ظ و م ،
وفى الأصل : بينكم تساموا وتغنموا (٤) فى م : مبديهما (٥) من م ، وفى
الأصل و ظ : عدوا (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : واحد وهو (٧) زيد
من م (٨-٨) فى ظ و م : ابدعها .

ان خلقكم من الارض (من انفسكم ازواجاً) يكون ' بالسكون إليها بقاء نوعكم'، ولما كانت الانعام و منافعها لاجلنا قال: (ومن) اى و جعل لكم (الانعام) التى هى أموالكم و جمالكم و بها اعظم قوامكم (ازواجاً) اى من انفسها، يكون بها أيضاً بقاء نوعها، وكذا جميع

الحيوانات، ومعنى قوله مغلباً / العقلاء: (يذروكم) اى مخلوقكم و يكثرتم. ٥ / ٢٦٩ /
ولما كان الأزواج فى غاية المحبة للزواج بحيث أنه مستولٍ على القلوب، كان كأنه محيط بهم فقال: (فيه) اى فى ذلك الزواج؛ بحيث يجعلكم مولعين به، من قوله ذراه: خلقه و كثره و أولعه بالشئ، فيكون لكم فى الأزواج من البشر نطقاً و جمالا و ولادة، و فى الانعام غذاء و شرابا و اكلا، و غير ذلك مما لكم فيه من المنافع، [و لا تزالون فى هذا الوجه ١٠ من المخلوق و الزواج نسلا بعد نسل و جيلا بعد جيل - ٧] .

ولما تقرر فى الآوهام و ثبت فى كثير من الأذهان أنه لا يكون شئ إلا بسبب الزواج، كان ربما سرى شئ من هذا الوهم فى حق الخالق سبحانه فقاه على أبلغ وجه بقوله [استئنافا فى جواب من يسأل عنه - ٧] : (ليس) [و قدم الخبر لأن المراد نفيه فأولاه ١٥ النافى دلالة على شدة العناية بنفسه فقال - ٧] : (كثله) اى مثل

(١) زيد فى الأصل و ظ : لكم، و لم تكن الزيادة فى م لخدمتها (٢) من ظ و م، و فى الأصل : نوع (٣) زيد فى م : اى لاجلكم (٤) من ظ و م، و فى الأصل : الزوج (٥) من ظ و م، و فى الأصل : مطلقا (٦) فى م : فيها . (٧) زيد من م .

نفسه في ذاته ولا في شيء من صفاته: (شئ^١) يزوجه او يناسبه، وكل ما اتخذتموه^٢ وليا من دونه، فله ما يزوجه ويمثله، فالمراد بالمثل هنا النفس وهو أصله و حقيقته في اللغة من قولهم: مثل الرجل يمثل - إذا قام وانتصب، قال الإمام عبد الحق الأشيلي في كتابه الواعى: [و-^٣] المثل يكون هو الحديث نفسه "مثل الجنة التي وعد المتقون"^٤ فمثلا هو الخبر عنها، وقيل: المثل ههنا الصفة "ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم" أى صفتهم، نقل ذلك الهروى ونقل عن أبى عبد الله القرزاقوله "ضرب مثل فاستمعوا له" كذلك، لأنه قال: "ان الذين تدعون" [آية -^٥] فصار الخبر عن ذلك هو المثل، قال: وهو ١٠ على اصل ما ذكرنا أن مثل^٦ الشيء صفته و صورته، و روى عن على ابن اى طالب رضى الله عنه أنه قرأ "مثال" و قرأ "امثال الجنة التي وعد المتقون" ثم قال: وهذا كله يدل على [أن -^٧] معنى "مثل" صفة و صورة، قال أبو عبد الله: مثلت له الشيء تمثيلا: صورته له^٨ حتى كأنه ينظر إليه، وفي الحديث: مثلت لى الجنة والنار - انتهى . وفي ١٥ القاموس: المثل^٩ - بالكسر و التحريك وكأمر: المشبه، والمثل محركة: الحجة

(١) من م، وفي الأصل و ظ: المخذوه (٢) زيد من ظ و م (م) سقط في الاصل: فيها كذا، ولم تكن الزيادة في ظ و م لمخذهما (٤) زيد من م . (٥) من م، وفي الأصل و ظ: المثل (٦) زيد في الأصل: أى، ولم تكن الزيادة في ظ و م لمخذهما (٧) سقط من ظ و م (٨) من م، وفي الأصل و ظ: بالمثل .

و الحديث و الصفة، 'و المثل: المقدار و القصاص و صفة الشيء و الفراش،
 جمعه امثلة و مثل، و التمثال - بالكسر: الصورة و مثل قائما: قام منتصبا
 كمثل بالضم مثولا' - انتهى . و في شمس العلوم: و العرب تقيم المثل مقام
 النفس فقول: مثلي لا يقول هذا [اى أنا - ٢] - انتهى . فقد بان أن
 المثل بالإسكان و التحريك واحد، و أنه في الأصل عبارة عن نفس ه
 الشيء و صورته، ثم شاع فيما يشابهه، فعنى 'مثل اى انتصب تشكلا' و تصور
 فكانت له صورة و شكل لأن بالانتصاب تتحقق صورته و تظهر،
 و كذا مثل بمعنى لصق بالأرض و إن [كان - ٦] ظهوره بالقيام
 اوضح، و كذا مثل إذا زال عن مكانه لأنه حصل الانتصاب أو اللصوق،
 و زاد الانتقال، و يوضح ذلك قولهم: مثله له - إذا صورته حتى كأنه ١٠
 ينظر إليه، فلم قطعا أن معنى الآية ما قلته، و أنه لو قيل "ايس كمنه
 شيء"، من غير كاف، لربما قال بعض أهل التبعث: هذا معناه أنه ليس
 شيئا، لانا قد علمنا أن المثل هو الشيء، و قد كانوا يتبعثون بدون هذا،
 فأنى بالكاف إزالة لهذا التبعث [مع العلم القطعى بأن ظاهر ما تفهمه
 غير مراد، لأنه يؤدي إلى محالين هما في غاية الظهور يحاشى عن أحدهما ١٥
 فكيف إذا اجتماعا من له أدنى حكمة فكيف بأحكم الحكماء، أحدهما أن له
 مثلا، و الثانى أن مثله لا مثل له مع الحكم بأنه مثله، و ذلك تناقض

(١) و من هنا استأثقت نسخة مد (٢) من م و مد، و في الأصل و ظ: مثوى.
 (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد، و في الأصل: فمضى.
 (٥) من م و مد، و في الأصل و ظ: فشكل (٦) زيد من م و مد.

ظاهر يتعالى الله عن إرادة مثله علوا كبيرا - [١] - والله الموفق .
ولما كان [قد - ١] أبطن نفسه سبحانه بهذا التنزيه لإبطانا عظيما ،
وكان هذا الإعراق في البطون لا تحتمله العقول ، فلا يؤمن عليها النزوع
إلى التعطيل ، قربه بنوع ظهور بذكر ما نغقله من الأوصاف بعد الأمن
٦٣٠ / ٥ / من التشبيه لمن أمل الكلام ، وحكم العقل و طرد الوهم ، فأتى بأرضح
ما يحسه من أوصافنا . و أظهره مع استلزامه لبقية الصفات فقال :
﴿ وهو ﴾ أى و الحال أنه لا غيره ﴿ السميع البصير ﴾ أى الكامل فى
السمع و البصر و العلم من البصر و البصيرة ، و من المقطوع به أن
ذلك لا يكون على وجه الخصوص إلا بالوحدانية و الحياة و القدرة
١٠ و الإرادة و الكلام ، فاستوفت هذه الآية ما لوح إليه العاطف فى قوله
" و ما اختلفتم " بعد ما صرح به ، فآله هو الولي من أصول الدين
بالصفات السبع على آتم وجه - والله الموفق ، قال الحرالي : السمع إدراك
الطيف المثليين و هو الاسم ، و البصر إدراك أظهر المثليين و هو الصورة ،
و بالحق سبحانه بدأ كل مثل لطيف فهو السميع بالحقيقة ان لا يسمع
١٥ ما هو مبدئى أطف مثليه ، أو لا يبصر ما هو مبدئى أظهر مثليه ، ولما
كان سبحانه و تعالى عليهما بأمثال البادئات قبل كونها كان سميعا لها بصيرا
لها قبل كونها ، و إنما يستجد السمع و البصر من يتبع عليه إدراك
(١) زيد من م و مد (٢) من مد ، و فى الأصل وظ و م : يحسه (٣) من ظ
و م و مد ، و فى الأصل : لوح (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الحق .
(٥) من م و مد ، و فى الأصل وظ : يتبع .

حسه ، لا من هو دائما سميع بصير بما هو دائما علم ، فهو سبحانه يسمع
 الأشياء وإن لم تنسم ، ويراها وإن لم تتصور ، رؤيته لها وسمعه في خلقها
 وبريها وتصويرها رؤية دائمة وسمع دائم ، والخلق لآرون الشيء
 قبل تصويره ولا يسمعون قبل تكلمه - انتهى . فقد صرحت الآية بتنزيهه
 عن مُساوٍ في شيء ما ، فمن ادعى لأحد مساواته في شيء من صفاته علم
 أو غيره فقد أشرك به في تلك الصفة وهو أشد ملامة من المشرك
 بالصنم ونحوه من المخلوقات لأن إشراك هذا ظاهر الوهي واضح الخلل
 بين السفسفة ، وإشراك الأول خفي لا يقدر على حله إلا راسخ وإن
 كان كل منهما يصير إلى الركاكة والهديان لأنه لا يسوغ في عقل أن
 يكون أحد شريكا لأحد في شيء إلا وهو مساو له في حقيقة الذات ، ١٠
 و صالح في الجملة لأن يقوم مقامه في جميع الصفات ، فايك ثم إياك
 من منزلة^١ ربما استغوى بها الشيطان بعض من يريد الترقى في درجات
 العرفان ، ليخرجه من جميع الأديان .

ولما قرر أمر الوحي بما ثبت به من الإعجاز ، وأراهم الآيات
 في الآفاق ، بأن له ما في الوجود ، وأنه هو الذي فطره ، وكان ربما ١٥
 كان للإنسان شيء ولم يكن كامل التصرف فيه بأن يكون مفاتيح
 خزائنه مع غيره من شريك أو غيره ، وكان ربما اخترع [الإنسان -^٢
 بناء و كان لغيره ، أخبر إكمالاً لتنزيه الآية السالفة [و -^٣] شرحاً له أنه

- (١) من م ومد ، وفي الأصل و ظ : ملاله (٢) من م ومد ، وفي الأصل
 و ظ : منزلة (٣) من م ومد ، وفي الأصل : امر (٤) زيد من م ومد .
 (٥) زيد من م ومد .

تعالى ' ليس كمثل شئ . وليس ' كغيره في هذا أيضا بل كما ان ' له ما
 في الخافقين و هو مخترعها فله مفاتيح خزائنها ، فقال : ﴿ له ﴾ اى وحده
 ﴿ مقاليد السموات و الارض ﴾ اى خزائنها و مفاتيح خزائنها من
 الأمطار ^٢ و الأنبات و غيرها ^٢ و قد ثبت أنه ابتدعها ، و أن له جميع
 ه ما فيها مما اتخذ من دونه [وليا - ^١] و غيره ، قال القشيري : و المفاتيح
 الخزان و خزائنه مقدوراته - انتهت . و لما ^٢ كان قد حصر الامر فيه
 دل عليه بقوله : ﴿ يبسط الرزق ﴾ اى الذى فيها و لا مانع منه
 إلا قدرته ﴿ لمن يشاء ﴾ اى ان يبسطه ^٥ له ﴿ و يقدر ^٦ ﴾ اى يضيق
 و يقبض على من يشاء كما وسع / على فارس [و - ^١] الروم و ضيق
 ١٠ على العرب و فاوت في الأفراد ، بين [افراد - ^٤] من وسع ^٧ عليهم
 [و من ضيق عليهم - ^٤] ، فدل ذلك قطعا على أنه لاشريك له و أنه
 هو المتصرف وحده فقطع بذلك أفكار الموقنين من عباده عن غيره
 ليقبلوا عليه و يتفرغوا له ، فان عبادته هي المقاليد بالحقيقة "استغفروا ربكم
 انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ^٨ و يمددكم باموال ^٩" الآية ،
 ١٥ "و من يؤمن بالله و يعمل صالحا يدخله جنّت تجري من تحتها الأنهر"

(١ - ١) ليس ما بين الرقین فی ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فی
 الاصل : انه (٣ - ٣) من ظ و م و مد ، و فی الأصل : النباتات و غيرها .
 (٤) زيد من م و مد (٥) فی ظ و م و مد : يبسط (٦) زيد من ظ و م و مد .
 (٧) زيد فی الأصل : فيهم ، و لم تكن الزيادة فی ظ و م و مد لخذلتاها .
 (٨ - ٨) سقط ما بين الرقین من م و مد .

”ولوان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركت من السماء
والارض“ ”ولوان اهل الكتب امنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم
ولادخلتهم جنات النعيم“ ”ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل“ الآية .
ولما كان كأنه قيل : لم فعل ذلك ؟ علله بقوله مؤكداً لأن
أعمال غالب الناس في المعاصي عمل من يظن أنه سبحانه يخفى عليه
عمله : ﴿ انه بكل شيء عليم ﴾ فلا فعل له إلا وهو جار على اتقن ما
يكون من قوانين الحكمة ، فلو أنه وسع العرب وقواهم ثم اباحهم
ملك اهل فارس والروم لقل بقوتهم ومكنتهم ، وله في كل شيء
دق اوجل من الحكم ما يعجز عن إدراك اطائفه أفاضل الامم .
ولما ثبت أن له كل شيء وأنه لا متصرف في الوجود سواه ، ١٠
أتبع ذلك انه لا ناهج لطرق الاديان التي هي أعظم الرزق وأعظم
قاسمة للرزق غيره ، فأعلمهم انه لم يشرع ديناً قديماً وحديثاً غير ما اتفقوا
عليه وقت الشدائد ، فقال دالاً على ما ختم به الآية التي قبلها من شمول
عليه ومرغبا في لزوم ما هدى إليه و دل عليه : ﴿ شرع ﴾ أى طرق
وسن طريقاً ظاهراً بيناً واضحاً ﴿ لكم ﴾ أيها الأمة الخاتمة من الطرق ١٥

(١-١) سقط ما بين الرقین من م و مد (٢-٢) من ظ و م و مد ، وفي
الأصل : فعله علل (٣) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : لاو (٤) من ظ و م
و مد ، وفي الأصل : يقبل (٥) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : الحكمة .
(٦) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : انه (٧) من ظ و م و مد ، وفي
الأصل : ايها .

الظاهرة المستقيمة ﴿ من الدين ﴾ وهو ما يعمل فيجازى عليه . ولما كان السياق للدين ، و كانوا هم المقصودين في هذا السياق بالامر به ، لأن [الشارع - ١] لهم قد أتجه ، و كانوا لتقليدهم الآباء يرون أن ما كان منه أقدم كان أعظم وأحكم ، ذكر لهم ' أول الآباء ' المرسلين ٥ إلى المخالفين فقال : ﴿ ما ﴾ أى الذى ﴿ وصى به ﴾ [توصية عظيمة بعد إعلامه بأنه شرعه - ١] ﴿ نوحا ﴾ في الزمان الأقدم كما ختم به على لسان الخاتم ، و أرسل به من توسط بينهما من الأنبياء المشاهير لأنه لا يرضيه^٢ سواء ، فإن كنتم إنما تأنفون من الدخول في هذا الدين لحدوثه فإنه أقدم الأديان و كل ما سواء حادث مع أنه ما بعث نبياً من أنبياءكم و لا من غيرهم [إلا به - ١] و مع أنه توفرت على الشهادة به الفطر الأولى دائماً و الفطر اللاحقة حتى من القلوب العاتية في أوقات الشدائد أبداً فادخلوا فيه على بصيرة .

و [لما - ١] كان الإعجاز خاصاً بنا ، أبرزه في مظهر العظمة معبراً بالوحي ، و بالأصل في الموصولات ، و دالا على زيادة عظمته بتقديمه ١٥ على من كانوا قبله مع ترتيبهم عند ذكرهم على ترتيبهم في الوجود فقال : ﴿ و الذى أوحينا إليك ﴾ و أفرد الضمير زيادة في عظمته^٣ دلالة على

(١) زيد من م و مد (٢-٢) من ظ و م و مد ، و في الأصل : اولاً لآباء .
(٢) من م و مد ، و في الأصل و ظ : لا يوصيه (٤) من م و مد ، و في الأصل و ظ : بما (٥) زيدت الواو في الأصل ، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد لخذلتها .

٦٣٢ /

أنه لا يفهمه حق فهمه غيره صلى الله عليه وسلم ، ودل على عظمه
 [ما - ١] كان لإبراهيم وبنيه بما ظهر من آثاره بمظهر العظمة ، وعلى
 نقصه عما إلى نينا صلى الله عليه وسلم بالتعبير بالوصية فقال : (وما وصينا)
 أى على ما لنا / من العظمة الباهرة التى ظهرت بها تلك المعجزات
 (به - إبراهيم) الذى نجيناه من كيد نمرود بالنار وغيرها ، وهبنا له
 على الكبر لإسماعيل وإسحاق ، وهو أعظم آباء العرب وهم يدعون
 أكبر بالآباء^٢ فليكونوا على ما وصيناه به (وموسى) الذى أنزلنا
 عليه التوراة موعظة وتفصيلا لكل شيء (وعيسى) الذى أنزلنا عليه
 الإنجيل فيه هدى ونور وموعظة ، ودخرناه فى سمائنا لأيدى شريعة
 الخاتم الفاتح .

١٠

ولما اشتد تشوف السامع إلى الموحى الموصى به ، أرزه فى أسلوب
 الأمر فقال مبدلا من معمول " شزع " أو مستأفأ : (ان اقيموا)
 أى أيها المشروع لهم من هذه الأمة الخاتمة ومن الأمم الماضية
 (الدين) أى الذى اتفق عليه الخلائق بالرجوع إلى ما فطروا عليه
 وقت الاضطراب وهو التوحيد والوصف بجميع صفات الكمال على ١٥
 الإطلاق وغير ذلك من كل ما أرسل به رسله ، [هذا على تقدير ان
 تكون " ان " مصدرية ، ويجوز أن تكون مفسرة لتقدم ما هو بمعنى
 القول - ٤] .

(١) زيد من ظ و م ومد (٢) من م ومد ، وفى الأصل وظ : غيره .

(٣) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : الاناء (٤) زيد من م ومد .

و لما عظمه بالأمر بالاجتماع ، أتبعه التعظيم بالنهاى 'عن الاقتراق'
 فقال : ﴿ ولا تتفرقوا ﴾ أى [تفرقا عظيما بما أشار إليه إثبات التاء ،
 و كأن ذلك إشاره إلى التحذير من التفرق فى الأصل و إذن فى الاجتهاد
 على قدر القوة فى الفرع ﴿ فيه ^١ ﴾ أى الدين - ^٢] فى أوقات الرخاء
 ٥ عند الثقل فى لذيد ما أنعم به الشارع له الأمر به المرغب فى اتباعه
 المرهب من 'اجتنابه' . و اجتمعوا على من أرسله الذى اثبت له جميع
 صفات الكمال عند الشدائد من غير خلاف أصلا فى شئ من الأشياء ،
 فان التفرق سبب الهلاك ^٣ ، و الاجتماع سبب النجاة ^٤ ، فكونوا يدا واحدة
 يا أهل الكتاب ^٥ قال تعالى "يا أهل الكتب^٦ تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم
 ١٠ ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من
 دون الله " .

و لما نهى عن التفرق ، حث على لزوم الاجتماع اللازم به بتعليل
 النهى بقوله : ﴿ كبر على المشركين ﴾ أى جل و عظم و شق حتى ضاقت
 به صدورهم ، ^٧ و هو ^٨ ﴿ ما تدعوهم اليه ^٩ ﴾ [أيها - ^{١٠}] النبى الفاتح الخاتم
 ١٥ من الاجتماع أبدا على ما اجتمعوا عليه وقت الاضطراب من وحدانية الواحد
 القهار ، فلاجل كبره عليهم هم يسعون فى تفرقكم^{١١} عنه فان تفرقتم عنه
 (١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : بالاجماع (٢ - ٢) من ظ و م و مد ،
 وفى الأصل : بالاقتراق (٣) ريد من م و مد (٤) من م و مد ، وفى الأصل
 و ط : ي (٥) ي م و مد : للهلاك (٦) فى ظ و م و مد : للنجاة (٧ - ٧) سقط
 ما بين الرقيين من ظ و م و مد (٨) ريد من ظ و م و مد .

كنتم

كنتم قد تابعتم العدو^١ الحسود وخالقتم الولي الودود . ولما كان الإخبار
بكرة^٢ عليهم ربما اوهم اتباع اتباعهم له ، أزال ذلك الوهم بقوله جوابا
لمن^٣ كأنه قال : كيف السبيل مع ذلك [إلى - '] دخول أحد في
هذا الدين ، [عادلا عن مظهر العظمة إلى أعظم منه تعظيما للقدرة على
جمع القلوب - '] : ﴿ الله ﴾ أي الذي له مجامع العظمة ونفوذ الأمر
﴿ ينجي ﴾ أي يختار غاة العذابة ويصرف ﴿ إليه ﴾ أي إلى هذا الدين
الذي تدعوم إليه ﴿ من يشاء ﴾ اجتباؤه .

ولما ذكر سبحانه هذا المراد بغير تكسب منه ، أتبعه المزيد المعنى
بالسلوك^٤ فقال : ﴿ ويهدي إليه ﴾ بالتوفيق للطاعة ﴿ من ينيب ﴾ أي
فيه أهلية لأن يحدد الرجوع إلى مراتب طاعاته كل حين يباطنه بعد ١٠
الرجوع بظاهره إلى ما كتبه له من^٥ الدرجات^٦ كأنه كان^٧ الوصول
إليها قد نزل عنها وهو بترقيه في المنازلات بأحوال الطاعات يرجع إليها .
ولما كان المراد بالمشركين مع عباد الأوثان أهل الكتاب الذين
اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله لقبولهم منهم التحليل والتحرير ،

- (١) من م ومد ، وفي الأصل و ظ : الحدود (٢) من م ومد ، وفي الأصل
و ظ : يكو (٣) زيد في الأصل : كان ، ولم تكن الزيادة في ظ و م ومد
لحذفناها (٤) زيد من م ومد (٥) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : بالسكوك .
(٦) من م ومد ، وفي الأصل و ظ : ما (٧-٧) من م ومد ، وفي الأصل
و ظ : كان كأنه ، وزيد بعده في الأصل : قد ، ولم تكن الزيادة في ظ و م
ومد لحذفناها .

و كان ذلك مفهما لأنهم فارقوا اهل الطاعة ، و كان ذلك موهما لأنهم ما فارقوه إلا عن جهل ، قال عاطفا على ما تقديره : فأتى الرسل إلى الناس / فأقاموا لهم الدين و بينوا لهم غاية التدين فاجتبى الله بعضهم و أضل بعضهم فافترقوا : ﴿ و ما تفرقوا ﴾ أى المشركون من قبلكم من أهل الكتاب و غيرهم فى أديانهم ﴿ الا ﴾ و أدخل الجار لعدم استغراق الزمان فقال : ﴿ من بعد ما جاءهم ﴾ أى على السنة أنبيائهم ' الذين لم يدعوا لبسا ﴿ العلم ﴾ أى بما لا يسوغ معه التفرق و منه أن الفرقة ضلالة ، و أشار الجار ايضا إلى أن التفرق كان مع العلم لم يكن طال الزمان فتطرق إلى عليهم^٢ نسيان كل ذلك بيانا لعظيم قدرة الله تعالى ١٠ فى تصرفه فى القلوب ، فايأاكم أن يكون حالكم كحالهم فليشتد خوفكم لربكم و رجاؤكم له .

و لما كان ترك طريق العلم عجبا و مستبعدا ، قال مبينا أن الذى حلهم على ذلك حظوظ الانفس التى لا نجاة منها إلا بعصمة الله تعالى : ﴿ بغيا ﴾ أى حال كون تفرقهم عداوة و لا شبهة فيها هى بينة الظلم ١٥ لأجل حظوظ الانفس و اتباع الأهواء التى يجب على العبد البعد عنها بأن لا تكون له إرادة [أصلا بل تكون إرادته - ^٤] تابعة لأمر^٣ مولاه .

(١) زيد فى الأصل : أى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفها .
(٢) زيد فى الأصل و ظ : أى ، و لم تكن الزيادة فى م و مد لحذفها .
(٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اعلمهم (٤) زيد من ظ و م و مد .
(٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لارادة .

ولما كان مطلق البغى منافيا لمكارم الاخلاق، فكان ارتكابه عجبا، زاد في التعجب منه بيان [أن البغى - '] لم يعد جماعتهم إلى غيرها، بل كان خاصا بها، فقال: (بينهم) .

ولما كان ذلك يقتضى المعالجة، قل عاطفا على ما تقديره: فلولا قدرة الله و لطفه لما اجتمعوا بعد الفرقة أبدا: (ولو لا كلمة) اى ه لا تبديل لها (سبقت) اى فى الازل بتأخيرهم إلى آجالهم . ولما كان إمامهم و الرق بهم رحمة لهم، بين أن ذلك إنما هو لأجل خير الخلق ليكونوا أتباعا له فزادوا بذلك شرفا، وأفرده بالذكر تنبيها على ذلك فقال [مؤنسا له صلى الله عليه وسلم] بلغت الكلام إلى صفة الإحسان إرضاء له بما يرجوه فى أمته، وزاد ذلك بالإضافة إلى ضميره فأفهم أن ١٠ إحسانه إليهم إحسان يلقى بمقامه و يلتزم بمراده الشريف و مراده - ' : (من ربك) اى المحسن إليك بمحملك خير الخلائق و إمامهم، سبقت الكلمة بامهالهم (الى اجل مسمى) ضربه لآجالهم ثم جمعهم فى الآخرة (لقضى) على أسروجه و أسهله (بينهم) حين الافراق باهلاك الظالم و إجماع الحق .

١٥

ولما أخبر عن حال المتقدمين، و كان [من] ' فى زمانه صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب يدعون غاية العلم بها - ' [و الاجتماع عليها، و هى كلها داعية إلى المبادرة إلى إرث هذا الكتاب الخاتم الجامع،

(١) زيد من م و مد (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: به (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لجلهم (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من م و مد، و فى الأصل وظ: رمة .

وكان بعضهم يتلبس^١ بالتفك والإعراض عن الدنيا وغير ذلك مما يقتضى أنه على بصيرة من أمره، وإنكار أن يكون عنده نوع شك، قال على وجهه [يعم - ٢] غيرهم، مؤكداً تنبيهاً على ذلك : ﴿وان الذين﴾ ولما كان المراد الوصول إلى الكتاب من غير منازع، هـ ولم تدع حاجة إلى العلم بالموصل، بنى للفعول قوله : ﴿اورثوا الكتب﴾ أى الكامل الخاتم، وهم هذه الأمة بما نسخ كتابهم ما تقدمه كان غيرهم كأنه مات، فورثوا كما قال تعالى ”ثم اورثنا الكتب الذين اصطفينا من عبادنا“ فكان حالهم فى تمكنهم من التصرف فى الكتاب بالحفظ والفهم وغدم المنازع فى ادعائه حال الوارث والموروث منه فقال^٢ :

١٠ ﴿من بعدهم﴾ أى المتفرقين، وأثبت الجار لعدم استغراق الزمان

﴿لنى شك منه﴾ أى إراث للكتاب^٣ المقتضى للاجتماع^٤ لا للفرق

لما فيه من الخير، وذلك^٥ العملهم عمل^٦ الشاك فيقولون : إنه سحر وشعر

وكهانة، ونحو ذلك، وأن الآتى به غير صادق بعد اطلاعهم على ما

أتى به من المعجزات وبعد معرفتهم [به - ٧]، أما العرب^٨ ومن^٩ ساكنهم

١٥ من اهل الكتاب فباعجازه مع ما فى كتب اهل الكتاب من البشارة به،

(١) من ظ و مد، وفى الأصل و م : يتلبس (٢) زيد من ظ و مد (م) من

م و مد، وفى الأصل و ظ : قال (٤) من م و مد، وفى الأصل و ظ :

الكتاب (٥) من م و مد، وفى الأصل و ظ : بلاجماع (٦-٦) من م و مد،

وفى الأصل و ظ : يعلمهم علم (٧) زيد من م و مد (٨) من م و مد، وفى

الأصل العذاب (٩) فى مد : ما .

و أما

وأما غير من ساكنهم مدعوة كتابهم ﴿ مريبه ﴾ أى موقع فى
 التهمة الموقعة فى الحاجة الموقعة فى 'صروف الدهر' وهى شدائده وأفاته
 ونوائبه، هذا على أن المراد كتابنا، ويجوز أن يكون الضمير لأهل
 الكتاب خاصة والكتاب^٢ كتابهم^٣ وشكهم فيه عملهم بغير ما دعاهم^٤
 إليه من اتباع كتابنا بانواع نبينا صلى الله عليه وسلم .

٥

ولما ثبت بهذا ريغهم عن أوامر^٥ الكتاب الآتى من الله، سبب
 عنه أمره صلى الله عليه وسلم بأبلاغ الناس ما ينفعهم عن رسالة ربه
 الذى أنزل تلك الكتب فى آية واحدة مفصلة بعشر كلمات [فى -^٦]
 كل كلمة منها حكم براسه، قالوا: ولا نظير لها إلا آية الكرسي فانها
 عشرة أصول^٧ كل^٨ أصل منها مستقل [براسه^٩ -] فقال مسيبا^{١٠} عن ١٠
 حالهم الاجتهاد فى إزالتها والعمل بضدها^{١١}: (فلذلك) أى لهذا الوحي
 العلى الرتبة الذى وصينا بمقاصده^{١٢} جميع الرسل اصحاب الشرائع الكبار
 من [أبلى -^{١٣}] العزم وغيرهم، [أولذلك -^{١٤}] التصرف بالمعاد

(١-١) من م و مد، وفى الأصل و ظ : الصروف (٢) من ظ و م و مد،
 وفى الأصل : آياته (٣) ريدت الواو بعد فى الأصل و ظ، ولم تكن فى م
 و مد فحدثناها (٤) من م و مد، وفى الأصل و ظ : دعى (٥) من م و مد،
 وفى الأصل و ظ : امر (٦) زيد من ظ و م و مد (٧-٧) من ظ و م و مد،
 وفى الأصل : اصول غمرة (٨) فى م : بكل (٩) زيد من م و مد .
 (١٠) من م و مد، وفى الأصل و ظ : سيبا (١١) من ظ و م و مد، وفى
 الأصل : يضادها (١٢) من م و مد، وفى الأصل و ظ : بقاصده .

للصواب والشك في امر الكتاب .

ولما كان سياق الدعوة للخلق إلى ما أوحى إليه فأنزل عليه .
 قدم قوله : ﴿ فادع ﴾ إلى من أرسلك الله به من الاتفاق على ما أمر
 به الإله من الاجتماع على الملة الحنيفة . ولما كان الداعي لغيره لا ينفع
 دعاءه لذلك الغير ما لم ينفع نفسه ، قال : ﴿ واستقم ﴾ أى اطلب القوم
 من ربك على مشاق الدعوة ليعينك عليه وأوجهه^٢ على ما يدعو إليه
 كتابه بما تدعو إليه ويجب عليه ﴿ كما أمرت ﴾ بمن لا أمر لغيره في
 تفاصيل الدعاء من^٣ اللين والغلظة والتوسط وغير ذلك من تحديث
 الناس بما تحتمل عقولهم وتريتهم على حسب ما ينفعهم .

١٠ ولما كان كل ما خالف كتابنا هوى ، وكل ما خالف كتابنا
 فهو على مجرد الهوى ، قال : ﴿ ولا تتبع ﴾ أى تعمد^٤ ﴿ أهواءهم ﴾
 فى شيء ما ، فإن الهوى لا يدعو إلى خير ، والمقصود من كل أحد أن
 يفعل ما أمر به لأجل أنه أمر به لا لأجل أنه يهواه .

ولما كانوا قد تفرقوا فى الكتاب وشكوا فآمنوا ببعض وكفروا
 ١٥ ببعض ، أمره بما يخالف حالهم فقال : ﴿ وقل ﴾ أى لجميع أهل الفرق ،
 وكل من يمكن له القول فانك أرسلت إلى جميع لخلق : ﴿ امنت بما^٥ ﴾

(١) من م ومد ، وفى الأصل وظ : القوام (٢) من م ومد ، وفى
 الأصل وظ : احده (٣) من م ومد ، وفى الأصل وظ : و (٤) من م ومد : ما .
 (٥-هـ) من ظ وم ومد ، وفى الأصل . ولا تعتمد (٦) وقع فى الأصل وظ
 قل و ازل الله والترتيب من م ومد .

أى كل شئ . ولا كان اكل الناس إيماناً أكثرهم استحضاراً لأوصاف الكمال من الجلال و الجلال . صرف القول إلى الاسم الأعظم إشارة إلى سلوك أعلى المسالك فى ذلك فقال : ﴿ انزل الله ﴾ أى الذى له العظمة الكاملة ﴿ من كتب ج ﴾ لا أفرق بين [شئ من - '] كتبه ولا أحد من رسله ، بل [كل - '] كتاب ثبت أنه نزل على رسول ثبتت رسالته ه بالمعجزة فأنا به مؤمن وإليه داع كما اقتضاه كمال القوة النظرية ، قال أبو على القالى فى ذيل الامالى : حدثنا أبو بكر - هو ابن الانبارى - حدثنا أبو جعفر محمد بن عثمان حدثنا صاحب بن الحارث أنا بشر بن عمارة عن محمد بن سودة قال : أتى علياً رضى الله عنه رجل فقال : يا أمير المؤمنين ما الإيمان أو كيف الإيمان ؟ قال : الإيمان على [أربع - '] دعائم : ١٠ على الصبر واليقين والعدل والجهاد ، والصبر على أربع شعب : على الشوق والشفق والزهادة والتقرب ، فمن اشتاق إلى الجنة سلى عن الشهوات ، ومن أشفق من / النار رجع عن الحرمات ، ومن زهد فى الدنيا تهاون بالمصيبات ، ومن ارتقب الموت سارع إلى الخيرات ، واليقين على أربع شعاب : تبصرة الفطنة وتأويل الحكمة وموعظة العبرة وسنة الأولين ، ١٥ فمن تبصر الفطنة تأول الحكمة . ومن تأول الحكمة عرف العبرة ، ومن عرف العبرة عرف السنة . ومن عرف السنة فكأنما كان فى الأولين ،

(١) ريد من م ومد (٢) من ظ وم ومد . وفى الأصل : بكر (٣) من م ومد ، وفى الأصل وظ « و » ، م م ومد ، وفى الأصل وظ : عن . (٥-٥) م م ومد وفى الأصل وظ . وكان .

والعدل على أربع شعب : على غائص الفهم و رهرة الحلم^١ . ر. صة العلم
 [وشرائع الحكم^٢] ، فمن فهم جمع العلم ، ومن حلم^٣ لم يضل [في الحكم^٤] .
 ومن علم عرف شرائع الحكم^٥ ، ومن حلم لم يفرط امره ، وعاش في
 الناس . والجهاد على أربع شعب : [على الأمر بالمعروف والنهي عن
 المنكر والصدق في المواطن و شتآن الفاسقين^٦] . فمن^٧ أمر بالمعروف
 شد ظهر المؤمنين^٨ ، ومن نهى عن المنكر^٩ أرغم آتاف الفاسقين^{١٠} . ومن
 صدق في المواطن فقد قضى الذى عليه ، ومن شى^{١١} المنافقين غضب الله
 و غضب الله له فأزلفه و اعلى مقامه ، قال : فقام الرجل قبل
 رأسه

١٠. ولما أخبر بالعدل^{١٢} في القوة^{١٣} النظرية ، أتبعه ذلك في القوة العملية
 فقال . (وأمرت) أى بمن له الأمر كله بما أمرنى به بما أنزل على^{١٤}
 (لا عدل) أى لا جل أن اعدل (بينكم^{١٥}) أيها المفرقون [في^{١٦}]
 الأديان من العرب والعجم من الجن والإنس كما دعا إليه كمال القوة
 العملية . ثم علل^{١٧} ذلك بقوله : (الله) [أى^{١٨}] الذى له الملك كله

(١) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : العلم (٢) زيد من م و مد (٣) من ظ
 و م و مد ، وفى الأصل : علم (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من م و مد
 وفى الأصل و ظ : من (٦-٦) من م و مد ، وفى الأصل : شد ظهره ، وفى
 و ظ : شد ظهره (٧-٧) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : رغم آتف
 المنافقين (٨-٨) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : باقوه (٩) من م و مد ،
 وفى الأصل و ظ : عدل .

وبنا

(ربنا وربكم) اي موجدنا ومتولى جميع امورنا ، فلهذا امرنا بالعدل على سبيل العموم لان الكل عباده .

ولما كان الرب واحدا ، انتج عنه قوله : (لنا اعمالنا) خاصة [بنا لاتعدونا إلى غيرنا - ٢] (ولكم اعمالكم) [خاصة بكم - ١] لاتعدكم إلى غيركم . لانه لا داعى لانا نأخذ عمل بعضنا فتعطيه لغيره ، ه لأن ذلك لايفعله إلا ذو غرض ، وهو سبحانه محيط بصفات الكمال ، فهو منزّه عن الأغراض . ولما وصل بنهام هذه الجملة فى إزالة الريب وإثبات [الحق - ١] إلى ما هو كاشمى لثبوت الرسالة بالمعجزات وإعجاز هذا الكتاب و تصادقه مع ما عند أهل الكتاب ، و بيان هاتين المقدمتين اللتين لازاع بين احد من الخلق فيهما كانت نتيجة ١٠ ذلك : (لا حجة) [أى - ٢] موجودة بمحاجة أحدنا لصاحبه (يبتنا و بينكم) لأن الأمر وصل إلى الاستكشاف التام فلا فائدة بعده للمحاجة فماتى إلا المجادلة بالسيف ، وإدارة كؤوس الختوف ، لانا نعلم باعلام الله لنا فى كتابه الذى دلى إعجازه للخلاق على أنه كلامه ،

- (١) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : فهذا (٢) زيد من ظ و م و مد .
 (٣-٤) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : منه (٤) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : بمحاجة (٥) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : الانكاف (٦) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : إلى المحاجة (٧) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : المجادلة (٨) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : الحقوق (٩) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : لا اعلام (١٠) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : كلام .

فتحن نسمعه لذلك^١ منه أنا على محض الحق و أنكم على محض اللاطل .
و قد أعذرنا إليكم وأوصلناكم ببراهينه إلى المشاهدة^٢ فلم يبق إلا^٣ السيف
عملا بفضيلة الشجاعة .

ولما كان هذا موضع أن يقال : أفأ^٤ تخافون الله فيمن تقاتلون
ه و هم عباده ، أجاب بقوله مظهرا غير مضمّر تعظيما [للامر -^٥] :
(الله) [أى -^٦] الذى هو أحكم الحاكمين (يجمع بينناج) أى
نحن وأنتم على دين واحد إن أراد فلا يكون قتال، وفي الآخرة
على كل [حال -^٧] "فهو يحكم بيننا" "وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب
ينقلبون" فما أقدمنا على القتال إلا عن بصيرة .

١٠. ولما كان الجامع بين ناس قد يكون مآلهم إلى غيره^٨، بين أن
الامر فيه على غير ذلك، فقال عاطفا على ما تقدّمه : فنه كان المبدأ :
(والله) أى^٩ لا إلى غيره من حيث هذا الاسم الجامع لجميع^{١٠} الصفات
(المصيرة) حسا ومعنى لتمام عزته وشمول عظّمته^{١١} وكال رحمته، وما
كان فيما^{١٢} بين المبدأ والمعاد من الأمور التي كانت بحيث يظن أنها خارجة

(١) من م و مد . وفي الأصل و ظ : ذلك (٢-٢) من م و مد ، وفي
الأصل و ظ : غير السيف (٣) من ظ و م و مد . وفي الأصل : ألا
(٤) زيد من م و مد (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) زيد في الأصل : بينكم ،
ولم تكن الزيادة في ظ و م و مد لحدفتها (٧) من م و مد . وفي الأصل و ظ
عر (٨) سقط من م و مد (٩) في م : يجمع (١٠-١٠) سقط ما بين الرقن
من ظ و م و مد (١١) من م و مد . وفي الأصل و ظ : فيها .

- لتصرف ' / الغير فيها' - إنما كانت ابتلاء [منه - ٢] يقيم بها الحجة على العباد على ما يتعارفونه بينهم، وما كان المنصرف فيها' غيره فتصرفهم إنما كان أمرا طارئا يصحح عليهم 'الحجة [و يلزمهم الحجة - ٢] .

و لما كان التقدير : فالذين رجعوا إليه طوعا في هذه الدار بعد هذا البيان و الإظهار، وتركوا الجدال حجتهم ثابتة و لهم الرضا و النعيم المقيم، ه عطف عليه قوله مبتدئا بالموصول* ليصله بما يفهم التجدد و الاستمرار : ﴿ و الذين يحآجون ﴾ أى يوردون* تشكيكا على دينه الحق من الشبه ما يسمونه حججا، و لعل الإدغام يشير* إلى أن أهل هذا الضرب منافقون يتقون شبههم في خفاء [فتشربها - ٢] قلوب أمثالهم قصير أهوية فيضعف* أمرها و يؤيده تقييد الدحوض بما عند الرب* ﴿ في الله ﴾ ١٠ أى فى دين الملك الاعظم ليعيدوا الناس بعد ما دخلوا فى نور* الهدى إلى ظلام* الضلال .

و لما كانت إقامة الحجة و إظهار المعجزة أمرا ملزما لجميع [من بلغه - ٢]

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اشرف (٢) زيدت الواو فى الأصل و ظ و لم تكن فى م و مد فحذفناها (٣) زيد من م و مد (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فيها (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بالموصول . (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يودون (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يسموا (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فيصحب (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الرحب (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : دين (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كلام .

الاستجابة لوصول الأمر إلى حد [من - '] اليان سقط معه الجدل ،
قال معلما أن ما كان في قوة^٢ الوجود يصح أن يطلق عليه أنه موجود ،
و منها [بالجار - '] على ذم [هذا - '] الجدال و لو قل زمنه :
(من بعد ما) و لما كان المقصود مطلق^٣ الاستجابة لا من مجيب معين قال :
هـ (استجيب له) أى استجاب له الرسول صلى الله عليه و سلم ، و صار
الناس كلهم^٤ بما يبين لهم مستجيبين بالقوة وإن لم يستجيبوا بالفعل ، فإن
الأمر قد ظهر^٥ غاية الظهور ، و لم يبق إلا العناد ، فهذه الجملة هي المراد
و الثمرة من قوله ” لاحتجة بيننا و بينكم “ .

و لما كان من خالف ظاهره^٦ باطنه ضعيف [الحجة - '] لهلهل
١٠ النسخ ، قال معبرا^٧ بمبتدأ^٨ مفردا للحجة إشارة إلى ضعفها : (حجتهم)
أى التى زعموها حجة ، و أخبر عن هذا المبتدأ الثانى ليكون هو [و - ']
خبره خبرا عن الأول فقال : (داحضة) أى زالقة فهى ذاهبة غير
ثابتة لأجل أنها فى معارضة ما ظهوره كالشمس بل أجلى ، و^٩ العبارة

(١) زيد من م و مد (٢) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : فود (٣) زيد فى
الأصل : الاجابة و ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فخذناها (٤) زيد فى
الأصل و ظ : أى ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فخذناها (٥) من ظ و م
و مد ، وفى الأصل : صار فى (٦) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : ظهره .
(٧-٧) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : مبتدئا (٨) من ظ و م و مد ، وفى
الأصل : ثم (٩) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : الاشارة .

لقت إلى صفة 'الإحسان و العندية' إشارة إلى شدة ظهور ما في حجتهم من الدحوض لأن "عند" للأمور^٢ الظاهرة المألوفة، و صفة الترية للعطف و الرفق، و الإضافة إلى ضميرهم^٣ تقتضى مزيد لطف و عطف، فهو إشارة إلى أنها هباء مشور عند تدقيق النظر ولا سيما إذا كان بصفة عزة^٤ وقهر و غضب^٥، فالمرى أن دحوضها ظاهر جدا ولو عوملوا^٥ بصفة الإحسان [و - ^٦] لو خصوا بمزيد عطف و بر، فأين^٦ هذا بما [لو - ^٧] قيل "لدى عليم قدير" فانه يفهم أن دحوضها لا يدركه إلا بليغ العلم تام القدرة، وهو مع ذلك غريب فيصير فيه نوع مدح^٧ لحجتهم في الجملة: (عند ربهم) أى المحسن إليهم بافاضة العقل الذى جعلهم به فى أحسن تقويم، فهما جردوه^٨ عن الهوى، دلهم على أن ١٠ جميع ما كانوا فيه باطل، و فيه إشارة إلى أن أدنى ما يعذبهم به قطع إحسانه عنهم، و أنه يظهر بطلان ما سموه حجة لكل عاقل فيورثهم الخزي^٩ فى الدنيا و العذاب فى الآخرة^٩ على أن قطع إحسانه هو عند

- (١) من م و مد، و فى الأصل و ظ : حمة (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ : العبدية (٣) من مد، و فى الأصل و ظ و م : الامور (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل : ضمير (ه - ه) من م و مد، و فى الأصل و ظ : فهم . (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ : دخولها (٧) زيد من م و مد (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ : فايد (٩) من م و مد، و فى الأصل و ظ : مديح (١٠) من م و مد، و فى الأصل : و ظ : جودوه (١١) من م و مد، و فى الأصل : الجزء (١٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ : الآخرة .

التأمل اعلى العذاب ﴿ وعليهم ﴾ زيادة على قطع الإحسان ﴿ غضب ﴾
 أى عقوبة تليق بجأهم المذموم [و وصفهم المذموم - ١] ومنه الطرد،
 فهم مطرودون عن بابهم، مبعودون عن جنابه، مهانون بحجابه . ولما أفهم
 التعبير بـ "على"، ذمهم / باستعلاء النقم عليهم^٢ لم يشكل التعبير باللام، بل
 ٥ كان مقهها^٣ التهكم والملام فقال: ﴿ ولهم ﴾ أى 'مع ذلك' ﴿ عذاب شديده ﴾
 لاتصلون إلى إدراك حقيقة وصفه، والآية مشيرة إلى الانتصار على
 أهل الردة وضربهم بكل شدة لسوء منزلتهم عنده^٤ كما كشف عنه الحال
 عند ندب الصديق إليهم بالقتال رضى الله عنه وأرضاه .

/ ٦٣٧

[و - ٦] لما جزم سبحانه بما توعدهم به بعد أن حكم على حجتهم
 ١٠ بالدحوض، وكان لايجزم بالشئ إلا من كان نافذ الأمر محيط الحكم، به على
 أنه كذلك^٥، مينا ما به يعرف ثبات الحجج ودحوضها المستلزم للغضب من
 الله^٦ المستعقب للعذاب، بقوله لافتا القول إلى الاسم الأعظم تتيها على عظمة
 المخبر عنه: ﴿ الله ﴾ أى الذى له جميع الملك ﴿ الذى ﴾ وأشار بالتعبير
 بالإنزال إلى أن المراد جملة الكتاب الذى لامطن فى شئ منه فقال:
 ١٥ ﴿ انزل الكتب ﴾ أى أوجد لإزاله 'هو لا' غيره ﴿ بالحق ﴾ أى متلبسا

(١) زيد من م ومد (٢-٢) من م ومد، وفى الأصل وظ: النعم .
 (٣) من ظ وم ومد، وفى الأصل: معها (٤) سقط من م ومد (٥) من م
 ومد، وفى الأصل وظ: عندهم (٦) زيد من ظ وم ومد (٧) فى م؛
 لذلك (٨) فى م ومد: الاله (٩-٩) من ظ وم ومد، وفى
 الأصل: مولا .

على اكمل الوجوه بالامر الثابت الذى لا يبدل و بسبب العمل الحق العام للأقوال و الأفعال و العقائد لتعرف الحجة الثابتة من غيرها .
 و لما كان الكتاب آمرا بالعدل قالاً و حالاً ، و كان من محسوسات أوامره التقدير بالمقادير الظابطة ، قال غصصاً معبراً بأقومها^١ إشارة إلى أن الكتاب أعدل عدالة عند العقل و أئين^٢ من الميزان للحس : هـ (و الميزان^٣) أى الأمر به مريداً به عينه حقيقة و جميعها بل جميع العدل الذى تقدم فى "لاعدل بينكم" مجازاً . و لما ثبت أن من جادل فيه كانت حجة داحضة إذا حوسب فى الساعة فكان معذبا ، و كان التقدير بما هدى^٤ إليه السياق تسلياً له صلى الله عليه وسلم فيما يقاسى فى إنفاذ ما أمر به من العدل فى جميع أقواله و أفعاله و صبره على أذاًم : فن ١٠
 فزوع إلى الكتاب فى المعانى و إلى الميزان فى الأعيان فبنى^٥ أمره على تحقق العدل فيهما بهما^٦ فاز ، و من أهمل ذلك خاب ، فدحضت حجته ، و سقطت عند ربه منزلته ، و ما يدريك لعل من جار يعاجل فى الدنيا بالآخذ لكون أجله الذى سبقت الكلمة بتأخيرها إليه قد حضر ، عطف عليه قوله^٧ موجه الخطاب إلى أعلى الخلق تعظيماً للامر : ﴿ و ما يدريك ﴾ ١٥

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : نسب (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مالا (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بالونهى (٤-٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : القطع و اسن (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : من (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اهدى (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فين (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بها (٩-١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : قوله إليه .

١ يا أكل الخلق ﴿لعل الساعة﴾ التي أشير إليها في هذه الآية بقوله
 "عند ربهم" بعد أن صرح بها في غير آية . ولما كان تأنيث الساعة
 غير حقيقى لأنها بمعنى الوقت، ذكرها فقال: ﴿قريب﴾ فأنهم ذلك
 أنها ذات شدائد وان شدائدها ذكور الشدائد وأن قربها أسرع من
 ٥ لمع الرق لما له من الثبات في الحق، أو ذكرها على إرادة السبب أى
 ذات قرب، أو [على -] حذف مضاف أى مجيئها، وعلى كل حال
 فهو دال على تفخيمها^١ أى إنك بمظنة من قرب القيامة، ويقع بهم ما
 توعدوا به بما ينبغى الإشفاق منه، فيظهر فيها العدل بموازين القسط
 لجميع الأعمال ظهورا لا يتماهى^٢ فيه أحد فيشرف^٣ من وفى، ويخزى^٤
 ١٠ من جار و جفا^٥.

ولما تصور بهذا قربها^٦ أشارا بالتعبير بلعل إلى "ان حال المستعجل
 بها حال المترجى لشيء محبوب وهو جهل منه عظيم، شرع في تفصيل
 الناس في أمرها فقال مشيرا إلى أنه ينبغى للعاقل / الاستعداد لها للخلاص
 في وقتها لظهور دلائلها^٧ من غير بحث عن قربها. أو بعدها، فانه لا بد

/ ٦٣٨

(١) زيد فى ظ : اى (٢) زيد من م و مد (٣) من م و مد، وفى الأصل
 و ظ : حجتها (٤) من ظ و م و مد، وفى الأصل : نعتها (٥) من م و مد،
 وفى الأصل و ظ : بحميم (٦) من م و مد، وفى الأصل و ظ : لايتماهى .
 (٧) من ظ و م و مد، وفى الأصل : فليشتر (٨) من ظ و م و مد، وفى
 الأصل : يخوف (٩) من م و مد، وفى الأصل و ظ : خفى (١٠) من م و مد،
 وفى الأصل و ظ : قريبا (١١) من م و مد، وفى الأصل و ظ و م : أى (١٢) من
 ظ و م و مد، وفى الأصل : ويليهما .

من كونها ﴿ يستعجل بها ﴾ أى يطلب أن تكون قبل الوقت المضروب لها ﴿ الذين لا يؤمنون بها ﴾ أى لا يتجدد لهم ذلك أصلاً وهم غير مشفقين منها و يظنون أنها الباطل ، و كان الحال يقتضى أن يكونوا أنفروا الناس منها لكن حملهم على ذلك تكذيبهم بها واستهزاءهم وظنهم عدم كونها جهلاً بمن هم معترفون بقدرته و علوه و عظمته . ٥

ولما دل على جهل الكافرين ، دل على علم أضدادهم فقال : ﴿ والذين آمنوا ﴾ و إن كانوا فى أول درجات الإيمان ﴿ مشفقون ﴾ أى خائفون خوفاً عظيماً ﴿ منها ﴾ لأن الله هدام بآيمانهم ، فصارت صدورهم معادن المعارف ، و قلوبهم منابع الأنوار ، فأيقنوا بما فيها من الأحوال [الكبار - °] ، فخافوا لطاقاتهم أن يكونوا مع صلاحهم من أهل النار . ١٠
و لما قدم الإشفاق تنبيهاً على أن العاقل ينبغي أن يخشى ما يمكن وقوعه ، قال : ﴿ و يعلمون أنها الحق ﴾ إعلاماً بأنهم على بصيرة من أمرها ، فهم لا يستعجلون بها ، فالآية من الاحتباك : ذكر الاستعجال أولاً دليلاً على حذف ضده ثانياً ، و الإشفاق ثانياً دليلاً على حذف ضده أولاً ، قال ابن كثير : و قد روى من طرق^٦ تبلغ درجة التواتر فى الصحاح ١٥ و الحسان^٨ و السنن^٩ و المسانيد أن رجلاً سأل رسول الله عليه و سلم

(١) فى ظ و م : لا يتجدد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : جهلهم (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ما (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يخفون (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) راجع من تفسيره ١١٠/٤ (٧) من مد و التفسير ، و فى الأصل و ظ و م : طريق (٨-٨) سقط ما بين الرقعين من م .

[بصوت جهورى وهو فى بعض أسفاره فناداه : يا محمد ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم - ١] " بنحو من ٢ صوته "هاوم" ٣ فقال : متى الساعة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ويحك إنها كائنة ٤ فما أعددت لها ؟ فقال : حب الله ورسوله ، فقال : أنت مع من أحببت . قال ابن كثير : فقله ٥ فى الحديث " المرء مع من أحب " متواتر ٦ لاحالة ، والغرض أنه لم يحبه عن وقت الساعة ، بل أمره بالاستعداد لها - [انتهى - ٦] ، وهو مشروط بالبراءة من ٧ أعداء الله ٨ بدليل قصة أبى طالب فإنه لم ينفعه حب الولي نقعا تاما بدون البراءة من العدو .

ولما أعلم بتعريف الحق أنها ثابتة ٩ ثباتا كاملا ١٠ لا انقضاء له أصلا ١٠ ولا زوال لآثارها ١١ ، أتج قوله مؤكدا معظما ١٢ فى مقابلة [إنكارهم - ١٣] :

(الآ ان الذين يمارون) أى يظهرون شكهم فى معرض اللجاجة الشديدة طلبا لظهور شك غيرهم من : مریت الناقة - إذا مسحت ضرعها بشدة للطلب لتستخرج ما عساه يكون فيها من اللبن (فى الساعة) أى القيامة وما تحتوى عليه (لى ضدل) أى ذهاب جائر عن الحق

(١) زيد من م ومد والتفسير (٢ ٢) من م ومد ، وفى الأصل وظ : من نحو ، وفى التفسير : بنحو (٣) من ظ وم ومد والتفسير ، وفى الأصل : ما ذم (٤) من م ومد والتفسير ، وفى الأصل وظ : بانية (٥) من م ومد والتفسير ، وفى الأصل وظ : متواترا (٦) زيد من م ومد (٧-٧) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : الغدال قه (٨-٨) من م ومد ، وفى الأصل وظ : كلاما (٩) من م ومد وفى الأصل وظ : الآثار بما (١٠) من م ومد ، وفى الأصل وظ : حظها .

(بعيداً) جداً عن الصواب ، فإن لها من الأدلة الظاهرة في العقل المؤيد
بجازم النقل ما الحقها حال غيابها بالمحسوسات ' لو كشف ' الغطاء
ما ازددت يقيناً .

ولما كان حاصل أمر الفريقين أنه ' أظهر خوف الكافرين في غاية
الآمن و أبطن أمن ' المؤمنين في ازعاج [خوف - °] ، وكان هذا عين هـ
اللطيف ، فانه الوصول إلى الشيء بضده ، و يطلق على إيصال البر إلى الخلق
على وجه يدق إدراكه ، و كان أكثر ما يبطىء بالإنسان في أمر الدين
اهتمامه بالرزق ، اتج ذلك قوله : (الله) أى الذى له الأمر كله
فهو ' يفعل ما يريد (لطيف) أى بالغ في العلم و إيقاع الإحسان
بإيصال المنافع ، و صرف المضار على وجه يلفظ إدراكه ، قال القشيري : ١٠
اللطيف العالم بدقائق الأمور و غوامضها و هو الملقب ' المحسن و كلاهما
في صفته سبحانه صحيح ، [و أكثر - °] ما يستعمل اللطيف في وصفه
بالإحسان في الأمور الدينية ، و قال الرازى في اللوامع : هو اسم مركب
من علم و رحمة و رفق خفي (بعباده) - انتهى . أما بالمؤمن فواضح ،
/ و أما الكافر فأقل لطفه به أنه لا يعاجله في الدنيا ولا يعذبه ' فوق ما ١٥ / ٦٣٩

(١) من م و مد ، و في الأصل و ظ : في المحسوسات (٢) من م و مد ، و في
الأصل و ظ : كشفت (٣) من م و مد ، و في الأصل : كانه (٤) من م
و مد ، و في الأصل و ظ : امر (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و م و مد ،
و في الأصل : فهل (٧) من ظ و م و مد ، و في الأصل : الطف (٨) من
م و مد ، و في الأصل و ظ : لا يعرفه .

[يستحق - '] في الآخرة، فالاسم [الأول - '] تخويف و الثاني ترجية ظاهرة باطنها تخويف. إشارة إلى ما ينبغي من الخوف والرجاء، وإن يكون الخوف أغلب .

ولما كان أظهر ما يكون هذا الوصف في الرزق، فانه يوسع
 ه علي من لاحيلة له، ويحرم من هو في غاية القوة^٢ والقدرة، ويرفع
 الضعيف الجبان ويخفض القوى الشجاع، وكل ذلك على حسب ما يعلم
 من بواطنهم ويريد من أعمالهم، قال دالا على ذلك استثناء لمن^٣ سأل
 عن كيفية اللطف: ﴿يرزق من يشاء﴾^٤ مهما شاء على سبيل من السعة
 أو^٥ الضيق أو التوسط لآمانع له من شيء من ذلك، ويمنع الرزق عن
 ١٠. يشاء إذا علم فراغ أجله فيتوفاه إليه فأجهدوا أنفسهم^٦ في طلب^٧ مرضاته،
 ولا تلتفتوا^٨ إلى الخوف^٩ من الحاجة فانه قد فرغ^{١٠} من تقدير^{١١} الرزق
 ونهى عن المبالغة في طلبه .

ولما كان ذلك لا يستطيعه أحد سواه لما يحتاج إليه من القوة
 الكاملة والعزة الشاملة [قال - ']: ﴿وهو القوى﴾ [أى - ']

(١) زيد من م ومد (٢) زيد في الأصل وظ: العقل، ولم تكن الزيادة في م
 ومد لخدفاها (٣) زيد في الأصل: كان كانه، ولم تكن الزيادة في ظ و م
 ومد لخدفاها (٤) -ن م ومد، وفي الأصل وظ: كيف (ه) م م ومد،
 وفي الأصل وظ «و» (٦-٦) م م وظ و م ومد، وفي الأصل: لطلب:
 (٧-٧) م م ومد، وفي الأصل وظ: لاخوف (٨-٨) م م وظ و م ومد،
 وفي الأصل: مرق (٩) م م ومد، وفي الأصل وظ: تقررو . . .

فلا يضيق عطاؤه بشيء ﴿العزیز﴾ فلا يقدر أحد ان يمنعه [عن شيء - ١] .
ولما بين بهذا ان الرزق ليس إلا في يده، أتبعه ما يزهد في
طلب رزق البدن، ويرغب في رزق الروح فقال على سبيل الاستئناف
جوابا لمن يسأل: هل يكون الرزق بشدة السعي أولا، وبدأ برزق الروح
لشرفه: ﴿من كان﴾ أي من شريف أو ذنى ﴿يريد﴾ ولما كان مداره
مقصد السورة على الدين، و كان الدين معاملة بين العبد وربه يقصد
به ما يقصد بالحرث [من حصول الفائدة، و كان الحرث من أجل أسباب
المكاسب، و كانت الجنة قيعانا غراسها ذكر الله، عبر عن مطلق الكسب
بالحرث - ٢] فقال: ﴿حرث الآخرة﴾ أي اعمالها التي تستمى بها
الفوائد . ولما كانت أسباب الحروث و ثمراتها لا يقدر على تعطيها ١٠
وإنجاحها إلا الله، و كان الآدمي يظن لنفسه في ذلك قدرة، نبه سبحانه
بالإلفات إلى أسلوب العظمة ان أمره سبحانه في ذلك لا يستطاع دفاعه
ولا مانعته ونزاعه: ﴿نزدله﴾ [أي بعظمتنا التي لا يقدر أحد على
تحويلها - ٣] ﴿في حرثه ج﴾ بأن يعينه على الأعمال الصالحة بانارة
القلب و تصفية الحال و تهدئة السر و نفوذ البصر فيما يضر و ينفع ١٥
و يضاعف له ثوابها من العشر لكل حسنة إلى ما لانهاية له و يغطي
من الدنيا التي أعرض عنها ما قدر له إعانة له ٢ على ما أقبل عليه من

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) زيد من م و مد (٣) من ظ و م و مد،
وفي الأصل: شرعه (٤) من م و مد، وفي الأصل و ظ: تهدر (٥) في ظ
و مد: لضف (٦) من ظ و م و مد، وفي الأصل: ثوابه (٧) سقط من م .

الآخرة، و طوى ذكر الدنيا في هذا الشق تنبيها على أنها 'أحق من
 'أن تذكر' مع أنه معلوم من آيات آخر (ومن كان) أى من 'قوى
 أو' ضعيف (يريد حرث الدنيا) أى أرزاقها التى تطلب 'بالكد
 والسعى' ويستتمى به' مكثفيا به مؤثرا [له - ١] على الآخرة
 ٥ (توتة منها) ما' قسمناه له، ولو تهاون به ولم يطلبه لآتاه، ولا ينال
 كل ما يتمناه ولو جهد كل الجهد، و أما الآخرة فكل ما نواه طالبها
 من أعمالها حصل له وإن لم يعمل (وما) أى و الحال أن طالب
 الدنيا ما (له فى الآخرة من نصيب) أصلا، روى أبى بن كعب
 رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " بشر هذه الأمة
 ١٠ بالسنا و الرفعة و النصر و التمكين فى الأرض فمن عمل منهم عمل
 الآخرة للدنيا لم يكن له فى الآخرة من نصيب " رواه أحمد' وابن
 حبان' فى صحيحه" و الحاكم- و قال: صحيح الإسناد - و البيهقي، وذلك لأن
 الأعمال بالنيات، و إنما لكل امرئ ما نوى، و هذا تهاون بها فلم ينوها
 و هى أشرف من [أن - ١] تقبل على من أعرض عنها [فإنها - ١]

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ : انه (٢-٢) من ظ و م و مد،
 و فى الأصل : الذكر (٣-٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل : كان (٤-٤) من
 م و مد، و فى الأصل و ظ : بالسعى و الكد (٥) من ظ و م و مد، و فى
 الأصل : بها (٦) زيد من م و مد (٧) فى م : ما (٨) من ظ و م و مد و المستند،
 و فى الأصل و م : التمكن (٩) راجع المستند ٥ / ١٣٤ (١٠) من م و مد،
 و فى الأصل و ظ : حسان (١١) من م و مد، و فى الأصل و ظ : تصحيحه -

ضرة الدنيا [وضدها -^١] ، فالدنيا لحسناتها تقبل على من اعرض عنها
و تبعده^٢ عن / أقبل عليها حتى تهلكه في مهاوئها ، و الآخرة تقبل على
من أقبل عليها أضغاف إقباله^٣ ، و تنادى من أدبر عنها لينتهى عن غيه
و ضلاله ، قال الرازي في اللوامع : أهل الإرادة على أصناف : مرید
للدنيا ، و مرید للآخرة^٤ و مرید للحق جل و علا ، و علامة لإرادة الدنيا
أن يرضى في زيادة دنياه بنقص دينه و الإعراض عن فقراء^٥ المسلمين
و أن تكون حاجاته في الدعاء مقصورة على الدنيا ، و علامة لإرادة الآخرة
بمكس ذلك^٦ ، و أما علامة لإرادة الله سبحانه و تعالى كما قال^٧ " و يريدون
وجهه " طرح الكونين و الحرية عن الخلق^٨ و الخلاص من^٩ يد النفس -
انتهى ، و حاصله أن يستغرق أوقاته في التوفية بحقوق الحق و حقوق
الخلق و تزكية [النفس -^{١٠}] لا طمعا في جنة و لا خوفا من نار^{١١} ، بل
امثالاً لأمر الملك الأعلى " الذي لا إله غيره " لأنه أهل لذلك مع
اعترافه بأنه لن^{١٢} " يقدر الله حق قدره .

- (١) زيد من م و مد (٢) من ظ و م و مد ، في الأصل : تعرض (٣) من
م و مد ، وفي لأصل وظ : اقبال (٤) من م و مد ، وفي الأصل وظ : الدنيا .
- (٥) من م و مد ، وفي الأصل وظ : الآخرة (٦) من م و مد ، وفي الأصل
وظ : فقهاء (٧) زيد في الأصل : والله اعلم ، ولم تكن الزيادة في ظ و م
و مد لحذفناها (٨) زيد في الأصل : عز من قائل ، ولم تكن الزيادة في ظ و م
و مد لحذفناها (٩-١٠) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : الاخلاص (١٠) من
م و مد ، وفي الأصل وظ : النار (١١-١٢) سقط ما بين الرقيين من م و مد .
- (١٢) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : لا .

ولما تقرر ما شرع من الدين بما وصى به^١ جميع اليدين فبانت اصوله :
 واتضحت فروعها وفصوله ، وظهرت غرائبه واشرفت فرائده وآياته ،
 وختم بالقانون الأعظم في^٢ أسر الدارين بما "هو مشاهد" ولا يقدره
 عليه غيره ؛ فكان التقدير من غير خفاء : هذا شرع الله الذي ارتضاه
 لعباده وحكم بأن الإقبال عليه غير ضار بطلب الرزق وقدر الأرزاق
 فلا قدرة لاحد أن يزيد في رزقه شيئا ، ولا أن ينقص منه شيئا ،
 اقبلوه ؟ عادل ذلك بقوله تعالى مقرر^٣ : "موجبا" منها على ما هو الأصل
 في الضلال عن قوانينه المحررة وشرائعه الثابتة المقررة : ﴿ املهم ﴾ أى
 لهؤلاء الذين يروغون يمينا وشمالا ﴿ شركوا ﴾ على زعمهم شاركوا
 الشارع الذى مضى بيان عزته وظهور جلاله وعظمته فى أمره
 حق ﴿ شرعوا ﴾ أى الشركاء الذين طرخوا ونهجوا^٤ ﴿ لهم ﴾ أى للكفار ،
 ويجوز أن يكون المعنى : شرع الكفار لشركائهم ﴿ من الدين ﴾ فى العبادات
 والعادات التى تقرر فى الأذهان أنه لا بد من الجزاء عليها لما جرت به
 عوائدهم من محاسبة من تحت أيديهم وقدروا لهم من الأرزاق ، وعدل
 ١٥ عن أسلوب العظمة إلى الاسم الأعظم إشارة إلى ما فيه مع العظمة

- (١) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : بها (٢) من ظ و م و مد ، وفى
 الأصل : م (٣ - ٢) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : يشاهد (٤) من ظ
 و م و مد ، وفى الأصل : احد (٥) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : معورا .
 (٦) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : هيوا (٧) من م و مد ، وفى الأصل :
 و ظ : كما (٨) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : من .

من الإكرام الذى من جلته الحلم المقتضى لعدم معاجلتهم بالأخذ فقال تعالى: ﴿ما لم يأذن به الله﴾ أى يمكن العباد منه بأمرهم به وتقريرهم عليه الملك الذى لا أمر لأحد معه، وقد محقت صفاته كل صفة وتضائل عندها كل عظمة، فأقبلوا عليه دون غيره لكونه معتدا به، فإن كان كذلك فليسعدوا من أقبل على الدنيا التى هى محط أمرهم. فلا يعرفون غيرها بأن يعطوه^٢ جميع^٣ مراده ويشقوا^٤ من أراد الآخرة وسعى لها سعيها، ونسب الشرع إلى الإوثان لأنها سببه كما كانت سبب الضلال فى قوله سبحانه وتعالى حكاية عن إبراهيم خليله عليه الصلاة والسلام "رب انهن اضللن كثيرا من الناس" ويضاف الشركاء إليهم تارة لأنهم متخذوها وتارة إلى الله تعالى لأنهم أشركوه به، والعبارة ١٠ تأتى بحسب المقام.

ولما علم قطعاً أن التقدير: فلولا أن هذه الأفعال التى يفعلونها من غير إذن منه لا تنقص من ملكه سبحانه شيئاً، ولا تنصّر إلا فاعلها مع أنها بارادته، فكانت لمنعم عنها لم يصلوا إلى شيء منها، عطف عليه قوله تعالى: ﴿ولو لا كلمة الفصل﴾ التى سبق فى الأزل أنها لا تكون^{١٥}

- (١) من ظ و مد، وفى الأصل وم: تحت (٢) من ظ و م و مد، وفى الأصل: يعطون (٣) من ظ و م و مد، وفى الأصل: مرادهم ويسعوا. (٤) ليس فى م و مد (٥-٥) من ظ و م و مد، وفى الأصل: تارته. (٦-٦) من م و مد، وفى الأصل و ظ: أشركوه (٧) من ظ و م و مد، وفى الأصل: فلا (٨) يزيد فى الأصل: الإلهى، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها.

ولما كان أمرهم حينئذ بنى الفعل للفعول، فقال: ﴿لَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ أي بين الذين امتثلوا أمره، فالتزموا شرعه وبين الذين [اتبعوا - ٢] ما شرعوه لمن سمعهم شركاء في أقرب وقت^٣ ولكنه [قد - ٤] سبق القضاء في [أزل - ٥] الأزل بمقادير الأشياء وتحديد ما على وجوه الحكمة، فهي تجري على ما حد لها لا تقدم لشيء^٥ منها ولا تأخر ولا تبدل ولا تغير، وستكشف لكم الأمور وتظهر مخآت^٦ المقدور فلا يقع الفصل إلا في الآخرة كما سبق به القضاء بأن يكون للقسطين نعم مقيم.

ولما كانوا ينكرون أن يقع بهم عذاب، قال^٧ مؤكدا عطفاً على ما قدرته بما^٨ أرشد إليه السياق: ﴿وإن الظالمين﴾ بشرع ما لم يأذن به الله من الشرك وغيره ﴿لهم عذاب اليم﴾ أي مؤلم ببلغ إيلاجه.

ولما علم من هذا السياق كما ترى أنه لا بد من الفصل، وأن الفصل لا يكون إلا يوم القيامة، قال شارحاً للفصل بين الفريقين في ذلك اليوم^٩ مقبلاً على خطاب أعلى الخلق إشارة إلى أن هذا لا يفهمه حق^{١٥} الفهم ويوقن به حق الإيقان غيره صلى الله عليه وسلم، أو يكون المراد

(١) من م ومد، وفي الأصل وظ: الذي (٢) زيد من م وظ وم ومد.
(٣) من م ومد، وفي الأصل وظ: وقته (٤) زيد من م ومد (٥) من م ومد، وفي الأصل وظ: شيء (٦) من م ومد، وفي الأصل وظ: محات.
(٧) من م ومد، وفي الأصل وظ: فقال (٨) من م ومد، وفي الأصل وظ: سقط من م.
وظ: عاطفاً (٩) من م وظ وم ومد، وفي الأصل: بما (١٠) سقط من م.

كل

(٧٣)

٢٩٢

كل من يصح أن يخاطب إشارة إلى أن الأمر في الوضوح بحيث لا يختص به أحد دون أحد فقال: ﴿ ترى ﴾ أى فى ذلك اليوم الذى لا يشك فيه عاقل لما له من الأدلة القطرية الأدلية والعقلية والنقلية ﴿ الظلمين ﴾ أى الواضحين الأشياء فى غير مواضعها ﴿ مشفقين ﴾ أى خائفين أشد الخوف كما هو حال من يحاسبه من هو أعلى منه وهو مقصر . ولما ه كان الكلام فى الذين ظلمهم صفة راسخة لهم ، كان من المعلوم أن كل عملهم عليهم ، فلذلك عبر بفعل الكسب مجردا فقال : ﴿ عما كسبوا ﴾ أى عملوا معتقدين أنه غاية ما ينفعهم ﴿ وهو ﴾ أى جزاؤه وباله الذى هو من جنسه حتى كأنه^١ هو ﴿ واقع بهم^٢ ﴾ لاحتالة من غير أن يزيدم خوفهم إلا عذابا فى غمرات التيران ، ذلك هو الخسران المبين ، ١٠ ذلك الذى ينذر به [الذين ظللوا -^٣] ﴿ والذين آمنوا ﴾^٤ يصح أن يكون معطوفا على مفعول " ترى " وأن يكون معطوفا على جميع الجملة فيكون مبتدأ ﴿ وعملوا الصلحت ﴾ وهى التى أذن الله فيها [غير^٥] خائفين عما كسبوا لأنهم^٦ مأذون لهم^٧ فى فعله وهو مغفور لهم ما فرطوا فيه ﴿ فى روضة الجنة ﴾ أى فى الدنيا بما^٨ يلذثم الله^٩ به من لذائذ ١٥ / ٦٤٢

- (١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : كأنه (٢) زيد من م و مد (٣) زيد فى الأصل و ظ : والذين آمنوا ، ولم تكن الزيادة فى م و مد فخذناها (٤) زيد من ظ و م و مد (٥ - ٦) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : مأذونون بهم . (٦) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : بمقصود (٧) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : كما (٨) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : أنه .

نظم الدرر (سورة الشورى ٤٢ : ٢٢ و ٢٣) ج - ١٧

الآقوال و الأعمال و المعارف و الأحوال، فى الآخرة حقيقة بلازوال
 ﴿ لهم ما يشآمون ﴾ أى دائماً أبداً كأنّ ذلك لكونه فى غاية الحفظ
 و الترية و التنبيه على مثل هذا الحفظ لفت القول إلى صفة الإحسان،
 فقال: ﴿ عند ربهم ﴾ أى الذى لم يوصلهم إلى هذا الثواب العظيم إلا
 حسن تربيته لهم، و لطف بهم على حسب ما رباهم .

و لما ذكر مآلهم من الجزاء عظمه فقال: ﴿ ذلك ﴾ [أى - ٣]
 الجزاء العظيم الرتبة الجليل القدر ﴿ هو ﴾ لا غيره ﴿ الفضل ﴾ [أى - ٤]
 الذى هو أهل لأن يكون فاضلاً عن كفاية صاحبه، و لو بالغ فى الإنفاق
 ﴿ الكبيره ﴾ الذى ملاّ جميع جهات الحاجة و صغر عنده كل ما ناله
 ١٠ غيرهم من هذا الحطام، فالآية كما ترى من الاحتباك: أثبت الإشفاق
 أولاً دليلاً على حذف الأمن ثانياً، و الجنات ثانياً دليلاً على حذف
 النيران أولاً .

و لما ذكر محالهم و مآلهم فيه، بين دوامه زيادةً فى تعظيمه فقال
 مبتدئاً: ﴿ ذلك ﴾ أى الأمر العظيم من الجنة و نعيمها، و أخبر عن
 ١٥ المبتدأ بقوله: ﴿ الذى يبشر ﴾ أى مطلق بشارة عند من خفف و بشارة
 كثيرة عند من ثقل، و زاد البشارة عظماً بالأمم الأعظم، فقال لافتاً
 القول إليه: ﴿ الله ﴾ أى الملك الأعظم و العائد هو " به " محذوف

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: كائنا (٢) من م و مد، و فى الأصل
 و ظ: عن (٣) زيد من م و مد (٤) زيد من ظ و م و مد (هـ) من
 ظ و م و مد، و فى الأصل: عنه فكل (٦ - ٦) من م و مد، و فى الأصل
 و ظ: راده بشارة .

تعجباً

تفخيماً للبشر به لأن السياق لتعظيمه بالبشارة و يجعلها بأداة البعد و بالوصف بالذئ^١، وذكر الاسم الأعظم و التعبير بلفظ العباد مع الإضافة إلى ضميره سبحانه فأفهم حذفه أن الفعل واقع عليه واصل^٢ بغير واسطة إليه، فصار كأنه مذكور [و - ٢] ظاهر و منظور فقال: (عبادة) و من المعلوم أن كل أحد يعظم من اختصه لعبوديته .

و لما أشعر بالإضافة إصلاحهم، نص عليه بقوله: (الذين آمنوا) أي صدقوا بالغيب (وعملوا) تحقيقاً لإيمانهم (الصلحت) و ذلك الذي مضى قبله الذي يندز به الذين كفروا . و لما كانت العادة جارية بان البشير لا بد له من حياة وإن لم يسأل لأن بشارته قائمة مقام السؤال . قال كعب بن مالك رضى الله عنه : لما أذن الله بتوبته علينا ركض نحوى^{١٠} راكض على فرس و سعى ساع على رجليه فأراني على جبل سلع و نادى : يا كعب بن مالك أبشر، فقد تاب الله عليك، فكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءني الذي سمعت صوته خلعت له ثوبى، فدفعتهما إليه، والله ما أملك يومئذ غيرهما، واستعرت ثوبين فلبستهما - إلى آخر حديثه، كان كأنه قيل : ما ذا تطلب على هذه البشارة، فأمر^{١٥}

(١) من م و مد و في الأصل و لا ظ : بالذكر (٢) من م و مد، و في الأصل و ظ : وصل (٣) زيد من م و مد (٤) من ظ و م و مد، و في الأصل : لم يسد (٥) ذكره البخارى في أبواب المغازى و مسلم في التوبة من صحتيهما . (٦-٦) من م و مد و في الأصل و ظ : نحو (٧) من ظ و مد، و في الأصل و ظ : يبلغ (٨) من ظ و م و مد، و في الأصل خلقت .

الجواب بقوله: ﴿ قل ﴾ أى لمن توهم فيك ما جرت به عادة المبشرين: ﴿ لا استليكم ﴾ أى الآن ولا فى مستقبل الزمان ﴿ عليه ﴾ أى البلاغ بشاره ونذارة ﴿ اجرا ﴾ أى وإن قل ﴿ الا ﴾ أى لكن اسألکم ﴿ المودة ﴾ أى المحبة العظيمة الواسعة .

٥ ولما كانوا يثابرون على صلة الأرحام وإن بعدت والآنساب لذلك قال: ﴿ فى القربى ﴾ أى مظلومة فيها بحيث يكون القربى موضعاً للمودة وظرفاً لها ، لا يخرج شئ من محبتكم عنها ، فانها بها يتم أمر الدين ويكمل الاجتماع فيه ، فانكم إذا وصلتم ما بينى وبينكم من الرحم لم تكذبونى بالباطل ، ولم تردوا ما جئتكم به من سعادة الدارين ، فأفلحتم .
١٠ كل الفلاح ودامت^٢ الألفة بيننا حتى نموت ثم ندخل الجنة فتستمر ألفتنا دائماً أبداً ، / وقد شمل ذلك جميع القرايات^٣ ولم يكن^٤ بطن من قريش إلا وله صلى الله عليه وسلم فيهم قرابة ، رواه البخارى [عن^٥] ابن عباس رضى الله عنهما^٦ وقال : إلا أن تصلوا [ما^٧ - ينى وبينكم من القرابة ، وروى البخارى عن سعيد بن جبير^٨ : إلا أن تؤدوني^٩ فى قرابتي

/ ٦٦٣

(١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : قبل (٢) من م و مد ، وفى الأصل وظ : كذلك (٣) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : امت (٤) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : القريان (٥) زيد فى الأصل : ذلك ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفها (٦) زيد من م و مد (٧) راجع صحيح البخارى ٧١٣ / ٢ - أبواب التفسير (٨) زيد من م و مد والصحيح (٩) من م و مد ، وفى الأصل وظ : تؤدولي .

أى

(٧٤)

٢٩٦

أى ' تبرؤم وتحسنوا إليهم ، قال ابن كثير : وقال السدى : لما جىء بعلى .
 ابن الحسين أسيراً فأقيم على درج دمشق قام^٢ رجل من أهل الشام فقال :
 الحمد لله الذى قتلکم^٣ واستأصلکم وقطع قرن الفتنة ، فقال له على :
 أقرأت القرآن ؟ قال : [نعم قال : ما -^٤] قرأت " قل لا أسألكم عليه أجراً
 الا المودة فى القربى " قال : وإنکم لأنتم هم ، قال : نعم^٥ ، وعن العباس ه
 رضى الله عنه قال : قلت : يا رسول الله ! إن قريشا إذا لقي بعضهم بعضاً
 لقوم يبشر حسن و إذا لقونا لقونا بوجوه لا نعرفها ، فغضب النبي صلى الله
 عليه وسلم غضباً شديداً وقال : والذى نفسى بيده لا يدخل قلب رجل
 الإيمان حتى يحكم الله^٦ ورسوله ، وعنه أنه دخل على رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فقال^٧ : إنا لنخرج قريشا تحدث ، فاذا رأونا سبكتوا ، ١٠
 فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ودر عرق بين عينيه ، ثم قال : والله
 لا يدخل قلب امرئ [مسلم -^٨] إيمان حتى يحكم الله^٩ ولقرايى . وعبر
 فى المنقطع بأداة الاستثناء لإعراق فى النفوس بالإعلام بأنه لا يستثنى أجراً
 أصلاً إلا هذه المودة إن قدر^{١٠} أحد أنها تكون أجراً ، ويجوز أن تكون

(١) من م ومد ، وفى الأصل وظ : او (٢) فى التفسير ١١٢/٤ (٣) من ظ وم
 ومد والتفسير ، وفى الأصل : فقام (٤) من ظ وم ومد والتفسير ، وفى
 الأصل : فلكم (٥) زيد من م ومد والتفسير (٦) من ظ وم ومد والتفسير
 وفى الأصل : هم (٧-٧) من م ومد والتفسير ، وفى الأصل وظ : يحب الله .
 (٨) من ظ وم ومد والتفسير ، وفى الأصل : قل (٩) من ظ وم ومد
 والتفسير ، وفى الأصل : راينا (١٠) زيد من ظ وم ومد والتفسير (١١) من
 ظ وم ومد والتفسير ، وفى الأصل : الله (١٢) من م ومد ، وفى الأصل
 وظ : قد .

«إلا، بمعنى «غير، فيكون من باب :

ولا يُعيب فيهم غير أن سيوفهم بهم^١ فلول من قراع الكتاب
فمن كان بينه وبين أحد من المسلمين قرابة فهو مسؤول أن يراقب الله
في قرابته تلك، فيصل صاحبها بكل ما تصل قدرته إليه^٢ من جميع ما
أمره الله به من ثواب أو عقاب، فكيف بقرابة النبي صلى الله عليه وسلم
فانه قد قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه الطبراني^٣ وأبو نعيم في الحلية
عن أبي ذر رضى الله عنه "مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح عليه الصلاة
والسلام، من ركب فيها نجا، ومن تخلف عنها هلك" وقال فيما
رواه في الفردوس^٤ عن ابن عباس رضى الله عنهما: أصحابي بمنزلة النجوم
١٠ [في السماء - ٢] بأيهم اقتديتم اهتديتم. قال الأصهباني: ونحن الآن
[في - ١] بحر التكليف محتاجون إلى السفينة الصحيحة والنجوم الزاهرة،
فالسفينة حب الآل، والنجوم حب الصحب، فترجوا^٥ من الله السلامة
والسعادة بحبهم في الدنيا والآخرة - والله أعلم.

ولما كان التقدير حتما: فمن يقترب سيئة فعليه وزرها، ولكنه
١٥ طوى لأن المقام للبشارة كما يدل عليه ختم الآية مع سابقه، عطف
عليه قوله: (ومن يقترب) أى يكسب ويخالط ويعمل بمجد واجتهاد
وتعمد وعلاج (حسنة) [أى - ٤] ولو صغرت، وصرف القول

(١) راجع مجمع الزوائد للهيثمى ١/ ١٦٨ (٢) راجع تلخيصه (بخ) ص:
(٣) زيد من م ومد والتلخيص (٤) زيد من م ومد (ه) من م ومد، وفي
الأصل و ظ: فتزودوا (٦-٧) ليس ما بين الرقين في ظ و م ومد

إلى مظهر العظمة [إشارة إلى أنه لا يزيد في الإحسان إلا العظماء، وإلى أن الإحسان قد يكون سببا لعظمة - ١] المحسن فقال: ﴿ نزد ﴾ على عظمتنا ﴿ له فيها حسنا ﴾ بما لا يدخل تحت الوهم، ومن الزيادة أن يكون له مثل أجر من اقتدى به [فيها - ٢] إلى يوم القيامة لا ينقص / من أجورهم شيئا، وهذا من أجر الرسل على إبلاغهم إلى الأمم، فهم ٥ / ٦٤٤ أغنياء عن طلب غيره - هذا إن اهتموا به، وإن دعاهم فلم يهتموا كان له مثل أجورهم لو اهتموا، فإن عدم اهتمامهم ليس من تقصيره، بل قدر الله وما شاء فعل .

ولما كانوا يقولون: إنا قد ارتكبنا من المساوئ ما لم ينفع معه شيء، قال نافيا لذلك على سبيل التأكيد معللا ميثا بصرف القول إلى ١٠ الاسم الأعظم أن مثل ذلك لا يقدر عليه ملك غيره على الإطلاق: ﴿ ان الله ﴾ أى الذى لا يتعاضده شيء ﴿ غفور ﴾ لكل ذنب تاب منه صاحبه أو ٢ كان يقبل الغفران وإن لم يتب منه إن شاء، فلا يصدن أحدا سبته عملها عن ٣ الإقبال على الحسنة .

ولما كان إثبات الحسنة فضلا عن الزيادة عليها لا يصح إلا مع ٥ / الغفران، ولا يمكن أن يكون مع المناقشة، فذكر ذلك ٦ الوصف الذى هو أساس الزيادة، أفادها - أى الزيادة - بقوله: ﴿ شكور ﴾ فهو يحزى

(١) زيد من م ومد (٢) زيد من ظ وم ومد (٣) من م ومد، وفى الأصل وظ وم (٤-٤) من م ومد، وفى الأصل وظ ؛ يصدق (٥) من م ومد، وفى الأصل وظ ؛ على (٦-٦) من ظ وم ومد، وفى الأصل ؛ فذلك ٧

بالحسنة أضعافها و يترك سائر حقوقه . و لما أثبت أنه أنزل الكتاب
 بالحق، و دل على ذلك إلى أن ختم بنى الغرض فى البلاغ فحصل^١ القطع
 بمضمون الخبر، كان كأنه [قيل -^٢] إنكارا عليهم و توبيخا لهم : هل عملوا
 بما نهىهم عليه بما يدعون أنهم عريقون فيه من صلة الرحم و الإقبال
 ٥ على معالي^٣ الاخلاق باجتناب السيئات و ارتكاب الحسنات، و البعد عن
 الكذب و المكابرة و البهتان، فاعتقدوا أنه حق و أنه وحي من عند الله
 بما قام على ذلك من البرهان : (ام يقولون) عنادا : (اقترى) أى
 تعمد أن يقطع، و قدم ذكر الملك الاعظم تنبيها على أنه لا أنقطع
 من الكذب على ملك الملوك مع فهم المفعول به من لفظ الاقتراء
 ١٠ فقال : (على الله) الذى أحاط بصفات الكمال، فله العلم الشامل بمن
 يتقول عليه و القدرة التامة على عقابه (كذابا) حين زعم أن هذا
 القرآن من عنده و أنه أرسله لهذا الدين .

و لما كان التقدير قطعاً : إنهم ليقولون ذلك و كان قولهم [له -^٤]
 قولاً معلوماً بالطلان^٥ لأنه تحداهم بشيء من مثله فى زعمهم أن له مثلاً
 ١٥ ليعلم صحة قولهم فلم يأتوا بشيء و هم وإن كانوا قد يدعون أنه يمنهم
 من ذلك أنهم [لا -^٦] يستجيزون الكذب مبطلون لا يمتري عاقل

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ : فهل (٢) زيد من م و مد (٣) من م
 و مد، و فى الأصل و ظ : تعاظم (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ :
 تقدم (٥) زيد فى الأصل و ظ : لا، و لم تكن الزيادة فى م و مد لخذناطه
 (٦-٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ : معلوماً بالطلان .

في بطلان ذلك [منهم أيضا لأنهم لم يطلب منهم أن ينسبوا ما يأتون به إلى الله على أنه لو طلب منهم ذلك - '] لما كان عذرا ، لأنه لا يتوقف أحد في أن الضرورات تنبيح المحذورات ، وأنه يرتكب أخف الضررين لدفع أثقلهما ، فالإتيان بكلام يسير يسكن به قنّ طوال و تنقطع به شرور كبار في غاية الحسن لأن الخطب فيه سهل ، والأمر يسير ، فكان ذلك وهم يرتكبون أكبر منه من قطع الأرحام و تفريق الكلمة لقتل النفوس و تخريب الديار وإتلاف الأموال دليلا قاطعا على أنهم [إنما - '] يتركونه عجزا ، تسبب عن قولهم هذا وهو نسبتهم له إلى تعمد الكذب أن قال تعالى ردا عليهم ببيان كذبهم فيما قالوا ببيان ما له صلى الله عليه وسلم من نور القلب اللازم عنه استقامة القول : ١٠ (فان) وأظهر الجلالة ولم يضم تعظيما للأمر بأن الختم لا يقدر عليه إلا المتصف بجميع صفات الكمال على الإطلاق من غير تقييد بقاء أصلا فقال : (يشاء الله) أى الذى له الإحاطة بالكمال (يختم) وجرى على الأسلوب السابق في الخطاب لأعظم أولى الآلالب فقال معبرا بأداة الاستعلاء : (على قلبك) فيمنعه من / [قبول - '] روح [هذا - '] ١٥ / ٦٤٥

- (١) زيد من م ومد (٢) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : سنن (٣) من م ومد ، وفي الأصل و ظ : يركبون (٤) في م : يرتكبوا (٥) من م ومد ، وفي الأصل و ظ : رادا (٦) من م ومد ، وفي الأصل و ظ : منه (٧-٧) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : بالكمال (٨-٨) من م ومد ، وفي الأصل و ظ : تقييد (٩) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : بجميع أوصاف الكمال .

الوحى كما ختم على قلوب أعدائك من قبول ذلك، فستوى حينئذ
 'معههم' فى 'عدم القدرة على الإتيان بشيء منه وتصير' لو قلت وقد
 أعاذك الله 'عما يقولون' بما يصح نسبته إلى الباطل لم تقله إلا ومعه
 الأدلة قائمة على بطلانه؛ كما أنهم هم كذلك لا يزالون مفضوحين بما
 ه على أقوالهم من الأدلة [قائمة - ١] على بطلانها، وكان الأصل فى الكلام:
 أم يقولون [ذلك - ١] 'و أنهم لكاذبون فيه بسبب أن الله قد شرح
 صدرك و أنار قلبك فلا تقول قولاً إلا كانت الأدلة قائمة على صدقه،
 ولكنه ساق الكلام هكذا لأنه مع كونه أنصف دال على تعليق
 الوصف بالافتراء على ختم القلوب، وذلك دال قطعاً على أنهم هم
 ١. الكاذبون لما على قلوبهم من الختم الموجب لأنها تقول ما الأدلة قائمة
 على كذبه.

ولما كان التقدير كما دل عليه السياق: ولكنه لم يشأ ذلك، بل
 شاء جعله قابلاً لروح الوحى 'واعيا لفنون' العلم فهو يقذف بأنواع
 المعارف، ويهتف بتلقى أعاجيب اللطائف، ويثبت الله ذلك كله من غير

(١-١) من م ومد، وفى الأصل و ظ: مع (٢) من م ومد، وفى الأصل
 و ظ: تعبر (٣-٣) سقط ما بين الرقيين من م (٤) من م ومد، وفى الأصل
 و ظ: بطلانهم (٥) من ظ و م ومد، وفى الأصل: لم يزالوا (٦) زيد من
 م ومد (٧-٧) زيد فى م: أى تعدد الكذب (٨-٨) من ظ و م ومد، وفى
 الأصل: لانصف على تعليق (٩) من م ومد، وفى الأصل و ظ: إلى (١٠-١٠) من
 ظ و م ومد، وفى الأصل: و لقبول.

مانع ولا صارف، عطف عليه قوله: ﴿ويمح الله﴾ [أى - ١] الذى له جميع صفات الكمال ﴿الباطل﴾ وهو قولهم «أقترى»، وكل كذب فلا يدع له أثرا، وهنالك يظهر خسران الجاحد وينقطع لسان الآلد المعاند، ولم يذكر أن آله^٢ المحو الكلمات وغيرها استهانة به بالإشارة إلى أنه تارة يحويه بنفسه بلا سبب وتارة بأضعف^٣ الأسباب وتارة بأعلى منه، هـ وحذفت واوه فى [الخط فى - ١] جميع المصاحف مع أنه استئناف غير داخل فى الجواب لأنه تعالى [يمحو - ٤] الباطل مطلقا إيماء إلى أنه سبحانه يمحى^٥ رفعه وعلوه وغلبيته^٦ التى دلت عليها الواو مطابقة بين خطه ولفظه، ومعناه تأكيد^٧ للبشارة بمحوه محوا لا يدع له عينا ولا أثرا لمن ثبت اصوله^٨: وصبر كما أمر لحولته، اعتمادا على صادق وعد الله إيماننا ١٠ بالغيب وثقة بالرسول عليهم الصلاة والسلام، وفى الحذف أيضا تشبيه [له - ٩] بفعل الأمر إيماء إلى أن إيقاع هذا المحو أمر لابد من كونه على أتم الوجوه وأحكمها وأعلاها وأتقنها كما يكون المأمور به من الملك المطاع، وأما الحق فانه ثابت شديد مضاعف فلذا^٩ قال: ﴿ويمح﴾ أى يثبت على وجه لا يمكن زواله ﴿الحق﴾ أى كل ما من شأنه الثبات ١٥

- (١) زيد من ظ و م ومد (٢) من ظ و م ومد، وفى الأصل: الآلة .
 (٣) من م ومد، وفى الأصل و ظ : باصعب (٤) زيد من م ومد (٥) من ظ و م ومد، وفى الأصل: نحو (٦-٦) فى م: غلبته وعلوه (٧) من م ومد، وفى الأصل و ظ : تأكيد (٨) من ظ و م ومد، وفى الأصل: اصوله .
 (٩) من م ومد، وفى الأصل و ظ : فكذا .

لأنه أذن فيه وأقره، وعظم الحق وإحقاقه بذكر آله الفعل فقال :
 ﴿ بكلمته ﴾ أى التى ” لو كان البحر مدادا لها “ الآية التى يقولون إن
 ما أتاهم من العبرة عنها افتراء للكذب، والحاصل أنه سبحانه أثبت
 'صفاء لبه ونورانية' قلبه وسداد قوله وصواب أمره،^٢ وظلام^٢
 هـ قلوبهم وبطلان أقوالهم إثباتا مقرونا بدليله أما لآمل^٢ البصار فبمعجزهم
 عن معارضته، وأما اللاغيباء فبإثبات قوله ومحو قولهم.

و لما كانوا يعلمون أنه [على - °] حق وهم على باطل، وكان
 من أحاط عليه بشيء قدره على ما يريد من ذلك الشيء، بين ذلك
 بقوله معللا على وجه التأكيد لأن عملهم عمل من يظن أن الله
 ١٠ لا يعلم مكرهم : ﴿ انه عليم ﴾ أى بالغ العلم ﴿ بذات الصدوره ﴾ أى ما
 هو^٢ فيها مما يعلمه صاحبه وما لا يعلمه^٢ فيطل باطله ويثبت حقه وإن
 كره / الخلاق ذلك ” ولتعلمن نبأه بعد حين “ ولقد صدق الله فأثبت
 ببركته^٢ هذا القرآن كل^٢ ما كان يقوله صلى الله عليه وسلم، وأبطل^٢ بسيف

/ ٦٤٦

(١ - ١) من ظ و م و مد، وفى الأصل : صقالته ونورانيته (٢ - ٢) من ظ
 و م و مد، وفى الأصل : بظلام (٣) من م و مد، وفى الأصل وظ : باطل .
 (٤) من مد، وفى الأصل وظ و م : الاعتناء (٥) زيد من م و مد .
 (٦ - ٦) من ظ و م و مد، وفى الأصل : بكل شيء قادر (٧) زيد فى الأصل :
 غفى، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فخذناها (٨) زيد فى الأصل : صاحبه
 أيضا، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فخذناها (٩) من م و مد، وفى
 الأصل وظ : بركة (١٠) من م و مد، وفى الأصل وظ : على (١١) من م
 و مد، وفى الأصل وظ : بطل .

هذا

(٧٦)

٣٠٤

هذا البرهان كل ما كانوا يخالفونه فيه ، ومن أصدق من الله قيلا .
ولما أخبر بضلالهم وجزم بإبطال أعمالهم ، رغبتهم^١ رحمة منه لهم
في التوبة التي هي من الحق الذي يحقه ولو على أقل وجوهها بأن يقولوها
بأسنتهم ليلفه ذلك عنهم^٢ ، فان قول اللسان يوشك أن يدخل [إلى -]^٣
الحنان ، فقال^٤ مذكرا له^٥ بامتثاته عليهم بقبول توبتهم وتطهير^٥
حوبتهم^٦ كرما^٧ منه وحلما^٨ معبرا بالضمير الذي هو غيب إشارة إلى
إلفه في علمه^٩ الغيب نذارة في طي هذه البشارة : ﴿ وهو ﴾ [أي -]^{١٠}
لا غيره^{١١} أزلا وأبدا^{١٢} ﴿ الذي يقبل التوبة ﴾ كلما شاء بالغلة له^{١٣} أو متجاوزا^{١٤}
﴿ عن عباده ﴾ الذين هم خالصون لطاعته ، سئل [أبو -] الحسن
البوشنجي عن التوبة فقال : إذا ذكرت الذنب فلا تجد له حلاوة^{١٥}
في قلبك .

ولما كان القبول قد يكون في المستقبل مع الأخذ بما مضى قال :
﴿ ويعفو عن السيئات ﴾ [أي -]^{١٦} التي كانت التوبة عنها صغيرة

(١-١) من م ومد ، وفي الأصل وظ : عملهم وغيبهم (٢) من ظ وم ومد ،
وفي الأصل : منهم (٣) زيد من م ومد (٤) زيد في الأصل : وهو الحنان
النان ، ولم تكن الزيادة في ظ وم ومد لخذفها (٥) من م ومد ، وفي
الأصل وظ : لهم (٦-٦) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : تطهر حرهم .
(٧-٧) سقط ما بين الرقين من م ومد (٨-٨) من م ومد ، وفي الأصل
وظ : انت افضة في علم (٩-٩) سقط ما بين الرقين من ظ وم ومد .
(١٠-١٠) من م ومد ، وفي الأصل وظ : وتجاوزا (١١) زيد من ظ
وم ومد .

كانت أو كبيرة . وعن غير ما فلا يؤاخذ بها إن شاء لأن التوبة تجب ما قبلها كما أن الإسلام الذي هو توبة خاصة يجب ما كان قبله .
 و لما كانت تعدية القبول بدعنه مفهومة لبلوغه ذلك بواسطة ، فكان ربما اشعر بنقص في العلم ، اخبر بما يوجب التزبه عن ذلك ترغيبا
 ه و زهيا بقوله : ﴿ و يعلم ﴾ أى و الحال أنه يعلم كل وقت ﴿ ما يفعلون لا ﴾
 أى كل ما يتجدد لهم عمله سواء كان عن علم أو داعية شهوة و طبع سيئة
 كان أو حسنة ، و قرأ حمزة^١ و الكسائي و حفص عن عاصم و رويس^٢
 عن يعقوب بالخطاب لافتا^٣ للقول عن غيب العباد لأنه أبلغ في التخويف
 و قرأ الاقون باليب نسقا على العباد و هو ، أعم^٤ و أوضح في المراد
 ١٠ فغفوه^٥ مع العلم عن سعة الحلم .

و لما رغب بالعفو زاد بالإكرام فقال : ﴿ و يستجيب ﴾ أى يوجد^٦
 بغاية العناية و الطلب إجابة ﴿ الذين آمنوا ﴾ أى دعاء الذين أقروا بالإيمان
 فى كل ما دعو به أو^٧ شفّعوا عنده فيه^٨ لأنه لولا إرادته^٩ لهم الإكرام^{١٠}
 بالإيمان ما آمنوا ، و عدى الفعل بنفسه تنديها على زيادة بره لهم و وصلتهم به

(١) زيد في الأصل و ظ : عن ، و لم تكن الزيادة في م و مد لخدفتاها (٢) داجع
 ثور المرجان ٦ / ٢٦٤ (م) من م و مد ، و في الأصل و ظ : ورس (٤) في
 م : لفتا (ه) من م و مد ، و في الأصل و ظ : اشهر (٦) من ظ و م و مد ،
 و في الأصل : بعفوه و (٧) من م و مد ، و في الأصل و ظ : بوحب (٨) من
 م و مد ، و في الأصل و ظ : و ه و ه (٩-٩) سقط ما بين الرقن من م (١٠) في
 م : الإكرام .

(و عملوا) تصديقاً لدعوائهم [الإيمان] (الصلحت) فيثيبهم النعيم المقيم (و يزيدهم) أى [مع - ٢] ما دعوا به ٢ ما لم يدعوا به ولم يخطر على قلوبهم . ولما كان هذا وإن كان الأول فضلاً منه أيين في الفضل قال تعالى : (من فضله ٣) على أنه يجوز تعليقه بالفعلين .

ولما رغب الذين طالت مقاطعتهم في المواصلة بذكر إكرامهم إذا ٥ اقبلوا عليه ، رهب الذين استمروا على المقاطعة فقال : (والكفرون) أى العريقون في [هذا - ٢] الوصف ، الذين منعتهم عراقتهم من التوبة والإيمان (لهم عذاب شديد) ولا يجيب دعاءهم ، فغيرهم من العصاة لهم عذاب غير لازم التقيد بشديد ، والآية من الاحتباك : ذكر الاستجابة أولاً دليلاً على ضدها ثانياً ، والعذاب / ثانياً دليلاً على ضده أولاً ، وسره ١٠ ٦٤٧ أنه ذكر الحامل على الطاعة والصادق عن المعصية .

ولما كان المتبادر من الاستجابة إجماد كل ما سأله في هذه الدنيا على ما أرادوه و كان الموجود غير ذلك بل كان أكثر أهل الله مضيقاً عليهم ، و كانت الإجابة إلى كل ما يسأل بأن يكون في هذه الدار يؤدي في الغالب إلى البطر المؤدى إلى الشقاء فيؤدى ذلك إلى عكس المراد ، ١٥ قال على سبيل الاعتذار لعباده وهو الملك الأعظم مبينا ان استجابته تارة تكون كما ورد به الحديث لما سأله ، وتارة تكون بدفع مثله

(١) في م : للإيمان (٢) زيد من م ومد (٣) من م ومد ، وفي الأصل وإظ :
إليه (٤) من م ومد ، وفي الأصل وظ : التقيد (٥) من م ومد ،
وفي الأصل : الصادر (٦) من م ومد ، وفي الأصل وظ : صادر عن .

من البلاء و نارة تكون بتأخيره إلى الدار الآخرة^١ ﴿ولو﴾ أى^٢
هو يقبل و يستجيب و الحال أنه لو ﴿بسط﴾ و لما كان هذا المقام
عظيماً لاحتياجه إلى الإحاطة بالخلائق و الإحاطة بأخلاقهم و أوصافهم
و ما يصلحهم و يفسدهم و القدرة على كل بذل و منع، عبر بالاسم
هـ الأعظم فقال: ﴿الله﴾ أى الملك الأعظم الجامع لجميع صفات الكمال
تنبها على عظمة هذا المقام: ﴿الرزق﴾ لهم - هكذا كان الأصل،
لكنه كره أن يظن خصوصيته ذلك بالتائبين فقيل: ﴿لعباده﴾ أى
كلهم التائب منهم و غيره بأن أعطاهم فوق حاجتهم ﴿لبغوا فى الارض﴾
أى لصاروا يريدون كل ما يشتهونه، فإن لم يفعل سعوا فى إنقاذه
١٠ كالمملوك بما لهم من المكنة بكل طريق يوصلهم إليه فيكثر القتل و السلب
و النهب و الضرب و نحو ذلك من أنواع الفساد، و قد تقدم فى النحل^٣
من الكلام على^٤ البغى ما يتقن به علم هذا المكان .

و لما كان معنى الكلام أنه سبحانه لا ييسط لهم ذلك بحسب^٥
ما يريدونه^٦، بنى عليه قوله سبحانه: ﴿ولكن ينزل﴾ أى لعباده من الرزق

(١) زيد فى الأصل: فى وقت يكون محتاجا إليها أشد الاحتياج فقال تعالى،
و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٢) زيدت الواو فى الأصل
و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بل .
(٤) زيد فى الأصل: ما سبق، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .
(٥) زيد فى الأصل: من، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) من
ظ و م و مد، و فى الأصل: على (٧) فى مد: يروونه .

(بقدر) أى بتقدير لهم جملة ولكل [واحد - '] منهم لا يزيد
عن تقديره دره ولا ينقصها (ما يشاء) من الماء الذى هو اصل
الرزق والبركات التى يدبر بها عباده كما انفضه حكمته التى بنى عليها
احوال هذه الدر .

ولما كان اكثر الناس يقول فى نفسه : لو بسط لى الرزق لعمت ه
الخير، ونجبت الشر، وأصلحت غابة الإصلاح . قال معللا ما احبر به
فى أسلوب التأكد : (انه) و كان الأصل : بهم، ولكنه قال :
(بعباده) لئلا يظن ان الأمر خاص بمن وسع عليهم أو ضيق
عليهم : (خير صيره) يعلم جميع ظواهر امورهم وحركاتهم وانتقالاتهم
وكلامهم^١ وبواطنها^٢ فيقيم كل واحد فيما يصلح له من فساد^٣
وصلاح وبعى وعدل، ويهتدى لكل شئ [من ذلك - '] أسبابه^٤ .
ولما ذكر إزال الرزق على هذا المتوال، وكان من الناس ممن^٥
خذه الإصلاح من^٦ يقول : إن ما الناس فيه من المطر والنبات

(١) زيد من م ومد (٢) من م ومد، وفى الأصل وظ : على (٣) سقط
من ظ وم ومد (٤) من ظ وم ومد، وفى الأصل : خاصا بهم (٥) من م
وممد، وفى الأصل وظ : لو (٦) من ظ وم ومد، وفى الأصل : ظواهرهم
من (٧-٨) سقط ما بين الرقعتين من م ومد (٨) من ظ وم ومد، وفى
الأصل : بواطنهم (٩) زيد من ظ وم ومد (١٠) زيد فى الأصل : كما يرى
ويطلع لى كما يروى، ولم تكن الزيادة فى ظ وم ومد فحذفها (١١) من
ظ وم ومد، وفى الأصل : من (١٢) من ظ وم ومد، وفى الأصل : من .

وإحراج الأقوات إنما هو عادة الدهر، بين أنه سبحانه هو الفاعل
لذلك بقدرته و اختياره بما هو كالشمس من أنه قد يحبس المطر عن
إباته، وإعادته في وقته وأوانه، حتى يأس [الناس - ٢] منه ثم ينزله
إن شاء، فقال معبرا الضمير الذي هو غيب لأجل أن إنزال الغيث
من مفاتيح الغيب: (وهو) [اى - ٢] لا غيره قادر على ذلك
/ فانه هو (الذى ينزل الغيث) أى المطر الذى يعاثر به الناس أى
يجابون إلى ما سألوا ويعاثون ظاهرا كما ينزل الوحي الذى يعاثون به
ظاهرا وباطنا .

١٦٤٨

ولما كان الإنزال لا يستغرق زمان القنوط، أدخل الجار فقال:
١٠ (من بعد ما قنطوا) أى يتسوا من إزاله وعلوا أنه لا يقدر على إزاله
عمره، ولا يقصد فيه سواه. ليكون ذلك أدعى لهم إلى الشكر و ينشره -
هكذا كان الأصل ولكنه لما بين أنه غيث قال بيانا لأنه رحمة، وتعميما
لأثره من النبات وغيره: (و ينشر رحمته) [اى - ١١] على السهل
والجبل فينزل من السحاب المحمول بالريح من الماء ما يملأ الأرض
(١) من م ومد، وفى الأصل و ظ: من (٢) من م ومد، وفى الأصل
و ظ: أيامه (٣) زيد فى الأصل: ولو، ولم تكن الزيادة فى ظ وم ومد
لقد فتاه (٤) زيد من م ومد (٥) من م ومد، وفى الأصل و ظ: بالصير.
(٦) من م ومد، وفى الأصل و ظ: عجيب (٧-٧) سقط ما بين الرقيين
من ظ وم ومد (٨) فى مد عبث (٩) من م ومد، وفى الأصل و ظ:
رحمته (١٠) من م ومد، وفى الأصل و ظ: لامره (١١) زيد من ظ
وم ومد.

بحيث لو اجتمع عليه الخلائق ما أطافوا حمله ، فتصبح الأرض ما بين
 غدريان وأنهار ، ونات بحم وأشجار ، وحب وثمار ، وغير ذلك من
 المنافع الصغار والكبار ، فلهذا ما أعلی هذه القدرة الباهرة والآية
 الظاهرة ، فيخرج من الأرض التي هي من صلاتها تعجز عنها المعاول
 نجما هو في لينة ألين من الحرير ، وفي لطافته ألطف من النسيم ، ومن
 سوق الأشجار التي تنثى فيها المفاير أغصانا الطف من ألسنة العصاير ،
 فما أجلف من ينكر إخراجه الموى من القبور ، أو يجيد عن ذلك بنوع
 من الغرور .

ولما أنكر عليهم فيما مضى اتخذوا لى من دونه يقول تعالى "ام
 اتخذوا من دونه أولياء" ، وأثبت أنه هو الولي ، وتعرف إليهم بآثاره التي ١٠
 حوت أفانين أنواره ، وكانت كلها في غاية الكمال موجبة للحمد المتواتر
 المنوال ، قال : (وهو) أى وحده ^١ لا غيره (الولي) أى الذى
 لا أحد اقرب منه إلى عباده في شيء من الأشياء (الحميد) أى الذى
 استحق بجامع الحمد مع أنه يحمد من يطيعه فيزيده من فضله ويصل

- (١) زيد في الأصل : أحلاو ، ولم تكن الزيادة في ظ و م ومد فحذفناها .
 (٢) زيد في الأصل : اليبة ، ولم تكن الزيادة في ظ و م ومد فحذفناها .
 (٣) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : الحاول (٤) من م ومد ، وفي الأصل
 وظ : شوق (هـ) من م ومد ، وفي الأصل وظ : أغصانه ، وفي مد : أغصان .
 (٦-٦) من م ومد ، وفي الأصل وظ : اوما (٧) زيد في الأصل : الجمال و ،
 ولم تكن الزيادة في ظ و م ومد فحذفناها (٨-٨) سقط ما بين الرهين من ظ
 وم ومد .

١ 'جبله دائما' بحبله .

ولما كان ما مضى من بسط الرزق وقبضه ، وإزال الغيث وحبسه ،
من الآيات العظيمة ، عمم بذكر ما 'ذلك بعض' منه ، وهو دال على
جميع ما ختم به الآية الساقفة من الحمد الذى هو الاتصاف بجميع صفات
الكمال ، فقال عاطفا على ما تقديره : 'فذلك من آيات الله الدالة على
قدرته واختياره وانه [هو - ٢] الذى يحيى هذا الوجود بالمعاني من
روح الوحي وغيره تارة والاعيان من الماء وغيره اخرى : (ومن ابنه)
العظيمة على ذلك وعلى استحقاقه لجميع صفات الكمال (خلق السموات)
التي تعلون أنها متعددة بما تزون من امور الكواكب (والارض)
١٠ أى جنسها على ما هما عليه من الهيئات وما اشتملا عليه من المنافع
والخيرات (وما بث) أى فرق بالابدان والقلوب على هذا المتوال
الغريب من الحس 'والحركة' بالاختيار' مع التفاوت فى الاشكال ،
والقدور والهيئات والاخلاق وغير ذلك من النقص والكمال .

ولما كانت الارض بناء و السما سقفة ، فمن كان فى أحدهما صح
١٥ نسبتة إلى أنه فى كل منهما : الأسفل بالإقلال والاعلى بالإطلاق قال تعالى :
(فيهما) أى السماوات والارض ولا سيما وقد جعل لكل منهما تسبعا

(١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : دائما حبله (٢-٢) من م و مد ، وفى
الأصل و ظ : ذكر بعض (٣) زيد من م و مد (٤) زيد فى الأصل : من م
ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحدفها (٥-٥) من ظ و م و مد ، وفى
الأصل : الحركة بالأخبار (٦) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : باطلال .

في ذلك بما أودعها^١ من الجواهر^٢ وأشأ^٣ عنها^٤ من العناصر .
 ولما كانت الحياة التي هي سبب الانتشار والدب ربما اورثت
 [صاحبها - ١] كبرا وغلظا في [نفسه - ٢] وظن انه / تام القدرة ،
 ٦٤٩ / أنك تحقيرا لقدرته وتوهية لشأنه ورنته فقتل (من دابة^٥) أى شيء
 فيه أهلية الدب^٦ بالحياة من الإنس والجن والملائكة وسائر الحيوانات ه
 على اختلاف أصنافهم وأوانهم وأشكالهم : لغتهم وطباعهم واجناسهم
 وأنواعهم : أقطارهم ونواحيهم وأصقاعهم^٧ ، [و - ١] من نظر إلى
 صنائعه^٨ سبحانه تيقن وجوده وقدرته واختياره ، ثم إذا أمعن في النظر
 وتابع التدبر في الفكر وصل إلى معرفة الصانع بأسمائه وصفاته وما
 ينفي له ويستحيل عليه فيحمده بمحامده^٩ التي لا نهاية لها^{١٠} ويسبحه
 بسبحاته ثم إن^{١١} أمعن سما إلى الوقوف على حكمة ما جاءت به الرسل
 ونزلت به الكتب .

ولما كنا عالمين بأن من أوجد أشياء^{١٢} قدر على ضم اشتاتهم متى
 شاء مع نقص التصرف والعجز في القلب^{١٣} كنا جديرين بالعلم^{١٤} القطعي

(١) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : اودعها (٢-٢) من ظ و م و مد ،
 وفي الأصل : ساغها (٣) زيد من م و مد (٤) من ظ و م و مد ، وفي
 الأصل : الديبة (٥) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : اصنافهم (٦) زيد من
 ظ و م و مد (٧) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : صانعه (٨-٨) سقط ما بين
 الرقين من ظ و م و مد (٩) من م و مد . وفي الأصل و ظ : اذا (١٠) من
 م و مد : وفي الأصل و ظ : شيئا (١١) من ظ و م و مد ، وفي الأصل :
 جانب قدرته (١٢) ومن هنا انقطعت نسخة مد .

بمضمون قولہ تعالیٰ: ﴿وہو﴾ ای بما لہ من صفات العظیمة الی علم
الظاهر مہا، و ما غاب عنا کبر ﴿علی جمعہم﴾ ای ہدہ الدواب من
ذوی العقول و غیرہم بعد تفرقہم بالقلوب و الابدان بالموت و غیرہ
من الحظوظ و الآہوہ و غیر ذلک .

ولما كان الجمع لا بد منه ، عبر بأداة التحقق فقال معلقا بجمع :
﴿ اذا ﴾ و حقق النظر إلى البعث عبر بالمضارع فقال : ﴿ يشاء قدرع ﴾
ای باغ القدرة • كما كان بالغ القدرة عند الإيجاد من العدم بجمعهم
فی صعيد واحد یسمعہم الداعی و یفدہم البصر • ولما ذکرہم سبحانه
[بنعمہ ، و كان السياق لتعداد ما ناسب -^٨] مقصود هذه السورة منها ،
١٠ . كان الفكر جذرا بأن يخطر له ما في الدنيا من الأمراض و الانكاد
و الهموم و الفہوم بالإشقاء فیہا و الإسعاد ، قال شافيا لہی سؤالہ عن
ذلك بیان ما فیہ من نعمتہ علی وجہ دال علی تمام قدرتہ و علیہ ، عاطفا
علی ما ہو مضمون^٩ ما مضی [بما -^{١٠}] تقديرہ : فهو الذي خلقکم و رزقکم
و هو المتصرف فیکم بعد بثکم بالعافیة و البلاء تمام التصرف ، فلا نعمة

(١) فی م: الصفات (٢) من م ، وفي الأصل و ظ ذی (٣) زیدتم
الواو فی الأصل و ظ ولم تکن فی م فحدثناھا (٤) من م ، وفي الأصل
و ظ : التحقیق (٥ - ٦) سقط ما بین الرقیین من ظ (٦) من م ، وفي الأصل
و ظ : البصیر (٧) من م ، وفي الأصل و ظ ی ذکر (٨) زید من م (و) مملا
ظ و م ، وفي الأصل نہ لعل (١٠) من م ، وفي الأصل و ظ : المضمون
(١١) زید من ظ و م .

عندكم وإلزامية إلا منه، لا يقدر أصحابها على ردها ولا رد شيء منها فهو
وليكم برحمة (وما أصابكم) واجههم بالخطاب زيادة في تقريب الطائع
وتبكيك العاصي، وعم بقوله: (من لإمسية) وأخبر عن المبتدأ
بقوله: (وبما) أى كأن بسبب الذى - هذا على [قراءة نافع وابن عامر،
وإثبات الفاء في -] الباقي^٢ زيادة في إيضاح السببية فقرأوا "فبما" ه
لتضمن المبتدأ الشرط أى فهو بالذى .

ولما كانت الفوس مطبوعة على النقائص، فهي لا تنفك عنها
إلا بمعونة من الله شديدة، كان عملها كله أو جله عليها، فعبّر بالفعل
المجرد إشارة إلى ذلك فقال: (كسبت) .

ولما كان العمل غالباً باليد قال: (أيديكم) أى من الذنوب، ١٠
فكل نكيد لاحق إنما هو بسبب ذنب سابق أقله التقصير، روى ابن
ماجة في سننه^١ وابن حبان في صحيحه - والحاكم واللفظ له - وقال:
صحيح السناد - عن ثوبان رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا يرد القدر إلا الدعاء^٢ ولا يزيد في العمر إلا البر، وإن
الرجل ليحرم الرزق بالذنوب يصيه . فالآية داعية لكل إحد إلى المبادرة ١٥
عند وقوع المصيبة إلى محاسبة النفس ليعرف^٣ من أين^٤ جاء تقصيره

(١) من ظ و م . وفي الأصل: ثم (٢) من م ، وفي الأصل و ظ: قول -

(٣) راجع ثور اللزجاني ٦ / ٣٩٨ (٤) من م ، وفي الأصل و ظ: مهلا (٥) راجع

المقدمة ص ٤١٠ (٦) من م والسنة ، وفي الأصل و ظ: بالدعاء (٧) في م ما

ليعلم (٨-٨) في م: الى .

فيبادر^١ إلى التوبة عه والإقبال على الله / لينقذ نفسه من الهلكة، و فائدة ذلك وإن كان الكل بخلقه و إزادته إظهار الخضوع والتذلل واستشعار الحاجة والافتقار إلى الواحد القهار، ولولا ورود الشريعة لم يوجد سبيل^٢ إلى الهدى : لا إلى^٣ هذه الكمالات الدنيوية، ومثل هذه التنبهات ليستخرج من العبد ما أودع في طبيعته وركز في غريزته كغرس وزرع سبق إليه ماء وشمس لاستخراج ما أودع في طبيعته من المعلومات الإلهية والحكم العلية.

ولما ذكر عدله، أتبعه فضله فقال : ﴿ ويعفو عن كثير^٤ ﴾ ولولا عفوه وتجاوزه لما ترك على ظهرها من دابة ويدخل في هذا [ما-^٥] ١٠ يصيب الصالحين لإنالة درجات^٦ وفضائل وخصوصيات^٧ لا يصلون إليها إلا بها لأن أعمالهم لم تبلغها فهي خير وأصل^٨ من الله لهم، وقيل لآتي سليمان الداراني : ما بال العقلاء أزالوا اللوم عن أساء إليهم؟ قال : لأنهم علموا أن الله إنما ابتلاهم بذنوبهم - وقرأ هذه الآية .

ولما كان من يعاقب بما دون الموت ربما ظن أنه عاجز قال : ﴿ وما أنتم بمعجزين ﴾ لو أريد^٩ محكم الكلية ولا في شيء أراد سبحانه

(١) من م، وفي الأصل وظ : فيادر (٢) من م، وفي الأصل وظ : استشفال (٣-٤) سقط ما بين الرقين من ظ وم (٤) في م : ما (٥) زيد من م. (٦-٧) من اظ وم، وفي الأصل : فضل (٧) سقط من ظ وم (٨) في ظ وم : انهم (٩) من م، وفي الأصل وظ : فقال (١٠) من ظ وم ومد، وفي الأصل وظ : اراد .

منكم كائنا ما كان . و لما كان من ثبتت قدرته على محل العلو بخلقه
وما اودعه من المصنوعات احدر بالقدرة على ما دونه ، أشار إلى ذلك
بقوله : ﴿ في الارض ملج ﴾ و لما كان الكلام في العقوبة في الدنيا قبل الموت ،
ولم يكن أحد يدعى فيها التوصل إلى السماء ، لم يدع داع إلى ذكرها
بخلاف ما مضى في العنكبوت . و لما نفي امتاعهم بأنفسهم ، و كانت له
سبحانه من العلو ما تقصر عنه العقول ، فكان كل شيء دونه ، فكان قادرا
على كل شيء قال : ﴿ و ما لكم ﴾ اى عند الاجتماع فكيف عند الانفراد .
و لما كانت الرتب في غاية السفل عن رتبته والتضال دون حضرته ،
اثبت الجار منها على ذلك فقال : ﴿ من دون الله ﴾ اى المحيط بكل
شيء عظمة و كبرا و عزة ، و عم^٢ بقوله : ﴿ من ولى ﴾ اى يكون متوليا^{١٠}
لشيء من أموركم بالاستقلال ﴿ و لا نصيره ﴾ يدفع عنكم شيئا يريد^٩
سبحانه بكم .

و لما دله سبحانه على تمام قدرته [و اختياره - °] و ختم بنفى
الشريك اللازم للوحدانية التى اعتقادها أساس الأعمال الصالحة ، دل
عليها بأعظم الآيات عديم و اوضحها فى أنفسهم و أقرها إلى أفهامهم لما^{١٥}
لهم من الإخلاص عدها فقال تعالى : ﴿ و من آيته ﴾ اى الدالة على
تمام قدرته و اختياره و وحدانيته و عظيم سلطانه ، تسخير و تذليله لسير

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : و كان (م) من ظ و م ، و فى الأصل :
انتظاؤنا (م) ق م : هم (ن) من مسنوق الأصل و ظ : يريد (ه) زيد من
ظ و م (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : بما عظم .

الفلك فيه حاملة ما لا يحمله غيرها، وهو معنى قوله : (الجوار)
 أى من السفن، وهى من الصفات التى جرت مجرى الإعلام، ودل
 على الموصوف ما بعده فاذلك حذف لأن القاعدة أن الصفة إذا لم تخص
 الموصوف امتنع حذفه فنقول : مررت بمهندس، ولا نقول : مررت
 ٥ بماش - إلا بقرينة كما هنا .

ولما كانت ثقيلة فى أنفسها، وكان يوضع فيها من الأجمال ما
 يشغل الجبال، وكان كل ثقل ليس له من ذاته إلا الغوص فى الماء،
 كانت كأنها فيه لا عليه لأنها جذبة بالفرق فقال ثمالى محذرا من سطواته
 متعرفا " بخليل نعمته معرفا " بحقيقة الجوارى : (فى البحر كالأعلام)
 ١٠ أى الجبال الشاهقة بما لها من العلو فى نفسها عن الماء ثم بما يوصلها
 وما فيه من الشراع غليها من الارتفاع^٨، وقال الخليل : كل شئ مرتفع
 / ٦٥١ عند العرب فهو علم .

ولما كان كأنه قيل : وما تلك الآيات ؟ ذكر ما يخوفهم منها
 ويعرفهم أن جميع ما ألاحهم إياه من شؤونها إنما هو بقدرته واختياره

- (١) من م، وفى الأصل و ظ : الاعمال (٢) من م، وفى الأصل و ظ :
 العرض (٣) زيد فى الأصل و ظ : لهم، ولم تكن الزيادة فى م لحذفها .
 (٤) زيد فى الأصل : لهم . ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (هـ) من ظ
 و م، وفى الأصل : بجميع نعماته وبمعرفا (٦) زيد فى الأصل و ظ : فقال،
 ولم تكن الزيادة فى م لحذفها (٧) من ظ و م . وفى الأصل : ترمها .
 (٨-٨) فى م : وارتفاع (٩) من ظ و م، وفى الأصل : سورها .

فقال

فقال: ﴿ ان يشأ ﴾ أى الله الذى حكم فيها على ظهر الماء آية بينة سقط اعتبارها عندكم لشدة الفكر [لها - ١] ﴿ يسكن الريح ﴾ التى يسيرها و انتم مقرّون أن أمرها ليس إلا بيده ﴿ فيظللن ﴾ أى فلتسبب عن ذلك أنهن يُظللن لى يقمن ليلا كان او نهارا ، و اعله عبر به مع أن أصله الإقامة نهارا لأن النهار موضع الاقتدار على الأشياء و هو المنتظر عند ه كل متعسر للسعى فى إزالة عسره و تيسر أمره ﴿ روادك ﴾ أى ثوابت مستقرات من غير سير ﴿ على ظهره ﴾ ثانيا ظاهرا بما دل عليه إثبات اللامين و فتح لامة الأولى للكل

ولما كان ذلك موضع إخلاصهم^٧ الدعوة لله و الإعراض عن الشركاء^٨ فانهم كانوا يقولون فى مثل هذا الحال : اخلصوا فان اهتمكم - أى من ١٠ الأصنام و غيرها من دون الله - لا تغنى فى البحر شيئا ، و كانوا ينسبون ذلك شركاء مع طلوعهم^٩ إلى البر كانوا بمنزلة من لا يعد ذلك آية أصلا ، فلذلك^{١١} أكد قوله : ﴿ ان فى ذلك ﴾ أى ما ذكر من حال السفن فى سيرها و ركودها عما^{١٢} لا يقدر عليه إلا الله سبحانه بدليل ما للناس

(١) زيد من م (٢) من م ، وفى الأصل و ظ : أى (٣) من م . وفى الأصل و ظ : لاقامة (٤) من م ، وفى الأصل و ظ : عن (٥) من م ، وفى الأصل و ظ : تابتا (٦-٦) من م ، وفى الأصل و ظ : الابن و صح الامة (٧) من م ، وفى الأصل و ظ : اطلعهم (٨) من ظ و م . وفى الأصل : الاشرار . (٩) من م ، وفى الأصل و ظ : اطلع (١٠) من م . وفى الأصل و ظ : فكذلك (١١) فى م : بما .

كاه من الإجماع على التوجه 'فى ذلك' إليه 'خاصة و الانخلاع مما سواه
(لأثبت) أى على [ان - ٢] إحاطته سبحانه بجميع [صفات - ٢]
الكمال امر مركز في العقول ثابت في الفطر الأولى مما 'لا يصد عنه'
إلا الهوى، وعلى أن بطلان أمر ما دونه لذلك 'هو من' الظهور
• يمكن لا يحهل .

ولما كانوا يتماذحون بالصبر على نوازل الحدثان والشكر لكل
إحسان و يتذامون بالجزع والكفران، وكان ذلك يقتضى ثباتهم
على حال واحد فإن كان الحق عليهم لمعبوداتهم فرجوعهم [عنها - ٢]
عند الشدائد بما لا ينحو نحوه ولا يلتفت لفته أحد من كل الرجال
١٠ الذين يجابون 'العار و الاتسام بسم الإغمار، وإن' كان الحق كما هو
الحق لله فرجوعهم عنه عند الرخاء بعد إنعامه عليهم بانجائهم من الشدة
لا يفعله ذوعزيمة^٨، قال مشيرا إلى ذلك بصيغتي المبالغة: (لكل صبار)
أى فى الشدة (شكور لا) أى فى الرخاء وإن كثر مخالفوه، وعظم
نزاعهم له، وهاتان 'صفتا المؤمن' المخلص الذى وكل همته بالنظر فى
١٥ الآيات فهو يستملئ منها العبر و يحلو بها من البصيرة عين^{١١} البصر .

(١-١) من م، وفى الأصل و ظ : اليه فى ذلك (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد
من م (٤-٤) من م، وفى الأصل و ظ : يصدر (٥) من م، وفى الأصل
و ظ : بذلك (٦) من ظ و م، وفى الأصل : كهل (٧-٧) من ظ و م، وفى
الأصل : الصار ولا يسام عليهم الأعمال و اذا (٨) من م، وفى الأصل و ظ :
عظمة (٩-٩) من ظ و م، وفى الأصل : صفاتان للمؤمن (١٠) من م، وفى
الأصل و ظ : غير .

و لما نبه بهذا الاعتراض بين^١ الجزاء و معطوفه على ما فيه من دقائق
 المعاني في جلائل الجاني، قال مكلا لما في ذلك من الترغيب في صورة
 الترهيب: (أو) أي أو ان يشاء في كل وقت أرادته^٢، و اسند الإيقاع^٣
 إلى الجوارى تأكيداً لإرادة^٤ العموم في هلاك^٥ الركاب فقال: (يوقهن)
 أي يهلكهن بالإغراق بإرسال الريح و غير ذلك من التباريح حتى كأنهن
 بعد ذلك العلو^٦ في وقعه أي حفرة، و طاق في الماء و فعره، و قد تقدم
 تحقيق معنى "وق" بجميع تقاليبه / في سورة الكهف، و منه
 [أن وق -^٧] كوعد و وجل و ورث و بوقاً^٨ و موبقا: هلك، و الموبق
 كمجلس: المهلك و كل شيء حال بين شيئين^٩ لأن^{١٠} الوقفة تحول بين
 ما فيها و بين غيره^{١١}، و منه قيل للوعد: موق، و أربقه: حبسه^{١٢}.
 أو أهلكه.

و لما كان الإهلاك لمن إهلاكاً للركاب، قال مبينا أنهم المقصودون
 مجردا الفعل^{١٣} إشارة إلى [أن -^{١٤}] ابن آدم لما طبع عليه من النقائص

- (١) من م، و في الأصل و ظ: مبين (٢) من م، و في الأصل و ظ: أراد.
- (٣) من ظ و م، و في الأصل: الأباق (٤) من م، و في الأصل و ظ: لارادته.
- (٥) من ظ و م، و في الأصل: الركائب قال (٦) من م، و في الأصل و ظ: العلوة (٧) زيد من ظ و م (٨) من م، و في الأصل و ظ: بواق (٩) من م، و في الأصل و ظ: شيء (١٠) و من هنا تستأنف نسخة مد.
- (١١) من م، و في الأصل و ظ: غيرها (١٢) من م، و في الأصل و ظ: حبه
- (١٣) من ظ و م و مد، و في الأصل: للفعل (١٤) زيد من م و مد.

ليس له من نفسه فعل خال عن شوب نقص خاله على اللجوء إلى الله
في تهذيب [نفسه - '] و [خلاص فعله]: (بما كسوا) أى فعلوا من
المعاصى بجدهم فيه و اجتهدهم^٢.

ولما كان التقدير تفصيلا للإيقاق: فيفرق كل من فيهن إن شاء
و يفرق [كثيرا - '] منهم^١ إن شاء. عطف عليه قوله: (و يعف) ^٥
[أى - '] إن يشأ (عن كثيرين) أى من الناس الذين في هذه السفن
الموقفة، فينجيهم بعم أو حمل^١ على خشبة^١ أو غير ذلك، وإن
يشأ يرسل الريح^١ [طيبة - '] فينجيها ويلبثها أفصي المراد إلى
غير ذلك من التقادير الداخلة تحت المشيئة، فالعمل كما ترى عطف على
١٠ يوبق^١، و عطف بالواو لأنه قسم [من - '] حالى الموقفة، وهو بمعنى
ما روى عن أهل المدينة من نصب^١ يعفوه بتقدير "إن" ليكون^١ المعنى:
يوقع إيقاقا و عفوًا.

ولما كان هذا على صورة الاختيار^١ لمن يستبصر فيدوم
إخلاصه^١، و من يرجع إلى العمى فلا يكون خلاصه، قال مينا بالنصب
(.) زيد من م و مد (٢) من م و مذ، و فى الأصل و ظ: فعليه (٣) من
م و مد، و فى الأصل و ظ: جهادهم (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل:
منهن (٥) زيد من ظ و م و مد (٦ - ٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل:
عن عشبه (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الرياح (٨) من ظ و م
و مد، و فى الأصل: موبق (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يكون^١.
(١٠) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الاختيان (١١) من م و مد، و فى
الأصل و ظ: خلاصه.

للصرف عن^١ العطف على ثيء من الأفعال الماضية لفساد المعنى لكونها في حيز الشرط، فيصير العلم أيضا مشروطا: (و يعلم الذين يجادلون) أي عند النجاة بالعفو. ولما كان مقام العظمة شديدا المناقاة للجدالة، لفت القول إليه فقال: (وفي 'ابتنا') أي هذه التي لاتضاهي عظمتها ولاتقاس جلالها وعزتها رجوعا إلى ما كانوا عليه من الشرك والنزاع^٥ في تمام القدرة بانكار البعث، ومن واو^٢ الصرف يعرف^٣ أن مدخولها^٤ مفرد في تأويل المصدر لأن النصب فيها بتقدير أن فيكون مبتدأ خبره ما يدل عليه السياق فالتقدير هنا: وعليه سبحانه بالمجادلين عند هذا حاصل، والتعبير عنه بالمضارع لإفادة الاستمرار لتجدد تعلق العلم بكل مجادل كلما حصل جدال^٦، وقراءة نافع^٧ وابن عامر [بالرفع -^٨] دالة على هذا، ١٠ فان التقدير: وهو يعلم - فالرفع هنا والنصب^٩ سواء، قال الرضى في شرح قول ابن الحاجب في نواصب الفعل: والفاء - أي ناصبة - بشرطين: السبية، والثاني أن يكون قبلها^{١٠} [أحد الأشياء الثمانية، والواو بشرطين: الجمعية وأن يكون قبلها^{١١} -^٨] مثل ذلك، وقد تضمنر "أن" الناصبة بعد الفاء والواو الواقعتين بعد الشرط قبل الجزاء^{١٢} نحو إن تأتي فتكرمني ١٥

- (١) من م ومد، وفي الأصل و ظ: على (٢) من م ومد، وفي الأصل و ظ: مدحلا - و ظ: راوا (٣) سقط من م (٤) من م ومد، وفي الأصل و ظ: مدحلا - (٥) زيدت الواو في الأصل و ظ، ولم تكن في م ومد فحذفناها (٦) من ظ و م ومد، وفي الأصل و ظ: بمجدال (٧) راجع ثر المرجان ٦/٣٧٠ - ٣٧٣. (٨) فزيد من م ومد (٩) من م ومد، وفي الأصل و ظ: للرفع (١٠) من م ومد، وفي الأصل و ظ: فيها (١١) من ظ و م ومد، وفي الأصل: الخبر.

أو تكرمنى. أنت، أو بعد الشرط و الجزاء^١: إن تأتى إنك^٢ فأكرمك
أو وأكرمك، وذلك لمشابهة الشرط فى الأول و الجزاء فى الثانى النى،
إذا الجزاء مشروط و وجوده بوجود الشرط، و وجود الشرط مفروض،
فكلاهما غير موصوفين بالوجود حقيقة، و عليه حمل قوله تعالى «و يعلم
الذين» فى قراءة النصب، ثم قال: وكذا يقول فى الفعل المنصوب بعد
واو الصرف أنهم [لما - ٣] قصدوا فيها معنى الجمعية نصبوا المضارع بعدها^٤
ليكون الصرف / عن سنن الكلام المتقدم مرشدا من أول الأمر أنها
ليست للعطف فهى^٥ إذن إما واول الحال و أكثر دخولها [على - ٢]
الاسمية فالمضارع بعدها فى تقدير مبتدأ محذوف الخبر وجوبا، فعنى قم
١٠ و أقوم: [قم - ٢] و قىامى ثابت: أى فى حال ثبوت قىامى، و أما بمعنى
مع و هى لا تدخل إلا على^٦ الاسم قصدوا هاهنا مصاحبة الفعل للفعل
منصوبا ما [بعدها، فعنى قم و أقوم: قم مع قىامى كما قصدوا فى المفعول
معه مصاحبة الاسم للاسم فنصبوا ما - ٨] بعد الواو، و لو جعلنا الواو
عاطفة للصدر على مصدر متصيد^٧ من الفعل قبله كما قاله النحاة، أى
١٥ لم يكن منك [قيام و قىام منى، لم يكن فيه نصوصية على معنى الجمع،
و الأولى فى - ٢] قصد النصوصية فى شىء على معنى أن يجعل على وجه

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الخبر (٢) من ظ و م و مد، و فى
الأصل: انت (٣) زيد من م و مد (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ:
بعدها (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: فهو (٦) من ظ و م و مد،
و فى الأصل: او (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مع (٨) زيد من ظ
و م و مد (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مقصد.

يكون ظاهرا فيما قصدوا النصوصية عليه، وإنما شرطوا في نصب ما بعد فاء السببية كون ما قبلها أحد الأشياء المذكورة^١ أى الأمر والنهى [والتقى^٢] والاستفهام والتعنى [والمعرض^٣] والتخصيص^٤ والرجاء لأنها غير حاصلة المصادر فتكون كالشرط الذى ليس بمتحقق الوقوع، ويكون ما بعد الفاء كجزائها ثم حملوا ما قبل وأو^٥ الجمعية في وجوب كون أحد الأشياء المذكورة على ما قبل [فاء^٦] السببية التى هى أكثر استعمالا من الواو فى مثل هذا الموضع أعنى فى انتصاب المضارع بعدها، وذلك لمشابهة الواو للفاء فى أصل العطف، وفى صرف ما بعدهما عن سنن العطف لقصد السببية فى إحداها و الجمعية فى الأخرى، ولقرب الجمعية من التعقب الذى هو لازم السببية ثم قال: وكذا ربما لم يصرف بعد واو الجمعية إلى النصب أمنا من اللبس، نحو اتقى وأكرمك بالرفع، لأن واو الحال قد تدخل على المضارع المثبت كما ذكرنا فى باب الحال، نحو قت وأضرب زيدا أى وأنا أضرب.

ولما كان علم القادر بالمعصية موجبا لعذاب من عصاه، كان كآله قيل: قد خسر من فعل ذلك فيا ليت شعرى ما يكون حالهم؟ أجاب ١٥ بقوله: (ما لهم من محيص^٥) أى محيد ومفر أصلا عن عذابه، ولا بشىء.

- (١) من م ومد، وفى الأصل وظ: المذكور (٢) زيد من م ومد.
(٣) من م ومد، وفى الأصل وظ: التخصيص (٤) من م ومد، وفى الأصل وظ: زيد فى الأصل: ما، ولم تكن الزيادة فى ظ وم ومد فحذفنا (٦) من م ومد، وفى الأصل: بعد ما.

يسير، وإن تأخر في ظركم إيقاع العذاب بهم فإن عذابه سبحانه منه
ما هو باطن وهو الاستدراج بالنعم [وهذا - ١] لا يدركه إلا أرباب
القلوب "المقربون لدى" علام الغيوب، ومنه ما هو ظاهر، ويجوز أن
يكون "الذين" ٢ فاعل "يعلم"، وحينئذ يكون هذه الجملة في محل
نصب لسدها 'مسد مفعول' العلم .

ولما علم أن جميع النعم من الغيث واثاره، ومن شر الدواب
را دبحا بمعرض من الزوال وهو عظيم التقلبات هائل* الأحوال سبب،
عنه قوله محقرا لدينام* وما فيها من الزهرة بسرعة الذبول والزوال،
والآفول والارتحال، ولهم بأنها مع ما ذكر لا قدرة لهم على شيء منها
١٠ إلا يموت يمن عليهم بها، و٢ أما هم* فقوم ضعفاء لا قدرة لهم على شيء
وليس لهم من أنفسهم إلا العجز، فلو عقلوا* اعلوا ولو اعلوا لعلوا*
عمل العبيد، واطاعوا القوى الشديد: ﴿فَأُوتِيتُمْ﴾ أي أيها الناس
(من شيء) أي من النعم الظاهرة، وأجاب "ما" الشرطية بقوله:
﴿فتاع الحبوّة الدنيا﴾ [أي - ١] القرية الدنيئة لا نفع فيه لأحد*

(١) زيد من ظ و م ومد (٢-٢) من ظ و م ومد، وفي الأصل: المقربين للدين*
(٣) من م ومد، وفي الأصل و ظ: الذي (٤-٤) من ظ و م ومد، وفي
الأصل: من معصول (٥) من م ومد، وفي الأصل و ظ: هل بل (٦) من
ظ و م ومد، وفي الأصل: الدنيا (٧-٧) من ظ و م ومد، وفي الأصل:
املهم (٨) في م ومد: غير (٩-٩) سقط ما بين الرقيين من ظ و م ومد.
(١٠) زيد من م ومد (١١-١١) من م ومد، وفي الأصل و ظ: لأحد فيه.

إلا مدة حياته، وذلك جدير بالإعراض عنه^١ وعما يسيه من الأعمال
إلا ما يقرب إلى الله ﴿وما﴾ أى والذى. ولقت الكلام عن مظهر
المعظمة إلى أعظم منها^٢ بذكر الاسم الجامع للترعيب في ذكر [آثار -^٣
الأوصاف/الجمالية و الترهيب من آثار^٤ النعوت الجلالية فقال: ﴿عند الله﴾
أى الملك الأعظم المحيط بكل شىء قدرة وعلما من نعم الدارين ﴿خير﴾^٥
أى فى نفسه وأشد خيرية من النعم الدنيوية [المحضة -^٦] لانقطاع
نفعها. ولما كانت النعم الدنيوية قد تصحب الإنسان طول عمره فتسبب
بذلك إلى البقاء قال: ﴿وابقى﴾ أى من الدنيوية لأنه لا بد من نزوعها
منه بالموت، ولذلك قيد بالحياة فلا تؤثر^٧ القانى على خساسته^٨ على الباقي
مع نقاسته.

١٠

ولما بين ما لها من [النفاضة -^١] ترغيا فيها، بين من هى له فقال:
﴿للذين آمنوا﴾ أى أوجدوا هذه الحقيقة ﴿وعلى﴾ أى والحال
أنهم صدقوها بأنهم على، ولقت القول إلى صفة الإحسان^٩ لأنها نسب شىء^{١٠}
للتوكل، وأحكم الأمر بالإضافة^{١١} إشارة إلى "أنه إحسان" هو فى غاية

- (١) من ظ و م و مد، وفى الأصل: عنها (٢) من ظ و م و مد. وفى الأصل:
إلى (٣) من ظ و م و مد، وفى الأصل: منه (٤) زيد من ظ و م و مد.
(٥) من ظ و م و مد، وفى الأصل: الأرا (٦) زيد من م و مد (٧) من ظ
وم و مد، وفى الأصل: لذيد - كذا (٨-٨) من ظ و م و مد، وفى الأصل:
الفاء فى حساسته - كذا (٩-٩) من م و مد، وفى الأصل و ظ: لاسبب بشىء.
(١٠) من ظ و م و مد، وفى الأصل: باضافة (١١- ١١) من م و مد،
وفى الأصل و ظ: ان احسانه.

المناسبة لحالم فقال: ﴿ ربهم ﴾ أى الذى لم يروا إحسانا قط إلا منه وحده بما رباهم من الإخلاص له ﴿ يتوكلون ﴾ أى يحملون جميع أمورهم عليه كما يحمل غيرهم متاعه على [من -] يتوسم فيه قوة على الحمل ولا يلتفتون فى ذلك إلى شئ غيره أصلا لبتنى عنهم بذلك الشرك الخفى كما أتقى بالإيمان الشرك الحلى، والتعبير بأداة الاستعلاء تمثيل للاسناد والتفويض إليه بالحمل عليه لأن الحمل أبين فى الراحة، وأظهر فى البعد من الهم والمشقة، ولعل التعبير بالمضارع للتخفيف فى [أمر ^٢] التوكل بالرضى بتجديده ^١ كلما تجدد مهم، ومن كان كذلك كان الله كافيه كل مل، فيشاركون أهل الدنيا فى نيل نعمها ويفارقونهم ^{١٠} فى أن ربهم سبحانه يجعلها على وجه ^٧ لا حساب ^٧ عليهم فيها، بل ولهم فيها الأجور الموجبة ^٨ للنعمة والخبور، وفى أنه يجعلها كافية لمهماتهم ^٩ وسادة لخلاتهم، ويزيدهم الباقيات الصالحات التى يتسبب عنها نعيم الآخرة بعد ^{١٠} راحة الدنيا.

ولما كان كل من الإيمان والتوكل أمرا باطنا فكان لا بد من

(١-١) من ظ و م و مد، وفى الأصل: الكسبية لحالم على (٢) من ظ و م و مد، وفى الأصل: لا (٣) زيد من م و مد (٤) من م و مد، وفى الأصل وظ: عليه (٥) من م و مد، وفى الأصل وظ: عن (٦-٦) من ظ و م و مد، وفى الأصل: كما يتجدد منهم (٧-٧) من م و مد، وفى الأصل وظ: الاحسان (٨) من ظ و م و مد، وفى الأصل: المرجية (٩) من ظ و م و مد، وفى الأصل: لماتهم (١٠) من م و مد، وفى الأصل وظ: بقدر.

دلائله من ظواهر الأعمال، وكانت تحليات من الرذائل وتحليات بالقضائل،
وكانت التحليات لكونها دزء^١ للفساد مقدمة على التحليات التي هي
جلب للصالح قال عاطفا على "الذين": ﴿وَلَّذِينَ يَحْتَبُونَ﴾ أي يكلفون
أنفسهم أن يحاسبوا ﴿كَبِيرُ الْأَثَمِ﴾ أي [جنس - ٢] الفعال
الكبار التي لا توجد إلا ضمن أفرادها^٢ [ويحصل بها - ٣] دنس
للنفس، فيوجب عقابا لها مع الجسم، وعطف على "كبار" قوله:
﴿وَالْفَوَاحِش﴾ وهي ما أنكره الشرع والعقل والطبع التي هي
آيات الله الثلاث التي نصبها حجة على عباده وله الحجة البالغة فاستعظم
[الناس - ٤] أمرها ولو أنها صغار لدلائلها على الإخلال^٤ بالمرودة
كسرة لقمة والإقرار^٥ على المعصية من شيخ جليل القدر لمن لا يخشاه ١٠
ولا يرجوه، وقرأ حزة والكسائي: كبير^٥، وهو للجنس، فهو بمعنى
قراءة الجمع^٦ أو هي المبلغ لشمولها المنفرد. ولما ذكر ما قد 'تقود إليه'
المطامع دون حمل "الغضب الصارع"^٦ قال مثبها على عظمتها^٦ معبرا بأداة
(١) من م ومد، وفي الأصل ظ : دارا (٢) زيد من ظ وم ومد.
(٣) من ظ وم ومد، وفي الأصل: أفرادها (٤) زيد من م ومد (هـ) من
ظ وم ومد، وفي الأصل: الإخلال (٦) من م ومد، وفي الأصل وظ:
الاضرار (٧) من م ومد ونثر المرجان ٦/٧، وفي الأصل: كثير.
(٨) من ظ وم ومد. وفي الأصل وم: الجميع (٩-٩) من م ومد، وفي
الأصل وظ: عليه، مع بياض قبله قدر أمثلة (١٠-١٠) من م ومد، وفي
الأصل وظ: النصب على المضارع (١١) في م ومد: غظمه.

التحقق^١ دلالة على أنه لا بد منه توطينا للنفس عليه معلقا بعمل الغفر:
 (و اذا) و أكد بقوله: (ما) و قدم^٢ الغضب إشارة إلى الاهتمام
 باطفاء جمره و تبريد حره فقال: (غضبوا) / أى غضبا هو على حقيقته
 من امر مغضب فى العادة، و بين بضمير الفصل أن^٣ بواطهم فى غفرهم^٤
 كظواهرهم فقال: (هم يغفرون^٥) أى الإحصاء و الإخفاء بأنهم كلما
 جدد لهم غضب جددوا غفرا^٦ أى محوا للذنب عينا و أثرا مع القدرة
 على الانتقام فسجايهم^٧ تقتضى الصفح دون الانتقام ما لم يكن من
 الظالم بقى لأنه لا يؤخذ^٨ على مجرد الغضب إلا متكبرا، و الكبر لا يصلح
 لعير الإله و ذلك لأنه لا يغيب أحلامهم عند اشتداد الأمر ما يغيب
 ١. أحلام غيرهم من طيش الجهل و سفاهة الرأى^٩، فدل ذلك على أن الغفر
 دون غضب لا يعد^{١٠} بالنسبة إلى الغفر معه، و فى الصحيح أنه " صلى الله
 عليه و سلم ما انتقم لنفسه قط إلا أن تنتهك حرمة الله، و روى ابن
 أبى حاتم عن إبراهيم قال: كان المؤمنون يكرهون أن يستدلوا و كانوا
 (١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: التحقيق (٢) من ظ و م و مد، و فى
 الأصل: قد (٣) فى الأصل يابض ملأناه من ظ و م و مد (٤) من ظ و م
 و مد، و فى الأصل: مقرهم (٥) زيد فى الأصل و ظ و م: هم، و لم تكن
 الزيادة فى مد فحذفناها (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: غفرانا (٧) من م
 و مد، و فى الأصل و ظ: فيهم (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لا يؤخذ.
 (٩) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الراى (١٠) من م و مد، و فى الأصل
 و ظ: لا يعيد (١١) فى م و مد: ان النبي .

إذا قدرُوا عفوًا .

ولما أتم ما منه التحلى ، أتبعه ما به التحلى ، وذكر أوصافاً أربعة
 هي قواعد 'النصفة' ما أنبنى عليها 'قط ربعا' إلا كان الفاعلون لها كالجسد
 الواحد لا تأخذهم نازلة في الدنيا ولا في الآخرة فقال : (و الذين استجابوا)
 اى أرجدوا الإجابة بما لهم من العلم الهادى إلى سبيل الرشاد (لربهم) .
 اى الداعى لهم إلى إجابته إحسانه إليهم إيجاداً من شدة حمل أنفسهم
 عليه يطلبونه من أنفسهم طلباً عظيماً صادقاً لم يبق [معه - ٢] لأحدهم
 نفس ولا بقية من وهم ولا رسم 'إلا على موافقة رضاه سبحانه لأنهم
 يعلنون أنه ما 'دعاهم إليه وهو مريهم إلا لصلاحتهم وسعدتهم وفلاحهم ،
 لأنه يحيط العلم شديد الرحمة لايتهم بوجه من الوجوه .

١٠

ولما كان هذا عاماً لكل خير دعا^١ إليه سبحانه ، خص أعظم
 عبادات البدن ، وزاد في عظمتها بالتعبير بالإقامة فقال : (واقموا)
 اى بما لهم من القوة (الصلوة) فأفهم ذلك مع اللام أنهم أوجدوا
 صورتها محمولة بروحها على وجه يقتضى ثبوتها دائماً . ولما كانت
 الاستجابة توجب للاتحاد القلوب بالإيمان الموجب للاتحاد فى الأقوال ١٥
 والأفعال ، والصلوة توجب الاتحاد بالأبدان ، ذكر الاتحاد بالأقوال

(١-١) من م ومد ، وفى الأصل وظ : الصفة ما انتها إليها (٢) من ظ وم
 ومد ، وفى الأصل : اجابة (٣) زيد من م ومد (٤) زيد فى الأصل : مر ،
 ولم تكن الزيادة فى ظ وم ومد فحذفناها (٥) من ظ وم ومد ، وفى
 الأصل : انما (٦) من م ومد ، وفى الأصل وظ : دعاهم .

الناشئ [عنه -^١] عند أولى الكمال الاتحاد في الأفعال، فقال معبرا بالاسمية
 حثا على أن 'جعلوا ذلك لهم خلقا ثانيا لا يفك: (و امرم) أى كل
 ما ينوبهم بما يحوجهم إلى تدبير (شورى) أى يتشاورون فيه
 مشاورة عظيمة مباغين بما لهم من قوة الباطن و صفاته في^٢ الإخلاص
 و النصيح، من 'شور و هو العرض و الإظهار (بينهم م) أى بحيث أنهم
 لا فرق في حال المشاورة بين كبير منهم و صغير [بل كل منها -^١]
 يصفى إلى كلام الآخر و ينظر في صحته و سقمه بتنزيله على أصول الشرع
 و فروعه، فلا يستدل^٤ أحد منهم برأى لدوام اتهامه لرأيه لتحقيقه نقصه^٥
 بما له من غزارة العلم و صفاء [الفهم -^١] و لا يجعلون^٦ في شيء بل
 صار / التأي لهم خلقا، و سوق المشورة^٧ هذا السياق دال على عظيم جدواها
 و جلالة نفعها قال الحسن^٨ رحمه الله: ما تشاور قوم إلا هدوا لأرشد
 أمرم - على أنه روى الطبراني في الصغير و الأوسط لكن بسند ضعيف
 عن انس رضى الله عنه^٩ أن النبي صلى الله عليه و سلم قال: ما خاب
 من استخار و لاندن من استشار و لا عال من اقتصد، و روى في الأوسط
 ١٥ عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه و سلم قال: من

- (١) زيد من م و مد (٢) في م: بان (٣-٣) من ظ و م و مد، وفي الأصل:
 صفاته بما لهم من (٤) من م و مد، وفي الأصل و ظ: فلا يستبدل (٥) من م
 و مد، وفي الأصل و ظ: نفعه (٦) من ظ و م و مد، وفي الأصل: لا يجعلون.
 (٧) زيد في الأصل و ظ: على، ولم تكن الزيادة في م و مد لحذفها.
 (٨) رواه عنه السيوطي في الدر المنثور ١٠/٦ (٩) راجع محممة الزوائد
 للهيتمي ٩٦/٨.

أراد أمرا ففاز فيه أمرا مسلما وفقه الله لأرشد أمره .
ولما كانت المواساة بالأموال بعد الاتحاد في الأقوال والاتفاق
في الأفعال أظم جامع على^١ محاسن الخلال، و أظهر ذال على ما ادعى
من الاتحاد في الحال والمآل، قال مسهلا عليهم امرها [بأنه - ٢]
لامدخل لهم في الحقيقة في تحصيلها راضيا منهم باليسير منها: ﴿ وبما ﴾ ٥
ولفت القول إلى مظهر العظمة تذكيرا بما يتعارفونه بينهم من أنه
لامطمع في التقرب من^٢ العطاء إلا بالهدايا فقال: ﴿ رزقهم ﴾ أي عظمنا
من غير حول منهم ولا قوة ﴿ يتفقون ٤ ﴾ أي يديمون^٣ الإفاق كرما منهم
و إن قل ما بأيديهم اعتمادا على فضل الله سبحانه وتعالى لا يقبضون
[أيديهم - ٢] كالماتقين، وذلك الإفاق على حسب ما حددناه^٤ لهم ١٠
فواسوا بالمشورة^٥ في فضل عقولهم وبالإفاق في فضل أموالهم تقوى
منهم^٦ ومراقبة لله^٧ لاشهوة نفس

ولما كان في العقوبة مصلحة ومفسدة فندب^٨ سبحانه إلى المغفرة
تقدما لدوره المفسدة لأن الإنسان لعدم غلبه بالقلوب لا يصح له بوجه
أن يعاقب بمجرد الغضب لأنه قد يخطئ^٩ فيعاقب من أغضبه، وهو ١٥

(١) من م ومد، وفي الأصل وظ: في (٢) من م ومد. وفي الأصل وظ:
الخلال (٣) زيد من م ومد (٤) من ظ وم ومد، وفي الأصل: إلى (٥) من
م ومد، وفي الأصل وظ: يدعون (٦) من ظ وم ومد، وفي الأصل: أوجبه
(٧) من ظ وم ومد، وفي الأصل: في المشورة (٨-٨) من ظ وم ومد،
وفي الأصل - اقه ومراقبه (٩) من ظ وم ومد، وفي الأصل: ندب .

شريف الذات كرم الطبع على ' الهمة أبى النفس ، ما وقع منه الذنب
الذى أعضب إلا خطأ معصوا عنه أو ' كذب عليه ' فيه فى رضى نفسه أخته
تفقد داب البين فجر ' إلى خراب كبير ، وكانت إدامة الفرجالبة
للفساد مجرمة على العناد ، وكان البغى هو التماهى [فى السوء - ٧] محققا
لقصص الذنب مجوزا للإقدام على الانتقام ، وكان الانتصار من الفجار
ربما أحوج مع قوة الجنان إلى إنفاق المال ، عقب الإنفاق ' بمدح الانتصار
بقوله : (والذين) وذكر أداة التحقيق ' إشارة إلى أن شرطها لا يد
من وقوعه ' بالفعل أو بالقوة فقال ناصبا بفعل الانتصار مقدما لما ' من
شأن النفس الاهتمام بدفعه لعدم صبرها عليه : (إذا أصابهم) أى وقع
بهم و أثر فيهم (النفى) وهو التماهى على الرمى بالشر (هم) أى
بأنفسهم خاصة لما لهم من قوة الجان والاركان المدلية بأن ما تقدم
من غفرائهم ما كان إلا لعلو شأنهم لاهوائهم (ينصرون) أى يوقعون
بالعلاج بما أعطاهم الله من سعة العقل و شدة البطش وقوة القلب النصر
لأنفسهم فى محله على ما يذنب من زجر الباغي عن معاودتهم " وعن

(١) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : (٢) من م ومد ، وفى الأصل وظ :
(٣) سقط من م (٤) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : (٥) من ظ
وم ومد ، وفى الأصل : حاسة (٦) من م ومد ، وفى الأصل وظ : الفساد .
(٧) زيد من م ومد (٨) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : الاتفاق (٩) من م
وم ، وفى الأصل وظ : التحقيق (.) من م ومد ، وفى الأصل وظ :
وقوعها (١٠) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : لها (١١) من ظ و م ومد ،
وفى الأصل : معادتهم .

الاجتراء على غيرهم مكررين لذلك كلما كرر لهم فيكون [ذلك - ٢]
من إصلاح ذات البين، ليسوا بعاجزن ولا في أمر دينهم متوانين، والتعبير
في هذه الأفعال بالإسناد إلى الجمع إشارة إلى أنه لا يكون تمام التمكن
الرادع / إلا مع الاجتماع، ومن كان فيها مفردا كان همه طويلا و^٢ به
جليلًا، قال النخعي: كانوا يكرهون أن يذلو أنفسهم فيجتري د
عليهم الف باق .

ولما كان [الإذن - ٢] في الاتصاف في هذا السياق المادح^١ مرغبا
فيه [مع ما للنفس من الداعية إليه، زجر عنه لمن كان له قلب أولا
بكفها عن الاسترسال فيه - ٢] وردها^٢ على حد^٣ المائلة، و ثانيا^٤ بتسميته
سيئة^٥ وإن كان على طريق المشاكلة، وثالثا بالتدب إلى الغفوة، فصار ١٠
المحمود منه إنما هو ما كان لإعلاء كلمة الله لا شائبة^٦ فيه للنفس^٧ أصلا
[فقال - ١]: (و جزؤا سيئة) أي أي سيئة كانت (سيئة مثلهاج)
[أي - ٢] لا تزيد عليها في عين ولا معنى أصلا، وقد كفلت^٨ هذه
الجلل بالدعاء إلى أمهات^٩ الفضائل الثلاث العلم والعفة^{١٠} والشجاعة على

(١) من م ومد، وفي الأصل وظ: الى (٢) زيد من م ومد (٣-٤) من
ط وم ومد، وفي الأصل: سه خليلا (٤) زيد في الأصل: قال، ولم تكن
الزيادة في ظ وم ومد لحذفها (٥) من ظ وم ومد، وفي الأصل: ردا .
(٦) من م ومد، وفي الأصل وظ: خبر (٧-٨) من ظ وم ومد، وفي الأصل:
بتسميه سبه (٨-٩) من م ومد، وفي الأصل وظ: للنفس فيه (٩) زيد من
ظ وم ومد (١٠) من م ومد، وفي الأصل وظ: تكلفت (١١) من ظ
وم ومد، وفي الأصل: مهمات (١٢) من م ومد، وفي الأصل وظ: امقه .

أحسن الوجوه، فالمدح بالاستجابة والصلاة دعاء إلى العلم، وبالفقه^١ إلى العفة، وبالانتصار إلى الشجاعة، حتى لا يظن ظاناً أن إذعانهم لما مضى مجرد ذل، والقصر على المائلة دعاء إلى فضيلة التقسيط^٢ بين الكل وهي العدل، وهذه الأخيرة كافة بالفضائل الثلاث، فإن من علم المائلة ه كان عالماً، ومن قصد الوقوف عندها كان عفيفاً، ومن قصر نفسه على ذلك كان شجاعاً، وقد ظهر من المدح بالانتصار بعد المدح بالغفران أن الأول للعاجز والثاني للتغلب المنكب - بدليل البغي.

ولما كان شرط^٣ المائلة نادياً بعد شرع العدل الذي هو القصاص إلى العفو الذي هو الفصل لأن تحقق المثلية من العبد الملزوم للعجز ١٠ لا يكاد يوجد، بسبب عنه قوله: ﴿فن عفا﴾ أى بإسقاط حقه كله أو بالنقص عنه لتحقيق البراءة مما حرم من المجاوزة ﴿واصلح﴾ [أى أوقع الإصلاح - ٦] بين الناس بالعفو والإصلاح لنفسه ليصلح الله ما بينه وبين الناس، فيكون بذلك منشراً من نفسه لنفسه ﴿فاجره على الله﴾ أى المحيط بجميع صفات الكمال فهو يعطيه على حسب ما يقتضيه مفهوم ١٥ هذا الاسم الأعظم، وهذا سر لفت الكلام [إليه - ٦] عن مظهر العظمة وقوله صلى الله عليه وسلم: ما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً.

(١) من م ومد، وفي الأصل وظ: بالفقه (٢) سقط من ظ وم ومد (٣) من م ومد، وفي الأصل وظ: انتقسط (٤) من م ومد، وفي الأصل وظ: للفاجر. (هـ) من ظ وم ومد، وفي الأصل: كات (٦) زيد من م ومد.

و لما كان هذا ندبا إلى العفو بعد المدح بالانتصار، بين ان علة كراهة ان يوضع شيء في غير محله^١ لانه لا يعلم المائلة في ذلك إلا الله، فقال^٢ مضمرا بإشاره إلى أن المثلية من الغيب الحق مؤكدا لكف النفس لما لها من عظم الاسترسال في الانتصار: ﴿نه لا يحب الظلمين ه﴾ اى لا يكرم^٣ الواضعين للشيء في غير محله داب من يمشى في مأخذ الاشتقاق ه إذا كان عريقا في ذلك سواء كان ابتداء او مجاورة في الانتقام بأخذ النار .

و لما كان هذا سادا لباب الانتصار لما يشعر به من انه ظلم على كل، قال^٤ مؤكدا [نفا - °] لهذا الإشعار: ﴿ولمن انتصر﴾ اى سعى في نصر نفسه بجهد ه (بعد ظلمه) اى بعد ظلم الغير له وايس ١٠ قاصد البعد عن حقه و لو استغرق انتصاره جميع ازمان البعد^٥ و لما بين تعالى ما لذلك الناظر في مصالح العباد المنسلخ^٦ من خط نفسه إحسانا إلى عباد الله من الرتبة العليا، بين ما لهذا الذاب عن نفسه القاصد لشفاء صدره و ذهاب / غيظه، فقال رابطا^٧ للجزاء بقاء السبب يابا لقصور نظره صدره / ٦٥٨ / على دفع الظلم عن نفسه . ويجوز كون "من" موصولة و الفاء ١٥

(١) في م و مد : موضعه (٢) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : تعالى (م) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : يكره (٣) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : حال (٤) زيد من ظ و م و مد (٥-٦) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : الزمان البعيد (٧) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : المصلح (٨) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : ارتباطا .

[لما - '] للوصول من شبه الشرط .

ولما عر أولاً بالإفراد^١ فكان ربما قصر الإذن^٢ على الواحد لثلا
تعظم الفتنة، جمع إشارة إلى ان الفتنة^٣ إنما هي في إقرار الظلم لا في نصر^٤
المظلوم واحداً كان او جماعة [فقال - '] : (فاولئك) أى المتصرون
٥ لأجل دفع^٥ ظلم الظالم عنهم فقط (ما عليهم) و أكد باثبات الجار
فقال : (من سبيل^٦) أى عقاب ولا عتاب ، و روى النسائي وابن ماجه^٧
عن عائشه رضى الله عنها قالت : ما علمت حتى دخلت على زينب
رضى الله عنها بغير إذن و هى غضبي ثم أقبلت على^٨ وأعرضت عنها حتى
قال النبي صلى الله عليه وسلم : دونك فاتصرى ، وأقبلت عليها حتى رأيتها
١٠ قد يبس ريقها في فيها^٩ ما ترد على^{١٠} شيئاً ، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم
يتהלر وجهه .

ولما نفى السبيل عنه بعد تشوف السامع إلى موضع ما أشعر به
الكلام السابق من الظلم ، بين^{١١} ذلك فقال : (اتما السبيل) أى " الطريق
السالك " الذى لا منع^{١٢} منه أصلاً بالخرج والعنت (على) و جمع
١٥ إعلاما بكثرة المفسدين تجرئة^{١٣} على الانتصار منهم وإن كانوا كثيراً

(١) زيد من م و مد (٢) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : الاقرار (٣) من
ظ و م و مد ، وفى الاصل : الادهان (٤ - ٥) سقط ما بين الروين من م .
(٥) فى م : نصرة (٦) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : قطع (٧) راجع سنته
ص ١٤٣ (٨) فى ظ و م و مد : فمها (٩) من ظ و م و مد ، وفى الاصل :
من (١٠ - ١١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : المسلك (١١) من م و مد ،
وفى الأصل و ظ : مانع (١٢) من ظ و م و مد ، وفى الاصل : عربه .

فان الله خاذلهم^١ فقال: ﴿الذين يظلمون الناس﴾ أى يوقعون بهم^٢ ظلهم
 تعمداً^٣ عدواناً ﴿ويغنون﴾ أى يتجاوزون الحدود ﴿فى الارض﴾
 بما يفسدها بعد إصلاحها بتهيئتها للإصلاح طبعاً^٤ وفلاً^٥ وعلماً وعملاً.
 ولما كان الفعل قد يكون بغياً وإن كان مصحوباً بحق كالانتصار المقترن
 بالتعدى [فيه - °] قال: ﴿بغير الحق﴾ [أى الكامل - °] ولما أثبت^٦ هـ
 عليهم بهذا الكلام السيل، كان السامع^٧ جديراً بأن يسأل عنه فقال:
 ﴿اولئك﴾ أى البغضاء^٨ البعداء من الله ﴿لهم عذاب اليم﴾ أى مؤلم
 بما آلموا من ظلوه [من عباد الله - °] بحيث يعم لإيلاهم أبدانهم وأرواحهم
 بما لها من المشاعر الطاهرة والباطنة.

ولما أفهم سياق هذا الكلام^٩ وترتيبه هكذا^{١٠} أن التقدير: فلن صبر ١٠

عن "الانتصار أحسن حالا من انتصر، لأن الخطأ فى [العفو - °] أولى
 من الخطأ فى الانتقام، عطف عليه مؤكداً لما أفهمه السياق أيضاً من
 مدح المنتصر: ﴿ولمن صبر﴾ عن الانتصار من غير انتقام ولا شكوى

(١) من م ومد، وفى الأصل وظ: جادلهم (٢) من م ومد، وفى الأصل
 وظ: لهم (٣) زيدت الواو فى الأصل ولم تكن فى ظ وم ومد فحدثناها.
 (٤-٥) سقط ما بين الرقيين من ظ وم ومد (٥) زيد من م ومد (٦) من م
 ومد، وفى الأصل وظ: ثبت (٧) فى م: السائل (٨) سقط من ظ وم
 ومد (٩) زيد من م (١٠-١١) من ظ وم ومد، وفى الأصل. برده هذا.
 (١١) من ظ وم ومد، وفى الأصل: على (١٢) زيد من ظ وم ومد.

(وغفر) فصرح^١ باسقاط العقاب و العتاب فحاج عين الذنب و أثره^٢ :
 (ان ذلك) أى ذلك الفعل الواقع منه البالغ في العلو جدا لا يوصف
 (لمن عزم الامور) أى الامور التى هى لما لها من الإهلية^٣ لأن يعزم
 عليها^٤ قد صارت فى انفسها كأنها^٥ دوات العزم أو متأهله^٦ لأن تعزم
 ٥ على ما تريد ، و العزم : الإقدام على الأمر بعد الروية و الفكرة^٧ ، قال
 أبو علي بن الفراء : آيات العفو محمولة على الجاني النادم ، و آيات مدح
 الانتصار على المصر ، و ذلك إنما يحمد مع القدرة [على تمام النصرة -^٨]
 كما قال يوسف عليه الصلاة و السلام / لإخوته : لا تثريب عليكم اليوم
 يغفر الله لكم - الآية ، و قال : فعل النبی صلى الله عليه و سلم فى مواطن
 ١٠ كثيرة منها الموقف الأعظم الذى وقفه يوم الفتح عند باب الكعبة
 و قال لقريش و هم [تحته -^٩] كالغنم المطيرة : ما تظنون أنى فاعل بكم
 يا معشر قريش ؟ قالوا : خيرا^{١٠} ، أخ كريم و ابن أخ كريم ، قال : اذهبوا
 فأنتم الطلقاء ، [و روى أحمد^{١١} و أبو داود عن أبي هريرة رضى الله عنه
 أن رجلا شتم أبا بكر رضى الله عنه -^{١٢}] فلما ردد عليه قام^{١٣} صلى الله عليه
 (١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : و صرح (٢) زيد فى الأصل : فقال ،
 و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣-٢) من ظ و مد ، و فى
 الأصل : لا يعزم (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : نفسها (٥) زيد فى
 الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) من ظ و م
 و مد ، و فى الأصل : يتأهله (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الفكر .
 (٨) زيد من ظ و م و مد (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : خير (١٠) راجع
 مسنده ٤٣٦ / ٢ (١١) زيد من م و مد (١٢) من م و مد ، و فى الأصل
 و ظ : قال .

وسلم ثم قال: يا أبا بكر ثلاث كلهن حق [ما - '] من عبد ظلم مظلة فغنى عنها الله إلا أعز الله بها نصره، وما فتح رجل باب عطية يريد بها صلة إلا زاده الله بها [كثرة] وما فتح رجل باب مسألة يريد بها كثرة إلا زاده الله بها [قلة] .

ولما بان في هذا الكلام المقتصر على الصبر والجامع إليه الغفران والمقتضى بالنصر ادرجهم كلهم في دائرة الحق، أتبعه من خرج عن تلك الدائرة، فقل مخبرا أن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن عظاما على نحو: فمن هدى الله للوقوف عند هذه الحدود فما له من مضل، ميبا بلفظ الضلال أن ما شرعه [من الطريق - °] في غاية الوضوح^١ لا يزيغ عنه أحد إلا بطرد عظيم: ﴿ ومن يضل الله ﴾ أى الذى له ١٠ صفات الكمال إضلالا واضحا بما^٢ افاده الفك^٣ بعدم البيان أو بعدم التوفيق لمطلق الصبر أعم من أن يكون بالاعتصار على أخذ الحق وتأخير الحق إلى وقت وبالغفو وبالغفر .

ولما كان الضال عن ذلك لا يكون إلا مجبولا على الشر، سبب عنه قوله: ﴿ فإله ﴾ أى فى ذلك الوقت ﴿ من ولى ﴾ أى يتولى^٤ ١٥

- (١) زيد من م ومد والمسد، وفى الأصل وظ: اعزه .
- (٢) من ظ وم ومد والمسد، وفى الأصل: راد (غ) من م ومد، وفى الأصل وظ: بما (هـ) زيد من م ومد (٦) من م ومد، وفى الأصل وظ: الموصوع (٧) من م ومد، وفى الأصل وظ: لما (٨) من م ومد، وفى الأصل وظ: اليك (٩ - ٩) من م ومد، وفى الأصل وظ: مجبولا عن .
- (١٠) من ظ وم ومد، وفى الأصل: يتوال .

أمره في الهداية بالبيان لما أخفاه الله عنه أو التوفيق لما بينه له
 ﴿من بعده﴾ أى [من -^١] بعد معاملة^٢ الله له معاملة البعيد من وكفه
 إلى نفسه وغيره من الخلق في شيء من زمان البعد ولو قل .
 ولما كان مبنى أمر الضال على الندم ولو بعد حين ، قال عاطفا
 ه على نحو : فترى^٣ الظالمين قبل رؤيته العذاب في غاية الجبروت
 والبطر والتكذيب بالقدرة عليهم ، فهم لذلك لا يرجون حسابا
 ولا يخافون عقابا : ﴿وترى﴾ وقال : ﴿الظالمين﴾ موضع "وترام" لبيان
 أن الضال لا يضع شيئا في موضعه . ولما كان عذابهم حتما ، عبر عنه
 بالماضى فقال : ﴿لما رأوا العذاب﴾ أى المعلوم^٤ مصير الظلم إليه رؤية
 بحيطه بظاهره وباطنه يتمنون الرجعة إلى الدنيا لتدارك ما فات من
 الطاعات الموجبة للتجاة ﴿يقولون﴾ أى مكروب بما اعتراه من الدهش
 وغلب على قلوبهم من الوجع : ﴿هل الى مرد﴾ أى ردا إلى دار
 العمل وزمائه عظيم^٥ مخلص من هذا العذاب ﴿من سبيل﴾ .
 ولما أثبت رؤيتهم العذاب ، أثبت ذنوبهم من محله وبين حالهم
 ١٥ في ذلك الدنو فقال : ﴿وترثهم﴾ أى يأكل الخلق ويا أيها المشوف

(١) زيد من م ومد (٢) من م ومد ، وفي الأصل وظ : مقابلة (٣) من م
 ومد وفي الأصل وظ : وترى (٤) من م ومد ، وفي الأصل وظ :
 كذلك (٥) زيد في الأصل وظ : صير ، ولم تكن الزيادة في م ومد فخذناها .
 (٦) من م ومد ، وفي الأصل وم : ردا (٧) من م ومد ، وفي
 الأصل : عظم (٨) زيد في الأصل وظ : الخلق ، ولم تكن الزيادة في م ومد
 فخذناها .

إلى العلم بحالهم بعينك حال كونهم ﴿ يعرضون ﴾ أى يحدد عرضهم
و يكرر، وهو إلجائهم إلى أن يقاربوها^١ بعرضهم الذى يلزم^٢ [محاذاتهم
لها أيضا بطولهم ليعلموا أنها مصيرهم فلا مانع لها منهم -^٣] ﴿عليها﴾
أى النار التى هى دار العذاب مكررا عرضهم [فى طول الموقف مع ما
هم فيه من تلك الأحوال بمقاسة ما عليهم من الأحوال الثقال -^٤] حال ه
كونهم ﴿ خشعين ﴾ أى فى غاية الضعة والإلقاء باليد خشوعا هو
ثابت لهم .

ولما كان الخشوع قد يكون محمودا قال : ﴿ من الذل ﴾ لأنهم
عرفوا إذ ذاك ذنوبهم وانكشفت لهم عظمة من عصوه .

ولما كان الذل الوانا، صورته بأقبح صورة / فقال معبرا بلفظ ١٠ ، ٦٦

النظر الذى هو عمامة البصر لظاهر^١ المبصر : ﴿ ينظرون ﴾ أى يبتدئ
نظرهم المتكرر ﴿ من طرف ﴾ أى تحريك للاجفان^٢ ﴿ خفي ﴾ يعرف^٣
فيه الذل لأنه لا يكاد [من -^٤] عدم التحديق يظن أنه يطرف^٥ لأنهم
يسارقون النظر مسارقة كما ترى الإنسان ينظر إلى المكاره، والصبور ينظر

(١) فى الأصل و ظ بياض ملائنه من م ومد (٢) من م ومد ، وفى الأصل
و ظ : يلزمهم (٣) زيد من م ومد (٤) من م ومد ، وفى الأصل و ظ :
الانعاد (٥) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : فأنهم (٦) من م ومد ، وفى
الأصل و ظ : مما (٧) من م ومد ، وفى الأصل : يظهر (٨) من م ومد
ومد ، وفى الأصل : الاجفان (٩) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : يصرف .
(١٠) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : مطرف .

إلى السيف الذى جرد^١ له فهو بحيث لا يحقق منظورا إليه ، بل ربما تخيله^٢
 بأعظم مما هو عليه . و لما^٣ صور حالهم وكان من أظطع^٤ الأشياء و أظطعها
 للقلوب شماتة العدو ، قال مبشرا لجميع [أصاف - ^٥] أهل الإيمان
 و رادعا لأهل الكفران : ﴿ و قال ﴾ أى فى ذلك [الموقف الأعظم - ^٦]
 ٥ على سبيل التعبير لهم و التبكيت و التوبيخ^٧ و التقريع ﴿ الذين آمنوا ﴾ أى
 أوقعوا هذه الحقيقة سواء كان إيقاعهم لها فى أدنى الرتب أو أعلاها
 عند رؤيتهم إياهم^٨ على هذا الحال ، مؤكداين لتحقيق مقامهم عند من قضى
 بضلالهم [و الإعلام - ^٩] بما لهم من السرور بصلاح حالهم ، و الحمد لمن
 من عليهم بحسن منقلبهم و ما لهم ، و يجوز أن يكون قولهم هذا فى
 ١٠ الدنيا لما غلب على قلوبهم من الهية عند ما تحققوا هذه المواعظ :
 ﴿ ان الخسرين ﴾ أى الذين كملت خسارتهم هم خاصة ﴿ الذين خسروا أنفسهم ﴾
 بما استغرقها من العذاب ﴿ و اهليهم ﴾ بمفارقتهم لهم إما فى اطلاق
 العذاب إن كانوا مثلهم^{١١} فى الخسران أو فى دار الثواب إن كانوا من
 أهل الإيمان .

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : جروا (٢) من م و مد ، و فى الأصل
 و ظ : يجمعه (٣) زيد فى الأصل : كان قد ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م
 و مد فحذفنا (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اعظم (٥) زيد من م و مد
 (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : التخويف (٧) من م و مد ، و فى
 الأصل و ظ : إياها (٨) زيد من ظ و م و مد (٩) زيد قبله فى الأصل : أى ، و لم
 تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفنا (١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مسلمين .

ولما أخبر بحسارتهم بين ظرفها تهويلاً لها، ويجوز أن يكون
 ظرفاً لهذا القول : هو أردع لمن له مسكة لآل من جوز أن يخسر
 وأن عدوه^٢ يطلع على خسارته [و-٢] يظهر الشبهة^٣، كان جديراً
 بأن يترك السبب احامل على الخسارة فقال: ﴿يوم القيمة﴾ أى الذى
 هو يوم فوت التدارك لآله للجزاء لا للعمل لقوات شرطه بقوات الإيمان^٤
 بالغيب لانكشاف العناء . ولما كان هذا نهاية الخسارة . أتبع قوله منادياً
 ذاكرًا سبب هذه الخسارة المعينة مؤكداً لأجل إنكار الظالمين لها وإن
 كان من تتمه قول المؤمنين هناك، فالتأكيّد مع ما يفيد الإخبار به فى
 هذه الدار من ردع^٥ المنكر للاعلام بما لهم من اللذة فيما رأوا من
 سوء حالهم وتقطع أوصالهم ورجائهم من أن يقطع [عنهم ذلك]^٦
 كما ينقطع [٧] عن عصاة المؤمنين : ﴿الآن الظالمين﴾ أى الراسخين
 فى هذا الوصف فهم بحيث لا ينفكون عن فعل الماشى فى الظلام بوضع
 الأشياء فى غير مواضعها ﴿فى عذاب مقيم﴾ لا يزالهم أصلاً، فلذلك^٧
 لا يفرغون منه فى وقت من الأوقات، فلذلك كان خسارتهم لكل شيء .
 ولما كانت العادة جارية بأن من وقع فى ورطة [وجد - ٨] ١٥
 فى الأغلب ولما ينصره أو سيلاً ينجيه، قال عاطفاً على "وترهم" أو

- (١) من م ومد، وفى الأصل وظ : يلا (٢) من م ومد، وفى الأصل وظ :
 عذره (٣) زيد من م ومد (٤) العبارة من هنا ساقطة من مد (٥) من م
 وفى الأصل وظ : عمة (٦) من م، وفى الأصل وظ : رجوع .
 (٧) زيد من م م (٨) من م، وفى الأصل وظ : فكذلك .
 (٩) زيد من م .

”الا ان“: ﴿وما كان﴾ أى صح و وجد ﴿لهم﴾ و أعرق فى النفي
فقال^١: ﴿من اولياء﴾ فالحم من ولى لأن النصرة إذا انتفت من الجمع
انتفت من الواحد من باب الأذلى .

و لما كان من يفعل فعل القريب لا يفد^٢ إلا إن كان قادرا
ه على النصرة قال: ﴿ينصرونهم﴾ أى يوجدون نصرهم فى وقت من
الاوراق لا فى الدنيا بأن يقدرُوا / على إنقاذهم من وصف الظلم و لا فى
الآخرة بانقاذهم مما جرى عليهم من العذاب . و لما كان الله تعالى يصح
منه أن يفعل ما يشاء بواسطة أو غيرها قال: ﴿من دون الله﴾ أى
ما صح ذلك و ما استقام بوجه بغيره، و أما هو فيصح^٣ ذلك
١٠ منه و يستقيم له لإحاطته بأوصاف الكمال، ولو أراد لفعل^٤ . و لما بين
ما لهم^٥ بين ما [لمن - ^٦] اتصف بوصفهم كائنا من كان، فقال بناء
على نحو: لأنه هو الذى أضلهم: ﴿و من يضل الله﴾ [أى يوجد
ضلاله إيجادا بليغا بما أفاده الفلك^٧ على سبيل الاستمرار بعدم البيان
[له - ^٦] أو بعدم التوفيق بعد البيان: ﴿فاله﴾ بسبب إضلال من
١٥ له جميع صفات الجلال و الإكرام، و أعرق فى النفي بقوله: ﴿من سبيل^٨﴾
أى نتيجة^٩ من الضلال و لا بما تسبب عنه من العذاب . [و لما - ^٦] كان

(١) زيد فى الأصل و ظ : لهم، و لم تكن الزيادة فى م محدثاها (٢) من ظ
و م، و فى الأصل : لا بعيد (٣) من م، و فى الأصل و ظ : يصح (٤) من
م، و فى الأصل و ظ : اقل (٥) من م، و فى الأصل و ظ : حالم (٦) زيد
من م (٧) من ظ و م . و فى الأصل : الفلك (٨) من ظ و م . و فى
الأصل : نتيجة .

هذا. أنتج قطعا قوله: ﴿استجيبوا﴾ أى اطلبوا الإجابة و اوجدوها،
ولفت القول إلى الوصف الإحسانى^١ تذكيرا^٢ بما يبحث^٣ على الوفاق،
ويخجل من الخلاف و الشقاق، فقال: ﴿لربكم﴾ الذى لم تروا إحسانا
إلا وهو منه فيما دعاكم إليه برسوله صلى الله عليه وسلم من الوفاء
بعهده فى أمره ونهيه، ولا تكونوا ممن ترك ذلك فتكونوا ممن^٤ علم^٥
أنه أضله فانسده عليه السيل .

ولما كان الخوف من القوت موجبا للبادرة، قال مشيرا بالجار
[إلى أنه - °] يمتد بأدنى خير يكون فى أدنى زمن يتصل بالموت:
﴿من قبل ان يأتى يوم﴾ أى يكون فيه ما لا يمكن معه فلاح، ثم
وصفه بقوله لافتنا إلى الاسم الأعظم الجامع لأوصاف الإحسان^{١٠}
والإنعام على المطيعين والقهر والانتقام من العاصين: ﴿لا مرد﴾ أى
لاردو لا موضع رد ولا زمان رد ﴿له﴾ كان ﴿من الله﴾ أى الذى له
جميع العظمة وإذا لم يكن له مرد [منه لم يكن له مرد - °] من غيره،
ومتى عدم ذاك أنتج قوله: ﴿مالكم﴾ وأعرق فى النفي بقوله:
﴿من ملجا يومئذ﴾ أى مكان تلجأون إليه فى ذلك [اليوم - °] و حصن^{١٥}
تحصنون فيه من شئ تكرهونه، وزاد فى التأكيد باعادة النافي وما
فى حيزه^{١٦} إبلاغا فى التحذير [فقال ° - °]: ﴿مالكم من نكيره﴾ أى

- (١) فه م : للإحسان (٢-٢) من م ، وفى الأصل وظ : بما يجز (٣-٣) لمن
ظ و م ، وفى الأصل : فكونوا من (٤) من م ، وفى الأصل وظ : فانسده .
(٥) زيد من ظ و م (٦) من م ، وفى الأصل وظ : راد (٧) زيد من م .
(٨) من م ٢ وفى الأصل لظ : خبره .

من إنكار يمكنكم به من النجاة لأن الحفظة يشهدون عليكم فان صدقتموه
وإلا شهدت عليكم أعضاؤكم وجلودكم، ولا لكم من أحد ينكر شيئا مما
تجاوزون به ليخلصكم منه^١.

ولما أنهى ما قدمه في قوله " شرع لكم من الدين " نهايته ،
٥ و دل عليه وعلى كل ما قادته^٢ الحكمة في حيزه^٣ حتى لم يبق^٤ لاحد شبهة
في شيء من الأشياء ، كان ذلك سببا لتهديدهم على الإعراض عنه و تسلية
رسولهم^٥ صلى الله عليه وسلم فقال معرضا عن خطابهم إيذانا بشديد
الغضب : ﴿ فان اعرضوا ﴾ أى عن إجابة هذا الدعاء الذى وجبت^٦
إجابته [و الشرع الذى وضحت وصحت طريقته -^٧] بما تأيد به من الحجج ،
١٠ [وافت القول إلى مظهر العظمة دفعا لما قد يومم الإرسال من الحاجة
فقال -^٨] : ﴿ فأ أرسلناك ﴾ مع ما لنا من العظمة ﴿ عليهم حفيظا ﴾
أى تقهرهم على امتثال ما^٩ أرسلناك به. ولما كان التقدير: فأعرض عن
غير إبلاغهم لانا إنما أرسلناك مبلغا، وضع موضعه : ﴿ ان ﴾ أى
ما ﴿ عليك الا البغ ﴾ لما أرسلناك به، واما الهداية والإضلال فالينا.

(١) من م ، وفى الأصل و ظ : به (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : افوته .
(٣) من م ، وفى الأصل و ظ : غيره (٤) من م ، وفى الأصل و ظ : لم يسبق .
(٥) من ظ و م ، وفى الأصل : رسوله (٦) من ظ و م ، وفى الأصل :
وجب (٧) زيد من م (٨-٨) من ظ و م ، وفى الأصل : الامتثالى لا .

و لما ضمن لهدء الآية ما أرسله له، أتبعه^١ ما جبل عليه الإنسان
 يانا لأنه صلى الله عليه وسلم لا حكم له على لطباع و ان الذى [عليه-^٢]
 إنما هو الإستماع لا السماع. فقال عاطفا على ما قبل آية الشرع من قوله
 "يسط الرزق لمن يشاء" حابيا [له-^٣] فى أسلوب العظمة تنبيها على
 أنه الذى حكم عليهم بالإعراض عما^٤ هو جدير بأن لا يعرض عنه عاقل، ه
 "و إيماء إلى أن^٥ الإنسان لغلبه جهله و قلة عقله يحترى^٦ بأدنى تأئيس^٧ على
 من تسجد^٨ الجبال لعظمته و تندك الشوامخ من هيئته : " (و انا اذا اذقنا)
 بعظمتنا التى لا يمكن مخالفتها^٩. و لما كان [من-^{١٠}] يفرح بالنعمة عند
 انقراذه بها مذموما، عبر "بالجنس الصالح" للواحد فافوقه تنبيها على أن
 طبع الإنسان عدم الاهتمام بشدائد الإخوان إلا من أقامه الله فى مقام
 الإحسان فقال: (الانسان) أى بما جبلناه^{١١} عليه من التقص بالعجلة
 و عدم التأملك^{١٢} (منا رحمة) أى نوعا من أنواع الإكرام من صحة
 (١) من م، و فى الأصل و ظ : هذه (٢) زيد فى الأصل و ظ : موضعه،
 و لم تكن الزيادة فى م لحذفها (٣) زيد من م (٤) من ظ و م، و فى الأصل ؛
 بما (هـ) من م، و فى الأصل و ظ : انما (٦) من ظ و م، و فى الأصل ؛
 يقلبه (٧) من م، و فى الأصل و ظ : يجرى (٨) من م، و فى الأصل و ظ :
 تأئيس (٩) من م، و فى الأصل و ظ : سجد (١٠-١٠) سقط ما بين الرقين
 من م (١١-١١) من ظ و م، و فى الأصل : بالحس الصالح (١٢) من
 م، و فى الأصل و ظ : حملناه (١٣) زيد فى م : و انا بما لنا من العظمة إذا
 اذقنا الانسان .

أو غنى و نحو ذلك، و افرد الضمير إشارة إلى أنه مطبوع على أنه ليس عليه^١ إلا من نفسه و لو كان أهل [الأرض -] كلهم على غير ذلك، و كذا عبر بالإنسان فقال : ﴿ فرح بها ع ﴾ أى و لو أن^٢ أهل الأرض [كلهم -]^٣ فى نعمة و نوس و عى فأخرجه الفرح عن تأمل ما ينفعه ٥. ليشكر^٤، فكان ذلك لذلك كافرا للعمة لأنه أبدل الشكر بالفرح و الكفر . فتوصل بالعافية إلى المخالفة ، فأوقع نفسه فى أعظم^٥ البلاء .

ولما دل بأداة التحقق على أن النعمة هى الأصل لعموم رحمة، و أنها سبقت غضبه، دل على أن السيئة قليلة بالنسبة إليها بأداة الشك و المضارع فقال : ﴿ و ان ﴾ و لما كانت المشاركة فى الشدائد تهون ١٠. المصائب، فكان من يزيد غمه بخصوص مصيئته عند العموم مذموما، نيه على نقص^٦ الإنسان بذلك بالجمع فقال : ﴿ تصبهم سيئة ﴾ أى نعمة و بلاء و شدة . و لما كانت الرحمة فضلا منه، أعلمهم أن السيئة مسيئة عنهم فقال : ﴿ بما قدمت ايديهم ﴾ و عبر باليد عن الجملة لأن أكثر العمل بها . و لما كان الجواب على نهج الأول : حزنوا^٧ فكفروا، ١٥ و عدل^٨ عنه إلى ما يدل على أن جنس الإنسان موضع الكفران،

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : له (٢) زيد من م (٣) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : كان (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : للشكر (٥-هـ) من م ، وفى الأصل و ظ : بأعظم (٦) من م ، وفى الأصل و ظ : تقيض (٧-٧) من م ، وفى الأصل و ظ : و كفروا و اعدل .

و لما

و لما كانوا يدعون الشكر^١ و ينكرون الكفر، أكد قوله و سبب عن تلك الإصابة^٢ و الإذاقة معا إشارة إلى أنه لا أصل له غيرهما ، فقال مظهرها^٣ موضع الضمير لينص على^٤ الحكم على الجنس من حيث هو: (فان الإنسان) أى الآنس بنفسه المعرض عن غيره بما هو طبع له؛ بسبب مسه بضر (كفور هـ) أى بليغ الستر للنعم نساء له، ينسى بأل هـ صدمة من النعمة جميع ما تقدم [له - هـ] من النعم، و لا يعرف إلا الحالة الراهنة، فان كان فى نعمة أشرف و بطر، و إن كان فى نقمة أيسر و قسط، و هذا حال الجنس من حيث هو، و من وفقه الله جنيم ذلك كما قال صلى الله عليه وسلم^٥: المؤمن إن^٦ إصابته سرأه شكر فكان خيرا [له - هـ] و إن أصابته ضراء صبر فكان خيرا [له - هـ] . و أيسر^٧ ذلك إلا للمؤمن، ١٠ و الآية من الاحتباك: ذكر الفرح أولا دال^٨ على حذف الحزن ثانيا، و ذكر الكفران ثانيا دال^٩ على حذفه أولا .

و لما قدم / سبحانه فى هذه السورة أن له التصرف التام فى^{١٠} عالم

٦٦٣ /

(١) من م، و فى الأصل وظ: بالشكر (٢) من م، و فى الأصل وظ: الاجابة. (٣-٢) من ظ و م، و فى الأصل: الضمير يفيض عن (٤) زيدى الأصل وظ: اى، و لم تكن الزيادة فى م لحذفها (٥) زيد من م (٦) من ظ و م، و فى الأصل: لا يصرف (٧) راجع مسند الإمام أحمد ٣٢١/٤ (٨) من م، و فى الأصل وظ: اذا (٩-٩) من م، و فى الأصل وظ: فليس (١٠) من م، و فى الأصل وظ: دليلا (١١) من ظ و م، و فى الأصل: دالا (١٢) من ظ و م، و فى الأصل: على .

الخلق بالاجسام المرنية^١ وفي عالم الامر بالارواح الحسية و المعنوية القائمة
 بالابدان و المدبرة للاديان، و غير ذلك من بديع الشأن، فقال في افتتاح
 السورة ” كذلك يوحى اليك و الى [الذين -^٢] من قبلك “ و أتبعه
 أشكاله إلى أن قال ” ام يقولون اقترى على الله كذبا فان يشاء الله
 يختم على قلبك “ الآية ” فاطر السموات و الارض جعل لكم من
 انفسكم ازواجا و من الانعام ازواجا^٣ “ - الآية ” له مقاليد السموات
 و الارض “ [الله -^٤] لطيف بعباده يرزق من يشاء “، ” من كان
 يريد حرث الآخرة “ - الآية، ” و لو بسط الله الرزق لعباده لبغوا
 في الارض “، ” و من آيته الجوار في البحر كالاعلام “ - الآية
 ١٠. إلى أن ذكر أحوال الآخرة في قوله ” و ترى الظالمين لما راوا العذاب
 يقولون “ - الآيات، و ختم بتصرفه^٥ المطلق في الإنسان من^٦ إنعام و انتقام^٧،
 و ما له من الطبع المعوج مع ما وهبه^٨ له من العقل المقيم^٩ في أحسن
 تقويم، فدل ذلك على أن له التصرف التام ملكا و ملكوتا خلقا
 و أمرا، أتبعه الدليل على أن تصرفه ذلك على سبيل الملك و القهر إنجادا
 ١٥ و إعداما إهانة^{١٠} و إكراما، فقال- صارفا القول عن أسلوب العظمة التي
 (١) من م، و في الأصل و ظ : المرية^٢ زيد من ظ و م (٣-٢) سقط ما
 بين الرقين من م (٤) زيد من م (٥) سقط من م (٦) من م، و في الأصل
 و ظ : بتصرفه (٧-٧) من ظ و م، و في الأصل : انتقام و انعام (٨) من م،
 و في الأصل و ظ : وهب (٩) من ظ و م، و في الأصل : المقوم (١٠) و من
 هنا تستأنف نسخة مد .

من حقها دوام الحصوع ' وإهلاك احبارة إلى ' أعظم منها بذكر الاسم
 الأعظم الجامع لمظهر العظمة و مقام اللطف : الإحسان و الرحمة نتيجة
 لكل ما مضى : - لله) أى الملك الأعظم وحده لا شريك له
 (ملك السموات) كلها على علوها وآوارها . تطابقها و كبرها
 وعظمتها و تباعد أقطارها (والارض) جميعها على تسويتها و تكافئها ٥
 واختلاف أقطارها و سكانها و اتساعها

ولما أجبنا بافراده بالملك، دل عليه بقوله تعالى : (يخلق) أى على
 سبيل التجدد و الاستمرار (ما يشاء) أى وإن كان على غير اختيار
 العاد، ثم دل [على -^٨] ذلك بما يشاهد من حال الناس فانه لما استوى
 [البشر -^٩] فى الإنسانية و النكاح الذى هو سبب الولادة اختلفت ١٠
 اصناف أولادهم . كان ذلك أدل دليل على أنه لا اختيار لأحد معه
 وأن الأسباب لا تؤثر أصلا إلا به . ولما كانت ولادة الإناث أدل
 على عدم اختيار الولد و كانوا يعدونه^{١٢} من البلاء الذى ختم به ما قبلها
 قدمهن فى الذكر فقال : (يحب) خلقا و مولدا (لمن يشاء) أولادا

(١-١) من ظ و م و مد، وفى الأصل : اهلال الجابر على (٢) من م و مد، وفى
 الأصل و ظ : المظهر (٣-٢) سقط ما بين الرقعتين من ظ و م و مد (٤) سقط
 من م (٥) من م و مد، وفى الأصل و ظ : كرها (٦) من م و مد، وفى
 الأصل و ظ : جميع (٧) من ظ و م و مد، وفى الأصل : تكافئها (٨) زيد من
 م و مد (٩) من م و مد، وفى الأصل و ظ : اختلاف (١٠) من ظ و م
 و مد، وفى الأصل : لا تؤس (١١) من م و مد، وفى الأصل و ظ و دل .
 (١٢) من م و مد، وفى الأصل و ظ : يعدونها .

(امام) أى فقط ليس معهن ذكر كما فى لوط عليه الصلاة والسلام،
وعبر سحانه فهن بلطف الهة لأن الاوهام العاذية قد 'تكتنف العقل'
فتحجبه عن تأمل محاسن التدبيرات الإلهية، وترى في مهاري
الاسباب الدنيوية، فقع المسلم مع إسلامه في مضاهاة الكفار في
كرامة النيات وفي وادى الواد^٢ بتضييعهن أو^٣ التقصير في حقوقهن^٤
وتسيها على أن الاثنى نعمة، . أن نعمتها لا تنقص عن عمة الذكر
وربما زادت، وإيقاظا من سنة الغفلة على / أن التقدم وإن كان لما قدمته
لا يقدم تأييدا وتوصية بهن وإهتماما بأمرهن، نقل ابن مبلق^٥ عن ابن
عطية عن الثعالبي أن وثلة بن الأسقع رضى الله عنه قال: أمر من المرأة
١٠ تكريما بالاثنى قبل الذكر لأن الله تعالى بدأ بالإناث، ولذلك رغب
[النبي - ٦] صلى الله عليه وسلم في الإحسان إليهن في أحاديث كثيرة
وتب على ذلك أحرا كبيرا ولأجل تضمين الهة مع الخلق عداها
باللام مع أن فعلها متمد بنفسه إلى مفعولين لثلا يتوهم أن لولد كان
لغير^٧ الوالد ووجه الله له .

(١ - ١) من م و مد، وفي الاصل و ظ : تكشف (٢) من م و مد، وفي
الأصل و ظ : تمام (٣ - ٣) من م و مد، وفي الاصل و ظ : تصيقهن و .
(٤) من م و مد، وفي الاصل و ظ : حقهن (٥) من م و مد، وفي الاصل
و ظ : ابن مبلق (٦ - ٦) من م و مد، وفي الاصل و ظ : عن عن المرائي
ينكرها (٧) من م و مد، وفي الاصل و ظ : ثقيل (٨) من م و مد، وفي
الاصل و ظ : كذلك (٩) ربه من م (١٠) من م و مد، وفي الاصل
و ظ : ربه

ولما كان الذكر حاضرا في الزمن لشرفه وميل النفس إليه لاسيما وقد ذكر به ذكر^١ الإناث، عرف لذلك وجبرا لما فوته^٢ من التقديم في الذكر تنبيها على أنه ما أحر إلا لما ذكر من المعنى فقال :

(ويهب لمن يشاء الذكور لا) أي فقط ليس بينهما أنثى كما صنع لإبراهيم عليه السلام وهو عم لوط عليه السلام . ولما فرغ من القسمين ٥ الأولين عطف - ٤ [عليهما قسيما^٣ لهما ودل على أنه قسم بأول^٤ فقال :

(او بزوجهن) أي الأولاد يجعلهم^٥ أزواجا أي صنفين حال كونهم (ذكرانا وإناثا ج) مجتمعين في بطن ومنفردين كما منح^٦ محمدا صلى الله عليه وسلم، ورتبهما [منا - ٤] على الأصل تنبيها على أنه ما فعل غير ذلك فيما مضى إلا لتكت^٧ جليلة فيجب تطلبها^٨، وعبر في الذكر بما ١٠ هو أبلغ في الكثرة ترغيا في سؤاله، والخضوع لديه رجاء نواله .

ولما فرغ من أقسام الموهوبين الثلاثة، عطف على الإنعام بالهبة سلب ذلك، فقال موضع أن يقال مثلا^٩ : ولا يهب شيئا من ذلك لمن

(١) من م ومد، وفي الأصل وظ : نكر (٢) من ظ وم ومد، وفي الأصل : فوته (٣) من ظ وم ومد، وفي الأصل : أخبر (٤) زيد من م ومد (٥) من ظ وم ومد، وفي الأصل : فيبين (٦-٦) من ظ وم ومد، وفي الأصل : قسم تام (٧) من م ومد، وفي الأصل وظ : يجعلهم (٨) من م ومد، وفي الأصل وظ : صنع (٩) من ظ وم ومد، وفي الأصل : لتكون (١٠) من م ومد، وفي الأصل وظ : طابها (١١) من م ومد، وفي الأصل وظ : مثلا .

يشاء^١: (و يجعل من يشاء عقيماً) أى لا يولد له كبحي بن زكريا عليهما
 الصلاة والسلام - كذا قالوه، والظاهر أنه لا يصح مثلاً^٢ فإنه لم يتزوج،
 قال ابن معلق: وأصل العقيم اليبس المانع من قابلية التأثر لما من شأنه
 أن يؤثر، والداء العقام هو الذى لا يقبل البرأ - انتهى . فهذا الذى
 ذكره أصرح [فى المراد - ٢] لأجل ذكر العقم، وأدل على القدرة
 لأنه شامل لمن له قوة الجماع والإنزال لثلا يظن أن [عدم الولد
 لعدم - ٢] تعاطى أسبابه، وذكرنا فى هذا القسم عيسى عليه الصلاة
 والسلام . ولا يصح لأنه ورد أنه يتزوج بعد نزوله ويولد له، وهذه
 القسمة الرابعة فى الأصول كالقسمة الرابعة فى الفروع، بعضهم لا من
 ذكر ولا أنثى كآدم عليه الصلاة والسلام، وبعضهم من ذكر فقط
 كحواء عليها السلام . وبعضهم من [أنثى فقط كعيسى عليه السلام
 وبعضهم من - ٤] ذكر وأنثى وهم أغلب الناس، فتمت^٣ الدلالة على
 أنه ما شاء كان ولا راد له وما لم يشأ لم يكن، ولا يكون له ولا مانع
 لما أعطى ولا معطى لما منع .

١٥ ولما دل هذا الدليل الشهودى على ما بنيت الآية عليه من إثبات
 الملك له وحده مع ما زادت به من جنس السباو و عذوبة الالفاظ

(١) زيد فى الأصل وظ : فقال تعالى ، ولم تكن الزيادة فى م ومد فخذتها .
 (٢) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : مالا (٣) زيد من ظ وم ومد .
 (٤) زيد من م ومد (٥) من م ومد ، وفى الأصل وظ : أنه (٦) زيد فى
 الأصل : فى ، ولم تكن الزيادة فى م ومد فخذتها (٧) من م ومد ، وفى
 الأصل وظ : أقيمت .

وإحكام الشك وإعجاز الترتيب والنظم، كانت النتيجة قطعا مؤكدة
تضمن إشراكهم به الطعن في توحده بالملك مقدما فيها الوصف الذي
هو أعظم شروط الملك: ﴿ انه عليم ﴾ أى بالغ العلم بمصالح العباد
وغيرها ﴿ قديره ﴾ شامل القدرة على تكوين ما يشاء .

ولما تم القسم الأول عما بنى على العلم والقدرة، [والقدرة - ١] ه
فيه أظهر وفاقا لما ختمت به الآية، وكان قد يكون خلقه إياه إبداعا
من غير توسط سبب، وقد يكون بتوسط سبب، أتبعه القسم الآخر
الأعلى الذى العلم فيه أظهر وهو الوحي الذى ختمت آيته أول السورة
بالحكمة التى هى سر العلم، وقسمه أيضا إلى ما هو بواسطة وإلى ما هو
بغير واسطة، ولكن سر التقدير فى القسم الأول الكلام وهو الذى ١٠
شرف به، وكان لا يمكن أحدا أن يتكلم إلا بتكليم الله له أى إيجاده
الكلام فى قلبه قال: ﴿ وما ﴾ أى وهو سبحانه تام العلم شامل القدرة
غرز فى البشر غريزة العلم وأقدره على النطق به بقدرته وحيا منه
إليه كما أوحى إلى النحل ونحوها والحال أنه ما ﴿ كان لبشر ﴾ من
الأقسام المذكورة، وحل المصدر الذى هو اسم " كان " ليقع التصريح ١٥
بالفاعل والمفعول على آم وجوه فقال: ﴿ ان يكلمه ﴾ [و - ١]

(١) زيد من م ومد (٢) من م ومد، وفى الأصل وظ : تبسيط (٣) زيد
فى الأصل وظ : العلم، ولم تكن الزيادة فى م ومد لخذفها (٤) من م
ومد، وفى الأصل وظ : انخذه (٥) من م وظ وم ومد، وفى
الأصل : أقدر .

أظهر موضع الإضممار إعظاما للوحى و تشريفا لمقداره بجلالة إثارة فقال :
 ﴿ الله ﴾ أى يوجد الملك الأعظم الجامع لصفات الكمال فى قلبه
 [كلاما - ٢] ﴿ الا وحيا ﴾ أى كلاما خفيا يوجد فيه بغير واسطة
 بوجه خفى لا يطلع عليه أحد إلا بخارق العادة إما بالهام أو برؤيا منام
 ٥ أو بغير ذلك سواء خلق الله فى المكلم [به - ١] قوة السماع له وهو
 أشرف هذه الأقسام مطلقا سواء كان ذلك مع الرؤية ليكون قسيما لما
 بعده أولا [أو - ٢] يخلق فيه ذلك ١ ومن هذا القسم الأخير ٥ و اوحينا
 الى ام موسى ، " و اوحى ربك الى النحل " " و اوحى فى كل سماء امرها "
 فان إيداعها القوى التى ٧ يحصل بها المنافع [مثل - ١] إيداع الإنسان
 ١٠ قوة الكلام ثم ٤ قوة التعبير عنه - والله أعلم . وهذا معنى قول القاضى
 عياض فى الشفاء فى آخر الفصل الثانى من الباب الرابع فى الإعجاز :
 وقد قيل فى قوله تعالى " وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا " الآية
 أى ما يلقيه فى قلبه دون واسطة ، ومعنى قول الإمام شهاب الدين
 السهروردى ١ فى الباب السادس والعشرين من عوارفه : والعلوم اللدنية

(١) وقع فى الأصل وظ بعد « ان يكلمه » والترتيب من م ومد (٢) زيد
 من م ومد (٣) وقع فى الأصل وظ قبل « اى يوجد » والترتيب من
 م ومد (٤) من م ومد ، وفى الأصل وظ : العبادة (٥) زيد من م ومد
 ومد (٦-٦) من م ومد ، وفى الأصل وظ : مع هذه (٧) من م ومد ،
 وفى الأصل وظ : الذى (٨) من م ومد ، وفى الأصل وظ : مع .
 (٩) سقط من م (١٠) من م ومد ، وفى الأصل وظ : المهرودى .

فى

في^١ قلوب المنقطعين إلى الله ضرب من المكالة .

ولما كان الحجاب الحسى يخفى ما وراءه عن^٢ العيان، استعير لمطلق^٣ الخفاء فقال: (أو من) أى كلاما كأننا بلا واسطة، لكنه مع السماع لعين كلام الله كأن صاحبه [من -^٤] (وراء حجاب) أى من وجه لا يرى فيه المتكلم مع السماع للكلام على وجه الجهر، قال القشيري: هـ والمحجوب العبد لا الرب، والحجاب أن يخلق فى محل الرؤية ضد الرؤية، وتعالى الله أن يكون من وراء حجاب لأن ذلك صفة الأجسام - انتهى .
والآية يمكن تنزيلها على الاحتباك^٥ بأن يكون ذكر الحجاب ثانيا دليلا على نفيه أولا، وذكر الوحي الدال على الخفاء أولا دليلا على الجهر ثانيا، والحجاب ثانيا دليلا على الرؤية أولا، وسره أن ترك التصريح^{١٠} بالرؤية والدلالة عليها بالحجاب أولى بسياق العظمة .

ولما كان الذى بلا واسطة مع كونه أخفى الأقسام ليس فيه صوت ولا ترتب فى كلمات،^٦ عبر فيه^٧ بالمصدر [وعبر -^٨] فيما يليق به الملك بما يدل / على التجدد فقال: (أو يرسل) وهو عطف على المصدر بعد تقدير حله^٩ (رسولا) أى من الملائكة . ولما كان الوحي مسيا^{١٥}

(١) من م ومد، وفى الأصل وظ: من (٢) من ظ وم ومد، وفى الأصل: من (٣) من م ومد، وفى الأصل وظ: بمطوق (٤) زيد من م ومد. (٥) من ظ وم ومد، وفى الأصل: الاحسان (٦-٦) من م ومد، وفى الأصل وظ: عرفية (٧) من مد، وفى الأصل وظ وم: حكه (٨) من م ومد، وفى الأصل وظ: ما .

عن الإرسال و مرتبا عليه قال: ﴿ فيوحى ﴾ أى على سبيل التجديد
و الترتيب^١، و قرأ نافع^٢ برفع "يرسل و يوحى" بتقدير: أو هو
يرسل . و لما كان ربما ظن أن للواسطة فعلا يخرج عن فعله، رد ذلك
بقوله: ﴿ باذنه ﴾ أى باقداره و تمكينه، فذلك المبلغ إنما هو آلة .
٥ و لما كان رسوله لا يخرج عما حده^٣ له بوجه قال: ﴿ ما يشاء^٤ ﴾ أى
لا يتعدى مراده و إقداره أصلا فهو المكلم فى الحقيقة و قد بان أنها
ثلاثة أقسام: أولها فيه قسمان، خص الأول بقسميه بالتصريح باسم الوحي
لأنه كما مر أخفاها و هو أيضا يقع دفعة، و الوحي يدور معناه على
الحفاء و السرعة .

١٠ و لما كانت الأقسام الثلاثة دالة على العظمة الباهرة، وكانت للروح
البدنى لأن روح الوحي يكسب الروح البدنى حياة العلم كما أفاد الروح
البدن حياة الحركة بالإرادة و الحس، كانت النتيجة [مؤكدَة لتضمن طعنهم
فى الرسول و القرآن و التوحيد طعنهم^٥ فى مضمون الجملة -^٦] : ﴿ انه ﴾
أى الذى له هذا التصرف العظيم^٦ فى هذا الوحي الكريم ﴿ على ﴾
١٥ / ٦٦٧ أى بالغ العلو [حدا -^٧] مما لا يليق به من الأوصاف و بما يكون للخلق /
عن جنبه^٨ من السفول بما عليهم من الحجب فلا يلبس^٩ شئ مما يعبر

(١) من م و مد، وفى الأصل و ظ: الترتيب (٢) راجع نثر المرجان ٦/ ٣٩٠.
(٣) من ظ و م و مد، وفى الأصل: حد (٤) من م و مد، وفى الأصل
و ظ: إليه فى (٥) ونسخة مد مطموسة من هنا (٦) زيد من م و مد (٧) زيد
من م (٨) من م، وفى الأصل و ظ: جناحه (٩) من ظ و م، وفى
الأصل: يلتبس .

[٥ - ١] تقريرا للعقول فيحمل على ما يؤم نقصا ، فان المجازات في لسان العرب شهيرة (حكيم ه) يتقن ما يفعله إتقاناً لا تحيط العقول بادراكه فيسكن روح العلم الذي هو من أطف أسرارهِ في روح البدن المدبر [له - ١] فيكون سرا في سر كما كان برا بعد بر ، ويجعل ذلك تارة بواسطة [وتارة بغير واسطة - ١] على حسب ما يقتضيه الحال ، ه و يعبر عن كل 'معنى بما' يقتضيه حاله' في ذلك السياق ، ومهما أومئ 'شئ' من ذلك 'نقصا' فردّه المستبصر إلى المحكم بضرب من التأويل على ' ما يقتضيه الشائع من استعمالات العرب رجوع رجوعا بينا متقنا بحيث يصير في غاية الجلاء .

ولما كان الوحي روحا مدبرا للروح كما أن الروح مدبرٌ للبدن ، ١٠ صرح به فقال : (وكذلك) أى ومثل ما أخبرناك بالكيفيات التي نوحينا إلى عبادنا (اوحينا اليك) صارفا القول إلى مظهر العظمة تعظيما لما أوحى إليه وأفاض من نعمه عليه على جميع تلك الأقسام ، فالتفت في الروع المذكورا غير منكور ، والسامع [من دون الحجاب أصلا متقول في الاخبار عن ليله المراج ومقول في السامع - ١] من وراء الحجاب ١٥ أيضا ذكر فيها في قوله 'أضيت فريضتي' وخفت عن عبادي ، والوحي بواسطة الملك كثير جدا ، وأعظم الوحي وشرفه بقوله منكرا له تعظيما

(١) زيد من م (٢-٢) من م ، وفي الأصل و ظ : ما (٣) من م ، وفي الأصل و ظ : حال (٤-٤) من م ، وفي الأصل و ظ : شبه (٥) زيد في الأصل : حكم ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لخدفتها (٦) من م ، وفي الأصل و ظ : مدبرا (٧) من ظ و م ، وفي الأصل : تعريض .

لما عنده من الروح الامرى بافاده أن هذا الكتاب الذى أبكم الفصحاء
 وأعجز البلغاء و حير^١ الالاباب من الحكماء شعبة منه 'و ذرة بارزة' عنه ،
 و يمكن أن يكون تنكير تعظيم وإجلال و تكريم ﴿روحا﴾ أى من
 خالطه صار قلبه حيا و من عرى عنه كان قلبه^٢ ميتا . و زاد عظمه بقوله :
 ٥ ﴿من امرنا^٣﴾ أى^٤ بجعله من قسم الامر وإظهاره فى مظهر العظمة
 فباله من علو يتضاد دونه كل شامخ و يتحاقر إكبارا له كل مادم ،
 والمراد بهذا رد ما تقدم من نسبتهم له صلى الله عليه و سلم إلى الافتراء
 لانه تعالى لم يحتم على قلبه بل فتحه بيد القدرة و أحياء بروح الوحي
 فأنطقه / بالحكم التى خضعت لها الحكماء ، و أقرت بالعجز عن إدانتها ألباب
 / ٦٦٧

١٠ العلماء ، و دل^٥ على ذلك بقوله ، نافيا مبينا حاله صلى الله عليه و سلم قبل
 هذا الوحي : ﴿ما كنت﴾ أى فيما قبل الأربعين التى مضت لك و أنت
 بين ظهرائى قومك مساويا لهم فى كونك لا تعلم شيئا و لا تنفوه بشيء
 من ذلك و هو معنى ﴿تدرى﴾ و عبر بأداة الاستفهام إشارة إلى أن
 ما بعدها مما يجب الاهتمام به و السؤال عنه . و علق بجملته الاستفهام
 ١٥ الدراية^٦ عن العمل و سدت مسد مفعولى^٧ الدراية ﴿ما الكشب﴾ أى

(١) زيد فى الأصل : اولى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٢-٣) من
 م ، و فى الأصل و ظ : زمرة مبارزة (٣) سقط من م (٤) من م ، و فى
 الأصل و ظ : ذلك (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : الذى آية (٦) من ظ
 و م ، و فى الأصل : معمولى .

ما كان في جبلتك أن^١ تعلم ذلك بأدنى أنواع العلم بمجادلة ولا غيرها
 ﴿ ولا الإيمان ﴾ [أى - ٢] بتفصيل الشرائع على ما حددناه لك بما
 أوحيناه إليك^٣، وهو صلى الله عليه وسلم وإن كان قبل النبوة^٤ مقرا
 بوحداية الله تعالى و عظمته لكنه لم يكن يعلم الرسل على ما هم عليه،
 ولا شك أن الشهادة له نفسه صلى الله عليه وسلم بالرسالة ركن الإيمان ٥
 ولم يكن له علم بذلك، وكذا الملائكة واليوم الآخر فيصح نفي المنفى
 لقواته بفوات جزئه .

ولما كان المعنى : ولكن نحن أدريناك بذلك كله، عبر عنه
 لإعلاما بأن الخلق كانوا في ظلام لكونهم كانوا يفعلون بوضع الأشياء
 في غير مواضعها فعل من يمشى في الظلام بقوله : ﴿ ولكن جعلته ﴾ ١٠
 أى الروح الذى هو الكتاب المنزل منا إليك المعلم بالإيمان وكل عرفان
 بما لنا من العظمة ﴿ نورا نهدي ﴾ على عظمتنا ﴿ به من نشاء ﴾ خاصة
 لا يقدر أحد على هدايته بغير مشيئتنا ﴿ من عبادنا^١ ﴾ بخلق الهداية في
 قلبه، قال ابن برجان : فمن رزقه الفرقان الذى يفرق [به - ٢] بين
 المشابهات^١ والنور الذى يمشى به في الظلمات، فذلك الذى أبصر شعاع ١٥
 النور وشاهد الضياء المبثوث في العالم المفقور، وعلى قدر إقباله عليه

(١) زيد في الأصل وظ : ما، ولم تكن الزيادة في م فخذناها (٢) زيد من
 م (٣) من م، وفي الأصل وظ : لك (٤) زيد في م : قد كان (هـ-هـ) من م،
 وفي الأصل وظ : بالوحداية لله (٦) من ظ وم، وفي الأصل : المشبهات .

والتفرغ^١ عن كل شاغل عنه يكون قبوله^٢ له وهدايته به، وقال
 الأصهباني في سورة النور^٣: هو الكيفية الفائضة من الشمس والقمر
 والنار مثلاً على الأرض والجدار وغيرهما، يقال: استنارت الأرض^٤،
 وقال حجة الإسلام الغزالي^٥ رضى الله عنه: ومن المعلوم أن هذه
 الكيفية إنما اختصت بالفضيلة والشرف لأن المراتب تصير بسببها ظاهرة،
 ثم من المعلوم أنه كما يتوقف إدراك هذه المراتب على كونها مستنيرة
 فكذلك يتوقف على وجود العين الباصرة وهي المدركة وبها الإدراك،
 وأما النور الخارج فليس بمدرك ولا به الإدراك بل عنده الإدراك،
 فكان وصف الإظهار بالنور الباصر أحق بالنور المبصر فلا جرم أطلقوا
 ١٠ اسم^٦ النور على نور العين المبصرة فقالوا في الخفاش: إن نور عينه ضعيف،
 وفي الأعمى أنه فقد نور البصر، إذا ثبت هذا فنقول: للإنسان بصر
 وبصيرة، فالبصر هو العين الظاهرة^٧ المدركة للضوء والألوان،
 والبصيرة هي^٨ القوة العاقلة، وكل واحد من الإدراكين يقتضى نوراً،
 ونور العقل أقوى وأشد من نور العين، / لأن القوة الباصرة لا تدرك
 ١٥ نفسها ولا إدراكها ولا آلائها، والقوة [العاقلة تدرك نفسها وإدراكها

/ ٦٦٨

(١) من ظ و م، وفي الأصل: التضرع (٢) من م، وفي الأصل وظ :
 قوله (٣) زيدت الواو في الأصل ولم تكن في ظ و م لخذناها (٤) من م،
 وفي الأصل وظ : الشمس (٥-٥) سقط ما بين الرقيين من ظ و م (٦) من
 م، وفي الأصل وظ : ولذلك (٧) سقط من م (٨) من م ومد، وفي
 الأصل وظ : الباصرة (٩) في م : هو .

وآلها

(٩١)

٣٦٤

وآلتها فنور العقل أكل من نور البصر، والقوة العاقلة - ١ [تدرك الكليات والقوة الباصرة لا تدركها، وإدراك الكليات أشرف لأنه لا يتغير^٢ بخلاف الجزئيات، وإدراك العقل منتج وإدراك الجزئى غير منتج، والقوة الباصرة لا تدرك إلا السطح الظاهر من الجسم واللون القائم بذلك السطح بشرط الضوء، فإذا أدركت^٣ الإنسان لم تدرك منه إلا السطح الظاهر^٥ من جسمه واللون القائم به، والقوة العاقلة تدرك ظاهر الأشياء وباطنها فان الباطن والظاهر بالنسبة إليها على السواء، فكانت القوة العاقلة نورا بالنسبة إلى الظاهر والباطن، والقوة الباصرة ظلمة بالنسبة إلى الباطن، ومدرک القوة العاقلة [هو الله - ١] وصفاته وأفعاله، ومدرک القوة هو الألوان والأشكال فيكون نسبة شرف القوة العاقلة إلى شرف القوة^{١٠} الباصرة كنسبة شرف ذات الله إلى شرف الألوان والأشكال، والقوة الباصرة كالخادم والقوة العاقلة كالأمير، والأمير أشرف من الخادم، والقوة [الباصرة قد تغلط - ١] والقوة العاقلة لا تغلط، ثبت أن الإدراك العقلى أكمل وأقوى وأشرف من الإدراك البصرى، وكل واحد من الإدراكين يقتضى الظهور الذى هو أشرف خواص النور، فكان الإدراك^{١٥} العقلى أولى بكونه نورا، والإدراك العقلى قسبان: أحدهما واجب الحصول

- (١) زيد من م ومد، واستأقت نسخة مد من «هذه المرتبات» ص: ٣٦٤ س ٦٠.
 (٢) من م ومد، وفي الأصل و ظ: لا يعتبر (٣) من ظ و م ومد، وفي الأصل: ادرك (٤-٤) من ظ و م ومد، وفي الأصل: الظاهر والباطن.
 (٥) من ظ و م ومد، وفي الأصل: لا تغلط (٦) زيد في الأصل: نور، ولم تكن الزيادة في ظ و م ومد فحذفناها.

عند سلامة القوى والآلات وهى التعلقات الفطرية^١، والثانى ما يكون مكتسبا، وهى التعلقات النظرية^٢، ولا يكون من لوازم جوهر الإنسان لانه^٣ حال الطفولية لم يكن عالما بالته، فهذه الانوار إنما حصلت بعد أن لم تكن، فلا بد لها من سبب، والفطرة الإنسانية قد يعتريها الزيغ ه فلا بد من هاد ومرشد، ولا مرشد فوق كلام الله وأنبياؤه، فتكون منزلة آيات القرآن عند عين العقل منزلة نور الشمس كما يسمى نور الشمس نورا فنور القرآن يشبه نور الشمس، ونور العقل يشبه نور العين، وبهذا يظهر معنى قوله تعالى "فأمنوا بالله ورسوله والنور الذى أنزلنا"، "قد جاءكم برهان من ربكم"، "وأنزلنا اليكم نورا مبينا" ١٠ وإذا ثبت أن بيان الرسول صلى الله عليه وسلم أقوى من نور الشمس وجب أن تكون نفسه القدسية أعظم فى التورانية من الشمس كما أن الشمس فى عالم الاجسام تفيد النور لغيرها ولا تستفيد من غيرها، فكذا نفس النبي صلى الله عليه وسلم تفيد الانوار العقلية [لسائر النفوس البشرية ولا تستفيد النور العقلى - ١] من شئ من ١٥ النفوس البشرية، فلذلك وصف الله الشمس بأنها سراج، ووصف محمد صلى الله عليه وسلم بأنه سراج، [ثم - ١] قال : والمراتب الانوار فى (١) من م ومد، وفى الأصل وظ : النظرية (٢) من م ومد، وفى الأصل وظ : البصرية (٣) من م ومد، وفى الأصل وظ : لان (٤) زيد من م ومد (٥) من م ومد، وفى الأصل : فكذلك.

عالم الأرواح مثال، وهو أن ضوء الشمس إذا وصل إلى القبر ثم دخل في كوة بيت و وقع على^١ مرآة منصوبة [على حائط -^٢] ثم انعكس منه إلى طشت مملوء^٣ ماء موضوع على^٤ الأرض ثم انعكس منه إلى سقف البيت، فالنور الأعظم في الشمس التي هي المعدن^٥، و ثانيها في القمر، و ثالثها في المرآة، و رابعها في الماء، و خامسها في السقف، و كل ما ه كان أقرب إلى المعدن كان أقوى، فكذا الأنوار الساهوية لما كانت مرتبة لا جرم كان النور / المفيد أشد إشراقا، ثم تلك الأنوار لا تزال مرتبة حتى تنتهي إلى النور الأعظم و الروح الذي هو أعظم الأرواح منزلة عند الله الذي هو المراد بقوله تعالى ” يوم يقوم الروح و الملائكة صفا “ ثم نقول^٦: إن هذه الأنوار الحسية سفلية كانت كأنوار النيران ١٠ أو علوية [كأنوار الشمس و كذا الأنوار العقلية سفلية كانت كأرواح الانبياء و الأولياء و علوية -^٧] كأرواح الملائكة فانها بمكنة لذواتها^٨ [و الممكن لذاته -^٩] لا يستحق الوجود لذاته بل وجوده من غيره، و العدم هو الظلمة و الوجود هو النور، فكل ما سوى الله مظلم لذاته مستنير بانارة الله تعالى، [و كذا جميع معارفها وجودها حاصل من ١٥ وجود الله تعالى -^{١٠}] فان الحق سبحانه هو الذي أظهرها

(١) من ظ و م و مد، وفي الأصل: في (٢) زيد من م و مد (٣) من ظ و م و مد، وفي الأصل: علوه (٤) من م و مد، وفي الأصل و ظ: إلى . (٥) من ظ و مد، وفي الأصل و م: معدن (٦) من مد، وفي الأصل و ظ و م: تقول (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) من م و مد، وفي الأصل و ظ: لذاتها .

بالوجود بعد أن كانت في ظلمات العدم^١، وأفاض عليها أنوار المعارف^٢ بعد أن كانت في ظلمات^٣ الجهالة، فلا ظهور لشيء من الأشياء إلا باظهاره، وخاصة النور إعطاء الإظهار والتجلى والانكشاف، وعند هذا يظهر أن النور المطلق هو الله سبحانه وأن

٥ إطلاق النور على غيره مجاز، وكل ما سوى الله من حيث هو هو^٤ ظلمة محضة لأنه من حيث أنه يمكن عدم محض بل الأنوار إذا نظر إليها من حيث هي هي [فهي - °] ظلمات لأنها من حيث هي هي

ممكنت، والممكن من حيث هو هو معدوم، والمعدوم مظلم، فالنور إذا نظر من حيث هو^٥ يمكن مظلم، فأما إذا التفت إليها من حيث

١٠ أن الحق سبحانه أفاض عليها نور الوجود بهذا الاعتبار صارت أنوارا، ثبت أنه سبحانه هو النور وأن كل ما سواه ليس بنور، وأضاف النور إلى الخافقين في قوله "نور السموات والأرض" لأنها مشحوتان بالأنوار العقلية والأنوار الحسية، أما الحسية فما

نشاهده في السماوات من الكواكب وغيرها، وفي الأرض من الأشعة

١٥ المنبسطة على سطوح الأجسام حتى ظهرت بها الألوان المختلفة، ولولاها

(١) زيد في الأصل وأضاف إليها، ولم تكن الزيادة في ظ و م ومد لحذفناها.

(٢) من ظ و م ومد، وفي الأصل: المعاني (٣) من ظ و م ومد، وفي الأصل: كلمات (٤) زيد في الأصل و ظ : الله، ولم تكن الزيادة في م ومد لحذفناها (٥) زيد من م ومد (٦) من م ومد، وفي الأصل و ظ : لأنه (٧) من م ومد، وفي الأصل و ظ : هي هي ظلمات.

لما كان^١ للأنوار ظهور بل وجود، و أما الأنوار العقلية فالعالم الأعلى مشحون بها وهي جواهر الملائكة، والعالم الأدنى مشحون بها وهي القوى النباتية والحيوانية والإنسانية، وبالنور الإنساني السفلي ظهر نظام العالم الأسفل كما أنه بالنور المسمى ظهر^٢ نظام العالم العلوي^٣، وإذا عرفت هذا عرفت [أن العالم بأسره مشحون بالأنوار البصرية الظاهرة والعقلية^٥ الباطنة، ثم عرفت -^٤] أن السفلية فائضة بعضها من بعض فيضان^٦ النور من السراج، والسراج هو الروح النبوي، ثم إن الأنوار القدسية مقبسة من الأنوار العلوية اقتباس السراج من النور، وإن العلويات مقبسة بعضها من بعض وإن بينها ترتيباً في الغايات، ثم ترتقي جملتها إلى نور الأنوار ومعدنها ومنبعها الأول، وذلك هو الله وحده لا شريك له، ١٠ فاذا الكل نوره، ثم قال: قال الإمام الغزالي: قد تبين أن القوى المدركة أنوار^٧. ومراتب القوى المدركة الإنسانية خمسة، أحدها القوة الحساسة وهي التي تتلقى ما تورده الحواس الخمس، وكأنها أصل الروح الحيواني إذ بها يصير الحيوان حيواناً، وهي موجودة للصبي والرضيع، وثانيها القوة الخيالية^٩ وهي / التي تسبب ما أوردته الحواس وتحفظه مخزوناً ١٥ / ٦٧٠

(١-١) من ظ و م و مد، وفي الأصل: للأنوار ظهور بل ظهور (٢) زيد في الأصل و ظ: منه، ولم تكن الزيادة في م و مد لحذفها (٣) من م و مد، وفي الأصل و ظ: السفلي (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من م و مد، وفي الأصل و ظ: فايضته (٦) من م و مد، وفي الأصل و ظ: ينصار (٧) من م و مد، وفي الأصل و ظ: بأنوار (٨) من م و مد، وفي الأصل و ظ: أحدهما (٩) من م و مد، وفي الأصل و ظ: الخالية.

عندها لتعرضه عن القوة العقلية عند الحاجة إليه، وثالثها القوة العقلية المدركة للحقائق الكلية، ورابعها القوة الفكرية وهى التى تأخذ المعارف العقلية فتؤلفها تأليفا تستنتج منه علما بالمجهول، وخامسها القوة القدسية التى يختص بها الأنبياء وبعض الأولياء، وتنجلى فيها لوائح الغيب ٥ وأمرار الملكوت. وإليه أشار قوله "وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا" الآية، وإذا عرفت هذه القوى فهى بجمعتها أنوار إذ بها تظهر أصناف الموجودات، وهذه المراتب الخمس يمكن تشبيهها بالأمور الخمسة التى ذكرها الله فى المشكاة والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت، أما الروح الحساس فاذا نظرت إلى خاصته وجدت أنواره ١٠ خارجة من ثقب كالعينين والأذنين والمنخرين، فأرق مثل له من عالم الأجسام المشكاة، وأما الثانى وهو الروح الخيالى فله خواص ثلاثة: الأول أنه من طينة العالم السفلى الكثيف لأن الشئ المتخيل ذو شكل وحيز، ومن شأن العلائق الجسمانية أن تحجب عن الأنوار العقلية المحضة، والثانى أن هذا الخيال الكثيف إذا صفا ورق صار ١٥ موازنا للمعارف العقلية ومؤديا لأنوارها، ولذلك يستدل المعبر بالصور

(١) من ظ و م و مد، وفى الأصل: القوى (٢) من م و مد، وفى الأصل: وظ: فتألفها (٣-٢) من م و مد، وفى الأصل: وظ: بجمعتها نهي (٤-٣) من ظ و م و مد، وفى الأصل: فافق مثاله (٥) من م و مد، وفى الأصل: وظ: الخالى (٦) من م و مد، وفى الأصل: وظ: مؤيدا (٧) من ظ و م و مد، وفى الأصل: كذلك.

'الخيالية على' المعاني العقلية' كما يستدل بالشمس على الملك، و بالقمر على الوزير، و بنجم فروج الناس و أفواههم على الأذان قبل الصبح، و الثالث أن الخيال في البداية محتاج إليه لتضبط به المعارف العقلية و لا تضطرب. و أنت لا تجد شيئاً في الأجسام يشبه الخيال في هذه الصفات إلا الزجاجة فانها في الأصل من جوهر كثيف و لكن 'صفا' ورق حتى صار لا يحجب ه نور المصباح بل يؤديه على وجهه ثم يحفظه من الانطفاء بالزجاج، و أما الثالث و هو القوة العقلية القوية على إدراك الماهيات الكلية و المعارف الإلهية فلا يخفى عليك وجه تمثيله بالمصباح، و أما الرابع و هو القوة الفكرية فن خاصيتها أنها تأخذ ماهية واحدة ثم تقسمها إلى قسمين كقولنا: الموجود إما واجب و إما ممكن، ثم تجعل كل قسم قسمين، ١٠ و هكذا إلى أن تنتهي إلى ما لا يقبل القسمة. ثم تنتهي بالآخرة إلى تجميع هي ثمرتها، فبالحرى أن يكون مثاله من هذا العالم الشجرة، و إذا كانت ثمارها مادة (تزايد أنوار المعارف و بيانها فبالحرى أن لا تمثل بشجرة السفرجل و التفاح [بل - ٩] بشجرة الزيتون خاصة لأن لب ثمرتها هو الزيت الذي هو مادة المصايح. وله من بين سائر الأدهان خاصة زيادة ١٥ الإشراف و قلة الدخان، و إذا كانت الماشية التي يكثر درها و نسلها

(١-١) من م و مد، و في الأصل و ظ: الخالية عن (٢) زيد في الأصل و ظ: موبدا لأنوارها، و لم تكن الزيادة في م و مد فخذناها (٣) من م و مد، و في الأصل و ظ: جعل (٤) من ظ و م و مد، و في الأصل: يوربه (٥) زيد من م و مد.

و الشجرة التى تكثر ثمرتها تسمى مباركة فأتى لا نهاية لمنفعتها و ثمرتها
أولى أن تسمى [شجرة -^١] مباركة، وإذا كانت شعب الأفكار العقلية
المحضة مجردة عن لواحق الأجسام، فبالحرى أن لا تكون شرقية
ولا غربية، وأما / الخامس و هو القوة القدسية النبوية فهى فى نهاية
الشرف و الصفاء، فان القوة الفكرية تنقسم إلى ما تحتاج إلى تعليم وإلى
ما لا تحتاج إليه، و لا بد من وجود هذا القسم دفعا 'للتسلسل فبالحرى'
أن يعبر عن هذا القسم لكماله و صفاته بأنه يكاد زيته يضى. و لو
لم تمسه نار، فهذا المثال موافق لهذه الأقسام، وهذه الأنوار مرتبة
بعضها على بعض، فالחס هو الأول و هو كالمقدمة للخيال، والخيال
١٠ كالمقدمة للعقل - انتهى كلام الغزالي رحمه الله تعالى عن نقل الأصفهاني
فى تفسيره عنه -^٦ والله أعلم.

و لما كان المعنى بناء على ما تقدم من صفة الروح الإلهى : فهديناك
به، عطف عليه قوله تعالى : ﴿ و انك لتهدى ﴾ أى تبين وترشد،
و أكدته لإنكارهم ذلك^٥ ﴿ الى صراط ﴾ أى طريق واضح جدا، وإن
(١) زيد من م و مد (٢) زيد فى الأصل و ظ : المجردة المحضة، و لم تكن
الزيادة فى م و مد فحذفناها (٣) من م و مد، وفى الأصل و ظ : وهى.
(٤ - ٤) من م و مد، وفى الأصل : للتسلسل فبالحرى، وفى ظ : للتسلسل
فبالحرى (٥ - ٥) من م و مد، وفى الأصل و ظ : يعتبر (٦ - ٦) سقط ما
بين الرقيين من ظ و م و مد (٧) زيد فى الأصل : بقوله، و لم تكن الزيادة
فى ظ و م و مد فحذفناها (٨) من م و مد، وفى الأصل و ظ : واحد.

عانيت في البيان مشقة بنفسك وبالوسائط بما أفادته التعديّة بـ' إلى'، فيفهم من ذلك أنه يهدى للصراط بدون ذلك من العناية لمن يسر الله أمره ويهدى الصراط لمن هو أعظم توفيقاً من ذلك (مستقيم لا) أى شديد التقوم لأنه كأنه يريد أن يقوم نفسه فهو بعد وجود تقومه حافظ لها من أدنى خلل، وهو كل ما دعا^٢ إليه من خصال هذا الدين ٥ الحنيف الذي هو ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ثم أبدل منه تعظيماً لشأنه قوله بدل كل من كل معرفة من نكرة لافتتاح القول من مظهر العظمة إلى أعظم منه، إشارة إلى جلالة هذا الصراط [بما - ٥] فيه من مجامع الرحمة والنقمة ترغيباً وترهيباً: (صراط الله) أى الملك الأعظم الجامع لصفات الكمال، ثم وصفه بأنه مالك لما افتتح هذا الكلام ١٠ بأن له ملكه فقال: (الذى له) ملك (ما في السموات) أى وهو جميع السموات التي هي في عرشه والأرض لأنها في السموات وما في ذلك من المعاني والأعيان (وما في الأرض) .

ولما أخبر سبحانه أنه^٦ المخترع لجميع الأشياء والمالك لعالمى الغيب

-
- (١) من م ومد، وفي الأصل وظ: تقدمه (٢ - ٢) من م ومد، وفي الأصل وظ: خفاء (٣) من م ومد، وفي الأصل وظ: الحنيقة (٤) من م ومد، وفي الأصل وظ: بل (٥) زيد من م ومد (٦) من م ومد، وفي الأصل وظ: بانه (٧) من م ومد، وفي الأصل وظ: ان .

والشهادة والخلق والامر و أنه المتفرد بالعظمة كلها، وكان مركزا
 فى العقول مغروزا فى الفطر أن من ابتدا شيئا وليس له كفوء قادر
 على إعادته وأن يكون مرجع^١ أمره كله إليه، فلذلك كانت نتيجة جميع
 ما مضى على سبيل المناداة على المنكرين لذلك وعدا و وعيدا لأهل الطاعة
 ٥ والمعصية بناء على ما تقديره: كيف يكون له ما ذكر على سبيل الدوام
 ونحن نرى غيره أشياء كثيرة تضاف إليه و يوقف تصرفها و التصرف
 فيها عليه: ﴿الآلى الله﴾ أى المحيط بجميع صفات الكمال الذى تعالى
 عن مثل^٢ أو مدان وهو الكبير المتعال، لا إلى أحد غيره ﴿تصير﴾
 أى على الدوام وإن كانت فى الظاهر فى ملك غيره بحيث يظن
 ١٠ الجاهل أن ملكها مستقر له. قال أبو حيان^٣: أخبر بالمضارع والمراد
 به الديمومة كقوله^٤: زيد يعطى و يمنع أى من شأنه ذلك ولا يراد به
 حقيقة المستقبل. ﴿الامور﴾ أى كلها من الخلق والامر معنى وحسا
 [خفيا - ٥] فى الدنيا بما نصب من الحكام^٥ و جعل بين / الناس من
 الاسباب، وجلبا فيما وراءها حيث قطع ذلك جميعه^٦ فلا حكام ولا أسباب^٧،

/ ٦٧٢

(١) من م و مد، وفى الأصل و ظ: جميع (٢) من م و مد، وفى الأصل
 و ظ: ممثل (٣) راجع البحر المحيط ٧ / ٥٢٨ (٤) فى م و مد: كقولك .
 (٥) زيد من م و مد (٦) من م و مد، وفى الأصل و ظ: الاحكام .
 (٧-٧) من م و مد، وفى الأصل و ظ: فلاحكام والاسباب .

كما كانت الأمور كلها مبتدئة منه وحده، و من كان كذلك فهو وحده
 العزيز الحكيم العلي العظيم، فقد رجع آخر السورة على أولها،
 وانطفئ 'مفصلها على موصلها'، واتصل من حيث كونه في الوحي
 الهادي 'في أول' الزخرف على أنهم عادة لهذا الكتاب المنير من اتصال
 الخواتم فيه بالبوادي و الروائح بالغواي - والله أعلم بالصواب. ٥



(١-١) من م و مد، وفي الأصل و ظ : موصلها على مفصلها (٢-٢) في م
 و مد : بأول (٣-٣) في م و مد : ولي التوفيق .

سورة الزخرف

مقصودها البشارة بأعلاء هذه الأمة بالعقل والحكمة حتى يكونوا 'أعلى
 الأمم في' العلم وما ينشأ عنه شأنًا لأن 'هدايتهم بأمر لدني' هو من أغرب
 الغريب الذي هو للخواص، فهو في الرتبة الثانية من الغرابة وأن ذلك
 أمر لا بد لهم منه وإن اشتدت قسوتهم منه وإعراضهم عنه وأنه لذكر لك
 ولقومك حتى [تكونوا -^١] أهلاً للجنة وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذذ
 الأعين وأتم فيها خالدين، ولم يقل: وم، وعلى ذلك دلت تسميتها
 بالزخرف لما في آيتها من أنه [لو -^٢] أراد أن يعم الكفر جميع الناس
 لهم بسبوغ النعم، ولكنه لم يعمهم بذلك، بل قات بينهم فأقر
 بعضهم وأكثر نوسهم وضرهم وفرق أمرهم، ليسهل ردمهم عن الكفر
 الذي أدتهم إليه طبائعهم وحظوظهم وقائصهم بما يشهدون من قباحة
 الظلم والمعدوان إلى ما يرونه من محاسن الدين والإيمان. ولذة الخضوع
 للملك الديان، فتخضع لهم الملوك [و -^٣] الأعيان، ويصير لهم الفرقان
 على جميع أهل العصيان (بسم الله) الذي له مقاليد الأمور كلها فهو

(١) الثلاثة والأربعون من سور القرآن الكريم مكية، وعدد آياتها تسع
 وثمانون عند الجمهور، وثمان وثمانون عند الشامي - كما في الدر المنثور ٦/٣٩٢.
 (٢-٢) من م ومد، وفي الأصل و ظ : على (٣-٣) من م ومد، وفي
 الأصل و ظ : هذا الاسم بأمر الذي (٤) زيد من م ومد (٥) من م ومد، وفي
 الأصل و ظ : أمرهم (٦) من م ومد، وفي الأصل و ظ : خوضهم.
 (٧-٧) من ظ وم ومد، وفي الأصل : نصرهم العرفان.

يعلى^١ من شاء^٢ وإن طال سفوله ﴿الرحمن﴾ الذى نال بره جميع خلقه
على حسب منازلهم غنده ﴿الرحيم﴾ الذى يقبل بمن^٣ شاء^٤ إلى^٥ ما
يقربه لديه زلفى وإن وصل فى البعد إلى الحد الأقصى ﴿حَمَّ٥﴾ حكمة
محمد التى أوحاها الله إليه .

ولما قدم آخر تلك أنه جعل ما أوحى إليه صلى الله عليه وسلم ه
نورا يهذى به من يشاء . وكان قد تقرر^٦ فى السور الماضية ما له من
الجلالة بأنه تنزيله ، وختم بأنه لا أمر^٧ يخرج عنه^٨ سبحانه إشارة [إلى
أنه -^٩] يردم عن غيهم وكانوا يمكرون أن يرجعوا ، فاقضى الحال غاية
التأكيد ، وكان إقسام الله تعالى بالاشياء إعلاما بجلالة ما فيها من الحكم^{١٠}
وتنبيهها على النظر فيما أودعها من الأسرار التى أهلها للإقسام بها ، ١٠
افتتح هذه بتعظيم^{١١} هذا الوحي بالإقسام به حثا على تدبر^{١٢} ما فيه من^{١٣}
الوجوه التى أوجبت أن يكون قسما^{١٤} ثم تعظيم أثره^{١٥} فقال : ﴿والكتب﴾

(١) من م ومد ، وفى الأصل وظ : يعطى (٢) من م ومد ، وفى الأصل
وظ : يشاء (٣) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : ما (٤) من مد ، وفى الأصل
وظ وم : يشاء (٥) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : على (٦) من م ومد ،
وفى الأصل وظ : الى ما (٧) فى م : تقدم (٨-٨) من ظ وم ومد ، وفى
الأصل : محر (٩) زيد من م ومد (١٠) من ظ وم ومد ، وفى الأصل :
الكلمات المودعة للحكم (١١) من مد ، وفى الأصل وظ وم : بالتعظيم .
(١٢) من م ومد ، وفى الأصل وظ : تدبر (١٣) من م ومد ، وفى
الأصل وظ : ما (١٤-١٤) من م ومد ، وفى الأصل وظ : لم يعظم نصره .

أى وإعجاز هذا الجامع لكل خير وغير ذلك من أنواع عظمته
 ﴿المبين﴾ أى البين فى نفسه ، المبين لجميع ما فيه من العظمة و الشرائع
 و السنن / ، و اللطائف و المعارف و المنن ، يانا عظيما شافيا .

/ ٦٧٣

و لما كانوا^١ ينكرون أن يرجعوا به عما هم فيه ، و أن يكون من
 عند الله ، أكد ما يكذبهم من قوله فيما مضى آخر الشورى^٢ أنه نور
 و هدى و روح معبرا^٣ بالجعل لذلك^٤ دون الإنزال^٥ لأنه قد دل^٦ عليه
 جميع السور الماضية تارة بلفظه^٧ و أخرى بلفظ الوحي ، فقال مقسما
 بالكتاب على عظمة الكتاب ، قال^٨ السمين : و من البلاغة عندهم كون
 القسم و المقسم عليه من واد واحد ، و هذا إن أريد بالكتاب القرآن
 ١٠ [فان -^٩] أريد به أعم منه كان بعض القسم به ، و صرف القول إلى
 مظهر العظمة تشريفا للكتاب^{١٠} : ﴿ انا جعلته ﴾ أى صيرناه و وضعناه
 و سميناه مطابقة لحاله بالتعبير عن معانيه بما لنا من العظمة ﴿ قرءنا ﴾ أى
 مع كونه بمجموع الحروف و المعانى^{١١} جامعا ، و مع كونه جامعا فارقا بين

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الستر (٢) من ظ و م و مد ، و فى
 الأصل : كان هؤلاء (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : السورة (٤) من
 و مد ، و فى الأصل و ظ و م : معبرا (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ :
 كذلك (٦-٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : قد دل (٧) من م و مد ،
 و فى الأصل و ظ : بلفظ (٨) فى الأصل بياض ملاءته من ظ و م و مد .
 (٩) زيد من م و مد (١٠) زيد فى الأصل و ظ : فقال تعالى ، و لم تكن
 الزيادة فى م و مد فحذفناها (١١) زيد فى الأصل : مطابقة لحاله ، و لم تكن
 الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

المتبسات (عربيا) أى جاريا على قوانين لسانهم فى الحقائق والمجازات
والمجاز فيه أغلب لأنه أبلغ ولا سيما الكنايات^١ والتمثيلات، وصرف
القول عن تخصيص نبيه صلى الله عليه وسلم بالخطاب إلى خطابهم تشريفا
له صلى الله عليه وسلم ولهم [فيما -^٢] يريد بهم وتفيها على سفول
أمرهم فى وقت نزولها فقال: (لعلكم تعقلون ع) أى لتكونوا أيها العرب ه
على رجاء [عند -^٣] من يصح منه رجاء^٤ من أن تعقلوا أنه من عندنا
لم تبغوا له أحدا علينا وتفهموا معانيه وجميع ما فى طاقة البشر بما يراد
به من حكمه وأحكامه، وبديع وصفه ومعجز وصفه ونظامه، فترجعوا
عن كل ما أتم فيه من المغالبة، ولا بد أن يقع هذا الفعل، فإن القادر
إذا عبر بأداة الترجى حقق ما [يقع -^٥] ترجيه، ليكون بين كلامه ١٠
وكلام العاجز فرق. وسيلغ هذا الجامع أقصاكم كما عرض على أدناكم
وكل منكم [يعلم -^٦] أنه عاجز عن مباراة^٧ آية منه فى حسن معناها،
وجزالة ألفاظها وجلالة سبكها، ونظم كل كلمة منها بالمحل الذى لا يمكن
زحزحتها عنه بتقديم ولا تأخير، ولا أن يبدل شىء منها بما يودى
معناه أو يقوم مقامه، كما أن ذلك فى غاية الظهور فى موازنة " فى ١٥
القصاص حياة " مع " القتل أنقى للقتل " وذلك بعض آية فكيف بآية

- (١) من ظ و م و مد، وفى الأصل: الآيات (٢) زيد من ظ و م و مد
(٣) من ظ و م و مد، وفى الأصل: جا (٤) من ظ و م و مد، وفى
الأصل: حر (٥) من ظ و م و مد، وفى الأصل: مبارزة .

فما فوقها فتخضع له جبارة ألبابكم وتسجد له جباه عقولكم، وتذل
لعزته شوامخ أفكاركم، فتبادرون إلى تقبله وتسارعون إلى حفظه وتحمله
علما منكم [بأنه نخر لكم لايقاربه نخر، و عز لا يدانيه عز، ثم يتأمل
الإنسان منكم -^٢] من خالفه [فيه -^٢] من بعيد أو قريب ولد أو والد^٢
ه إلى أن تدن له الخلائق، وتتصاغر لعظمته الجبال الشواحق، والآية
ناظرة إلى آية فصلت "ولو جعلنا قرآنا أعجميا لقالوا" - الآية .

/ ٦٧٤

ولما كانوا ينكرون تعظيمه عنادا وإن كانوا / يقرون بذلك في
بعض الاوقات، قال مؤكدا لذلك وتبيينها على أنه أهل لأن يقسم به،
وزاد في تعظيمه لأنه لا كلام يشبهه، بل ولا يدانيه بوجه^٢ : (وأنه)
١٠. أى القرآن، و قدم الظرفين على الخبر^٢ المقترن باللام اهتماما بهما ليفيد
بادئى بدء أن علوه وحكمته ثابتة [فى -^٨] الام وأن الام فى غاية
"الغربة عنده" (فى ام الكشب) [أى -^٨] كائنا فى "أصل كل
كتاب سماوى، وهو اللوح المحفوظ، وزاد فى شرفه بالتعبير بلدى التى
هى [لخاص -^٨] الخاص وأغرب^٢ المستغرب ونون العظمة فقال

(١) من م ومد، وفى الأصل وظ : حياة (٢) زيد من ظ وم ومد (٣) من
م ومد، وفى الأصل وظ : والدا (٤) زيد فى الأصل : الشوامخ، ولم
تكن الزيادة فى ظ وم ومد فحذفناها (٥) سقط من م (٦) زيد فى الأصل :
من الوجوه، ولم تكن الزيادة فى ظ وم ومد فحذفناها (٧) من م ومد،
وفى الأصل وظ : الجراء (٨) زيد من م ومد (٩ - ٩) من م ومد، وفى
الأصل وظ : عنده (١٠) زيد فى الأصل : أى، ولم تكن الزيادة فى ظ وم
ومد فحذفناها (١١) من م ومد، وفى الأصل وظ : اعرض .

مرتبا

(٩٥)

٣٨٠

مرتبا للظرف على الجار ليفيد أن أم الكتاب من أغرب الغريب الذي عنده ﴿لدينا﴾ على ما هو عليه هناك ﴿لعلى﴾ .

ولما كان العلى قد يتفق علوه ولا تصحبه في علوه حكمة، فلا يثبت

له علوه، فيتهور بنيانه وبقص سقوله ودنوه، قال: ﴿حكيم﴾ أي

بليغ في كل من هاتين الصفتين راسخ فيهما رسوخا لا يدانيه [فيه - ١] ٥

كتاب فلا يعارض في على لفظه، ولا يبارى في حكمه معناه، ويعلو

ولا يعلى عليه بنسخ ولا غيره، بل هناك مكتوب بأحرف و عبارات

فائقة راتقة تعلو عن فهم أعقل العقلاء، ولا يمكن بوجه أن يبلغها أنبل

النبلاء، إلا بتفهم العلى الكبير، الذى هو على كل شىء قدير .

وقال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: لما أخبر سبحانه بامتحان خلفه ١٠

بنى إسرائيل في شكهم في كتابهم بقوله: "وإن الذين أورثوا الكتاب

من بعدهم لنى شك منه مريب" ووصى نبيه صلى الله عليه وسلم بالتبرئ

من سبى حالهم والتزهد عن سوء محالهم فقال "ولا تتبع أهواءهم وقل

'أمت بما أنزل الله من كتب' الآية، وتكرر الثناء على الكتاب العربى

كقوله "وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا" وقوله "الله الذى أنزل ١٥

الكتاب بالحق والميزان"، [وقوله - ٢] "وكذلك أوحينا إليك روحا

(١) من م ومد، وفى الأصل وظ: هنا (٢) زيد من م ومد (٣) من

م ومد، وفى الأصل وظ: ولا (٤ - ٤) فى الأصل وظ بياض ملائمة من

م ومد (٥) فى م: أو (٦) من ظ وم ومد، وفى الأصل: حلوه (٧) من

م ومد، وفى الأصل وظ: سوء .

من أمرنا ما كنت تدري ما الكُتِبَ ولا الإيمان و لكن جعلته نوراً
 نهدي به من نشاء من عبادنا - إلى آخر السورة، أعقب ذلك بالقسم به
 وعضم الثناء عليه فقال "لحمّ والكُتِبَ المبين انا جعلته قوفاً عربياً
 لعلمكم تعقلون وانه في ام الكُتِبَ لدينا اعلى حكيم" ولما أوضح عظيم
 ٥ حال الكتاب و جليل نعمته به، أردف ذلك يذكر سعة عفوه و جيل
 إحسانه إلى عباده و رحمتهم بكتابه مع إسرافهم و قبيح مرتكبهم فقال :
 "افضرب عنكم الذكر صفحا ان كنتم قوما مسرفين" ولما قدم في
 الشورى قوله "لله ملك السموات والارض يخلق ما يشاء يهب لمن
 يشاء اناثا و يهب لمن يشاء الذكور او يزوجهم ذكرانا و اناثا و يجعل
 ١٠ من يشاء عقيماً" فأعلم أن ذلك إنما يكون بقدرته و إرادته، و الجارى
 على هذا أن يسلم الواقع من ذلك و يرضى بما قسم و اختار، عنف تعالى
 في هذه السورة من اعتدى و زاغ فقال / "و اذا بشر احدكم بما ضرب
 للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا و هو كظيم" فكمل الواقع هنا بما تعلق
 به، وكذلك قوله تعالى "ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض"
 ١٥ و قوله في الزخرف "[و-]" لولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا
 لمن يكفر بالرحمن ليوثهم سفقا من فضة " إلى آخره - انتهى.

/ ٦٧٥

(١) من م و مد ، وفي الأصل وظ : رحمهم (٢) زيد في الأصل : إلى آخره ،
 و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فخذناها (٣) من م و مد ، وفي الأصل :
 وظ : زاعج (٤) زيد من م و مد (٥-٥) سقط ما بين الرقيين من ظ و م و مد .

ولما

ولما أفهم تكبير هذا التأكيد أنهم يطعنون في علاه، و يقدهون
 في يدع علاه، فعل من يكرمه و يباه، إرادة للإقامة على ما لا يحبه الله
 و لا يرضاه، [قال - ١] منكرا عليهم: ﴿ انضرب ﴾ أى نهلكم فتنضرب
 أى تنحى و نسير [مجاوزين - ١] ﴿ عنكم ﴾ خاصة من بين بنى إبراهيم
 عليه الصلاة و السلام ﴿ الذكر ﴾ أى الوعظ المستلزم للشرف ﴿ صفحا ﴾ ٥
 أى بحيث يكون حالنا معكم حال المعرض المجانب بصفحة عنقه، فلا
 نرسل إليكم رسولا، و لا ننزل معه كتابا فهو مفعول له أى تضرب لأجل
 إعراضنا عنكم، أو يكون ظرفا بمعنى جانبا [أى تضربه عنكم جانبا - ١]،
 قال الجامع بين العباب و المحكم: [أضربت - ٢] عن الشيء: كسفت
 و أعرضت، و ضرب عنه الذكر و أضرب عنه: صرفه، و قال الإمام ١٠
 عبد الحق في الواعى: ١ و الأصل فى ضرب عنه الذكر أن الراكب إذا
 ركب دابته فأراد أن يصرفه عن جهته ضربه بعصاه ليعدله عن جهته
 إلى الجهة التى يريد، فوضع الضرب فى موضع الصرف و العدل، قال
 الهروى: قال الأزهري: يقال: ضربت عنه و أضربت بمعنى واحد، و نقل
 النواوى عنه [أنه - ٢] قال: إن المجرد قليل، فالحاصل أن الضرب ١٥

- (١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: انتهمكم .
 (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: اعراض (٤) زيد من م و مد (٥) من
 م و مد، و فى الأصل و ظ: اكسفت (٦-٧) سقط ما بين الرقيين من م .

إيقاع شيء على آخر بقوة، [فجردة -^١] متعد^٢ إلى واحد، فان عدى^٣
إلى آخر به وعز، ضمن معنى الصرف، وإذا زيدت^٤ همزة النقل فقيلاً:
أضربت عنه، أفادت الهمزة قصر الفعل، وأهملت إزالة الضرب،
فمعنى الآية: أفضرِب صارفين عنكم الذكر صفحا، أى معرضين إعراضا
٥ شديدا حتى كأننا ضربنا الذكر لينصرف عنكم معرضا كاعراض من ولى
[إلى -^١] صفحة عنقه، ثم علل إرادتهم هذا الإعراض بما يقتضى
الإقبال بهذاب^٥ أو متاب^٥ فقال: (ان) أى أنفعل ذلك لأن
(كنتم قوما مسرفين^٥) أى لأجل أن كان الإسراف جبلة لكم وخلقاً
راسخاً، وكنتم قادرين على القيام به فى تكذيب الرسول صلى الله عليه
١٠ وسلم والقدح فيما يأتى به والاستهزاء بأمره بترككم خشية من شدتكم
أو رجاء من غير تذكير لتوبتكم^٦ وقد جعل حينئذ المقتضى مانعاً، فان
المسرف أجدر بالتذكير وأحوج إلى الوعظ، هذا إن^٧ كان مقرباً،
وأما البعيد فانه لا يلتفت إليه من أول الامر، بل لو أراد القرب
طرد، وعلى قراءة نافع وحزة والكسائى^٨ بكسر، ان، على كونها شرطية
١٥ يكون الكلام مسبوقاً على غاية ما يكون من الإنصاف، فيكون المعنى:

(١) زيد من م ومد (٢) من ظ ومد، وفى الأصل وم: معتد (٣) من ظ
ومد، وفى الأصل وم: عدا (٤) من م ومد، وفى الأصل وظ: أريد.
(٥ - ٥) من م ومد، وفى الأصل وظ: ام تاب (٦) من م ومد، وفى
الأصل وظ: اى (٧) من م ومد، وفى الأصل وظ: لسوكم (٨) ف
م: إذا (٩) راجع نثر المرجان ٦ / ٣٩٤.

أترككم (٩٦)

٦٧٦ /

أترككم مهملين فتحنى عنكم الذكر و الحال أنكم قوم يمكن أن تكونوا متصفين بالإسراف، يعنى أن المسرف أهل لأن يوعظ و يكلم بما يريده عن الإسراف^١، و أتم و إن ادعيتكم أنكم مصلحون / لا تقدررون أن تدفعوا عنكم إمكان الإسراف فكيف يدفع عنكم إزال الذكر الواعظ و أتم بحيث يمكن أن تكونوا مسرفين [فحتاجوا إليه^٢] - هذا ما لا يفعله ه حكيم في عبادته، بل هو سبحانه للطفه و زيادة به لا يترك دعاء عباده إلى رحمته^٣ و إن كانوا مسرفين قد^٤ أمعنوا في الشراد^٥، و الجحد و العناد، فيدعوم بأبلغ الحجة ، و هو هذا القرآن الذى هو أشرف الكتاب على لسان هذا النبى الذى هو أعظم^٦ الرسل ليهتدى من قدرت هدايته و تقوم^٧ الحجة على غيره .

١٠

و لما كان المعنى أن لا تترككم هملا ، كان كأنه قيل : هيهات منكم فلترفعنكم^٨ كما رفعنا بنى إسحاق من^٩ إسرائيل و عيسو عليهم الصلاة و السلام ، فلقد^{١٠} أرسلنا إليكم^{١١} مع أنكم أعلى الناس رسولا هو أشرفكم نسبا و أذكاكم

(١) زيد في الأصل : فكيف يدفع عنكم ، ولم تكن الزيادة في ظ و م و مد
لخذفناها (٢) زيد من ظ و م و مد ، و زيدت الواو بعده في الأصل ،
و لم تكن في ظ و م و مد لخذفناها (٣) من م و مد ، و في الأصل و ظ :
رحمة (٤ - ٥) من م و مد ، و في الأصل : أسنوا في الإسراف ، و في ظ :
أسنوا في الشراد (٥) زيد في الأصل و ظ : الأنبياء ، و لم تكن الزيادة في م
و مد لخذفناها (٦) من م و مد ، و في الأصل و ظ : يترك (٧) من م و مد ،
و في الأصل و ظ : فلترفعنكم (٨) من م و مد ، و في الأصل و ظ : عن نبى .
(٩ - ١٠) من ظ و م و مد ، و في الأصل : أرسلناك إليهم .

نفسا و أعلامكم همه و أرجحكم عقلا و أوفاكم أمانة و أكرمكم خلقا
و أوجهكم عشيرة، فعطف قوله تأييدا للنبي صلى الله عليه و سلم و تأسية
و تعزية و تسلية : ﴿ و كم أرسلنا ﴾ [أى - ١] على ما لنا من القعدة على ذلك
و العظمة الباهرة المقتضية لذلك^٢ .

٥ و لما كان الإرسال يقع على أنحاء من الأشكال، ميزه بأن قال :
﴿ من نبي في الأولين ﴾ ثم حكى حالهم الماضية إشارة إلى استمرار^٣
حال الخلق على هذا فقال : ﴿ و ما ﴾ أى و الحال أنه ما ﴿ ياتيهم ﴾
و أعرق في النبي بقوله : ﴿ من نبي ﴾ أى في أمة بعد أمة و زمان بعد
زمان ﴿ الا كانوا ﴾ أى خلقا و طبعا ' و جملة ' ﴿ به يستهزون ﴾ كما
١٠ استهزئ قومك، و تقديم الظرف للإشارة إلى [أن - ١] استهزاءهم به
لشدة مباغتتهم فيه كأنه مقصور عليه .

و لما كان الاستهزاء برسول الملك استهزاء به، وكانت الممالك إنما
تقام بالسياسة بالرغبة و الرهبة و إيقاع الهيبة حتى يتم الجلال و تثبت^٤
العظمة، فكان لذلك لا يجوز في عقل عاقل أن يقر^٥ ملك على الاستهزاء
١٥ به، سبب عن الاستهزاء بالرسول الهلاك فقال : ﴿ فاهلكنا ﴾ و كان
الأصل الإضمحار، ولكنه أظهر الضمير بيانا لما كان^٦ في الأولين^٧ من

(١) زيد من م و مد (٢-٣) في ظ و م و مد : العظمة (٣) من ظ و م
و مد، و في الأصل : استمراد (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد
(٥) من م و مد، و في الأصل و ظ : تبعث (٦) من م و مد، و في الأصل
و ظ : كذلك (٧) من ظ و م و مد، و في الأصل : يفي (٨) من م و مد،
و في الأصل و ظ : كانوا (٩) زيد في الأصل : عليه، و لم تكن الزيادة في ظ
و م و مد فحذفناها .

الضخامة صاروا أسلوب الخطاب إلى الغيبة إقبالا على نفيه صلى الله عليه وسلم تسلية له وإبلاغا في وعيدهم فقال: ﴿أشد منهم﴾ أى من قريش الذين يستهزئون بك ﴿بطشا﴾ من جهة العد والعدد والقوة والجلد فإظنهم بأنفسهم وهم أضعف منهم إن تبادوا في الاستهزاء برسول الملك الأعلى .

٥

ولما ذكر إهلاك أولئك ذكر أن حالهم عند الإهلاك كان أضعف حال ليحتمل هؤلاء فقال: ﴿ومضى مثل الأولين﴾ [أى - ١] وقع إهلاكهم الذى كان مثلا يتمثل به من بعدهم، وذكر أيضا [فى - ١] القرآن الخبر عنه بما حقه أن يشير مشير المثل بل ذكر أن من عبده الأولون واعتمدوا عليه مثل بيت العنكبوت فكيف بالأولين أنفسهم ١٠ فكيف هؤلاء، فإن الحال أدى إلى أنهم أضعف / من الأضعف من بيت العنكبوت فليستظروا أن يحل بهم مثل ما حل بأولئك، بأيدي جند الله [من - ٢] البشر أو الملائكة .

٦٧٧ /

و [لما - ١] كان التقدير: فأن سألهم عن سمعوا بخبره من ذكرناهم من الأولين ليعترفوا بما سمعوا من خبرهم لأننا لم نجعل لهم على المباحة ١٥ فيه جرأة لما طبعناهم عليه فى أغلب أحوالهم من الصدق، عطف

(١) زيد من ظ و م و مد (٢-٢) من م و مد، وفى الأصل و ظ : انقسم.

(٣) زيد من م و مد (٤) من م و مد، وفى الأصل و ظ : الملائكة (٥) من

م و مد، وفى الأصل و ظ : فليس (٦) من ظ و م و مد، وفى الأصل :

ليعرفوا (٧) من م و مد، وفى الأصل و ظ : الماهية (٨) زيد فى م : معظم .

عليه قولهم مينا لجهلهم بوقوعهم في التناقض مؤكدا له^١ لما في اعترافهم به من العجب المنافي لخالصهم: ﴿ ولئن سألتهم ﴾ أيضا عما هو أكبر من ذلك وأدل على القدرة ، وجميع صفات الكمال فقلت لهم : ﴿ من خلق السموات ﴾ على علوها وسعتها ﴿ والارض ﴾ على كثرة عجائبها وعظمتها ﴿ ليقولن ﴾ أى من غير توقف .

ولما كان السؤال عن^٢ المبتدأ ، كان الجواب المطابق ذكر الخبر ، فكان الجواب هنا : الله - كما في غيره من الآيات ، لكنه عدل عنه إلى المطابقة المعنوية لافنا القول عن مظهر العظمة إلى ما يفيد من الأوصاف^٣ القدرة على كل شيء ، وأنه تعالى يغلب كل شيء ، ولا يغلبه شيء .

١٠ مكررا للفعل تأكيذا لاعترافهم بزيادة تويخهم وتنبها على عظيم غلطهم ، فقال معبرا بما هو لازم لاعترافهم^٤ له سبحانه بالتفرد بالإيجاد^٥ لأنه أنسب الأشياء لمقصود السورة واللاباتة^٦ التي هي مطلعها . ﴿ خلقهن ﴾ الذى هو موصوف بأنه ﴿ العزيز العليم ﴾ أى الذى يلزم [المعترف -^٧] باسناد هذا الخلق إليه أن يعترف بأنه يغلب^٨ كل شيء ولا يغلبه شيء .

(١) من م ومد ، وفي الأصل وظ ولهم (٢) من م ومد ، وفي الأصل وظ ولهم (٣) من م ومد ، وفي الأصل وظ : أوصاف (٤) زيد في الأصل وظ : على (٥) من م ومد ، ولم تكن الزيادة في م ومد لخصفناها (هـ) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : مكر العفل بالا (٦-٧) سقط ما بين الرقين من م (٧) زيدت الواو في الأصل ولم تكن الزيادة في ظ وم ومد لخصفناها (٨) من م ومد ، وفي الأصل وظ : الإبانة (٩) زيد من م ومد (١٠) زيد في الأصل : على ، ولم تكن الزيادة في ظ وم ومد لخصفناها .

وأن

(٩٧)

٣٨٨

وأن علمه محيط بكل شيء، فيقدر على [إيجاداه على - '] وجه من
البداعة [ثم - '] على أكمل منه ثم أبهج منه و هلم جرا إلى ما لا نهاية
له^٢ - هذا هو الالقي بكال ذاته و جليل صفاته، ونعوذ بالله من عمي
المعزلة و الفلاسفة أصحاب الأذهان الجامدة و العقول الكاسدة و العرب
الجهلهم يعبدون مع اعترافهم بهذا غيره، و ذلك الغير لا قدرة له على شيء ٥
أصلا، و لا علم له بشيء أصلا، فقد كسر^٢ هذا السؤال بجوابه حجتهم،
و بان به غلطهم و فضيحتهم، حتى بان لأولى الالباب أنهم معاندون .
و لما كان جوابهم بغير هاتين الصفتين و دل بذكرهما على أنها
لازمان [لاعترافهم - '] تنبها لهم على موضع الحجة، أتبعهما^١ من
كلامه دلالة على ذلك قوله التفاتا إلى الخطاب لأنه أمكن في التقرير ١٠
و التويخ و التشنيع و تذكيرا لهم بالإحسان الموجب للاذعان و تفصيلا
للقدره : ﴿الذي جعل لكم﴾ فإنه لو كان ذلك قولهم لقالوا لنا
﴿الارض مهدا﴾ أى فراشا، قارة ثابتة و طية^٣، و لو شاء لجعلها منزللة
لاثبت فيها شيء^٤ كما ترون من بعض الجبال، أو جعلها مائدة لا تثبت
لكونها على تيار الماء، و لما جعل الأرض قرارا لأشباحكم جعل الأشباح ١٥
قرارا لأرواحكم و طوقها حمل قرارها و قوة التصرف به في حضورها

(١) زيد من م و مد (٢) زيدت الواو في الأصل و لم تكن في ظ
و م و مد فحذفناها (٣) من ظ و م و مد، و في الأصل : كبر (٤) من م
و مد، و في الأصل و ظ : أتبعها (٥) من ظ و م و مد، و في الأصل : والمية .
(٦) من م و مد، و في الأصل و ظ : شيئا .

وأسفارها ليدلكم [ذلك - ١] على تصرفه سبحانه في الكون و تصرفه له حيث أراد، وأنه الظاهر الذي لا أظهر منه و الباطن الذي لا أبطن منه^١، قال القشيري: فإذا انتهى مدّة كون النفوس على الأرض حكم الله بخرابها، كذلك^٢ / إذا فارقت الأرواح الأشباح بالكلية قضى الله بخرابها^٣،
 ٥ ° وأعاد الفعل تنبيها على تمكّنه تعالى من إقامة الأسباب لتيسير الأمور الصعاب إعلاما بأنه لا يعجزه شيء^٤: ﴿ وجعل لكم فيها سبلا ﴾ أى طرقا تسلكونها^٥ بين الجبال و الأودية^٦، ولو شاء لجعلها بحيث لا يسلك في مكان منها [كما - ١] جعل بعض الجبال كذلك^٧، ثم ذكر العلة الغائية في ذلك فقال: ﴿ لعلمكم تهتدون ﴾^٨ أى ليكون خلقنا لها كذلك^٩ ١٠. جاعلا حالكم حال من يرجى له الهداية إلى مقاصد الدنيا في الأسفار و غيرها ظاهرا^{١٠} فتوصلون بها إلى الأفطار الشاسعة و الأقاليم الواسعة للامور الرافقة النافعة^{١١}، [فانها إذا تكرّر سلوكها صار لها من الآثار الناشئة من كثرة التكرار ما يهدى كل مار - ١١] و إلى المقاصد الأخرى و حكمتها^{١٢}

(١) زيد من م و مد (٢) زيد في الأصل: انتهى، ولم تكن الزيادة في ظ و م و مد فخذناها (٣) في م: ذلك (٤) من م و مد، وفي الأصل و ظ: بجزائها (٥-٥) وقع ما بين الرقين في الأصل و ظ قبل « و لو شاء لجعلها » و الترتيب من م و مد (٦) من م و مد، وفي الأصل و ظ: لتسلكونها . (٧-٧) وقع ما بين الرقين في الأصل و ظ بعد « قضى الله بخرابها » و الترتيب من م و مد (٨) في م: ذلك (٩) سقط من م (١٠-١٠) سقط ما بين الرقين من م (١١) زيد من م (١٢) من ظ و مد، وفي الأصل و م: حكما .

باطنا إذا تأمل الفطن حكمة مسخرها و واضعها^١ و ميسرها^٢ .

و لما كان إزال الماء من العلو في غاية العجب لاسيما إذا^٣ كان
في وقت دون وقت، و كان إنبات النبات به أعجب، و كان دالا على
البعث و لا بد، و كان مقصود السورة أنه لا بد من ردهم^٤ عن عنادهم بأعظم
الكفران إلى الإيمان، و الخضوع له بغاية الإذعان، قال دالا على كمال
القدرة على ذلك و غيره بالتنبيه^٥ على كمال الوصف بالعطف و بإعادة الموصول
الدال على الفاعل المذكور بعظمته للتنبيه على أن الإعادة التي هذا دليلها
هي سر الوجود، فهي أشرف مما أريد من الآية الماضية بمهد الأرض
وسلك السبل : ﴿ والذي نزل ﴾ أى بحسب التدرج، و لو لا قدرته
الباهرة لكان دفعة واحدة أو قريبا منها ﴿ من السماء ﴾ أى المحل العالى ١٠
﴿ ماء ﴾ أعذبا لزروعكم^٦ و ثماركم و شربكم بأنفسكم و أنعامكم ﴿ بقدره ﴾
و هو بحيث ينفع الناس و لا يضر بأن يكون^٧ على مقدار حاجاتهم،
و دل على عظمة الإنبات بلفت القول إلى مظهر العظمة تنبيها على أنه
الدليل الظاهر على ما وصل [به - ^٨] من نشر الأموات فقال مسييا
عن ذلك : ﴿ فانشرونا ﴾ أى أحيينا، و المادة تدور على الحركة و الامتداد ١٥

(١) من م و مد، و في الأصل و ظ : وضعها (٢) من ظ و مد، و في
الأصل و م : مسيرها (٣) من م و مد، و في الأصل و ظ : ان (٤) من ظ
و م و مد، و في الأصل : و ردهم (٥) من م و مد، و في الأصل و ظ : من
التنبيه (٦-٦) من م و مد، و في الأصل و ظ : عنه لزروعكم (٧) من م
و مد، و في الأصل و ظ : كان (٨) زيد من م و مد .

و الانبساط (به) أى الماء (بلدة) أى مكاما^١ يجتمع الناس فيه
للاقامة معتنون باحيائه متعاونون على دوام إبقائه^٢ (مينا ج) أى كان قد
يس نياته و عجز أهله عن إيصال الماء إليه ليحيى به ، و اعله أنث البلد
و ذكر الميت إشارة إلى أن بلوغها فى الضعف و الموت بلغ الغاية بضعف
ه أرضه فى نفسها و ضعف أهله عن إحيائه و قحط الزمان و اضمحلال
ما كان به من النبات .

و لما كان لافرق بين جمع الماء للنبات من أعماق الأرض بعد
[أن -^١] كان ترابا من جملة ترابها و إخراجها كما كان رايا يهتز بالحياة على
هيئته و ألوانه و ما كان^٢ من تفاريعه أعصانه بأمر الله و بين جميع الله
١٠ تعالى لما تفتت من أحساد الآدميين و إخراجها كما كان بروحه و جميع
جواهره و أعراضه إلا أن الله قادر بكل اعتبار و فى كل وقت بلا شرط
أصلا ، و الماء لا قدرة له إلا بتقدير الله تعالى ، كان نفرا عظيما لأن^٣
تنزه الفرصة لتقدير ما هم له منكرون و به يكفرون من أمر البعث ،
فقال تعالى إيقاظا لهم من رقدتهم بعثا^٤ من موت / سكرتهم : (كذلك)
١٥ أى مثل هذا الإخراج العظيم لما تشاهدونه من النبات (تخرجون ه)
من الموت الحسى و المعنوى بأيسر أمر من أمره تعالى و أسهل شأن

/ ٦٧٩

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مكان (٢) من م و مد ، و فى الأصل
و ظ : بقاءه (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : جميع (٤) زيد من مد .
(٥) زيد فى الأصل : منه ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لخدائها (٦) من
مد ، و فى الأصل و ظ و م . لا (٧) من ظ و م و مد ، و فى
الأصل : بعثاهم .

فتخرجون

(٩٨)

٣٩٢

فخرجون في زمرة الأموات من الأرض ثانياً "فاذا أتم بشر تنشرون"
 وتخرجون من ظلمة الجهل إلى نور الإيمان فاذا أتم حكماء عالمون .
 ولما انتهزت هذه الفرصة ، وسوغ ذكرها ما أثره سوء اعتقادهم
 من عظيم الفضة ، شرع في إكمال ما يقتضيه الحال من الأوصاف ، فقال
 عائداً إلى أسلوب العزة والعلم للإيمان إلى الحث على تأمل الدليل على هـ
 بعث الأموات بانتشار الموات [معيدا للعاطف تنبيهاً - ٢] على كمال
 ذلك الوصف الموجب لتحقيق مقصود السورة من ٢ القدرة على ٢ ردم بعد
 صدم : ﴿ والذي خلق الأزواج ٥ ﴾ أى الأصناف المتشاكلات التي
 لا يكمل شئ منها غاية الكمال إلا بالآخر على ما دبره سبحانه في نظم هذا
 الوجود ﴿ كلها ﴾ من النبات والحيوان ، وغير ذلك من سائر الأكوان ، ١٥
 لم يشاركه في شئ منها أحد .

ولما ذكر الأزواج ، وكان المتبادر إلى الذهن إطلاقها على ما هو
 من نوع واحد ، دل على أن المراد ما هو أعم ، فقال ذاكر ما تشاكل
 في الحمل وتباين في الجسم : ﴿ وجعل لكم ﴾ لا تغيركم فاشكروه
 ﴿ من الفلك ﴾ أى السفن العظام في البحر ﴿ والآنعام ﴾ في البر ١٥
 ﴿ ما تكونون ﴾ وحذف العائد لفهم المعنى تغليبا للمتعدى بنفسه في
 الآنعام على المتعدى بواسطة في الفلك .

- (١) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : القصة (٢) زيد من م و مد .
 (٣-٢) تكرر ما بين الرقيين في الأصل و ظ (٤-٤) من م و مد ، وفي
 الأصل و ظ : و هم بعد ضرهم (٥) زيد في الأصل : كلها ، ولم تكن الزيادة
 في ظ و م و مد لاختصاص (٦) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : يشاء .

ولما ذكر النعمة الناشئة عن مطلق الإيجاد، ذكر بنعمة الراحة فيه^١ فقال معللا: ﴿لَتَسْتَوُوا﴾ أى تكونوا مع الاعتدال والاستقرار والتمكن والراحة ﴿على ظهوره﴾ أى ظهور كل من ذلك المجمعول، فالضمير عائد على ما جمع الظهر نظرا للغنى تكثيرا للنعمة، وأفرد الضمير ردا على اللفظ دلالة على كمال القدرة بعظيم التصريف برا وبحرا ٥

أو تنبيهها بالتذكير على قوة المركوب لأن الذكر أقوى من الأنثى.

ولما أتم النعمة بخلق كل ما تدعو إليه الحاجة^٢، وجعله على وجه دال على ما له من الصفات، ذكر ما ينبغى أن يكون من غايتها على ما هو المتعارف بينهم من شكر المنعم، فقال [دالا على عظيم ١٠ قدر النعمة وعلو غايتها وعلو أمر الذكر بحرف التراخي -^٣]:

﴿ثم تذكروا﴾ أى بقلوبكم، وصرف القول إلى وصف الترية حثا على تذكر إحسانه للانتهاء عن كفرانه والإقبال على شكرانه فقال:

﴿نعمة ربكم﴾ الذى أحسن إليكم بنعمة تسخيرها لكم وما تعرفونه من غيرها.

١٥ ولما كان الاعتدال عليه أمرا خارقا للعادة بدليل ما لا يركب من الحيوانات فى البر والجوامد فى البحر وإن كان قد أسقط العجب [فيه-^٤]

كثرة إلفه، ذكر به فقال: ﴿إذا استويتم عليه﴾ ولما كان تذكر النعمة

(١) سقط من م (٢) من ظ و م و مد، وفى الأصل: و تعظيم (٣-٢) من م و مد، وفى الأصل و ظ: الحاجة إليه (٤) زيد من م و مد.

يبعث الجنان واللسان [والاركان - ١] على الشكر لمن أسداها^١ قال :

﴿ وتقولوا ﴾ [أى - ١] بألستكم جمعا بين القلب و اللسان . ولما

كان الاستواء على ذلك مقتضيا لتذكر النقص بالاحتياج إليها في بلوغ

ما ركبت لأجله وفي الثبات عليها وخوف العطب منها وتذكر أن من

لا يزال يحسن / إلى أهل المعجز الذين هم [فى - ٢] قبضته ابتداء وانتهاء ه / ٦٨٠

من غير شئ يرجوه منهم لا^١ يكون إلا بعيدا من صفات الدناءة وأن

استواءه على عرشه ليس كهذا^٢ الاستواء المقارن^٣ لهذه النقائص^٤ وأنه

ليس كمثل شئ^٥، كان المقام للتنزيه [فقال - ٢] : ﴿ سنبحن الذى سخر ﴾

أى بعلبه الكامل وقدرته التامة ﴿ لنا هذا ﴾ أى الذى ركبناه سفينة

كان^٦ أودابة ﴿ وما ﴾ أى والحال أنا ما ﴿ كنا ﴾ ولما كان ا.١٠

[كل - ١] من الركوبين فى الواقع أقوى من الركاب، جعل عدم

إطاعتهم له [و - ١] قدرتهم عليه كأنه خاص به، فقال مقدما للجار

دلالة على ذلك : ﴿ له مقرنين لا ﴾ أى ما كان^٧ فى جبلتنا إطاعة أن

يكون قرنا له وحده لخروج قوته من بين ما نعالجه ونعانيه عن طاقتنا

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد، وفى الأصل : اهداها .

(٣) زيد من م و مد (٤) من م و مد، وفى الأصل و ظ : لان (ه) من

مد، وفى الأصل و ظ و م : هكذا (٦) من م و مد، وفى الأصل و ظ :

الموازن (٧) من م و مد، وفى الأصل و ظ : التعارض (٨) من م و مد،

وفى الأصل و ظ : كات (٩) زيد من مد (١٠) من م و مد، وفى الأصل

و ظ : كنا .

بكل اعتبار ولا مكافئين في القوة غالبين ضابطين، مطبقين من أقرن^١
الامر: أطاقه^٢ وقوى عليه فصار^٣ بحيث يقرنه بما شاء.

ولما كان كل راكب شيئا من 'هذين الصنفين' مستحضرا كل
حين أنه ينقلب بطن شقة أسفاره إلى محل قراره^٤، ذكرهم سبحانه
بذلك أن ظهر هذه الأرض لهم مثل ظهور السفن والدواب يسبحون
بها في لجج^٥ أمواج الزمان وتصاريف الحدثان، هم على ظهرها مسافرون،
والكنهم لطول الإلف عنه غافلون، وقليل ما يذكرون، وأنهم على
خطر فيما صاروا إليه من ظهور هذه الأشياء يوشك أن يكون سبب
موتهم ومثير^٦ هلكهم وقوتهم، فقال عاطفا على ما تقديره: فمن ربنا
١٠ كان ابتداءنا لا نعلم شيئا ولا نقدر على شيء، والآن نحن متى شئنا ساكنون،
ومهما أردنا منتشرون ﴿وانآ الى ربنا﴾ المحسن إلينا بالبداة والإقرار
على هذه التقلبات على هذه المراكيب لا إلى غيره ﴿لمنقلبون﴾ أي
اصارون^٧ ومتوجهون وسائرون بالموت وما بعده إلى الدار الآخرة
انقلابا لا أبواب معه إلى هذه الدار، فالآية منبهة بالسير الدنيوى على
١٥ السير الآخروى، وأكد لأجل إنكارهم للبعث حتى لا يزالوا مراقبين

(١) من م ومد، وفي الأصل و ظ : اقرا (٢) من م ومد، وفي
الأصل و ظ : الحاقه (٣) من ظ وم وميد، وفي الأصل : صار (٤-٥) من
ظ وم ومد، وفي الأصل هذه الأصناف (٥) من م ومد، وفي الأصل
و ظ : قرا (٦) من م ومد، وفي الأصل و ظ : الحجج (٧) من م ومد،
وفي الأصل و ظ : مشير (٨) من م ومد، وفي الأصل و ظ : صائرون.
للتعم (٩٩) ٣٩٦

للعلم عليهم، ويجوز أن يكون المعنى أنه لما أمرهم بالمراقبة على نعمة الركوب، عبر بالانقلاب تذكيراً بنعمته عليهم في حال الدعة والسكون قبل الانقلاب وبعده، أي وإنا^١ بعد رجوعنا إلى نعمة ربنا لمنقلبون أي إنا في نعمة في كل حال، روى أحمد وأبو داود والترمذي^٢ - وقال: حسن صحيح - والنسائي عن علي رضي الله عنه أنه وضع رجله في هـ الركاب وقال: بسم الله، فلما استوى على الدابة قال: الحمد لله الذي سخر لنا هذا - الآية، ثم حمد الله ثلاثاً وكبر ثلاثاً ثم [قال -^٣]: سبحانك لا إله إلا أنت ظلمت نفسي فاغفر لي، ثم ضحك، وأخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم فعل مثله، وقال: يعجب الرب من عبده إذا قال: رب اغفر لي ويقول: علم عبدي أنه لا يغفر الذنوب غيري. روى أحمد^٤ ١٠ عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوردته على دابة، فلما استوى عليها كبر / ثلاثاً وحمد الله ثلاثاً وسبح ثلاثاً / ٦٨١ / وهلل الله واحدة^٥ ثم استلقى عليه فضحك ثم أقبل [على -^٦] فقال: ما من امرئ مسلم^٧ ركب دابته فيصنع كما صنعت إلا أقبل الله عليه يضحك [إليه -^٨] كما ضحكت إليك: وروى أحمد^٩ ومسلم وأبو داود ١٥

(١) ومن هنا انقطعت نسخة م اقطاعاً طويلاً سغفبه على استثنائها (٢) راجع ١٨٢/٢ باب ما جاء ما يقول إذا ركب دابة (٣) زيد من مد (٤) من مد والترمذي، وفي الأصل و ظ: سبحان الله (٥) راجع ١ / ٣٣٠ (٦) من مد والسند، وفي الأصل و ظ: وحده (٧) زيد من مد والسند (٨) ليس في السند (٩) في مسنده ١٤٤ / ٢ .

نظم الدرر (سورة الزخرف ٤٣ : ١٥ و ١٦) ج - ١٧

والنسائي و الترمذى عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا ركب راحلته كبر ثلاثا ثم قال : سبحن الذى سخر لنا هذا - الآية ، ثم يقول : اللهم إني أسألك فى سفرى هذا البر و التقوى و من العمل ما ترضى اللهم هون علينا السفر و اطو لنا البعيد ، اللهم أزيه صاحب د فى السفر و الخليفة فى الأهل ، اللهم اصحبنا فى سفرنا و اخلفنا فى أهلنا ، و كان إذا رجع إلى أهله قال : آتون تائبون إن شاء الله عابدون لربنا حامدون . و روى أحمد^٢ عن أبي لاس^٢ الخزاعى رضى الله عنه قال : حملنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على إبل من إبل الصدقة إلى الحج ، فقلنا : يا رسول الله ! ما نرى أن تحملنا هذه ، فقال : ما من بعير إلا فى ١٠ ذروته شيطان فاذكروا اسم الله عليها إذا ركبتموها كما أمركم ثم افتهنوها لا تنفسكم فانما يحمل الله عز و جل .

و لما علم بهذا الاعتراف منه و ما تبعه من التقريب أن العالم كله متزاج بتسخير بعضه لبعض ، ثبت أن خالقه مبين له لا يصح أصلا أن يكون محتاجا بوجه لأنه لا مثل له أصلا ، كان موضع التعجب من ١٥ نسبتهم الولد إليه سبحانه : فقال لافتا القول عن خطابهم للاعراض المؤذن بالغضب : ﴿ وجعلوا ﴾ أى و لئن سألتهم ليقولن [كذا - ^١] اللازم منه قطعا لأنه لا مثل ﴿ له ﴾ و الحال أنهم نسبوا له و صيروا^٢ بقولهم قبل

(١) من ظ و مد و المسند ، و فى الإصل : اختلطنا (٢) راجع مسنده ٤ / ٢٢١ .

(٣) من ظ و مد و المسند ، و فى الأصل : أن لانه (٤) فى المسند : امرتكم .

(٥) من مد و المسند ، و فى الأصل و ظ : أشتهوها (٦) زيد من ظ و مد .

(٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : صبوا .

سؤالك إياهم نسبة هم حاكون بها حكما لا يتمارون فيه كأنهم متمكنون من ذلك تمكن الجاعل فيما يجعله (من عبادة) الذين أبدعهم كما أبدع غيرهم (جزءه) أى ولده هو لخصرهم إياه فى الانثى أحد قسمى الأولاد، وكل ولد فهو جزؤ من والده، ومن كان له جزؤ كان محتاجا فلم يكن لإلهاء وذلك لقولهم: الملائكة بنات الله، ثبت بذلك ه طيش عقولهم و سخافة آرائهم .

ولما كان هذا فى غاية الغلظة من الكفر، قال مؤكدا لإنكارهم أن يكون عندهم كفر: (ان الانسان) أى هذا النوع الذى هم بعضه (لكفور مبين^١ ع) أى مبين الكفر فى نفسه مناد عليها بالكفر يانا لذلك لكل أحد هذا^٢ ما تقتضيه طبعه بما هو عليه من النقص ١٠ بالشهوات والخطوط ليين^٣ فضل من حفظه الله بالعقل على من سواه من جميع المخلوقات بمجاهدته لعدو [و-] هو بين جنبيه^٤ مع ظهور قدرة الله الباهرة بذلك .

ولما كان كأنه قيل إنكارا عليهم وتهكما بهم حيث لم يرضوا بأن جعلوا لمخ إلى جعل من عباده جزءا حتى جعلوه شر الجزئين الإناث، ١٥ وهم^٥ أشد الناس نفرة منهم: أوجب له ذلك الجزء الذى جعلتموه إناثا غيره قسرا بحيث لم يقدر/ أن يتفك عنه كما قدم فى السورة التى

٦٨٢ /

(١) من ظ و مد، وفى الأصل: الذى (٢) من ظ و مد، وفى الأصل: ها.
(٣) من مذ، وفى الأصل و ظ: ليين (٤) زيد من مذ (ه) من ظ و مد،
وفى الأصل: جلس (٦) من ظ و مد، وفى الأصل: بمن (٧) فى مذ: هو .

قبلها عن نفسه المقدس أنه يهب لمن يشاء إناثا ولا يقدر على التفسير
 عنهن بوجه ، عادله بقوله عائدا إلى الخطاب لأنه أقعد في التبكيت
 على اختيار الغنى عن الصواب : ﴿ام اتخذ﴾ [أى عاجل هو نفسه فأخذ
 بعد المعالجة وهو خالق الخلق كلهم - ١] ﴿مما يخلق^٢﴾ أى يحدد
 ٥ إبداعه فى كل وقت كما اعترقم^٣ ﴿بنت^٤﴾ فلم يقدر بعد التكليف
 والتعب على غير البنات التى هى أبغض الجزئين إليكم ، ونكر لتخصيصهم
 اتخذه ببعض هذا الصنف الذى شاركه فيه غيره ، وعطف على قوله
 ”اتخذ“ ليكون منفيا على أبلغ وجه لكونه فى حيز الإنكار : ﴿واصفكم﴾
 وهو السيد وأنتم عبيده ﴿بالبنين ٥﴾ أى الجزء الاكمل لديكم المستحق
 ١٠ لأن يكون دائما مستحضرا فى الخاطر فلذلك عرفه ولأنهم ادعوا أن
 هذا النوع كله خاص بهم لم يشاركهم فى شئ منه ، فكان هذا الكفر
 الثانى أعرق^٦ فى المحال من الاول للزيادة على مطلق الحاجة بالسفه فى
 أنه رضى بالدون^٧ الخسيس فلم يشاركهم فى شئ من الاعلى ، بل جعل
 لهم ذلك خالصا صافيا عن أدنى ما يشوبه من كدر . ولما كانت^٨ نسبة
 ١٥ الولد إليه سبحانه مما لا ينبغي أن يخطر بالبال على حال من الاحوال .

(١) زيد من مد (٢ - ٢) وقع ما بين الرقين فى الأصل بعد « كما اعترقم »
 والترتيب من مد (٣) من مد ، وفى الأصل وظ : اعترقم (٤) وقع فى
 الأصل وظ : بعد « فيه غيره » والترتيب من مد (٥) من ظ ومد ، وفى
 الأصل : ولذلك (٦) من مد ، وفى الأصل وظ : اعرف (٧) زيدت الواو فى
 الأصل ولم تكن فى ظ ومد فحذفناها (٨) من ظ ومد ، وفى الأصل : كان .
 ٤٠٠ (١٠٠) وكانت

و كانت نسبه على سبيل الحقيقة أبعد منها^١ على طريق المثال بأن يقال :
 الملائكة^٢ عنده في العزة بمنزلة البنات عند الأب ، قال مرشدا إلى أن
 ما قالوه لو كان على قصد التمثيل في غاية القباحة فضلا عن أن يكون
 على التحقيق ، عائدا^٣ إلى الإعراض المؤذن بالملت والإبعاد : ﴿ واذا ﴾
 أى جعلوا ذلك و الحال أنه إذا ﴿ بشر ﴾ من أى مبشر كان ﴿ احدم ﴾ هـ
 أطلق عليه ذلك ، تنبيها على أنه مما يسر^٤ كالذكر سواء في أن كلا منهما ولد^٥
 و تارة يسر و تارة يضر و هو نعمة من الخالق لأنه خير من العقم
 ﴿ بما ضرب ﴾ و عدل عن الوصف بالربوبية لأنه قد يدعى المشاركة
 في مطلق الترية إلى الوصف الدال على عموم الرحمة ، فأمله بمجرد كاف
 في الزجر عن سوء قولهم فقال : ﴿ للرحمن ﴾ أى الذى لا نعمة على شئ^٦ ١٠
 من الخلق إلا و هى منه ﴿ مثلا ﴾ أى جعل له شيئا و هو الانثى ،
 و عبر به دون أن يقول : بما جعل ، موضع « بما ضرب » تعليما للأدب
 في حقه سبحانه في هذه السورة التى مقصودها العلم الموجب للأدب
 و زيادة في تقبيح كفرهم لاسيما إن أرادوا الحقيقة بالإشارة إلى أن الولد
 لا يكون [إلا - ^٧] مثل الوالد ، لا يتصور أصلا أن يكون خارجا عن هـ
 شبهه في خاص أوصافه .

- (١) من مد ، وفي الأصل و ظ : منها (٢) من مد ، وفي الأصل و ظ :
 للملائكة (٣) من مد ، وفي الأصل و ظ : أبدا (٤-٤) في ظ : ذلك عليه (هـ) من
 مد ، وفي الأصل و ظ : بشر (٦) من مد ، وفي الأصل و ظ : واد .
 (٧) من ظ و مد ، وفي الأصل : أحد (٨) زيد من مد .

و لما كان تغير الوجه لا سيما بالسواد لا يدرك حق الإدراك
إلا بالنهار، عبر بما هو حقيقة في الدوام نهارا وإن كان المراد هنا مطلق
الدوام: ﴿ ظل ﴾ أى دام ﴿ وجهه مسودا ﴾ أى شديد السواد لما
يحدث من الكراهة الموصلة إلى الخلق بهذه البشارة التى أبانت التجربة
ه عن أنها قد تكون سارة ^١ ﴿ وهو كظيم ﴾ أى حابس نفسه على ما
ملى من الكرب فكيف يألف عاقل من شئ ويرضاه لبعده ^٢ فضلا
عن مكافئه فضلا عن سيده / - هذا ما لا يرضى عاقل أن يمر بفكره
فضلا عن أن يتفوه [به - ^٣] .

/ ٦٨٣

و لما كان الملك ^١ لا يأخذ فى جنده إلا من يصلح للجندية بالمجادة
١٠ والمجادلة أو بأحدهما، نبه على إنكار آخر بأن الإناث لا يصلحن لشئ
من هذين الوصفين، فقال معبدا لإنكار الثالث تنبيهها على أنه بالغ جدا
فى إثارة الغضب: ﴿ او من ﴾ أى اتخذ من لا يرضونه لأنفسهم [...
لنفسه مع أنفقتهم منه - ^٢] وأخذ من ﴿ ينشؤا ﴾ أى على ما جرت به
عوائدكم [على قراءة الجماعة، و من تنشؤونه وتحلونهم بجهدكم على قراءة
١٥ ضم الباء وتشديد الشين - ^٣] ﴿ فى الحلية ﴾ أى فى الزينة فيكون كلا
على أيه ^٤ لا يصلح لحرب ^٥ ولا معالجة طعن ^٦ ولا ضرب ^٧ ﴿ وهو ﴾

(١) من مد، وفى الأصل وظ: سادة (٢) من ظ ومد، وفى الأصل:
بعده (٣) زيد من مد (٤-٤) من مد، وفى الأصل وظ: لا يا - كذا .
(٥) زيدت الواو فى الأصل وظ ولم تكن فى مد فحذفناها (٦-٦) وقع ما
بين الرقيين فى الأصل وظ بعد « لا يرضونه لأنفسهم » والترتيب من مد .
أى

[أى والحال أنه ، وقدم لإفادة الاهتمام قوله - ١] : ﴿ فى الخصام ﴾ إذا احتيج^٢ إليه ﴿ غير مبين ﴾ أى لا يحصل^٣ منه إبانة مطلقة كاملة لما يريده لنقصان العقل وضعف الراى بتدافع الحظوظ والشهوات وتمكن^٤ السعة ، فلا دفاع عنده بيد ولا لسان .

ولما كان ربما ظن أن المحدور إنما هو جعلهم عليهم السلام إباناً ه بقيد النسبة إليه سبحانه ، نبه على [أن - ١] ذلك قبيح فى نفسه مطلقاً لدلالته على احتقارهم وانتقاصهم فهو كفر ثالث إلى الكافرين قبله : نسبة الولد إليه سبحانه ثم جعل أخص النوعين ، فقال : ﴿ وجعلوا ﴾ أى مجترئين على ما لا ينبغي لما قل فعله ﴿ الملائكة الذين هم ﴾ متصفون بأشرف الأوصاف أنهم ﴿ عبد الرحمن ﴾ العام النعمة الذى خلقهم فهم بعض ١٠ من يتعبد^٥ له وهم عباده^٦ وحقيقة لأنهم ما عصوه طرفة عين ، فهم أهل لأن يكونوا على أكل الأحوال ، وقراءة وعند^٧ بالنون شديدة المناداة عليهم بالسفه ، وذلك أن أهل حضرة الملك الذين يصرفهم فى المهمات^٨ لا يكونون إلا على أكل الأحوال وعنديته^٩ أنهم لم^{١٠} يعصوه قط وهم فى محل مقدس عن المعاصى مشرف بالطاعات وأهل الاصطفاء ، ١٥

(١) زيد من مد (٢) من مد ، وفى الأصل وظ : انتج (٣) من ظ ومد ، وفى الأصل : لا يصلح (٤) من مد ، وفى الأصل وظ : يمكن (٥) من مد ، وفى الأصل وظ : يقصد (٦) زيدت الواو فى الأصل وظ ولم تكن فى مد فحذفناها (٧) راجع ثمر المرجان ٦ / ٤٠٦ (٨) من ظ ومد ، وفى الأصل : المهما (٩) من ظ ومد ، وفى الأصل : عبديتهم (١٠) من ظ وم ، وفى الأصل : لا .

و ذكر المفعول الثاني للجعل الذى بمعنى التعبير الاعتقادى والقول فقال :
 ﴿انا ان﴾ وذلك أدنى الأوصاف خلقا وو خلقا ذاتا و صفة ، ثم دل على
 كذبهم فى هذا المطلق ليدل على كذبهم فى المقيد من باب الأولى فقال
 تهكما بهم و توبيخا لهم و إنكارا عليهم إظهارا^١ لفساد عقولهم بأن دعاوهم^٢
 مجردة عن الأدلة : ﴿اشهدوا﴾ أى حضروا حضورا هم فيه على تمام الخبرة
 ظاهرا و باطنا - هذا هو معنى قراءة الجماعة ، و أدخل نافع^٣ همزة التوبيخ
 على أخرى مضمومة لبناء الفعل للمفعول تنديها على عجزهم عن شهود ذلك
 إلا بمن يشهدهم إياه ، و هو الخالق لا غيره ، و مدها فى إحدى الروايتين
 زيادة فى المادة عليهم بالفضيحة ، و سهل الثانية بينها^٤ و بين الواو إشارة
 ١٠ إلى انحطاط أمرهم و سفول آرائهم و أفعالهم ، و جميع تقلباتهم و أحوالهم
 كما سيكشف عنه الزمان و نوازل الحدثنان ﴿خلقهم﴾ أى مطلق
 الخلق فى أصله أو^٥ عند الولادة أو بعدها على حال من الأحوال^٦ حضورا
 أوجب لهم تحقق ما قالوا بأن لم يغيروا / عن شئ من الأحوال^٧ الدالة
 على ذلك أعم من أن تكون تلك الشهادة حسية بنظر العين أو مغنوية
 ١٥ بعلم ضرورى أو استدلالى بعقل أو سمع .

/ ٦٨٤

و لما كان الجواب قطعيا : لا ، قال مهددا لهم مؤكدا تهديدهم

- (١) من ظ و مد ، وفى الأصل : اظهار (٢) من مد ، وفى الأصل و ظ : دعاهم .
 (٣) راجع نثر المرجان ٦ / ٤٠٦ (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : بينهما .
 (٥) من مد ، وفى الأصل و ظ : بما (٦) من مد ، وفى الأصل و ظ : و
 (٧ - ٧) سقط ما بين الرتين من مد .

بالسين لظنهم أن^١ لا بعث^٢ ولا حساب ولا حشر ولا^٣ نشر فقال^٤ :
 (ستكتب) بكتابة من وكلام^٥ بهم^٦ من^٧ الحفظة الذين لا يعصوننا فتحن
 نقدرهم على جميع ما نأمرهم به - هذا على قراءة الجماعة بالتاء والبناء
 للفعول^٨ ، وعظم الكتابة تفخيما للوعيد وإكبارا [لما -^٩] اشتمل عليه
 من التهديد في قراءة النون المفيدة للعظمة والبناء للفاعل ونصب الشهادة ه
 (شهادتهم) أى قولهم فيهم أنهم أناث الذى لا ينبغي أن يكون إلا
 بعد تمام المشاهدة ، فهو قول ركيك مخيف ضعيف - بما أشار إليه
 النائيث في قراءة الجماعة (ويستلون ه) عنها عند الرجوع إلينا ، ويجوز
 أن يكون فى السين استعطاف إلى التوبة قبل كتابة و لا علم لهم به ،
 فانه قد روى أبو أمامة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ١٠
 كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يسار الرجل ،
 وكاتب الحسنات أمين على كاتب السيئات ، فاذا عمل حسنة كتبها صاحب
 اليمين عشرا ، وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال : دعه
 سبع ساعات ، لعله يسبح الله أو يستغفر - رواه الشعبي والبخاري من طريقه
 والطبراني والبيهقي من طريق جعفر عن القاسم عن أى أمامة والبيهقي ١٥
 من رواية^{١٠} بشه بن نمير^{١١} عن القاسم نحوه وأبو نعيم فى الحلية وابن مردويه
 (١) من ظ و مد ، وفى الأصل : انه (٢-٣) سقط ما بين الرقین من ظ و مد .
 (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : وكلهم (٤) فى مد : به (٥) من ظ و مد ،
 وفى الأصل : وهم (٦) راجع نثر المرجان ٤٠٧/٦ (٧) زيد من مد (٨) من ظ
 و مد ، وفى الأصل : رواه (٩) من ظ و مد ، وفى الأصل : نهير .

من طريق إسماعيل بن عياش عن عاصم بن رجاء عن عروة بن روم عن
القاسم عن أبي أمامة رضى الله عنه، وروى 'الحاكم' وقال: صحيح
الإسناد عن أم عصمة العوصية^٢ رضى الله تعالى عنها قال: ما من مسلم
يعمل ذنبا إلا وقف الملك ثلاث ساعات، فإن استغفر من ذنبه لم يوقعه
ه عليه ولم يعذب^١ يوم القيامة .

ولما ذكر أنهم يستلون بطريق الأولى عن العبادة، نبه^٣ على أنهم
عبدوه مع ادعاء^٤ الأنوثة فيهم، فقال معجبا منهم في ذلك وفي جعل
قولهم حجة دالة على صحة مذهبهم وهو من أوهى^٥ الشبه: ﴿ وقالوا ﴾
أى بعد عبادتهم لهم ونهيبهم عن عبادة غير الله: ﴿ لو شاء الرحمن ﴾
١٠ [أى -^٦] الذى له عموم الرحمة [ما عبدتهم^٧] لأن عموم الرحمة -^٨
يمنع الإقرار على ما لا ينبغي ولكنه لم يشأ عدم عبادتنا لهم فعبادتهم
طوع مشيئة، فعبادتنا لهم حق، ولو لا أنها حق يرضاه^٩ لنا لعجل
لنا العقوبة .

ولما كان كأنه قيل: بماذا يجابون عن هذا، قال منبها على جوابهم
١٥ بقوله دالا على أن أصول الدين لا يتكلم فيها إلا بقاطع: ﴿ ما لهم بذلك ﴾

- (١) من ظ و مد، وفي الأصل: رواه (٢) راجع المستدرك ٤ / ٢٦٢ .
(٣) من مد والمستدرك، وفي لأصل و ظ: العصوية (٤) من المستدرك،
وفي الأصول: لم يعد به (٥) من ظ و مد، وفي الأصل: منه (٦) من ظ
و مد، وفي الأصل: ادعائهم (٧) من مد، وفي الأصل و ظ: وإمى .
(٨) ريد من ظ و مد (٩) من ظ و مد، وفي الأصل: يرضاها .

٦٨٥ /

أى بهذا المعنى البعيد عن الصواب الذى قصدوا جعله دليلا على حقيقة^١
 عبادتهم لهم وهو / أنه سبحانه لا يشاء إلا ما هو حق و يرضاه و يأمر
 به ، ومن أن الملائكة إناث ، و أكد الاستغراق بقوله : ﴿ من علم ق ﴾
 أى لأنه لو لزم هذا لكان وضعه بعموم الرحمة حينئذ^٢ اضطراريا لا اختياريا^٣
 فيؤدى إلى نقص لا إلى كمال ، و لكان أيضا ذلك يؤدى إلى إيجاب أن ه
 يكون الناس كلهم مرضيا عنهم لكونهم على حق ، و ذلك مؤد بلا ريب
 إلى كون التقيضين معا حقا ، و هو بديهى الاستحالة .

و لما كان العلم قد ينتق^٤ و المعلوم ثابت فى نفسه قال نافيا لذلك :
 ﴿ ان م ﴾ أى ما م ﴿ الا يخرصون ه ﴾ أى يكذبون فى هذه النتيجة
 التى زعموا أنها دلهم على رضا الله سبحانه لكفرهم فانها مبنية على أنه ١٠
 سبحانه لا يشاء إلا ما هو حق ، و الذى جراًم على ذلك أنهم يحددون
 على الدوام القول بغير تثبت^٥ و لا تحر ، فكان أكثر قولهم كذبا ، فصاروا
 لذلك يفترون^٦ على تعمد القول للظن الذى لا يأمن صاحبه من الوقوع فى
 صريح ، و سيأتى تمام إبطال هذه الشبهة بقوله تعالى ” قل ان كان للرحمن
 ولد فانا اول العبدن “ و أن ذلك هو المراد لا ما طال الخطب فيه لإهمال ١٥
 فى^٧ السوابق و اللواحق الموجبة لسوق المقال . مطابقا لمقتضى الحال ،

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : حقيقة (٢-٣) من ظ و مد ، و فى الأصل :
 اضطرار بالاختيار (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : ينبغي (٤) من ظ و م ،
 و فى الأصل : الذى (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : الدين (٦) من ظ و مد ،
 و فى الأصل : تثبت (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : يجررون (٨) من ظ
 و مد ، و فى الأصل : مع (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : مطابقا .

وقد جهلوا في 'هذا الكلام' عدة جهالات : ادعاء الولدية^١ للغي المطلق ،
وكون الولد أدنى الصنفين ، وعبادتهم لهم مع أنفسهم منهم بغير دليل ،
واحتياجهم على صحة فعلهم بتقدير علم على ذلك وهو قد نهام عنه بلسان
كل رسول ، وظنهم أنه لا يشاء إلا ما هو الحق المؤدى إلى الجمع بين
هـ التقيضين إذ لا ريب فيه ولا خفاء [به - ٢] .

ولما كان الإيمان بالملائكة الذين هم جند الملك من دعائم أصول
الدين ، وكان الإيمان بالشئ إن لم يكن على ما هو عليه الشئ ولو
بأدنى الوجوه كان محتلا ، وأخبر سبحانه أنهم وصفوه بغير ما هم
عليه ففرطوا بوصفهم بالبنات حتى أنزلوهم إلى الحضيض وأفرطوا بالعبادة^٢
١٠ حتى أعلوهم عن قدرهم فانسلكوا في كلا الأمرين من صريح العقل بما
أشار إليه ما مضى ، أتبع ذلك أنهم عربون^٣ أيضا من صحيح النقل ،
فقال معادلا لقوله " اشهدوا خلقهم " إنكارا عليهم بعد إنكار ،^٤ موحبا
ذلك^٥ أعظم العار ، لاقتا القول عن الوصف بالرحمة تنبيها بمظهر العظمة
على أن حكمه تعالى^٦ متى برز لم يسع سامعه إلا^٧ الوقوف عنده
١٥ والامثال على كل^٨ حال وإلا حل به أعظم النكال : (ام "تنبهم") على

(١-١) من ظ و مد ، وفي الأصل : هذه الالفاظ (٢) من مد ، وفي الأصل
و ظ : الولد (٣) زيد من ظ (٤) من ظ و مد ، وفي الأصل : بالعباد
(٥) من مد ، وفي الأصل و ظ : غريقون (٦-٦) من ظ و مد ، وفي
الأصل : موحب لهم (٧-٧) من ظ و مد ، وفي الأصل : بدى لم يسع ما معه
(٨) من مد ، وفي الأصل و ظ : أكل .

بما لنا من العظمة (كتبنا) أى جامعاً لما يريدون اعتقاده من أقوالهم
هذه (من قبله) أى القرآن أخبرناهم فيه أنا جعلناهم إناثاً وأنا
لا نشاء إلا ما هو حق رضاه وأمر به (فهم) أى قسب^١ عن هذا
الإتياء أنهم (به) أى وحده (مستمسكون^٢) أى موجودون الاستمسك^٣
به و طالبون للثبات عليه فى عبادة غير الله، وفى [أن - ٢] ذلك حق ه
لكونه لم يعاجلهم بالعقوبة، و [فى - ٢] وصفهم الملائكة بالأنوثة، وفى
غير ذلك من كل ما يرتكبونه / باطلاً، و الإنكار يقتضى نفى ما دخل
عليه [من - ٢] إتياء الكتاب كما اتفق لإشهاد [لهم - ٢] خلقهم،
وهذه المعادلة التى لا يشك فيها من له بصر بالكلام تدل على صحة كون
الإشارة فى " ما لهم بذلك من علم " شاملة لدعواهم الأنوثة فى الملائكة : ١٠

٦٨٦ /

ولما كان الجواب قطعاً عن هذين الاستفهامين : ليس لهم ذلك
على مطلق ما قالوا ولا مقيد من صريح عقل ولا صحيح نقل إلى من
يصح النقل عنه من أهل العلم بالأخبار الإلهية، نسق عليه قوله إرشاداً
لإيه : (بل قالوا) أى فى جوابهم عن ' قول ذلك واعتقاده ' مؤكدين
إظهاراً جهلاً أو تجاهلاً لأن ذلك لم يعب عليهم إلا لظن^٤ أنه لا سلف ١٥
لهم أصلاً فيه، فإذا ثبت^٥ أنه عمن تقدمهم^٦ انفصل النزاع :

- (١) من ظ ومد، وفى الأصل : فسبب (٢) فى مد : للإمسك (٣) زيد من مد .
(٤ - ٤) من مد، وفى الأصل و ظ : قولهم واعتقادهم (٥) من مد، وفى
الأصل و ظ : الظن (٦ - ٦) من ظ ومد، وفى الأصل : فاته اقلت (٧) من
مد، وفى الأصل و ظ : تعذيبهم .

نظم الدرر (سورة الزخرف ٤٣ : ٢٢ و ٢٣) ج - ١٧

(انا وجدنا آباءنا) أى و هم أرجح منا عقولا و أصبح أفهاما
(على امة) أى طريقة عظيمة يحق لها أن تقصد و تؤم مثل رحلة
بمعنى شئ هو أهل لأن يرحل إليه ، و كذا قدوة و نحوه ، و قراءة
الكسر معناها حالة حسنة يحق لها أن تؤم (و انا على آثارهم) أى
خاصة لا على غيرها و نحن فى غاية الاجتهاد و القصص والآثار و إن
لم نجد عينا تتحققها .

و لما علم ذلك من حالهم ، و لم يكن صريحا فى الدلالة على الهداية ،
بينوا الجار و المجرور ، و أخبروا بعد الإخبار و استنجوا منه قولهم
استئنافا للجواب من سأل : (مهتدون) أى نحن ، فإذا ثبت بهذا
الكلام المؤكد أنا ما أتينا بشئ من عند أنفسنا و لا غلطنا فى الاتباع
و اقتفاء الآثار ، فلا اعتراض علينا بوجه ، هذا قوله فى الدين بل فى
أصوله التى من ضل فى شئ منها هلك ، و لو ظهر لأحد منهم خلل
فى سعى [أيه - ١] الدنيوى الذى به يحصل الديتار و الدرهم ما اقتدى
به أصلا و خالفه أى مخالفة . ما هذا^١ إلا لمحض الهوى و قصور النظر ،
١٥ و جعل محطه الأمر الدنيوى الحاضر ، لا نفوذ لهم فى المعافى بوجه .

و لما كان ترك المدعو للدليل و اتباعه للهوى غائظا موجعا و منكثرا^٢
مولانا ، قال : يسليه صلى الله عليه و سلم عاطفا على قوله : (و كذلك)

(١) زيد من مد (٢) من مد ، و فى الأصل : لهذى ، و فى ظ : لهذى (٣) من
مد ، و فى الأصل و ظ : مبليا (٤) زيد فى الأصل : مسلما ، و لم تكن الزيادة
فى ظ و مد فحذفناها .

أى

أى ومثل هذا الفعل المتناهى فى البشاعة فعلت الأمم الماضية مع إخوانك
الانبياء عليهم الصلاة والسلام؛ ثم فسر ذلك بقوله: ﴿مآ أرسلنا﴾
مع ما لنا من العظمة.

ولما كانت مقالة قريش قد تقدمت والمراد التسلية بغيرهم، وكان
صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين فلا أمة بعده فى زمانه ولا بعده يسليه
بها، سلاه بمن مضى، وقدم ذكر القبيلة اهتماما بالتسلية وتخليصا لها
من أن يتوهم أنه يكون معه فى زمانه أو بعده نذير، وإفهاما لأن المجدد
لشريعته إنما يكون مغيثا لأئمة وبشيرا لا نذيرا لثباتهم على الدين
بتصديقهم جميع النبيين فقال تعالى: ﴿من قبلك﴾ أى فى الأزمنة
السابقة حتى القرية منك جدا، فإن التسلية بالأقرب أعظم، وأثبت ١٠
الجار لأن الإرسال بالفعل لم يعم جميع الأزمنة، وأسقط هذه القبيلة
فى مساء لأن المراد فيها التعميم لأنه لم يتقدم لقريش ذكر حتى يخص من
قبلهم. ولما كان أهل / القرى أقرب إلى العقل وأولى بالحكمة والحكم،
قال: ﴿فى قرية﴾ وأغرق فى النفي بقوله: ﴿من نذير﴾ وبين به أن
موضع الكراهة والخلاف الإنذار على مخالفة الأهواء ﴿الاقال مترفوها﴾ ١٥
أى أهل الترفه بالضم وهى النعمة والطعام الطيب والشيء الطريف يكون
خاصة بالترف^٢، وذلك موجب للقلة وهو موجب للراحة والبطالة

(١) من مد، وفى الأصل و ظ: مغشيا (٢) من مد، وفى الأصل و ظ:

على (٣) من مد، وفى الأصل و ظ: بالترفة.

الصارف عن جهد الاجتهاد إلى سفالة التقليد، وهو موجب لركوب
 الهواء ولو بان الدليل، وهو موجب للبغى والإصرار عليه و اللجاجة
 فيه و التجبر و الطغيان، و معظم الناس في ' الأغلب أتباع لهؤلاء :
 ﴿ انا وجدنا 'آباءنا ﴾ أى و هم أعرف منا بالأمور ﴿ على امة ﴾ أى
 ه أمر جامع يستحق أن يقصد يؤم و طريقة و دين، و أكدوا قطعا
 لرجاء المخالف من لفتهم عن ذلك ﴿ و انا على آثارهم ﴾ لا غيرها، ثم
 يسنوا الجار و المجرور و أخبروا خبرا ثانيا و استأنفوا لإتمام مرادهم
 قولهم أيضا لأن سبب القص القدوة^٢ : ﴿ مقتدون^٣ ﴾ أى مستنون^٤ أى
 راكبون سنن طريقهم لازمون له^٥ لأنهم مقتدون^٦ لأن تقدم^٧ عليهم،
 ١٠ و حالنا أطيب ما يكون في الاستقامة و أقرب و أسرع .

و لما كان كانه قيل : فقال كل نذير : فما أصنع ؟ أجب بقوله :
 ﴿ قل ﴾ أى يا أيها النذير - هذا^٨ على قراءة الجماعة، و على قراءة ابن
 عامر و حفص و عاصم^٩ يكون التقدير أن السامع قال : فما قال النذير
 في جوابهم ؟ فأجيب بقوله : قال إنكارا عليهم : ﴿ اولو ﴾ أى أنفتدون^{١٠}
 ١٥ بآبائكم على كل حال و تعدونهم مهتدين ولو ﴿ جئكم ﴾ و الضمير

(١) زيد في الأصل و ظ : الأبلغ و ، و لم تكن الزيادة في مد فحذفناها .
 (٢) من ظ و مد ، و في الأصل : أكد (م) من ظ و مد ، و في الأصل :
 القدرة (٤) من مد ، و في الأصل و ظ : مستنون (٥) من ظ و مد ، و في
 الأصل : لها (٦-٦) في مد : اتقدم (٧) من مد ، و في الأصل و ظ : بهذا .
 (٨) راجع نثر المرجان ٦ / ٤١١ (٩) من ظ و مد ، و في الأصل : تقتدون -
 بدون همزة الاستفهام .

فيه للنذير، وفي قراءة أبي جعفر: أو لو جئتم للنذر كلهم (باهدى) أى أمر أعظم فى الهداية وأوضح فى الدلالة (بما وجدتم) أى أيها المقتدون بالآباء (عليه 'آباءكم') كما تضمن قولكم أنكم تقتفون فى اتباعهم بالآثار فى أعظم الأشياء. وهو الدين الذى الحسارة [فيه - ٢] خسارة للنفس وأتم تخالفونهم فى أمر الدنيا إذا وجدتم طريقا أهدي ٥ من التصرف فيها من طريقهم ولو بأمر يسير، ويفتخر أحدكم بأنه أدرك من ذلك ما لم يدرك أبوه فحصل من المال أكثر مما حصل، فباله من نظر ما أقصره، ومتجر ما أخسره.

ولما كان من المعلوم أن النذر^٢ قالوا لهم ما أمروا به؟ فتشوف السامع إلى جوابهم لهم، أجيب بقوله: (قالوا) مؤكدين ردا لما قطع ١٠ به كل عاقل سمع هذا الكلام من أنهم يبادرون النظر فى الدليل والرجوع إلى 'سواء السبيل': (أنا بما أرسلتم به) أى أيها المدعون للإرسال من أى مرسل كان، ولو ثبت ما زعمتموه من الرسالة ولو جئتمونا بما هو أهدي (كفرونه) أى سارون لما ظهر من ذلك جهدنا حتى لا يظهر لاحد ولا يتبعهم فيه مخلوق.

١٥

ولما علم بهذا أن أمرهم وصل إلى العناد المسقط / للاحتجاج . ٦٨٨ /

- (١) زيد فى الأصل: بما وجدتم، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها.
 (٢) زيد من مد (م) من ظ و مد، وفى الأصل: النذراء (ع) من مد، وفى الأصل و ظ: على.

نظم الدرر (سورة الزخرف ٤٣ : ٢٥ - ٢٧) ج - ١٧

سبب عنه قوله موعظة لهذه الأمة و يانا لما خصها به من الرحمة :
 ﴿ فانتقمنا ﴾ أى بما لنا من العظمة التى استحقوا بها ﴿ منهم ﴾ فأهلكناهم
 بعذاب الاستئصال ، وعظم أثر النعمة بالامر بالنظر فيها فى قوله :
 ﴿ فانظر ﴾ أى بسبب التعرف لذلك و بالاستفهام إشارة إلى أن ذلك
 ٥ أمر هو جدير لعظمه بخفاء سببه فقال : ﴿ كيف كان عاقبة ﴾ أى آخر
 أمر ﴿ المكذبين ﴾ أى إرسالنا فانهم هلكوا أجمعون ، و نجا المؤمنون
 أجمعون ، فليحذر من رد رسالتك من مثل ذلك .

و لما ذكر لهم الأدلة و حذرهم بالأخذ ' و تحور أنهم ' مع التقليد
 لا ينفكون عنه ، ذكرهم بأعظم آياتهم و محط غفرم و أحقهم بالاتباع
 ١٠ للفوز باتباع الآب ' فى ترك التقليد أو فى تقليده إن كان لا بد لهم من
 التقليد لكونه أعظم الآباء و لكونه مع الدليل ، فقال عاطفا على ما
 تديره للإشارة إلى تأمله و إيمان النظر فيه : اذكر لهم ذلك : ﴿ واذ ﴾
 أى و اذكر لهم حين ﴿ قال ﴾ أعظم آياتهم و محط غفرم و المجمع على
 محبته و حقية دينه منهم و من أهل الكتاب و غيرهم ﴿ إبراهيم لايه ﴾
 ١٥ من غير ' أن يقلده ' كما أتم قلتم آباءكم ، و لما كانت مخالفة الواحد
 للجمع شديدة ، ذكر لهم حاله فيها يانا لأنهم أحق منهم بالانفكاك عن

(١ - ١) من ظ و مد ، و فى الأصل : محورايم (٢) من مد ، و فى الأصل
 و ظ : الأدب (٣) فى مد : انعام (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : حقيقة .
 (٥ - ٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : تقليده (٦) من مد ، و فى الأصل
 و ظ : بيان .

التقليد

التقليد ﴿ وقوم ﴾ الذين كانوا هم القوم في الحقيقة لا حتوائهم على ملك جميع الأرض كما قلت: إننا لكم سواء ولما كانوا لا يتخيلون أصلاً أن أحداً يكون مخالفاً لهم، أكد بالحرف وإظهار نون الوقاية فقال: ﴿ انني ﴾ وزاد بالنعت^١ بالمصدر الذي يستوى فيه الواحد وغيره والمذكر وغيره لكونه مصدراً وإن وقع موقع الصفة باللفظ الدال على أنه مجسد ه من البراءة ه جعله على صورة المزيد لزيادة التأكيد فقال: ﴿ برآ ﴾ ومن ضمه^٢ جعله وصفاً محضاً مثل طوال في طويل ﴿ مما تعبدون لا ﴾ في الحال والاستقبال مهما كان غير من اشتبه ، فإنهم كانوا مشركين فلا بد من الاستثناء ومن كونه متصلاً ، قال^٣ الإمام أبو [على - ^٤] الحسن بن يحيى بن نصر الجرجاني في كتاب بيان نظم القرآن ما حاصله: سر قول ١٠ السلف أن الكلمة هنا أى الآية^٥ في قوله كلمة باقية ” لا إله إلا الله “ أن النني والتبرئة^٦ واحد فأنى برآ بمنزلة لا ، وقوله ” مما تعبدون “ بمنزلة إله^٧ إذ كل معبود يسمى إلهاً فال^٨ ذلك إلى: لا إله ﴿ الا الذى فطرنى ﴾ قال: فقد ضمنت بهذا التأويل إلى فهمك الأول الذى استفدته^٩ من الخبر^{١٠} فهم المعرفة الحقيقية الذى أفاد له طابعك ١٥

(١) من مد، وفي الأصل وظ: بالنعمة (٢) راجع ثر الرجان -/ ٤١٤ (٣) من مد، وفي الأصل وظ: قاله (٤) زيد من ظ ومد (٥) من ظ ومد، وفي الأصل: لا يته (٦) من ظ ومد، وفي الأصل: التركية (٧) من ظ ومد، وفي الأصل: الا (٨) من مد، وفي الأصل وظ: قال (٩-١٠) في مد: بالخبر.

بالعبرة، ونبه بالوصف بالفطر على دليل اعتقاده أى الذى شق العدم
فأخرجنى منه ثم شق هذه المشاعر و المدرك، و من كان بهذه القدرة
الباهرة كان منفردا بالعظمة .

و لما كان الله سبحانه - وله' المن - قد أنعم بعد الإيجاد بما
أشار إليه من العقل و الحواس المهيءة، للهداية^٢ من غير طلب، فكان
جديرا بأن يمنح قاصده بأعظم هداية / قال مسيبا عن قطعه العلائق / ٦٨٩
من سواء، مؤكدا لأجل من ينكر وصوله إلى حد^٣ عمى عنه أسلافه
(فانه سيهدين^٤) أى هداية هى الهداية إلى ما لاح لى من الحقائق من
كل ما يصلحنى لتوجهى إليه و توكلى عليه، لا مرية عندى فى هذا الاعتقاد،
١٠ و قد أفاد بهذه المقترنة بالسین هدايته فى الاستقبال بعد أن أفاد بقوله
المحكى فى الشعراء " فهو يهدين " الهداية فى الحال و كأنه خص هذا
بالسین لأجل ما عقبها به من عقبه، فجعل هدايتهم هدايته (و جعلها)
أى جعل إبراهيم عليه الصلاة و السلام هذه الكلمة التى هى التوحيد
بدليله (كلمة باقية فى عقبه) أى ذريته دعا^٥ و هو بحجاب الدعوة فى قوله :
١٥ " واجنبى و بنى ان نعبد الاصنام " و فى قوله " و من ذريقى ربنا و ابعت
فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آيتك و يعلمهم الكتاب و الحكمة و يزكيهم
انك انت العزيز الحكيم " : (لعلهم يرجعون^٦) أى ليكون حالهم حال
(١) من مد، و فى الأصل و ظ : له (٢) من مد، و فى الأصل و ظ : الهداية
(٣) فى مد : خبر (٤) من ظ و مد، و فى الأصل : العبارة (٥) من مد، و فى
الأصل و ظ : بما دعوى .

من ينظر إليهم إن حصل منهم مخالفة و اعوجاج حال من يرجى رجوعه .
 فانهم إذا ذكروا أن أباهم الأعظم الذى بنى لهم البيت و أرثهم الفخر
 قال ذلك تابعوه ، و يجوز أن يتعلق بما يتعلق به «اذ» أى اذكر لهم
 قول أبيهم ليكون حالهم عند من يجهل العواقب حال [من يرجى - ']
 رجوعه عن تقليد الجهلة من الآباء إلى اتباع هذا الآب الذى اتبعه ٥
 لا يعد تقليدا لما على قوله من الأدلة التى تفوت الحصر فتضمن لمتبعها
 حتما تمام النصر ، و فى سوقه سوق المترجى لإشارة إلى أنهم يكونون
 صنفين : صنفا يرجع و آخر لا يرجع .

و لما كان من المعلوم أن السامع يقول لمن أحاط علمه بهم و يعلم
 سرهم و علمهم : «يا رب ! بل رجعوا ، أجب بقوله : ﴿بل﴾ أى لم يرجعوا ١٠
 بل استمروا لأجل إظهارى لقدرك على القلوب باقحام أربابها برضاهم
 و اختيارهم فى أفصح الخطوب و أفحش الذنوب على ترك الطريق المنيع
 و الصراط الاقوم و زاغوا عنه زبعا عظيما . و استمروا فى ضلالهم
 و تيههم و لم أعجلهم بالعقوبة لآنى ﴿متعت﴾ بافراده ضميره سبحانه
 لأن التمتع يتضمن إطالة العمر التى لا يقدر عليها ظاهرا و لا باطنا سواء . ١٥
 و أما الانتقام فقد يجعله بأيدي عباده من الملائكة و غيرهم [فهو - ']
 من وادى "سنستدرجهم من حيث لا يعلمون و امل لهم ان كيدى متين" :

(١) زيد من مد (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : تمكّنهم (٣) من مد ،
 و فى الأصل و ظ : بالهام (٤) زيد من ظ و مد .

﴿ أَهْلًا ﴾ أي الذين بحضرتك من المشركين و أعداء الدين
 ﴿ وَاَبَاءَهُمْ ﴾ فددت من الأعمار مع سلامة الأبدان و متانة الأركان،
 و إسباغ النعم و الإعفاء من البلايا و النقم، فأبطرهم نعمي و أزهدتهم
 أي أبادى جودى و كرمى، و تهادى بهم ركوب ذلك الباطل ﴿ حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ ﴾
 بهذا الدين المتين ﴿ وَرَسُولٌ مِّنْهُ ﴾ أي أمره ظاهر فى نفسه، لو
 لم تكن فيه آيات مبينة كانت بديهية تنبئك بالخبر و هو مع ظهوره فى
 نفسه مظهر لكل معنى يحتاج إليه، و "تمت" بالخطاب من لسان
 الرسول المنزل عليه / هذا الكتاب لأنه يدعو انتهازا للفرصة لعله يحاب
 بما يزيل الغصة يقول: يا رب! قد أقتهم لمن يجهل العواقب فى مقام
 ١٠ من رضى رجوعه فما فضيت بذلك بل تمتعت إلى آخره .

/ ٦٩٠

و لما كان التقدير: فلم يردم التمتع بادرار النعم عليهم و إسرعنا
 [بها-٢] إليهم [مع وضوح الأمر لهم، بل كان الإنعام عليهم سببا
 لبطرم، و كان البطر سببا لتمادىهم على الاستعانة بنعمتنا على عصيان
 أمرنا-٢] و هم يدعون أنهم أتبع الناس للحق و أكفهم عن الباطل،
 ١٥ عطف عليه قوله: ﴿ وَ لَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ ﴾ أي الكامل فى حقيقته، بمطابقة
 الواقع إياه من غير إلباس و لا اشتباه، الظاهر فى كماله لكل من له
 أدنى لب بما عليه القرآن من الإعجاز فى نظمه، و ما عليه ما يدعو إليه

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: الغصة (٢) زيد من مد (٣) من مد، و فى
 الأصل و ظ: حقيقته (٤-٥) وقع ما بين الرقين فى الأصل و ظ قبل و هم
 يدعون، و الترتيب من مد .

من الحكمة من جميع حكمه ، و التصديق مع ما يعلمونه من دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام قبل أن يبدلوه و من أمر موسى و عيسى عليهما الصلاة والسلام من التوحيد ، زادوا على تلك الغفلة التي أدى إليها البطر بالنعمة ما هو شر من ذلك و هو التكذيب بأن ﴿ قالوا ﴾ مكابرة و عنادا و حسدا و بغيا من غير وقفة و لا تأمل : ﴿ هذا ﴾ مشيرين إلى ٥ الحق الذي يطابقه الواقع ، فلا شيء أثبت منه و هو القرآن و غيره مما أتى [به - '] من دلائل العرفان ﴿ سحر ﴾ أى خيال لا حقيقه له . و لما كان الحال مقتضيا من غير شك و لا وقفة لمعرفة ما جاء به و إذعائهم له قالوا مؤكدين للدافعة ما ثبت في النفوس من ذلك : ﴿ و انا به كفرون ٥ ﴾ أى عريقون في ستره بخصوصه حتى لا يعرفه أحد ، ١٥ و لا يكون له تابع .

و لما اخبر عن طعنهم في القرآن أتبعه الإخبار عن طعنهم فيمن جاء به تغطية^٢ لأمره عملا بأخبارهم في ختام ما قبلها^٣ عن أنفسهم بالكفر زيادة و إمعانا فيما كانت النعم أدتهم إليه من البطر فقال : ﴿ و قالوا ﴾ لما قهرهم ما ذكروا به مما يعرفونه من [أمر - '] إبراهيم ١٥ عليه الصلاة والسلام من النبوة و الرسالة ، و كذا من بعده من أولاده فلم يتهيا لهم الإصرار على العناد بانكار أن يكون النبي من البشر قول من له أمر عظيم في التصرف في الكون و التحكم على الملك الذي

(١) زيد من مد (ر) من مد ، و في الأصل و ظ : تعظيمه (ر) من مد ، و في الأصل و ظ : قبلهم (ر) من مد ، و في الأصل و ظ : الضاد .

لايستل عما يفعل ، فأنكروا التخصيص بما [أتوا -^١] به من التخصيص
في قولهم : ﴿ لولا ﴾ أى هو لا و لولا .

و لما كان إنزال القرآن نجوما على حسب التدرج ، عبروا بما
يوافق ذلك فقالوا : ﴿ نزل ﴾ أى من المنزل الذى ذكره محمد صلى الله
عليه وسلم . و عينوا مرادهم و نفوا اللبس فقالوا بقسر^٢ و غلظة كلمة على
من يطلبهم لا صلاح حالهم^٣ ﴿ هذا القرآن ﴾ أى الذى^٤ جاء به محمد
صلى الله عليه وسلم و ادعى أنه جامع لكل خير ، ففيه إشارة إلى التحقير
﴿ على رجل من القريتين ﴾ أى مكة و الطائف ، و لم يقل : لإحدى -
اغتناء عنها بوحدة رجل ﴿ عظيمه ﴾ أى بما^٥ به عندهم^٦ من العظمة و الجاه
١٠ و المال و السن و نحو ذلك و هم عالمون أن شأن الملك إنما هو إرسال
من يرضونه لا من يقترحه الرعية ، و يعلمون أن للملك^٧ المرسل له صلى الله
عليه وسلم الغنى المطلق لكنهم جهلوا - مع أنه هو الذى / أفاض المال
و الجاه - أنه تدب إلى الزهد فيها و التخلي عنها ، و أنه لا يقرب إليه
إلا إخلاص الإقبال^٨ عليه الناشئ عن طهارة الروح و ذكا. الأخلاق
١٥ و كمال الشائلى و التحلى بسائر الفضائل و التخلي عن جميع الرذائل ، فقد

/ ٦٩١

- (١) زيد من مد (٢-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ و مد (م) سقط من ظ .
(٤-٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : عند (ه) من مد ، و فى الأصل و ظ :
« و » (٦) زيد فى الأصل : هم . و لم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفها .
(٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : الملك (٨) زيد فى الأصل : هو ، و لم تكن
الزيادة فى ظ و مد لحذفها (٩) من مد ، و فى الأصل و ظ : اقبل .

جعلوا لإفراطهم في الجهل الحالة البهيمية شرطا للوصول^١ إلى الحالة^٢ الملكية المضادة لها بكل اعتبار .

ولما تضمن قولهم إثبات عظمة لأنفسهم بالاعتراض على الملك .
قال منكرا عليهم موجبا لهم بما معناه أنه^٣ ليس الأمر مردودا إليهم
ولا موقوفا عليهم^٤ بل هو^٥ إلى الله وحده - " والله اعلم حيث يجعل
رسالته " (ا م) أى أهؤلاء الجهلة العجزة (يقسمون) أى على
التجدد والاستمرار : ولقت القول عن أفراد الضمير إلى صفة الرحمة
المضافة إلى النبي صلى الله عليه وسلم تشريفا له وإظهارا لعل قدره :
(رحمت ربك) أى إكرام المحسن إليك وإنعامه وتشريفه بأنواع اللطف
والبر وإعظامه بما رباك له من تخصيصك بالإرسال إليهم بتأهيلهم للانقاذ
من الضلال ، و جعلك وانت أفضل العالمين الرسول إليهم ففضلوا
بفضيلتك مع أنك أشرفهم نسبا وأفضلهم حسبا وأعظمهم عقلا وأصفاهم
لبا وأرحمهم قلبا ليتصرفوا في تلك الرحمة التي هي روح الوجود و سر
الأمر بحسب شهواتهم وهم لا يقدرّون على التصرف في المتاع الزائل
بمثل ذلك .

١٥

ولما نقي أن يكون لهم شيء^٦ من القسم^٧ قال جوابا لمن كانه

(١) في مد : في الوصول (٢) من ظ و مد ، وفي الأصل : الحال (٣) من مد ،
وفي الأصل و ظ : بانه (٤-٤) من مد ، وفي الأصل و ظ : برموا (٥) من
ظ و مد ، وفي الأصل : الجملة (٦) من ظ و مد ، وفي الأصل : اقرار .
(٧) سقط من مد (٨) من مد ، وفي الأصل و ظ : انفسهم .

قال : فن القاسم ؟ دالا على بعدهم عن أن يكون إليهم شيء من قسم ما
أعد لأديانهم بما يشاهدونه من بعدهم عن قسم ما أعد لأبدانهم ، لافتا
القول عن صفة الإحسان إلى مظهر العظمة إشارة إلى أنها تأبى المشاركة
في شيء و تقتضى التفرد : ﴿ نحن قسمنا ﴾ أى بما لنا من العظمة
٥ ﴿ بينهم ﴾ أى فى الأمر الذى يعمهم و يوجب تخصيص كل منهم
بما لديهم ﴿ معيشتهم ﴾ التى يعدونه رحمة و بقصرون عليها النعمة
﴿ فى الحياة الدنيا ﴾ التى هى أدنى الأشياء عندنا ، و أشار إلى أنها
حياة ناقصة لا يرضاها عاقل ، و أما الآخرة فعبء عنها بالحيوان لانا لو
تركنا قسمها إليهم لتعاونوا على ذلك فلم يبق منهم أحد فكيف يدخل
١٠ فى الوهم أن يجعل إليهم شيئا من الكلام فى أمر النبوة التى هى روح
الوجود ، و بها سعادة الدارين : ﴿ و رفعنا ﴾ بما لنا من نفوذ الأمر
﴿ بعضهم ﴾ و إن كان ضعيف البدن قليل العقل ﴿ فوق بعض ﴾ و إن
كان قويا عزيز العقل ﴿ درجت ﴾ فى الجاه و المال و نفوذ الأمر
و عظم القدر ليتنظر حال الوجود ، فانه لا بد فى انتظامه من تشارك
١٥ الموجودين و تعاونهم ، تفاوتنا بينهم فى الجثث و القوى و الهمم ليقسموا
الصنائع ، و المعارف و البضائع ، و يكون كل ميسر لما خلق له ، و جانحا
إلى ما هى له لتعاطيه ، فلم يقدر أحد من دنى أو غنى أن يعدو قدره
(١) سقط فى ظ و مد (٢) فى ظ و مد : اتعاونوا (٣) من ظ و م ،
و فى الأصل : يتقسموا (٤-٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : حاجبا
لا و هى .

و ترتقى فوق منزلته .

ولما ذكر ذلك، علله بما ثمرته ' عمارة الارض / فقال : (ليتخذ)
 ٦٩٢ / أى بغاية جهده (بعضهم بعضا)^٢ ولما كان المراد هنا الاستخدام
 دون الهزء لانه لا يليق التعليل به ، أجمع القراء على ضم هذا الحرف
 هنا فقال : (سخريا)^٣ أى أن يستعمله فيما ينوبه أو يتعسر أو يتعذر ه
 ٢ عليه مباشرة ويأخذ للآخر منه من المال ما هو مفتقر إليه ، فهذا
 بماله ، وهذا بأعماله ، وقد يكون الفقير أكل من الغنى ليكمل بذلك
 نظام العالم لانه لو تساوت المقادير لتعطلت المعاش ، فلم [يقدر -^٢] أحد
 أن ينفك عما جعلناه إليه من هذا [الأمر الدنى -^٢] فكيف يطمعون
 فى الاعتراض فى أمر النبوة ، أيتصور عاقل أن يتولى قسم الناقص ١٠
 ونكل العالى إلى غيرنا ، قال ابن الجوزى : فاذا كانت الارزاق بقدر
 الله لا يحول المحال وهى دون النبوة فكيف تكون النبوة - انتهى .
 وهذا هو المراد بقوله تعالى صارفا القول عن مظهر العظمة و السلطان
 إلى الوصف بالإحسان إظهارا لشرف النبي صلى الله عليه وسلم
 (ورحمت ربك) أى المربى لك والمدبر لأمرك بارسالك وإنارة ١٥
 الوجود برسالتك التى هى لعظمتها جديرة بأن تضاف إليه ولا يسمى
 غيرها رحمة (خير عما يجمعون ه) من الحطام القانى فانه وإن تأنى فيه
 خير باستعماله فى وجوه البر بشرطه ، فهذا بالنسبة إلى النبوة ، وما قارنا

(١) من مد ، وفى الأصل و ظ : عزته (٢-٢) من مد ، وفى الأصل و ظ :
 للآخر (٣) زيد من مد (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : أى يتصور فى ذهن .
 (٥) من مد ، وفى الأصل و ظ : هو .

بما دعا إلى الإعراض عن الدنيا متلاش .

ولما دلت صريح آية التمتع و تلويح ما بعدها أن البسط في
الرزق الموجب للعلو مع أنه خسيس المنزلة ناقص المقدار مقتض للخروج
عن السواء . و كان التقدير: فنحن نخص بهذا الخير للأفراد في الأدوار
٥ الآحاد من الأبرار لنستنفذ بهم من شئنا من الضلال و نعطي الحطام
للعنة الطغام الأرزال ابتلاء للعباد ليبين لهم أهل البغي من أهل الرشاد،
و لولا ما اقتضته حكمتنا بترتيب هذا الوجود على الأسباب من المفاوطة
بين الناس لقيام الوجود لساوينا بينهم ، و عطف: عليه قوله مذكرا بلطفه^٢
بالمؤمنين و بره لهم برفعه ما يقتضى لهم شديد المجاهدة و عظيم المصابرة
١٠ و المكابدة لحال تزل فيه الأقدام عن سنن الهدى من الميل و الإصغاء إلى
مظان الغنا و الملك و تمام المسكنة و العظمة : (و لو لا أن يكون الناس)
أى أهل التمتع بالأموال بما فيهم من الاضطراب و الانس بأنفسهم
(أمة واحدة) أى فى الضلال بالكفر لاعتقادهم أن إعطاءنا المال دليل
على محبتنا لمن أعطيناه لحبهم الدنيا و جعلها محط أنظارها و همهم إلا من
١٥ عصم الله (لجعلنا) أى فى كل زمان و كل مكان بما لنا من العظمة
التي لم يقدر أحد على معارضتها لحقارة الدنيا عندنا و بعضنا لها

(١) من مد، و فى الأصل و ظ : الاوارير (٢-٢) من ظ و مد، و فى
الأصل : العظام للاراذل، و فى ظ : العظام الأرزال (٣) من ظ و مد، و فى
الأصل : لطفه .

(لمن يكفر) وقوله: (بالرحمن) أى العام الرحمة دليل على حقارة الدنيا من جهة إعطائها للبعد الممقوت، وعلى أن صفة الرحمة مقتضية لتأهلي بسط النعم على الكافر لولا العلة التى ذكرها سبحانه من الرفق بالمؤمنين .

ولما كان / زين الظرف دائما بحسب زينة المظروف، دل على ما^٢ ٦٩٣ /
 لهم^٢ من ملابسهم ومراكبهم وغير ذلك من أمورهم بزينة المنازل، فقال
 مبدلا [من-^٢] "لمن" بدل الاشتمال لأن سوقه على طريق الإبدال أروع:
 (ليوتهم) أى التى يزلونها (سقا) أى هذا الجنس فى قراءة ابن كثير
 وأبى عمرو، بالموحدة، بدليل قراءة الباقيين بضميتين جمعا (من فضة) كأنه
 [خصها-^٢] لإفادتها النور (ومعارج) أى من فضة، وهى المصاعد ١٠
 من الدرج لأن المشى عليها مثل مشى الأعرج (عليها يظهرون لا) أى
 يعلون^٣ ويرتقون على ظهورها إلى المعالى (وليوتهم ابوابا) أى من
 فضة أيضا .

ولما كان لإفراد السرير يوم أنه واحد يدار^٤ به على الكل، جمع
 ليفهم أن لكل^٥ واحد ما يخصه من الأسرة بخلاف السقف فانه لا يوم ١٥
 ذلك فلعله قرئ بإفراده وجمعه، فقال: (وسررا) بالجمع خاصة، ودل

(١) فى ظ: للعبد (٢-٢) من ظ ومد، وفى الأصل: حالهم (٣) زيد من مد .
 (٤) زيدت الواو فى الأصل ولم تكن فى ظ ومد فحذفناها (٥) راجع نثر
 الرجان ٥ / ٤٢٠ (٦) من مد، وفى الأصل و ظ: يعولون (٧) من مد، وفى
 الأصل و ظ: يراد (٨) من ظ ومد، وفى الأصل: الكل .

نظم الدرر (سورة الزخرف ٤٣ : ٢٤ - ٢٦) ج - ١٧

على هدوء بالهم و صفاء أوقاتهم و أحوالهم بقوله : ﴿عليها يتكوّن لا﴾
و دل على ما لا يتناهى من غير ذلك بقوله : ﴿و زخرفاً﴾ أى ذهباً
و زينة عامة [كاملة^١].

و لما كان لفظ الزخرف دالاً على كون ذلك [أمرأ^٢] ظاهرياً
متلشياً عند التحقيق، دل عليه بقوله مؤكداً لما تقرر فى النفوس
من أن السادة فى مثل ذلك، و ما كان مقرراً عندهم من أن السعيد
فى الأول سعادته فى الآخرة على تقدير كونها : ﴿وان﴾ أى و ما
﴿كل ذلك﴾ أى الأمر البعيد عن الخير لكونه فى الأغلب مبعداً عما
يرضينا، و لأن صاحبه لا يزال فقيراً و أن استوسقت له الدنيا ملكاً
١٠ و ملكاً، لأنه لا بد أن يبقى فى نفسه شيء لا تبلغه قدرته فهو لا يزال
مغبوناً ﴿لما﴾ أى إلا - هذا على قراءة عاصم و حمزة بالتشديد^٣ : و هى
فى قراءة الباقيين بالتخفيف فارقة بين النافية و المحففة، و ما مؤكدة و الخبر
هو : ﴿متاع الحياة الدنيا﴾ أى التى اسمها دال على دنائها و أن لها
أضراراً هى الآخرة، و هو منقطع بالموت، فلذلك اقتضت رحمته أن
١٥ لا يضيق على المؤمنين فى الأغلب لأن السعة تنقصهم فى الآخرة و يطول
الحساب ﴿و الآخرة﴾ التى لا دار تعدلها بل لا دار فى الحقيقة
إلا هى .

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيد من مد (٣) راجع نثر الرمان ٤٢١ / ٥ .
(٤) سقط من ظ و مد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل : اسمها (٦-٧) من
ظ و مد، و فى الأصل : صورتين .

ولما كانت الإضافة إلى الجليل دالة على جلالة المضاف إليه فقال:
 (عند ربك) وأشار بالوصف بالرب إلى أن الجلالة بالحسن والراحة،
 وبالإضافة إليه صلى الله عليه وسلم في أعلى الغايات (للتقين) أي
 الذين هم دائماً واقفون عن أدنى تصرف إلا بدليل لا يشاركونهم فيها غيرهم،
 وهذا لما ذكر عمر رضى الله عنه كسرى وقصر وما كانا فيه من النعم
 قال النبي صلى الله عليه وسلم: ألا نرضى أن يكون لهم الدنيا ولنا الآخرة.
 ولا يبعد أن يكون ما صار إليه الفسقة من الجبارة من زخرفة الأبنية
 وتركيب السقوف وغيرها من مساوئ الفتنة بأن يكون الناس أمة
 واحدة بالكفر قرب الساعة حتى لا تقوم الساعة على من يقول: الله،
 وفي زمن الدجال من يبقى إذا ذاك على الحق في غاية القلة بحيث أنهم ١٠
 لا عداد لهم في جانب الكفرة. لأن كلام الملوك لا يخلو عن حقيقة،
 وإن خرج مخرج الشرط فكيف بملك الملوك.

ولما كان التقدير: ولكننا لم نجعل ذلك علما منا بأن الناس كادوا
 يكونون أمة واحدة وإن كنا نقيض من جبلناه على الخير على الإيمان
 لكن ينقصه ما أوتى في الدنيا من خطر في الآخرة لأن من وسع عليه ١٥
 في دنياه اشتغل في الأغلب عن ذكر الله فنشرت منه الملائكة ولزمت
 الشياطين، فساقه ذلك إلى كل سوء، ومن يتق الله فيديم ذكره يؤيده

(١) من مد، وفي الأصل و ظ : دابا (٢) من ظ و مد، وفي الأصل :
 زخرف (٣) من ظ و مد، وفي الأصل : مبادئ (٤) من ظ و مد، وفي
 الأصل : عدد (٥) في ظ و مد : كانوا .

بملك فهو له معين ، عظم عليه قوله معبرا عن غفلة البصيرة بالعشا^١
الذى هو ضعف البصر تصورا لمن ينسى ذكر الله بأقبح صورة تنفيرا
عن ذلك : ﴿ ومن يعش ﴾ أى يفعل فعل المعاشى ، وهو من شاء بصره
بالليل والنهار أو عمى على قراءة شاذة وردت عن يعقوب بفتح
الشين^٢ وركب^٣ الأمور متجاوزا ﴿ عن ذكر الرحمن ﴾
الذى عمت رحته . فلا رحمة على أحد إلا وهى منه كما فعل هؤلاء حين
متعاهم^٤ وآباءهم حيث ابطروهم ذلك ، وهو شئ يسير جدا ، فأعرضوا
عن الآيات والدلائل فلم ينظروا فيها إلا نظرا ضعيفا كنظر من عشى
بصره ﴿ تقيض ﴾ [أى -^٥] نقرر ونسلط ونقدر عقابا ﴿ له ﴾ على
١٠ إعراضه عن ذكر الله ﴿ شيطنا ﴾ أى شخصا ناريا بعيدا من الرحمة يكون
غالبا محيطا به مضيقا عليه مثل قيض البيضة وهو القشر الداخل
﴿ فهو له قرين ه ﴾ مشدود به كما يشد الأسير ، ملازم فلا يمكنه التخلص
منه ما دام متعاميا عن ذكر الله ، فهو يزين له العمى ويخيل إليه أنه
على عين الهدى ، كما أن من يستبصر بذكر الرحمن يسخر له ملك^٦ فهو
١٥ له ولى يشره بكل خير ، فذكر الله حصن حصين من الشيطان ، متى خرج
[العبد -^٧] منه أسره العدو كما ورد فى الحديث ، قال فى القاموس :

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : بالعشاء (٢) راجع نثر المرجان ٦/٤٢٢ (٣) من
مد ، وفى الأصل و ظ : ركوب (٤) زيد فى الأصل و ظ : غير بيان ، ولم تكن
الزيادة فى مد فخذتها (٥) فى الأصل و ظ : بياض ملأناه من مد (٦) زيد
من مد (٧) من مد ، وفى الأصل و ظ : ملكا .

[العشى - ١] مقصور: سوء البصر بالليل و النهار أو العمى ، عشى كرضى و دعا ، و العشوة بالضم و الكسر : ركوب الأمر على غير بيان ، قال ابن جرير^٢ : و أصل العشو النظر بغير ثبوت لعله في العين ، و قال الرازى في اللوامع : و أصل اللغة أن العين و الشين و الحرف المعتل يدل على ظلام^٣ و قلة وضوح في الشيء .

٥

و لما كانت "من" عامة ، و كان القرين للجنس ، و أفردته لأنه نص على كل فرد ، فكان التقدير : فانهم ليحملونهم على أنواع الدنايا و يفتحون لهم أبواب الرذائل و البلايا ، و يحسنون لهم ارتكاب القبائح و الرزايا ، عطف عليه قوله مؤكدا لما [فى - ١] أنفس الأغلب - كما أشار إليه آخر الآية - أن الموسع عليه هو المهتدى ، جامعا دلالة على كثرة الضال : ١٠ (و انهم) أى القرناء (ليصدونهم) أى العاشين (عن السيل) أى الطريق الذى من حاد عنه هلك ، / لأنه لا طريق فى الحقيقة سواه .

/ ٦٩٥

و لما كانت الحيدة عن السيل إلى غير سبيل ، بل إلى معاطب لا يهتدى فيها دليل ، عجبا ، أتبعه عجبا آخر [فقال - ١] : (و يحسبون) أى العاشون مع - يرم في المهالك لتزيين القرناء باحضار الحظوظ و الشهوات ١٥ و إبعاد المواعظ : (انهم مهتدون) أى عريقون فى هذا الوصف لما يستدرجون به من التوسعة عليهم و التضييق على الذاكرين .

و لما كان من ضل عن الطريق ، و من ظن أنه على صواب لا يكاد

(١) زيد من مد (٢) راجع جامع البيان ٢٥ / ٣٩ (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : كلام .

يتبادى بل ينبجلى له الحال عن قرب^١ ضم إلى العجيبين الماضيين عجبا ثالثا
 يباا له على ما تقديره: ^٢ 'ونملى لهذا' العاشى استدراجا له وابتلاء لغيره
 ونمد^٣ ذلك طول حياته ^٤ (حتى) وحق الخبر بقوله: ^٥ (إذا) ولما
 علم من الجمع فيما قيل أن المراد الجنس، وكان التوحيد أدل دليل على
 ه تناول كل فرد، فكان التعبير به أهول^٦، وكان السياق دالا على من الضمير
 له قل: ^٧ (جآءنا) أى العاشى، ومن قرأ^٨ بالثنية أراد العاشى
 والقرين ^٩ (قال) أى العاشى تنديما وتحسرا لا انتفاع له به لفوات
 محله وهو دار العمل: ^{١٠} (نليت بينى وبينك) أيها القرين ^{١١} (بعد المشركين)
 أى ما بين المشرق والمغرب على التغليب - قاله ابن جرير^{١٢} وغيره،
 ١٠ أو^{١٣} مشرق الشتاء والصيف أى^{١٤} بعد أحدهما عن الآخر؛ ثم سبب عن
 هذا التمنى قوله جامعا له أنواع المذاام^{١٥}: ^{١٦} (فبئس القرين ه) أى لى^{١٧}
 علمت أنك الذى أضلنى وأوصلنى إلى هذا^{١٨} العيش الضنك والمحل الدحض
 وأحسست فى هذا^{١٩} الوقت بذلك الذى كنت تؤذنى به [أنه أذى-^{٢٠}]

-
- (١) من مد، وفى الأصل و ظ : قريب (٢-٢) من مد، وفى الأصل
 و ظ : على هذا (٣) من ظ و مد، وفى الأصل : مدا (٤) ليس فى ظ و مد .
 (٥) من ظ و مد، وفى الأصل : مول (٦) راجع جامع البيان ٤٠/٢٥ (٧) من
 مد، وفى الأصل و ظ : اى (٨) من مد، وفى الأصل و ظ : او (٩) من
 مد، وفى الأصل و ظ : الذم (١٠) من مد، وفى الأصل و ظ : ان .
 (١١) ريد فى الاصل : العشرو، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد لخصاها .
 (١٢) من ظ و مد، وفى الأصل : ذلك (١٣) زيد من مد .

بالغ، فكنت كالذي يحك جسمه لما به من قروح متأكلة حتى يخرج منه الدم فهو [في أوله - ١] يجد له لذة بما هو مؤلم له في نفسه غاية الإيلام^٢ . و لما كان الإيلام قد يؤذي الجسد، وكان^٣ التقدير حتما بما هدى^٤ إليه السياق فيقال لهم : فلن^٥ ينفعكم ذلك اليوم يوم جثتمونا إذ تمنيت هذا التمني حين عايتم تلك الأحوال اشتراككم اليوم [في يوم ٥ الدنيا في الظلم وتماثلوكم عليه ومنافرة بعضكم لبعض ، عطف عليه قوله - ٦] : (ولن ينفعكم اليوم^٧) أى^٨ في الدنيا شيئا من نفع أصلا (إذ) حين (ظلمتم) حال كونكم مشركين^٩ في الظلم متعاونين^{١٠} عليه متناصرين فه، وكل واحد منكم يقول لصاحبه سرورا به و تقربا إليه و توددا : يا ليت أنا لا نفرق^{١١} أبدا فنعم^{١٢} القرين أنت، فيقال لهم توبيخا : (أنكم في العذاب) ١٠ أى^{١٣} العظيم^{١٤}، وقدمه اهتماما بالزجر به والتخويف منه^{١٥} (مشركون ٥)

- (١) زيد من ظ و مد (٢-٢) في مد : بما هو نفسه مؤلم غاية الألم (٣-٣) سقط ما بين الرقين من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، وفي الأصل : يهدى (٥) من ظ و مد ، وفي الأصل : لن (٦) زيد من مد ، و وقع قبله في الأصل و ظ : تجاوزت ، ولم تكن الزيادة في مد لحذفها (٧) ليس في الأصل و ظ . (٨) من مد ، وفي الأصل و ظ : ما كنتم عليه (٩) زيد في الأصل و ظ : ولا يبالكم ، ولم تكن الزيادة في مد لحذفها (١٠) من مد ، وفي الأصل و ظ : مشركون (١١) من ظ و مد ، وفي الأصل : متعارفين (١٢) من ظ و مد ، وفي الأصل : لا لقرن (١٣) من ظ و مد ، وفي الأصل : فبئس . (١٤) زيد في الأصل : العذاب ، ولم تكن الزيادة في ظ و مد لحذفها . (١٥) زيد في الأصل : قوله ، ولم تكن الزيادة في ظ و مد لحذفها .

نظم الدرر (سورة الزخرف ٤٣: ٣٩ و ٤٠) ج - ١٧

أى^١ اشتراككم فيه دائما ظلمكم^٢ أنفسكم ظلما باطنا بأمر أخفاها الطبع^٣
على القلوب^٤ وهو الموجب^٥ للارتباك في أشراك^٦ المعاصي الموصلة
إلى العذاب الظاهر يوم التمتع^٧ و يوم القيامة عذابا ظاهرا محسوسا،
وذلك كمن يجرح جراحة بالغة وهو مغنى عليه فهو / معذب بها قطعاً،
ولكنه لا يحس إلا إذا أفاق [فهو^٨] كما تقول لأناس يريدون أن
يتمالؤا على قتل نفس محرمة: لن ينفعكم اليوم إذ تتعاونون على قتله^٩
اشتراككم غدا في الهلاك بالسجن الضيق و الضرب المتلف و ضرب
الاعناق، مرادك بذلك زجرهم عن^{١٠} ظلمهم بتذكيرهم بأنهم يصلون إلى
هذا الحال و يزول ما هم فيه من المناصرة^{١١} فلا ينفعهم شيء منها - والله
الموفق، فالآية من^{١٢} الاحتباك، و به زال عنها ما كان من إعراب المعربين
لها موجبا للارتباك "فيا ليت" - إلى آخره، دال على تقدير ضده ثانيا
"ولن ينفعكم" - إلى آخره، دال على تقدير مثله أولا.

ولما كان صلى الله عليه وسلم شديد الإرادة لإقبالهم يكاد يقتل
نفسه أسفا على إدبارهم، و كان هذا الزجر الذى لا يسمعه من له أدنى

(١) ونع في الأصل بعد « في العذاب » و الترتيب من ظ و مد (٢) من مد،
وفي الأصل و ظ : ظلمتم (٣) من ظ و مد، وفي الأصل : ما طبع (٤-٥) سقط
ما بين الرقيين من مد، وفي ظ : الموجب (٥) من مد، وفي الأصل و ظ :
اشراط (٦) زيد من ظ و مد (٧) زيد في الأصل : وهو، ولم تكن الزيادة
في ظ و مد فحذفناها (٨) من مد، وفي الأصل و ظ : على (٩) من مد، وفي
الأصل و ظ : الفاصر (١٠) من مد، وفي الأصل و ظ : في .

عقل إلا خلع قلبه فرجع^١ عن غيه و راجع رشده قد تلى عليهم فلم
 يتفعوا به، فكان كأنه قيل: إن هؤلاء الصم^٢ عمى محيط بهم الضلال
 إحاطة^٣ لا يكادون يفكون عنه^٤ من كل جانب، فلا وصول لأحد إلى
 إسماعهم ولا تبصيرهم ولا هدايتهم. قال بانيا عليه مسيا عنه تخفيفا على
 النبي صلى الله عليه وسلم فيما يقاسى من الكرب في المبالغة في إبلاغهم^٥
 حرصا على إقبالهم والنعمة من إعراضهم بهمزة الإنكار الدالة^٦ على نفي
 ما سيق له^٧: ﴿ افانت ﴾ أى وحده من غير إرادة الله تعالى
 ﴿ تسمع الصم ﴾ وقد أصممتهم بما صبنا في مسامع أفهامهم من رصاص
 الشقاء ﴿ او تهدي العمى ﴾ الذين أعميناهم بما غشنا به أبصار بصارهم
 من أغشية البلادة والخسارة، فصار ما اختاروه لأنفسهم من العشى^٨
 عمى مقرونا بصممهم ﴿ ومن كان ﴾ أى^٩ جلبة وطبعا^{١٠} ﴿ فى ضلل مبين ﴾
 أى بين [فى - ^{١١}] نفسه أنه ضال وأنه محيط بالضلال مظهر لكل
 أحد ذلك، فهو بحيث لا يخفى على أحد، فالمعنى: ليس [شيء من - ^{١٢}]
 ذلك إليك، بل هو إلى الله القادر على كل شيء، [وأما - ^{١٣}] أنت
 فليس عليك إلا البلاغ^{١٤}.

١٥

(١) من مد، وفى الأصل وظ: ورجع (٢) زيد فى الأصل: بكم، ولم تكن
 الزيادة فى ظ ومد لحذفها (٣-٤) سقط ما بين الرقيين من ظ ومد (٤) من
 ظ ومد، وفى الأصل: الدال (٥) سقط من ظ (٦-٧) من ظ ومد، وفى
 الأصل: فى جيلته (٧) زيد من ظ ومد (٨) زيد فى الأصل: فقط، ولم تكن
 الزيادة فى ظ ومد لحذفها

ولما كان هذا كالمؤس منهم ، وكان اليأس من صلاح الخصم
 موجبا لتفنى الراحة منه بموت أحدهما ، سبب عن التقديرين قوله ميئا
 أن الإملاء 'لهم ليس' لعجز عنهم ولا لإخلاف في الوعد ، مؤكدا بالتون
 و "ما" ثم "انا" و الاسمية لمن يظن خلاف ذلك' و لانه صلى الله عليه وسلم
 مشرف عنده سبحانه و تعالى معظم^٢ لديه فذهابه به مما يستبعد ، ومن
 حقه أن ينكر ، وكذا إراءته ما توعدهم به [لأن -^٢] المظنون^١ إكرامهم
 لاجله : ﴿ فاما نذهبن بك ﴾ أى من بين [أظهرهم -^٢] بموت أو غيره
 ﴿ فانا منهم ﴾ [أى -^٢] الذين تقدم التعريض بأنهم عم^٦ عمى ضلال
 لأنهم لن تففعهم مشاعرهم ﴿ متقمون لا ﴾ أى بعد فراقك لأن وجودك
 ١٠ بين أظهرهم هو^٢ سبب تأخير العذاب عنهم^٤ ﴿ او زينك ﴾ وأنت
 بينهم ﴿ الذى وعدتهم ﴾ أى من العذاب . و عبر فيه بالوعد ليدل على
 الخير بلفظه و على الشر بأسلوبه / فيعم ﴿ فانا ﴾ بما تعلم من عظمتنا
 التى أنت أعلم الخلق بها ﴿ عليهم مقتدرون ﴾^{١٠} على كلا التقديرين ،
 و أكد بـ « ان » لأن أفعالهم أفعال من ينكر قدرته ، و كذا بالإتيان

٦٩٧ /

(١-١) تكرر ما بين الرتيبين في الأصل فقط (٢) من مد ، وفي الأصل و ظ :
 معظما (٣) زيد من مد (٤) من مد ، وفي الأصل و ظ : المعلنون (٥) من
 مد ، وفي الأصل و ظ : الذى (٦) من مد ، وفي الأصل و ظ : صمى .
 (٧) من ظ و مد ، وفي الأصل « و » (٨) زيد في الأصل : قوله ، ولم تكن
 الزيادة في ظ و مد لحذفها (٩) من مد ، وفي الأصل و ظ « او » (١٠) زيد
 في الأصل و ظ « اى » ، ولم تكن الزيادة في مد لحذفها .

بنون العظمة وصيغة الافعال ، و أحد هذين التقديرين سبق العلم الأزل
بأنه لا يكون ، فالآية من أدلة القدرة على المحال لغيره وهي كثيرة جدا ،
وقد أكرم الله نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم عن أن يريه شيئا يكرهه
في أمته حتى قبض .

و لما أوقف سبحانه السامع بهاتين الشرطيتين بين الخوف والرجاء ه
ليان الاستبداد بعلم الغيب تغليا للخوف ، وأفهم السياق وإن كان
شرطا أن الانتقام منهم أمر لا بد منه ، وأنه لا قدرة لأحد على ضررهم
ولا نفعهم إلا الله ، سبب عنه قوله : ﴿ فاستمسك ﴾ أى اطلب وأوجد
بجد عظيم على كل حال الإمساك ﴿ بالذى أوحى إليك ﴾ من حين
نبوتك^{١٠} وإلى الآن فى الانتقام منهم وفى غيره .

و لما كان المقام لكثرة المخالف محتاجا إلى تأكيد بطيب خواطر
الاتباع ويحملهم على حسن الاتباع ، علل ذلك بقوله : ﴿ انك على صراط ﴾
أى طريق واسع واضح جدا : ﴿ مستقيم ﴾ موصل إلى المقصود
لا يصح أصلا أن يلحقه شئ من عوج ، فإذا فعلت ذلك لم يضرك
شئ من نقصتهم^{١١} .

و لما أثبت حسنة فى نفسه المقتضى للزومه^{١٢} ، عطف [عليه -^{١٣}] نفعه

- (١) من مد ، وفى الأصل و ظ : يريد به (٢-٣) سقط ما بين الرقنين من مد .
(٢) من مد ، وفى الأصل و ظ : بهائين (٤) من مد ، وفى الأصل و ظ :
بخط (٥) من مد ، وفى الأصل : لوتيه ، وفى ظ : نبوته (٦) من ظ
ومد ، وفى الأصل : تأكيده (٧) من ظ و مد ، وفى الأصل : تصميمهم .
(٨) من مد ، وفى الأصل و ظ : لهروحه (٩) زيد من مد .

لهم . و أكد لإنكارهم فقال : ﴿ و انه ﴾ أى الذى أوحى^١ إليك فى الدين و الدنيا ﴿ لذكر ﴾ أى شرف عظيم جدا و موعظة و بيان ، عبر عن الشرف بالذكر للتنبيه على أن سببه الإقبال على الذكر و على ما بينه و شرعه و الاستمسك به و الاعتناء بشأنه : ﴿ لك و لقومك ﴾^٥ قريش خصوصا و العرب عموما و سائر من اتبعك و لو كان من غيرهم من جهة نزوله على واحد منهم و بلسانهم ، فكان سائر الناس تبعا [لهم-^٢] و من جهة إيرائه^٣ الطريقة الحسنى و العلوم الزاكية الواسعة و تأثيره الظهور على جميع الطوائف و الإمامة لقريش بالخصوص كما قال صلى الله عليه و سلم « لا يزال هذا الأمر فى قريش ما بقى فى الناس اثنان ما أقاموا الدين ، فمن أقام هذا الدين كان شريفا مذكورا فى ملكوت السموات و الأرض ، قال ابن الجوزى : و قد روى الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبی صلى الله عليه و سلم كان إذا سئل : لمن هذا الأمر ، من بعدك ، لم يخبر بشئ حتى نزلت هذه الآية ، فكان بعد ذلك إذا سئل قال : لقريش - و هذا يدل على أن النبی صلى الله عليه و سلم فهم من ١٥ هذا أنه بلى على المسلمين بحكم^٤ النبوة و شرف القرآن ، و أن قومه يخلفونه من بعده فى الولاية بشرف القرآن الذى أنزل على رجل

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : اوحينا (٢) زيد فى الأصل : اى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣) زيد من مد (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : اراته (٥) زيد فى الأصل و ظ : قال لقريش ، ولم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : حكم .

منهم - انتهى .

و لما كان التقدير: فسوف نشرفون على سائر الملوك و تعلون^١،
عطف عليه قوله: ﴿ وسوف تسألون^٢ ﴾ أى تصيرون فى سائر أنواع
العلم محط رحال / السائلين ديناً و دنيا بحيث يسألکم جميع أهل الأرض
من أهل الكتاب و من غيرهم عما يهمهم^٣ من أمر دينهم و دنياهم لما
يعتقدون من أنه لا يوازيكم أحد فى العلم بعد أن كنتم عندكم أحقر الأمم
ضعفاً و جهلاً كما وقع لبنى إسرائيل حيث رفعهم الله، و كان ذلك أبعد
الأشياء عند فرعون و آله، و لذلك كانوا يتضحكون استهزاءً بتلك
[الآيات - ٢] و ينسبون الآتى بها إلى ما لا يليق بمنصبه العالى من المحالات،
و تسألون عن حقه و أداء شكره. و كيف كنتم فى العمل به و الاستجابة ١٠
له، و هذا بوعده صادق لا خلف فيه أصلاً .

و لما أبطل سبحانه إلهية غيره التى أدى إليها الجهل، و استمر إلى أن
ختم بالعلم الموجب لمعرفة الحق، فكان التقدير: 'إبطالا لشبهتهم' الوهمية
القائلة "لو شاء الرحمن ما عبدنهم": فاستحضر جميع ما أوحى إليك
و تأمله غاية التأمل، هل ترى فيه خفاءً فى الإلهية لشيء دون الله، عطف ١٥
عليه قوله نفياً لدليل سمى كما أشير إليه بقوله "أم اتينهم كتباً"
﴿ و سئل من أرسلنا ﴾ أى على ما لنا من العظمة . و لما كان الممكن
تعرفه من آثار الرسل إنما هو لموسى و عيسى و من بينهما من أنبياء بنى
١ (١) من ظ و مد، و فى الأصل: تعلون (٢) من مد، و فى الأصل و ظ :
يعمهم (٣) زيد من مد (٤-٤) من مد، و فى الأصل و ظ : إبطال شبهتهم .

إسرائيل عليهم الصلاة والسلام الحافظ لسننهم من التوراة والإنجيل
والزبور وسفر الأنبياء، قال مثبتا للجار المقهم لبعض الزمان :
(من قبلك) .

ولما كان أتباعهم قد 'غيروا و بدلوا' فلم تكن بهم ثقة، عبر بالرسل
٥ فقال: (من رسلنا) أى بقراءة أتباعهم لكتبهم' التى حرفوا بعضها،
وجعلت كتابك مهيمنا عليها' فانهم إذا قرأوها بين يديك وعرضوها
عليك علمت معانيها و فضحت تحريفهم و بينت اتفاق الكتب كلها برد ما
ألبس عليهم من متشابهها' إلى محكمها. فالمراد من هذا نحو المراد من
آية يونس " فاسأل الذين يقرؤون الكتب من قبلك " و من آية
١٠ الأنبياء " هذا ذكر من معى و ذكر من قبل " مع زيادة الإشارة إلى
تحريفهم، فالمستول فى الحقيقة القرآن المعجز على لسان الرسول الذى
شهدت له جميع الرسل الذين أخذ عليهم العهد بالإيمان به و المتابعة له .
وبهذا التقرير ظهر ضعف قول من قال : إن المراد سؤال الرسل حقيقة
لما جمعوا له صلى الله عليه وسلم فى بيت المقدس ليلة الإسراء، فانه ليس
١٥ المراد من هذا إلا تبكييت الكفار من العرب و ممن عزم من أهل
الكتاب بقولهم : دينكم خير من دينه . و اتم أمدى سبيلا منه ، فانهم
(١-) فى ظ و مد : بدلوا و غيروا (٢) من مد ، و فى الاصل وظ : كتبهم .
(٣) من ظ و مد ، و فى الاصل : عليهم (٤) من ظ و مد ، و فى الاصل :
متشابهاتها (٥) من مد ، و فى الاصل وظ : التقدير (٦) من مد . و فى الاصل
و ظ : بقولكم .

إذا أحضروا كتبهم علمت دلالتها القطعية على اختصاصه سبحانه بالعبادة كما بينته في كتابي [هذا - ١] برد المنشابه^٢ منها إلى المحكم، وجعلها ابن جرير^٣ مثل قوله تعالى "فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر" وقال: ومعلوم أن معنى ذلك: فردوه إلى كتاب الله ورسوله^٤ صلى الله عليه وسلم، قال: فاستغنى^٥ بذكر الرسل عن ذكر الكتب. وهو عين / ما قلته، ولو كان المراد حقيقة السؤال وسؤال جميع الرسل لقال "قبلك" بإسقاط "من" ليستغرق الكل - والله أعلم.

ولما ذكر المسؤل مفخما له بما اقتضته العبارة من الإرسال والإضافة إليه، ذكر المسؤل عنه بقوله تعالى: ﴿ اجعلنا ﴾ أى أبجنا وأمرنا ١٠. ورضينا على ما لنا من العظمة^٦ والقدير^٧ النامة^٨. مما يتأني ذلك، وقر حقايرة ما سواه بقوله: ﴿ من دون ﴾ وزاد بقوله: ﴿ الرحمن ﴾ أى الذى رحمته عمت^٩ جميع الموجودات ﴿ الهة ﴾ ولما كان قد جعل لكل قوم وجهة يتوجهون في عبادتهم إلهها، وشيئا محسوسا بغلبة الأوهام على الأفهام يشهدونه^{١٠} وكان ربما تعنت به متعنت، قال محترزا: ١٥ ﴿ يعبدون^{١١} ﴾ [أى - ١١] من عابد ما بوجه ما^{١٢}.

(١) زيد من ظ ومد (٢) من ظ ومد، وفي الأصل: اللابة (٣) راجع جامع البيان ٤٢/٢٥ (٤) زيد في الأصل: اعرضوه على، ولم تكن الزيادة في ظ ومد وجامع البيان لحذفها (٥) من ظ ومد وبالطام، وفي الأصل: رسول الله (٦) من ظ ومد، وفي الأصل: «او» (٧-٧) -قط ما بين الرقبين من ظ ومد (٨) سقط من مد (٩) من مد، وفي الأصل و ظ: يشهدونه (١٠) زيد من مد (١١) من ظ ومد، وفي الأصل: من الوجوه.

و لما كان المترفون مولعين^١ بأن يزدروا من جاءهم بالرد عن أغراضهم
 الفاسدة بنوع من الازدراء كما قال كفار قريش ” لو لا نزل هذا القرآن
 على رجل من القريتين عظيم “ ولا يزالون يردون هذا وأمثاله من
 الضلال حتى يقهرهم ذو الجلال بما أنتهم^٢ به رسله^٣ إما باهلاكهم
 ه أو غيره وإن كانوا في غاية القوة . أورد سبحانه قصة موسى عليه
 الصلاة والسلام شاهدة على ذلك بما قال فرعون لموسى عليه الصلاة
 والسلام من نحو ذلك ومن إهلاكه على قوته وإنجاء^٤ بنى إسرائيل
 على ضعفهم ، وتسلية للنبي صلى الله عليه وسلم و ترجية .

و لما كان التقدير : فلقد أرسلنا جميع رسلنا وهم أشرف الخلق
 ١٠ بالتوحيد الذى جئت به ، وما كنا فى إرسالنا إياهم مراعين لما يريد
 الأمم من جاءه أو مال أو غير ذلك . فلا وجه للاتكال عليك فيما
 أرسلناك به من التوحيد و غيره . و لا لمعادتك فيه ، عطف عليه أول
 من أرشد^٥ إلى سؤال^٦ أتباعهم فمال مؤكدا لأجل ما يعاندون به من
 إنكار الرسالة ، وأتى بحرف التوقع لما اقتضاه من الأمر بسؤال الرسل
 ١٥ عليهم الصلاة والسلام : ﴿ ولقد أرسلنا ﴾ أى بما ظهر من عظمتنا .
 و لما كان الإرسال منه سبحانه ليس على حسب العظمة فى الدنيا

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : مولعون (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل :
 لم تنتهم (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : رسلهم (٤) من ظ و مد ، وفى
 الأصل : انجينا (٥) من مد ، وفى الأصل و ظ : أرسل (٦) من مد ، وفى
 الأصل و ظ : رسول .

بما يراه أهلها كما قال هؤلاء "لولا نزل هذا القرآن" - الآية . قال
مناقضاهم : ﴿ موسى ﴾ أى الذى كان فرعون يرى أنه أحق الناس
بتعظيمه لأنه ربه وكفله ﴿ باينتنا ﴾ أى التى قهر بها عظماء الخلق
وجبارتهم ، فدل ذلك على صحة دعواه وعلى جميع الآيات لتساويها
في القدرة وخرق العادة . ولما كان السياق لسؤال النبي صلى الله عليه
وسلم الرسل عن أمر التوحيد ، كانت الآيات كافية . فلم يذكر السلطان
لأنه للقهر والغلبة : ﴿ الى فرعون ﴾ أى "لأنه طغى وبغى" وادعى
أنه هو " الرب الأعلى " ووافق الضالون : ﴿ وملائه ﴾ الذين جعلهم
/ آلهة دونه و عبدتم قومهم فلم يقرم على ذلك لانا ما رضيناہ ﴿ فقال ﴾ / ٧٠٠
بسبب إرسالنا ﴿ ا ، رسول ﴾ وأكد لأجل إنكارهم ما أنكره قومك ١٠
من الرسالة . ولما كان الإحسان سببا للاذعان قال : ﴿ رب الخلق ﴾
أى مالكمهم^١ ومريهم^٢ ومديهم^٣ .

ولما كانوا قد فعلوا من الرد لرسالته صلى الله عليه وسلم والاستهزاء
بها ما فعلته قريش . قال مسلما للنبي صلى الله عليه وسلم ومهددا لهم
تسليبا عما تقديره : فقالوا له ائت بآية ، فأتى بها^٤ على ما تقدم غير ١٥
مرة بما هو كالشمس بيانا وحسنا : ﴿ فلما جاءهم باينتنا ﴾ بالإتيان بآيتي

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : الذى (٢) من مد ، وفى الأصل و ظ :
من (٣-٢) سقط ما بين الرقين من ظ و مد (٤) سقط من ظ (٥) من مد ،
وفى الأصل و ظ : عهدهم (٦) من مد ، وفى الأصل و ظ : فى (٧-٢) فى
مد : مد برهم ومريهم .

اليد^١ والعصى اللتين شهدوا فيهما عظمتنا^٢ ودلتنا على^٣ قدرتنا على جميع الآيات (إذا هم) أى بأجمعهم^٤ استهزاء برسولنا، وطال ما يضحك عليهم هو ومن آمن برسالة ربنا جاء به عنا يوم الحسرة والندامة^٥ (منها يضحكون^٥) أى فاجأوا المجيء بها من غير توقف [ولا كسل -^٦] بالضحك سخريه واستهزاء .

و لما كان ربما ظن ظان أن في الآيات ما يقبل شيئاً من ذلك ، بين حالها^٧ سبحانه بقوله : (وما) أى و الحال أنا ما (نريهم) على مالنا من الجلال والعلو والكمال ، [و -^٨] أعرق في النفي بآيات الجار وأداة الحصر لأجل من قد يتوهم أنهم معذورون في ١٠ ضحكهم فقال : (من آية الإلهى الأكبر) أى في الرتبة (من اختها^٩) أى [التى -^٦] تقدمت عليها بالسبب إلى علم الناظرين لها لأن الآدمى لئله من النسيان إذا أتاه الثانى من المتساويين رأى جميع^{١٠} من أتاه^{١١} ناسياً ولا بعض^{١٢} من أنى^{١٣} الأول فيقطع^{١٤} بأنه أكبر منه ، أو أن هذا كناية عن أنها كلها في نهاية العظمة كمال قال شاعرهم : من تلق منهم

(١) من ظ و مد ، وفي الأصل : اليد (٢) زيد في الأصل : وقدرتنا ، ولم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٣) زيد في الأصل : عظمتنا ، ولم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٤) (٤-٤) حقت ما بين الرقين من ظ و مد . (٥) ليس في الأصل فقط (٦) زيد من مد (٧) من ظ و مد ، وفي الأصل : حاله (٨) زيد من ظ و مد (٩-٩) من مد ، وفي الأصل و ظ : مزاياه (١٠) في مد : لا بد بعض (١١) من مد ، وفي الأصل و ظ : فيقيم .

تقل لافيت سيدهم، أو^١ أن بينها^٢ في الكبر عموما وخصوصا من وجه، وأحسن من ذلك ما اشار إليه ابن جرير^٣ من أن كل آية أوضح في الحجة عليهم وأؤكد مما قبلها، لأنها دلت على ما دلت عليه وزادت^٤ ما أفادته المعاضدة^٥ من الضخامة فعمارت^٦ هي مع ما قبلها أكبر مما قبلها عند ورودها وإقامة الحجة بها .

ولما كان التقدير: فاستمروا على كفرهم ولم يرجعوا لشيء من الآيات لأننا أصممناهم وأعمناهم وأحطنا بهم الضلال^٧ لعلمنا بحالهم^٨، عطف عليه قوله: ﴿واخذتهم﴾ أي أخذ قهر وغلبة ﴿بالعذاب﴾ أي كله لأننا واترنا عليهم ضرباته على وجه معلم بأننا قادرون على ما نريد منه فأرسلنا عليهم [الطوفان و -^٩] الجراد والقمل والضفادع^{١٠} والدم^{١١} "أيت مفصلت^{١٢}" والقطع: البرد الكبير الذي لم يعهد مثله ملتها بالنار، وموت الأبرار، فكانت آيات على صدق موسى عليه الصلاة والسلام بما لها من الإعجاز، وعذابا لهم في الدنيا موصولا بعذاب الآخرة، فيا لها من قدرة باهرة وحكمة ظاهرة ﴿لعلمهم يرجعون^{١٣}﴾ أي ليكون حالهم عند ناظرهم الجامل بالمواقف حال من يرجي رجوعه .

ولما كان فرعون في كثير من الضربات التي كان يضربه بها

(١) من ظ و مد، وفي الأصل: و . (٢) من مد، وفي الأصل و ظ : يليها (٣) راجع جامع البيان ٢/٣ الآية المتعاقبة (٤) زيد في الأصل و ظ : على، ولم تكن الزيادة في مد ولا في الجامع لحذفها (٥-٥) سقط ما بين الرقين من ظ . (٦-٦) سقط ما بين الرقين من ظ و مد (٧) زيد من مد .

سبحانه - كما مضى في الاعراف عن التوراة - / يقول لموسى عليه الصلاة والسلام: قد أخطأت و الرب بار و أنا وشعبي لجار، فصلينا بين يدي الرب فانه ذو إمهال و أناة. فيصرف عني كذا، فاذا صرف الله ذلك عنهم عاد على ما كان عليه من العجور، كان فعله ذلك فعل من لا يعتقد أنه موسى عليه الصلاة والسلام نبي حقيقة، بل يعتقد أنه ساحر، و أن أفعاله إنما هي خيال. فكذلك عبر عن هذا المعنى بقوله عطفًا على ' ما تقديره ' : فلم يرجعوا : (و قالوا) أى فرعون بالباشرة و أتباعه بالموافقة له : (يا أيها السحر) فادوه بأداة البعد مع الإيهام بقالوا دون " نادوا " أنه حاضر إشارة إلى بعده من قلوبهم، و التعبير بهذا ١٠ توبيخ لقريش بالإشارة إلى أنهم و غيرهم ممن مضى يرمون الرسول بالسحر و بقرون رسالته عند الحاجة إلى دعائه في كشف ما عذبهم و رهم به، و ذلك قادح فيما يدعون من الثبات و الشجاعة و العقل و الإنصاف و الشهامة، و ذلك كما وقع لقريش لما قال النبي صلى الله عليه و سلم اللهم عني عليهم بسنين كسنى يوسف، ففحقوا، فلما اشتد عليهم ١١ البلاء أتى أبو سفيان بن حرب إلى النبي صلى الله عليه و سلم بالمدينة الشريفة فقال : يا محمد ! إنك قد جئت بصلة الأرحام و إن قومك قد ملكوا فادع الله لهم، فدعاهم فأغيثوا، فلا شك أن ترجمة^٢ حالهم هذا الذي ذكره الله من التناقض الذي لا يرضاه لنفسه عاقل، و هو وصفه بالسحر

(١-١) من مد، و في الأصل و ظ : تقدير (٢) زيد في الأصل و ظ : لهم، و لم تكن الزيادة في مد فحذفناها.

و طلب الدعاء منه يمنع اعتقاد أنه ساحر ، و اعتقاد أنه ساحر يمنع طلب الدعاء منه عند العاقل ﴿ ادع لنا ربك ﴾ ؛ أى المحسن إليك بما يفعل معك من هذه الأفعال التى نهيتنا بها إكراما لك ﴿ بما ﴾ أى بسبب ما ﴿ عهد عندك ع ﴾ من أنه يفعل من وضعها ورفها على ما تريد^٢ على ما أخبرتنا أنه إن آمنا^٣ أكرمنا ، و إن تمادينا أهانتنا ، ثم عللوا ذلك ه بقولهم مؤكدا تقريبا لحالهم البعيدة من الاعتداء بما يخبر به شاهد الوجود : ﴿ انا لمهتدون ه ﴾ أى اهتداء ثابتا يصير لنا وصفا لازما عند كشف ذلك عنا .

و لا كان العاقل لا يخبر عن نفسه إلا بما هو صحيح ، فكيف إذا كان عظيما بين قومه فكيف إذا أكد ذلك بأنواع من التأكيد ، فكان ١٠ السامع لهذا الكلام يقطع بصدقه ، بين تعالى ما يصحح أن حالهم حال من يعتقد أنه ساحر بأنهم أسرعوا الحياة بالكذب فيه من غير استحياء و لا خوف ، فقال معبرا بالفاء دلالة على ذلك : ﴿ فلما كشفنا ﴾ على ما لنا من العظمة التى ترهب الجبال ﴿ عنهم العذاب ﴾ [أى - ^٤] الذى أنزلناه بهم ﴿ اذا هم ينكثون ه ﴾ أى فاجأوا الكشف بتجديد ١٥ النكث باخلاف بعد إخلاف ﴿ و نادى فرعون ﴾ أى زيادة على نكثه ﴿ فى قومه ﴾ أى الذين لهم غاية القيام معه ، و أمر كلا منهم أن يشبع قوله إشاعة تعم البعيد كما تشمل^٥ القريب فتكون كأنها مناداة إعلاما

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : لا سال (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : يزيد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : انا (٤) زيد من ظ و مد (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : تشمل .

بأنه مستمر على الكفر لئلا يظن بعضهم أنه رجع . ولما كان / كأنه
 قيل : 'لم نادى' ؟ أجاب بقوله : ﴿ قال ﴾ أى خوفاً من إيمان القبط
 لما رأى من [أن - ٢] ما شاهدوا من باهر الآيات^٢ مثله يزلزل و يأخذ
 بالقلوب : ﴿ يقوم ﴾ مستعظفا لهم باعلامهم بأنهم لحمة واحدة ،
 ٥ و مستنهضاً بوصفهم بأنهم ذوو قوة على ما يحاولونه ، مقررًا لهم على
 عذره فى نكثه^٣ بقوله : ﴿ اليس لى ﴾ أى وحدي^٤ ﴿ ملك مصر ﴾
 أى كله ، فلا اعتراض على بنى إسرائيل ولا غيرهم ، لينتج له^٥ ذلك على
 زعمه أن غلبته على بنى إسرائيل و مقاهرته على إخراجهم^٦ من تحت
 يده بغى على من له الملك فتكون فسادا فلا بأس عليه إذا خدع من
 ١٠ فعل به ذلك بما عاهده عليه عند مس الضر ، ولم يقرأ بالصرف
 ليكون نصا على مراده من العلية ، و لأن المصر يطلق على المدينة
 الواحدة ، و التثنية يأتى للتحقير و هو ضد مراده .

و لما كان قد حصل له مما رأى من الآيات و ورد عليه من
 تلك الضربات بأنواع المثلاث ما أدهشه^٧ بحيث صار فى عداد من

(١ - ١) من ظ و مد ، و فى الأصل : ثم مادا (٢) زيد من مد (٣) زيد فى
 الأصل و ظ : بما ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) زيد فى الأصل :
 أى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل :
 لحمة (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : ذو (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل :
 بله (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : وحده (٩) من مد ، و فى الأصل و ظ :
 لهم (١٠) من مد ، و فى الأصل و ظ : إخراجهم (١١) من ظ و مد ، و فى
 الأصل : اهشه .

يشك أتباعه في ملكه، دل عليه بما بناه من الحال : ﴿ وهذه ﴾ أى و الحال
 أن هذه ﴿ الانهر ﴾ وكأنه كان قد أكثر من تشويق الخلق إلى
 بساطته [وقصوره ، ونحو ذلك من أموره فقال - ١] : ﴿ تجري من تحتي ٢ ﴾
 ٢ أى من أى موضع أردته بما لا يقدر عليه غيره ، وزاد في التقرير بقوله :
 ﴿ أفلا تبصرون ٣ ﴾ أى الذى ذكرته لكم فتعلموا ببصائر قلوبكم أنه لا ينبغي
 لأحد أن ينازعنى ، وهذا العمى قول من ضعفت قواه وانحلت عراه .
 ولما أرشد السياق إلى أن التقدير : أفهذا الذى جاء يسلبنا عيديننا
 بنى إسرائيل خير 'عندكم منى' ؟ نسق عليه قوله : ﴿ ام انا خير ﴾ مع
 ما وصفت لكم من ضخامتى ومالى من القدرة على إجراء المياه التى
 بها حياة كل شىء ، ونقل ابن الجوزى وغيره من المفسرين عن سيويه ١٠
 وأستاذة الخليل أنها ' معادلة لتقريرهم بالإبصار ، فكأنه قال : أفلا تبصرون
 ما ذكرتم به فترون لعدم إبصاركم أنه خير منى ام انا خير منه لأنكم
 لا تبصرون ، وكان هو أحق بهذه النصيحة منهم فانه أراهم الطريق الواضحة
 إلى الضلال الموصلة إليه من غير مشقة ولا تعب بقوله : أفلا تبصرون'
 [أم أنتم بصراء ، فيكون ذلك احتباكاً تقديره : أفلا تبصرون - ١] ما ١٥

(١) زيد من مد (٢-٢) تكرر ما بين الرقين فى الأصل فقط قبل « تجري
 من تحتي » (٣) زيد فى الأصل : « وغفل هو عن غير القدرة وغيره الميسر
 وغشا على قلبه وبصره وختم على سمعه وبصره وجعل على قلبه غشاوة ،
 فمن يهديه إلى أخ وأما قوله « أفلا تبصرون » ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد
 لحذفها (٤-٤) فى مد : منى عندكم (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : ابها (٦) من
 مد ، وفى الأصل و ظ : قاله (٧) العبارة من هنا فى مد و من « وكان
 هو أحق » فى ظ ساقطة إلى « ولا تعب بقوله » .

نبتهم عليه، فذكر الإبصار^١ أولا دليلا على حذف مثلها ثانيا والخيرية ثانيا دليلا على حذف مثلها أولا، وحق من عظمة الآتي له بتلك الآيات صلى الله عليه وسلم لثلا يسرع الناس إلى اتباعه لأن آياته - لكونها من عند الله - كالشمس بهجة وعلوا وشهرة فقال: ﴿من هذا﴾ فكفى بإشارة القريب
 ٥ عن تحقيره، ثم وصفه بما يبين^٢ مراده فقال: ﴿الذي هو مهين﴾ أي ضعيف حقير قليل ذليل، لأنه يتعاطى أموره بنفسه، وليس له ملك ولا قوة يجرى [بها -^٣] نهرا ولا ينفذ بها أمرا ﴿ولا يكاد يبين﴾ أي لا يقرب من أن يعرب^٤ عن معنى من المعاني لما في لسانه من الحبسة^٥ فلا هو قادر في نفسه ولا له قوة بلسانه على تصريف المعاني وتنويع البيان يستجلب^٦ القلوب ويدشش الأبواب فيكثر أتباعه ويضخم أمره،
 ١٠ وقد كذب في جميع قوله، فقد كان موسى عليه الصلاة والسلام أبلغ أهل زمانه قولا وفلا بتقدير الله الذي أرسله [له -^٧] وأمره إياه ولكن الخيث أسند^٨ هذا إلى ما بقي في لسانه من الحبسة^٩ تخيلا لاتباعه لأن موسى عليه الصلاة والسلام ما دعا بإزالة جميع حبسته^{١٠} بل
 ١٥ بعقدة منها .

ولما كان عند فرعون وعند من كان مثله مطموس البصيرة فاقد

-
- (١) من ظ و مد، وفي الأصل: الابل (٢) من مد، وفي الأصل و ظ : بين (٣) زيد من مد (٤) من مد، وفي الأصل و ظ : يقرب (٥) من مد، وفي الأصل و ظ : الحلة (٦) من مد، وفي الأصل و ظ : ليستخلص . (٧) سقط من مد (٨) من ظ و مد، وفي الأصل : حلت .

'الفهم وقوفاً مع الوهم' أن القرب من الملوك والغلبة على الأمور لا تكون إلا بكثرة الأعراض الدنيوية، والتحلي بحلي الملوك، سبب عن ادعائه لرسالته عن ملك الملوك اللازمة للقرب منه قوله: ﴿فلولاً﴾ ولما كانت الكرامات والحجبي^٢ والخلع تلقى على المكرم بها إلقاء، عبر به فقال: ﴿القي﴾ أى من أى ملق كان ﴿عليه﴾ من عند مرسله الذى بدعى أنه الملك بالحقيقة (أسورة) جمع أسورة - قاله الزجاج، وصرف لصيرورته على وزن المفرد نحو علانية وكرامية، والسوار: ما يوضع فى المعصم من الحلية (من ذهب) ليكون ذلك أمانة على صدق صحة دعواه كما نفعل نحن عند إنعامنا على أحد من عبيدنا بالإرسال إلى ناحية من النواحي لهم من المهمات ﴿او جاء معه﴾ أى صحبته "عند ما" ١٠ أنى إلينا بهذا النبأ الجسيم والملم العظيم ﴿اللائكة﴾ أى هذا النوع، وأشار إلى كثرتهم بما بين^٣ من الحال بقوله: ﴿مقترنين﴾ أى يقارن بعضهم بعضاً بحيث يملأون الفضاء^٤ ويكونون^٥ فى غاية القرب منه بحيث يكون مقارناً لهم ليحاجب^٦ إلى هذا الأمر الذى جاء يطلبه كما نفعل نحن

(١ - ١) من ظ و مد، وفى الأصل: العريم وقد قامع الفهم (٢) من مد، وفى الأصل وظ وعلى (٣) من مد، وفى الأصل وظ: الحلى (٤) من مد، وفى الأصل وظ: ملك (٥ - ٥) من مد، وفى الأصل وظ: عندنا (٦) من ظ و مد، وفى الأصل: تبين (٧) زيد فى الأصل: غفل بل عمى أنهم معه معنى وحساً باطنياً لا ظاهرياً ولوثقه رأى، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فخذناها (٨) من مد، وفى الأصل وظ: يكون (٩) من ظ و مد، وفى الأصل: ليجتاب.

إذا أرسلنا رسولا إلى أمر يحتاج إلى دفاع و خصام و نزاع، فكان حاصل أمره كما ترى أنه تعزز^١ باجراء المياه، فأهلكه الله بها إيماء إلى أن من تعزز^٢ بشيء دون الله أهلكه الله به، واستصغر موسى عليه الصلاة والسلام و أعابه بالفقر^٣ و الغنى فسلطه عليه إشارة إلى أنه ما استصغر أحد شيئا إلا غلبه - أفاده القشيري .

و لما كان كلامه هذا واضعا له عند من تأمل لا رافعا، و كان قد مشى على أتباعه لأنهم مع المنظمة دون المنه، فهم أذل شيء لمن ثبتت له رئاسته دنيوية و إن صار ترابا، و أعصى شيء على من لم تفقه^٤ له الناس و إن فعل الأفاعيل العظام، تشوف السامع / إلى ما يتأثر عنه / ٧٠٤

١٠ فقال: ﴿ فاستخف ﴾ أى بسبب هذه الخدع^٥ التى سحرهم بها فى هذا الكلام الذى هو فى الحقيقة محقر له موهن لأمره قاصم للملكه عند من له لب ﴿ قومه ﴾ الذين لهم قوة عظيمة، فحملهم بغروره على ما كانوا مهينين له فى خفة الحلم ﴿ فاطاعوه^٦ ﴾ بأن أقروا بملكه و أذعنوا لضخامته و اعترفوا بربوبيته و ردوا أمر موسى عليه الصلاة و السلام .

١٥ و لما كان كلامه كما مضى أعظم موهن لأمره و هو منقوض

(١) من مد، و فى الأصل و ظ : يغر (٢) من ظ و مد، و فى الأصل : تقرر (٣-٣) من مد، و فى الأصل و ظ : لما به بالفقر الحسى، « والحسى » ساقطة من ظ (٤) من مد، و فى الأصل و ظ : رابعا (٥) من ظ و مد، و فى الأصل : ثنى (٦) من مد، و فى الأصل و ظ : لم يبعد (٧) من ظ و مد، و فى الأصل : الخداع .

على تقدير متاته بأن موسى صلى الله على نبينا و عليه وسلم أتى بما يغنى عما قاله من الأساورة و ظهور الملائكة بأنه مهما هدهم فعله و مهما طلبوه منه أجابهم إليه ، فلم يكن للقبط داع إلى طاعة فرعون بعدما رأوا من الآيات إلا المشاكلة في خبائث الأرواح ، علل ذلك سبحانه بقوله مؤكدا لما يناسب أحوالهم فيرتضى أفعالهم و هم الأكثر : ﴿ انهم كانوا ﴾ ٥
 أى بما في جبلاتهم من الشر و النفاق لأنهم كانوا ﴿ قوما ﴾ أى
 عندهم قوة شكائم توجب لهم الشهادة إلا عند من يقهرهم بما بالقون
 من أسباب الدنيا ﴿ فسقين ﴾ أى عريقين في الخروج عن طاعة الله
 إلى معصية ، قد صار لهم ذلك خلقا ثانيا ، و كأن مدة محاولة الكلام
 عليه الصلاة و السلام لهم كانت قريبة ، فلذلك عبر بالفاء في قوله : ١٠
 ﴿ فلما أسفونا ﴾ أى فعلوا معنا ما يغضب إغضابا شديدا باغضاب
 أوليائنا كما في الحديث القدسي " مرضت فلم تعدنى ، لنكتهم مرة
 بعد مرة و كرة في إثر كرة ﴾ اتقمنا منهم ﴾ أى أرقنا بهم على وجه
 المكافأة لما فعلوا برسولنا عليه السلام عقوبة عظيمة منكرة مكرهه

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : أكثر (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل :
 خبائث الشرك (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : غير (٤) زيد فى الأصل :
 و المشهور عنهم بما نسوا إياه من الكفر ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد
 فحذفنا (٥) زيد فى الأصل و ظ : عن الله سبحانه و تعالى ، و لم تكن الزيادة
 فى ظ و مد فحذفنا (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : ليأهم (٧) من و مد ،
 و فى الأصل و ظ : بما ٨ - ٨ : من ظ و مد ، و فى الأصل : مم رسول الله
 صلى الله عليه و سلم .

كأنها بعلاج ﴿فاغرقنهم﴾ في النيم ﴿اجمعين لا﴾ إهلاك نفس واحدة
لم بفلت^٢ منهم أحد على كثرتهم وقوتهم وشدتهم، وهذا لا يكون
[في - ٢] العادة إلا بعد علاج كثير أو اعتناء كبير .

ولما كان إهلاكهم بسبب إغصابهم لله^٣ وبالكبر^٤ على رسله^٥،
كانوا سببا لأن يتعظ بحالهم من يأتي بعدهم فلذلك قال تعالى : ﴿فجعلنهم﴾
أى بأخذنا لهم على هذه الصورة من الإغراق وغيره مما تقدمه ﴿سلفا﴾
متقدما لكل من يهلك بعدهم إهلاك غضب^٦ في الهلاك^٧ في الدنيا
والعذاب في الآخرة وقدوة لمن يريد العلو في الأرض فتكون عاقبته
في الهلاك^٨ في الدارين أو إحداهما^٩ عاقبتهم كما قال سبحانه عز من
١٠ قائل وتبارك وتعالى "وجعلنهم آية يدعوون إلى النار" : ﴿ومثلا﴾
أى حديثنا عجيبا سائرا مسير المثل^{١٠} ﴿للآخرين^{١١}﴾ الذين خلفوا بعدهم
من زمنهم إلى آخر الدهر فيكون حالهم عظة للناس وإضلالا لآخرين،
/ فن قضى^{١٢} أن يكون على^{١٣} مثل حالهم عمل^{١٤} مثل أعمالهم، ومن أراد

/ ٧٠٥

(١ - ١) - سقط ما بين الرقيين من ظ و مد (٢) من مد، وفي الأصل و ظ :
لم يغلب (٣) زيد من مد (٤) زيد في الأصل : ولرسوله عليه الصلاة والسلام،
ولم تكن الزيادة في ظ و مد لحذفها (٥ - ٥) من ظ و مد، وفي الأصل :
الذى قد اظهره عليه عليه الصلاة والسلام (٦ - ٦) من ظ و مد، وفي الأصل :
بإهلاك (٧ - ٧) - سقط ما بين الرقيين من مد (٨) من مد، وفي الأصل و ظ :
أحدهما (٩ - ٩) من مد، وفي الأصل و ظ : مشيرا بالمثل (١٠) من ظ و مد،
وفي الأصل : رضى (١١) من ظ و مد، وفي الأصل : حاله (١٢) من ظ
و مد، وفي الأصل : فليعمل .

النجاة مما نالهم تجنب أفعالهم ، فمن أريد به الخير وفق لمثل خير يردّه عن
 غيه ، ومن أريد به الشر اقتدى بهم في الشر ، وجعل له منهم مثلاً^١
 يجترئ به على شره ، ويقوى على خبثه ومكره ، فيجعل الشرير ما أوتوه
 من الدنيا من النعمة^٢ والخبرة والرفاهية^٣ والنصرة مثلاً له في التوصل إليه
 بما كانوا عليه من الظلم ، ويجعل الخير^٤ إهلاكهم^٥ مثلاً له^٦ فيبعد عن^٧ أفعالهم^٨
 لينجو من مثل نكالهم ، يقول أحدهم : أخذ الفلانيون أخذ آل فرعون ،
 أى لم يفلت منهم إنسان ونحو ذلك من أمثالهم في جميع أحوالهم ،
 ونقول نحن : إنا نهلك من ظلم^٩ وتماذى في ظله بعد تحذيرنا له وغشم
 وإن عظم آله وأتباعه ، وظن عزه وامتساعه ، كدأب آل فرعون ،
 ويقول من أريد به الشر : ليس على ظهرها أحد يبق إن خاف العواقب^{١٠}
 فأحجم عن شهواته وانهمك في رياض أهويته وإرادته وشهى طبياته
 وكذا ذاته كما وقع لفرعون فإنه لم يرجع لشيء^{١١} عن رئاسته ، وبلوغ
 النهاية من صلفه ونفاسه إلى ، أن ذهب به كما ذهب بغيره سواء سار
 بسيره أو بغير سيره ، ولقد ضل به قوم وأضلوا ، وحلوا لمن داناهم

- (١) في الأصل وظ بياض ملائناه من مد (٢-٣) من ظ ومد ، وفي
 الأصل : الرفاهية والخبرة (٣) زيد في الأصل : مثلاً ، ولم تكن الزيادة في
 ظ ومد فحذفنا (٤) من مد ، وفي الأصل وظ : اهلا (٥) من مد ، وفي
 الأصل وظ : في التوصل إليه بما كانوا عليه من الظلم (٦) زيد في الأصل :
 أحوالهم و ، ولم تكن الزيادة في ظ ومد فحذفنا (٧) من مد ، وفي الأصل
 وظ : الظلم (٨) من ظ ومد ، وفي الأصل : بشئ .

عرى الدين فزلوا، و ما كفاهم ذلك حتى ادعوا أنه من أعز المقربين
لأن الذى كان آخر كلامه الإيمان، فحب ما كان قبله ولم يتدنس بعده،
فات طاهرا مطهرا ليس فيه شئ من الدنس مع أن ذلك ما كان إلا
عند اليأس حيث لا نفع فيه، و غروا الضعفاء بأن^١ قالوا: [إنه -^٢]
هـ لا صريح في القرآن بعذابه بعد الموت تعمية عن الدليل القطعى المنتظم
من قوله، تعالى ” و ان فرعون لعال في الارض و انه لمن المسرفين “
” و ان المسرفين هم اصحاب النار “ المستج من غير شك أن فرعون من
أصحاب النار، و قوله تعالى ” فاخذنه و جنوده فبذئهم في اليم فانظر
كيف كان عاقبة الظالمين “ ” و جعلتهم ائمة يدعون إلى النار و يوم
١٠ القيمة لا ينصرون “ و اتبعهم في هذه الدنيا لعنة و يوم القيمة هم من
المعجوجين “ و قوله تعالى ” كذبت قبلهم قوم نوح و عاد و فرعون ذو
الاولاد “ إلى أن قال ” ان كل الاكذب الرسل لحق عقاب “، إلى
غير ذلك من محكم الآيات و صريح الدلالات البينات، و كذا غير فرعون
و قومه من الصالحين و الطالحين جعلهم سبحانه سلفا و مثلا للآخرين،
١٥ فمن أراد به خيرا يسر له مثل خير احتذى به، و من أراد به شرا أضله
بمثل سوء اقتدى به، فقد جعل الله عيسى عليه الصلاة و السلام / مثلا
لهم قدرته على اختراع الأشياء بأسباب و بغير أسباب، و كان أعبد أهل
زمانه و أعلمهم و أزهدهم و أقربهم إلى الخير و أبعدهم عن الشر^٣، فاقتدى
(١) من ظ و مد، و في الاصل: بانهم (٢) زيد من ظ و مد (٣) في
مد: ممر .

به من أراد الله به الخير في مثل ذلك فاهتدى به ، و ضل به آخرون
و ضربوا به لأنفسهم أمثال الآلهة ، و صاروا يفرحون بما لا يرضاه عاقل
و لا يراه ، و ضربه قومك مثلاً لآلهم لما أخبرنا أنهم معهم حسب
جهنم و —روا^١ بذلك و طربوا^٢ و ظنوا أنهم فازوا و غلبوا :
﴿ و لما ضرب ابن مريم ﴾ أى ضربه ضارب منهم^٣ ﴿ مثلاً ﴾ لآلهم ه
﴿ اذا قومك ﴾ أى الذين أعطيناهم قدرة على القيام بما يحاولونه ﴿ منه ﴾
أى ذلك المثل ﴿ يصدون ه ﴾ أى يضجون^٤ و يعلون أصواتهم سرورا
بأنهم ظفروا على زعمهم بتناقض ، فيعرضون^٥ به عن إجابة دعائك ، يقال :
[صد -^٦] عنه صدودا : أعرض ، و صد يصد [و يصد -^٧] : ضج^٨ - قاله
في القاموس ، فلذلك قال ابن الجوزى : معناهما جميعا - أى قراءة ضم ١٠
الصاد و قراءة كسرهما - يضجون ، و يجوز أن يكون معنى المضمومة :
يعرضون ، قال ابن برجان : و الكسر أعلى القراءتين - انتهى .
و ذلك أن قریشا قالوا كما مضى في الأنبياء ” انا و ما نعبد في
جهنم “ مقتض أن يكون [عيسى -^٩] كذلك ، و أن نستوى نحن
و آلهتنا به ، فانه بما عبد و نحن راضون بمساواته لنا^{١٠} - إلى آخر ما قالوا ١٥

- (١) من مد ، و في الأصل و ظ : سربوا (٢) من مد ، و في الأصل و ظ :
ضربوا (٣-٢) من مد ، و في الأصل و ظ : ضربة صارت (٤) من ظ و مد ،
و في الأصل : يصيحون (٥) في مد : فيغرضوا (٦) زيد من مد (٧) من ظ
و مد ، و في الأصل : صيح (٨) زيد من ظ و مد (٩) من ظ و مد ، و في
الأصل : بنا .

و ما رد عليهم سبحانه به من الآية^١ من العام الذي أريد به الخصوص كما هو مقتضى^٢ كلامهم و لسانهم في أن الأصل في دماء^٣ لما [لا -] يعقل، [و-] ذلك هو المراد من قوله تعالى حاكيا عنهم: ﴿وقالوا آلهتنا﴾ التي نعبدها من الأصنام و الملائكة ﴿خير أم هو^٤﴾ أي عيسى فنحن راضون^٥ بأن نكون معه .

و لما اشتد التشوف إلى جوابهم، وكان قد تقدم الجواب عنه في الانبياء، قدم عليه هنا أن مرادهم بذلك إنما هو المباحة و المباحة و المراغة و المقابلة فقال تعالى: ﴿ما ضربه﴾ أي ما ضرب الكفار: ابن الزبيري^٦ حقيقة و غيره من قومك مجازا، المثل لأهنتهم بعسي عليه الصلاة و السلام ﴿لك الاجدلا^٧﴾ أي لإرادة أن يقتلوك عن دعوتك مغالطة و هم عالمون بأن ما ألزموك به غير لازم و لم يعتقدوا لزومه قط لأن الكلام ما كان إلا في أصنامهم، و لأن الخصوص في كلامهم شائع، و لأنه قد عقب بما يبين الخصوص و يزيل اللبس على تقدير تسليمه، فلم يقتدوا قط بما ألزموا به أنه لازم ﴿بل^٨ هم قوم﴾ أي أصحاب قوة على القيام بما يحاولونه ﴿خصمون^٩﴾ أي شديدا الخصام قادرين على اللدء، روى الإمام أحمد^{١٠} و الترمذي^{١١} و ابن ماجه^{١٢} عن

(١) من ظ و مد، وفي الأصل: ادية - كذا (٢-٢) سقط ما بين الرقين من ظ و مد (٣) زيد من ظ و مد (٤) تكرر في الأصل فقط بعد «آلهتنا» . (٥-٥) من ظ و م، وفي الأصل: ان يكون معنا (٦-٦) من ظ و مد، وفي الأصل: من الزبيري (٧) تكرر في الأصل فقط (٨) من ظ و مد، وفي الأصل: اللدود (٩) راجع المسند ٥ / ٢٥٢ (١٠) راجع تفسير هذه الآية في جامع (١١) راجع مقدمة السنن .

أبى أمانة رضى الله عنهم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل ، ثم قرأ الآية .

ولما تضمن هذا أنه غير مهان ، صرح به على وجه الحصر قصر

قلب لمن / يدعى أنه مقصور على الإلهية فقال : (ان) أى ما (هو) ٧٠٧ /

أى عيسى عليه الصلاة والسلام (لا عبد) وليس هو باله^٥

(انعمنا) أى بما لنا من العظمة^٢ والإحسان^٣ (عليه) أى

بالنبوة والإقدار على الخوارق (وجعلناه) بما خرقتا به العادة فى ميلاده

و غير ذلك من آياته (مثلاً) أى أمراً عجيباً مع وضوحه وجلائه

فيه^٥ خفاء وموضع شبهة بأن جعلناه من أنش فقط بلا واسطة ذكر إيضال

بذلك من يقف مع المحسوسات ، ودلنا على الحق فيه بما منحنا به من ١٠

الخوارق وزكاه^٦ الأخلاق وطيب الشيم والإعراق إسعاداً لمن أعليناه

بنور قلبه وصفاء له إلى إحسان النظر فى المعاني (لبنى اسراءيل^٧)

الذين هم أعلم الناس به ، بعضهم بالمشاهدة وبعضهم بالنقل القريب ،

فلما جاءهم على تلك الحالة الجليلة^٨ فى كونها حقاً بما كان على يديه ويدى

أمه من الكرامات ، آمن به من بصره الله منهم بالحق من أمره بما كان فيه ١٥

(١) زيد فى الأصل : يرجوانه مقصور لمن ، ولم تكن الزيادة فى ظ ومذ

لخذفناها (٢) زيد فى الأصل وظ : ما هو لا عبد ، ولم تكن الزيادة فى مد لخذفناها .

(٣-٣) سقط ما بين الرقين من ظ ومذ (٤) من ظ ومذ ، وفى الأصل : ائى .

(٥) من ظ ومذ ، وفى الأصل : نفسه (٦) من ظ ومذ ، وفى الأصل : امتحننا .

(٧) من ظ ومذ ، وفى الأصل : ذكاه (٨) من مد ، وفى الأصل وظ : الجليلة .

نظم الدرر (سورة الزخرف ٤٣: ٥٩ و ٦٠) ج - ١٧

من الكرامات، و كان كلما رأى رجلا منهم على منهاجه في أعماله
و كرامته اعتدى إلى الحق من أمره، و قال: هذا مثله مثل عيسى عليه
الصلاة و السلام 'فاتنفع بالنبي' و من تبعه باحسان، فقال من الله الرضوان،
و قال أيضا هذا الموفق مستبصرا في أمر عيسى عليه الصلاة و السلام:
هـ مثله في ذلك مثل أبيه آدم عليه الصلاة و السلام في إخراجه من أثى
بلا ذكر، بل آدم عليه الصلاة و السلام أعجب، و مثل ابن خالته يحيى
وجده إسحاق عليهما الصلاة و السلام في إخراج كل منهما بسبب هو في
غاية الضعف، هذه أمثاله الحسنة و قال من أراد [الله - ٢] به الضلال
منهم غير ذلك من المحال، فلما جعلوا له أمثال السوء ضرب الله عليهم
١٠ الذلة و المسكنة، و قال ابن برجان: خصهم - أى بنى إسرائيل - بالذكر
لأنهم المفتونون بالدجال المسارعون إليه، ثم قال: و إنما المثل في ذلك
متى جاء الدجال بتلك الآيات يدعو إلى نفسه فيعارض ما يأتي به عيسى
عليه الصلاة و السلام من إحياء الموتى و تأييده بروح القدس، أى يفضل
عن الأمر الواضح من أراد الله فتنته - انتهى، و الأحسن أن يكون
١٥ معنى كونه مثلاً أنه جعل أمره واضحاً^٢ جدا بحيث أنه يمثل به فيكون
موضحاً لغيره، و لا يحتاج هو إلى مثل يوضحه عند من له أدنى بصيرة .

و لما كان التقدير: فلو شئنا لجمعنا الناس كلهم من أثى بلا ذكر،
و لو شئنا لساويناكم بهم في ذلك الذى ضربناه عليهم من الذل عند ما

(١-١) من ظ و مد، و في الأصل: فما ينتفع بالنتهى (٢) زيد من مد (٣) من

مد، و في الأصل و ظ: واحدا .

جعلوا له مثل السوء فزدنا ما أنتم [فيه - '] من الذل و الحفارة عند سائر الأمم بأن سلطانهم عليكم حتى استباحوكم ، ولو شئنا لمحوناكم أجمعين عن وجه الأرض فتركناها^١ يابا؟ لا أنيس بها ، عطف عليه قوله : ﴿ ولو ﴾ معبرا بصيغة المضارع إشارة إلى دوام قدرته على تجديد الإبداع فقال :

﴿ نشأ جعلنا ﴾ أى على ما لنا من العظمة ما / هو أغرب مما صنعناه ٥ / ٧٠٨
 فى أمر عيسى عليه الصلاة و السلام ﴿ منكم ﴾ أى جعلنا مبتدئا منكم ،
 إما بالتوليد كما جعلنا عيسى عليه الصلاة و السلام من أنثى من غير ذكر و جعلنا آدم عليه الصلاة و السلام من تراب من غير أنثى و لا ذكر و إما بالبديهة ﴿ ملائكة فى الأرض يخلفون ٥ ﴾ أى يكونون خلفا لكم شيئا بعد شيء بعد إعدامكم فجعلناهم مثلا لكم كما جعلنا عيسى عليه الصلاة ١٠ و السلام مثلا لبني إسرائيل ، و يجوز أن يكون المعنى : جعلنا^٢ بعضهم ملائكة بأن نحول خلقهم^٣ فنجعلهم خلفا لمن تحولوا^٤ عنهم و نخلف^٥ بعضهم بعضا ، فانهم من جملة عبادنا أجسام تقبل التوليد كما تقبل الإبداع ، و على كلا التقديرين فذلك إشارة إلى أن الملائكة ذوات ممكنة من جملة عبيده سبحانه ، يصرفهم فى مراده إن شاء فى السماء ، و إن شاء فى الأرض ، ١٥ لا شيء منكم إلا و هو بعيد جدا عن رتبة الإلهية إرشادا لهم إلى الاعتقاد^٦

(١) زيد من مد (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : فزولناها (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : فجعلنا (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : خلقهم (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : تحولوا (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : مخلفه (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : اعتقاد .

طعم الدرر (سورة الزخرف ٤٣: ٦١) ج - ١٧

الحق في أمره سبحانه بشمول قدرته و كمال علمه اللازم منه أنه لا إله إلا هو .

ولما ذكر سبحانه الإعدام والخلافة بسببه فرضا، ذكر أن إنزاله إلى الأرض آخر الزمان أمانة على إعدام الناس تحقيقا، فقال مؤكدا ٥ لأجل إنكارهم: ((وأنه)) أى عيسى عليه الصلاة والسلام ((لعلم للساعة)) أى نزوله سبب للعلم بقرب الساعة التى هى إعدام الخلائق كلهم بالموت، وكذا ما نقل عنه من أنه كان يحبى وكذا إيراؤه الأسقام سبب عظيم للقطع بالساعة التى هى القيامة، فهو سبب للعلم بالأميرين: عموم الإعدام وعموم القيام .

١٠ ولما كان قریش يستنصحون اليهود بسألونهم - اكونهم أهل الكتاب - عن أمر النبي صلى الله عليه وسلم، وكان النصارى مثلهم فى ذلك، وكان كون عيسى عليه الصلاة والسلام من أعلام الساعة أمرا مقطوعا به عند الفريقين، أما النصارى فيقولون: إنه "الذى أتى" إليهم ورفع إلى السماء كما هو عندنا، وأما اليهود فيقولون: إنه إلى ١٥ الآن لم يأت، ويأتى بعد، فثبت بهذا أمر عيسى عليه الصلاة والسلام فيما أخبر الله تعالى عنه من إنعامه عليه، ومن أنه من أعلام الساعة بشهادة الفرق الثلاثة اليهود والنصارى والمسلمين ثباتا عظيما جدا، فصارت كأنها مشاهدة، فلذلك سبب عما سبق قوله على لسان نبيه عليه الصلاة والسلام، لافتا القول إلى مواجهتهم مؤكدا فى مقابلة

(١) فى مد: للساعة (٢-٢) من مد، وفى الأصل وظ: التى .

٤٦٠ (١١٥) إنكارهم

إنكارهم لها بما ثبت من شهادة الفرق الثلاثة: ﴿ فلا تَمْتَرْنَ ﴾ أى
تشكوا^١ أدنى شك و تضطربوا^٢ أدنى اضطراب و تَجْهَدُوا^٣ أدنى جهد
و تَجَادَلُوا^٤ أدنى جدل ﴿ بها^٥ ﴾ أى^٦ بسببها ، يقال: مرى الشيء و امتراه:
استخرجه ، و مرأه مائة سوط : ضربه ، و مرأه حقه ، أى جحده ، و المربة^٧
بالصم و الكسر : الجدل و الشك ﴿ و اتبعون^٨ ﴾ أى أوجدوا تبعكم^٩
بغاية جهدكم ﴿ هذا ﴾ أى كل ما أمرنكم به من هذا و غيره ﴿ صراط ﴾
أى طريق واسع واضح ﴿ مستقيم^{١٠} ﴾ أى لا عوج فيه^{١١} .

و لما حثهم على السلوك لصراط الولى / الحميد بدلالة الشفوق
النصوح الرؤف الرحيم ، حذرهم من العدو^{١٢} البعيد المحترق الطريد^{١٣} ، فقال
دالا على عظيم فتنه بما له من التزين للشتهى و الأخذ من المأمن^{١٤} ١٠
و التليس للشكل و التغطية للخوف بالتأكيد . لما هم تابعون من ضده^{١٥} على
وجه التقليد : ﴿ و لا يصدنكم ﴾ أى عن هذا الطريق الواضح الواسع
المستقيم الموصل إلى المقصود بأيسر سعى ﴿ الشيطان^{١٦} ﴾ و لما كان كأنه قيل

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : تشكون (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل :
تضطربون (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : تَجْهَدُونَ (٤) من ظ و مد ،
و فى الأصل : تَجَادَلُونَ (٥) تكرر فى الأصل بعد « فلا تَمْتَرْنَ » (٦) زيد فى
الأصل : الساعة أى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٧) من ظ و مد ،
و فى الأصل : لامتريه (٨) فى ظ و مد : له (٩) من مد ، و فى الأصل و ظ :
البعد و (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : الطريق (١١) فى الأصل يياض
ملأناه من ظ و مد (١٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : عنده .

ما له يصدنا عن سبيل ربنا؟ ذكر العلة تحديرا في قوله : ﴿ انه لكم ﴾
 أى عامة ، و أكد الخبر لأن أفعال التابعين لكم أفعال من ينكر عداوته :
 ﴿ عدو مبين ٥ ﴾ أى واضح العداوة في نفسه مناد بها ، وذلك بإبلاغه
 في عداوة أيكم حتى أنزلكم بانزاله عن محل الراحة إلى موضع النصب ،
 ٥ عداوة ناشئة عن الحسد ، فهي لا تنفك أبدا .

و لما قدم سبحانه أنه أعمى على عيسى عليه الصلاة والسلام وجعله
 مثلاً لبنى إسرائيل ، و لوح إلى اختلافهم و أن بعضهم نزل مثله على غير
 ما هو به ، و حذر من اقتدى بهم في نحو ذلك الضلال ، و أمر باتباع
 الهادى ، و نهى عن اتباع المضل ، صرح بما كان من حالهم حين أبرزه
 ١٠ الله لهم على تلك الحالة الغريبة ، فقال عاطفا على ما تقدم تقديره بعد
 قوله تعالى ” وجعلناه مثلاً “ : ﴿ ولما جاء عيسى ﴾ أى إلى بنى إسرائيل
 ٢ بعد موسى عليهما الصلاة والسلام ٣ : ﴿ بالبينت ﴾ أى من الآيات
 المسموعة و المرئية ، ﴿ قال ﴾ منها لهم : ﴿ قد جئكم ﴾ مايدلكم قطعاً على
 أنه آية من عند الله و كلمة منه أيضاً ﴿ بالحكمة ﴾ أى الأمر المحكم
 ١٥ الذى لا يستطاع نقضه و لا يدفع إلا بالمعاندته لأخلصكم بذلك مما وقعتم
 فيه من الضلال .

(١) زيد في الاصل : الصورة و ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد لحذفها .
 (٢) من ظ و مد ، و في الاصل : جعلنا (م-هـ) - سقط ما بين الرهين من ظ
 و مد (هـ) - سقط من ظ و مد .

ولما كان المراد بالحكمة ما نسخ^١ من التوراة وغيره من كل ما
 أتاهم به، فكان التقدر: لتبعوه و تتركوا ما كنتم عليه أمرا خاصا هو
 من أحكم الحكمة فقال: (ولايين لكم) أى ياننا واضحا جدا^٢
 (بعض الذى تحتلمون) أى الآن (فيه ج) و لاتزالون تجددون الخلاف
 بسببه، وهذا البعض الظاهر بما يرشد إليه ختام الآية أنه المتشابه الذى ه
 كفروا بسببه يه ياننا برده إلى المحكم، ويحتمل أن يكون بعض المتشابه،
 وهو ما يكون يانه كافيا فى رد بقية المتشابه إلى المحكم بالقياس عليه،
 فان الشأن فى كل كتاب أن يجمع المحكم والمتشابه، فالمحكم ما [لا -^٣]
 ليس فيه، و المتشابه ما يكون ملبسا، وفيه [ما -^٤] يرده إلى المحكم
 لكن على طريق الرمز و الإشارة التى لا يذوقها إلا أهل البصائر ليتبين
 بذلك الصادق من الكاذب فالصادق الذى رسخ علما^٥ و إيمانا يرد^٦ المتشابه
 منه إلى المحكم، أو يعجز فيقول: الله أعلم، ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا،
 و لا يزلزل^٧، و الكاذب يتبع المتشابه فبحريه على ظاهره فيشبه كاهل^٨
 الاتحاد الجوامد المفتونين بالمشاهد و يأول بحسب هواه بما لا يتمشى على
 قواعد [العلم -^٩] و لا يوافق المحكم ففتن^{١٠}.

ولما صح بهذا أن الذى أرسله الملك الأعلى الذى له الامر

٧١٠

- (١) من ظ و مد، وفى الاصل: بيع (٢) من ظ و مد، وفى الاصل:
 واجدا (٣) ريد و لا بد منه (٤) ريد من مد (. - .) من ظ و مد، وفى
 الاصل: ايماء لا يرد (٦) من ظ و مد، وفى الاصل: لا تورل (٧) من ظ
 و مد، وفى الاصل: كاسل (٨) من ظ و مد، وفى الاصل: فيقتن .

كله ، فهو فعال لما يشاء ، وكان الحامل على الانتفاع بالرسل عليهم الصلاة والسلام التقوى ، سبب [عنه - '] قوله تعالى : ﴿ فاتقوا الله ﴾ أى خافوه لما له من الجلال بحيث لا تقدموا على شيء إلا بيان منه لأن له كل شيء منكم ومن غيركم ، ومن المعلوم لكل ذى عقل أنه لا يتصرف ه في ملك الغير بوجه من الوجوه إلا بأذنه ﴿ واطيعون ه ﴾ فيما أنقلكم إليه و أئنه لكم بما أبقكم عليه ، فاني لا آخذ شيئاً إلا عنه ، ولا ألتقي إلا منه ، فطاعتي لأمره بما يرضيه هي ثمرة التقوى ، وكلما زاد المتق في أعمال الطاعة زادت تقواه .

و لما أمرهم بطاعته ، علل ذلك بما 'أزال تهمة' ما يطاع فيه ، ١٠ فقال مؤكداً لما في أعمالهم من المجاملة المؤذنة بالتكذيب : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى اختص بالجلال والجمال ، فكان أهلاً لأن يتق ﴿ هو ﴾ أى وحده ﴿ ربى وربكم ﴾ نحن في العبودية باحسانه إلينا وسيادته لنا على حد سواء ، فلو لا أنه أرسلنى لما خصنى عنكم بهذه الآيات البينات ﴿ فاعبدوه ' ﴾ بما أمركم به لأنه صدقنى في أمركم باتباع ما ظهر على يدى ١٥ فصار هو الأمر لا أنا .

و لما كان دعاؤه إلى الله بما لا حظ له عليه الصلاة والسلام فيه دل^٣ قطعياً على صدقه ولا سيما و قد اقترن بالمعجزات مع كونه فى

- (١) زيد من مد (٢-٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : زال تهمة (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : المجادلة (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : فاعبدوه .
(٥) تقدم فى الأصل على « عليه الصلاة والسلام » والترتيب من ظ و مد .
(٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : كان ذلك .

نفسه في غاية الحفية لا يستطيع بعضه بوجه ، أشار إلى ذلك كله بقوله
على وجه الاستنتاج مما مضى مرغبا فيه دالا على اقتضائه الطاعة ﴿ هذا ﴾
أى الأمر العظيم الذى دعوتكم إليه ﴿ صراط ﴾ أى طريق واسع جدا
واضح ﴿ مستقيم ﴾ لا اعوج له .

ذكر ما يدل على أنه أتى بالحكمة من الإنجيل :

قال متى أحد مترجميه الأربعة و قد خلطت تراجمهم و أغلب
السياق لمتى^٢ : فلما خرج يسوع وجاء إلى نواحي صور صيدا^٣ إذا
بامرأة كنعانية - وقال مرقس^٤ : يونانية - خرجت من تلك التخوم
تصيح^٥ و تقول : ارحمنى يارب يا ابن داود ! ابقى بها شيطان ردى ،
فلم يجبها بكلمة ، فجاء تلاميذه^٦ و سألوه قائلين : [اصرف - ^٧] هذه ١٠
المرأة لأنها تصيح خلفنا ، أجاب وقال لهم : لم أرسل إلا إلى الخراف
من بيت إسرائيل ، فأنت و سجدت له قائلة : يارب أعنى فأجاب : ليس
هو جيدا أن يؤخذ خبز البنين^٨ فيعطى للكلاب ، فقالت : نعم ! يارب ،

(١-١) من ظ و مد ، وفي الأصل : اعوجاج له و لا فيه و لا (٢) راجع آية
٢١ و ما بعدها من الأصحاح الخامس عشر (٣) من ظ و مد و الإنجيل ،
و في الأصل : صعدو (٤) راجع آية ٢٤ و ما بعدها من الأصحاح السابع .
(٥) من ظ و مد ، وفي الأصل : تصيحج (٦) من ظ و مد ، وفي الأصل :
تلاميذه (٧) زيد من الإنجيل ، وزيد في مد شيء لا يتضح (٨) من ظ و مد ،
و في الأصل : ثم (٩) من ظ و مد ، وفي الأصل : لى (١٠-١١) من مد ،
و في الأصل و ظ : يأخذ خير السير .

والكلاب تأكل من الفتات الذي يسقط من موائد أربابها ، حيثئذ
أجاب يسوع وقال لها : يا امرأة عظيمة أمانتك يكون لك كما أردت ،
فبرئت ابنتها منه تلك الساعة ، وقال مرقس^٢ : فقال لها من أجل هذه
الكلمة اذهبي ، قد خرج الشيطان من ابنتك ، فذهبت إلى ابنتها
٥ [فوجدت الصبية - ٢] على السرير والشيطان [قد خرج - ٢] منها ،
فجؤا إليه بأخرس أصم فطلبوا إليه أن يضع يده عليه ، فأخرجوه وحده
من الشعب ، وترك أصابعه في أذنيه ، وتفل ثم مس لسانه ونظر إلى
السماء / وشهد وقال : الفاتنا الذي هو التفتح ، و للوقت انفتح سمعه
و سمع ، وانحل رباط لسانه وتكلم مستويا ، ووصاهم أن لا يقولوا لأحد
١٠ شيئا فأنهم فكانوا ينكرون كثيرا ويهتون جدا ، قائلين : ما أحسن كل
شيء ! يصنع الخرس يتكلمون والصم يسمعون ، وقال مرقس^٣ : ثم
جاء إلى بيت صيدا فقدموا إليه أعمى ، وطلبوا منه أن يلمسه ، فأخذ
بيد الأعمى ثم أخرجه خارجا من القرية ، وتفل في عينيه ووضع يده
عليه وسأله : ما ينظر؟ قال : أنظر الناس مثل الشجر يمشون ، فوضع يده
١٥ أيضا على عينيه ، فأبصر حيناً ونظر إلى كل شيء ظاهرا ، قال : ثم جاء
إلى ناحية قيسارية فيلقس^٤ فسأل تلاميذه : ما ذا يقول الناس في ابن

(١) من الإنجيل ، وفي الأصل : لا (٢) راجع الأصحاح المذكور (٣) زيد من
مد (٤) جاءت الكلمة في الأصول غير منقوطة ، وفي الإنجيل : انا (٥) من
مد ، وفي الأصل وظ : قايون (٦) راجع آية ٢٢ من الأصحاح الثامن .
(٧) في الإنجيل : فيلبس .

الإنسان؟ فقال^١ قوم: يوحنا المعمدان^٢، وآخرون: إيليا، وآخرون: إرميا،
 وواحد من الأنبياء. فقال لهم: فأنتم ما ذا تقولون؟ أجاب سمعان
 بطرس - وقال: أنت هو المسيح، أجاب يسوع وقال له: ^٣طوبى لك
 يا سمعان ابن يونا لأنه ليس جسد يسعى وأبواب الجحيم لا تقوى عليه
 ولك أعطى ملكوت السموات، وما ربطته الأرض يكون مربوطا في
 السموات، وما حلته على الأرض يكون محلولاً في السموات، وبدأ يسوع
 من ذلك الوقت ينخر تلاميذه أنه ينبغي أن يمضى إلى يروشلیم ويقبل
 آلاما كثيرة^٤ من المشايخ ورؤساء الكهنة والكتبة، وقال: من أراد
 أن يتبعني فليتكفر بنفسي، ومن أراد أن يخلص نفسه فليهلكها، ومن^٥
 أهلك نفسه من أجلى وجدها، ما ينفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر
 نفسه؟ وما ذا يعطى الإنسان فداء لنفسه، وقال لوقا^٦: وكان جمع^٧
 كثير ينطلق فالتفت لهم وقال لهم: من يأتى إلى [ولا ينفص -^٨] أباه
 وأمه وامراته وبنيه وإخوته وأخواته نعم حتى نفسه، فلا يقدر أن
 يكون لى تلميذا، من منكم يريد أن يبني برجاً ولا يجلس أولا^٩ ويحسب

(١) من ظ، وفي الأصل ومد: فقالوا (٢) من مد والإنجيل، وفي الأصل؛
 الحمداني (٣-٢) من ظ ومد والإنجيل، وفي الأصل: طوباك (٤) من مد،
 وفي الأصل و ظ: كثير (٥) زيد في الأصل و ظ: أهلكها اي، ولم تكن
 الزيادة في ظ ومد فخذناها (٦) راجع آية ٢٥ من الأصحاح الرابع عشر (٧) من
 مد، وفي الأصل و ظ: جميع (٨) زيد من ظ ومد (٩) من ظ ومد،
 وفي الأصل: ولا.

نفقته؟ وهل له ما يكمله لكتبنا يستهزئ به كل من ينظره إذا وضع
 الأساس ولم يقدر على إكماله، وأى [ملك - '] يخرج إلى محاربة
 ملك آخر فلا يجلس أولا ويفكر هل يستطيع أن يلقى بعشرة آلاف
 الموافى إليه في عشرين ألفا إلا فادام ' بعيدا منه ' يرسل رسلا رسل
 سلامة، وهكذا كل منكم إن لم يرفض كل شيء له لا يقدر أن يكون
 لي تلميذا، وذكر لوقا^٢ أيضا أنه عليه الصلاة والسلام كان في وليمة
 فقال مثلا لأنهم كانوا يتخبرون المتكآت فقال لهم: متى دعاك أحد
 إلى عرس فلا تجلس في أول الجماعة. فاعله قد دعا هناك أكرم منك
 عليه ويأتى الذى دعاه فيقول له: يا حبيب! ارتفع إلى فوق، حينئذ يكون
 ١٠ / ٧١٢ [لك - '] مجدا / قدام المتكئين معك لأن كل من يرتفع يتضع، وكل
 من يتضع يرتفع، وقال للذى دعاه: وإذا صنعت وليمة فلا تدع
 أجبائك ولا إخوانك ولا أقاربك ولا أغنياء جيرانك لعلمهم أن
 يدعوك أيضا فيكون لك مكافأة، لكن إذا صنعت طعاما فادع المساكين
 والعور [والضعفاء - °] والعميان، وطوباك لأنه ليس لك ما
 ١٥ يكافؤونك، ومجازاتك تكون في قيامة الصديقين، فسمع واحد من المتكئين
 ذلك، فقال له: طوبى لمن يأكل خبزا في^٦ ملكوت الله، وقال متى:
 وجاء تلاميذ^٧ يسوع إليه وقالوا له: من هو العظيم في ملكوت

(١) زيد من مد (٢-٢) من مد، وفي الأصل وظ: بعيد (٣) راجع آية ٩
 من الأصحاح الرابع عشر (٤) من ظ و مد، وفي الأصل: دكان (٥) زيد
 من ظ و مد (٦) من ظ و مد، وفي الأصل: من (٧) من ظ و مد،
 وفي الأصل: تلميذه.

[السماوات - ١] ، فدعا طفلا و أقامه بينهم و قال : الحق أقول : إن لم ترجعوا و تكونوا مثل الصبيان لا تدخلوا ملكوت السماوات ، و من اتضع مثل هذا الصبي فهو العظيم في ملكوت السماوات ، و من قبل صييا مثل هذا باسمي فقد قبلني ،^٢ قال مرقس : و من قبلني فليس يقبلني فقط [بل - ٢] و الذي أرسلني ، و قال لوقا : و من قبلني فقد قبل الذي ه أرسلني ، و الذي هو الصغير فيكم هو الأكبر ، قال متى : و من شك^٤ أحد هؤلاء الصغار المؤمنين فخير أن يعلق حجر الرحي في رقبته ، و يغرق في البحر ، الويل للعالم من الشكوك لكن الويل للانسان الذي يأتي منه الشكوك ،^٥ « إن شككتك » يدك أو رجلك فاقطعها و ألقها عنك ، فخير لك أن تدخل الحياة و أنت أعرج أو أعمى من أن يكون لك يدان ١٠ أو رجلان و تلقى في نار الأبد ، و قال مرقس : و تذهب إلى جهنم حتى لا تطفأ نارها و لا يموت دودها - انتهى^٦ . و إن شككتك^٧ عينك فاقطعها و ألقها عنك فخير لك أن تدخل الحياة بعين واحدة من أن يكون لك عينان و تلقى في جهنم ، و قال مرقس : و كل شيء بالنار يملح و كل ذبيحة تملح بالملح جيد هو الملح ، فان^٨ فسد الملح فبما ذا يملح فليكن فيكم ١٥ الملح ، و يكون سلام بعضكم بعضا ، و قال لوقا : ثم قال : من أجل

(١) زيد من ظ و مد (٢) العبارة من هنا إلى « فقد قبل » ساقطة من مد .

(٣) زيد من ظ (٤) من ظ و مد ، وفي الأصل : سأل (هـ-هـ) من مد ، وفي

الأصل : شككتك وفي ظ : ان سكتك (٦) من ظ و مد ، وفي الأصل : تنتهى .

(٧) من ظ و مد ، وفي الأصل : شككتك (٨) من ظ و مد ، وفي

الأصل : فاذا .

أقوام يقولون : إنهم صديقون و يحقرون البقية، هذا المثل رجلان صدعا
إلى الهيكل ليصليا^١، أحدهما فريسي^٢ و الآخر عشار، فأما الفريسي فانه
كان يصلي بهذا في نفسه : اللهم إني أشكرك لأنني است مثل سائر الناس
العاصين الظلمة الفجار، و لامثل هذا العشار، فكان قائما من بعيد و لا يرى
٥ أن يرفع عينيه إلى السماء، و كان يضرب على صدره و يقول : اللهم
اغفر لي فاني خاطيء، أقول لكم : إن هذا نزل إلى بيته أمر من ذلك لأن
كل من يرفع نفسه يتضع، و كل من يضع نفسه يرتفع، ثم قدم إليه
صبيان ليضع يده عليهم، فلما نظرهم التلاميذ نهروهم فقال : دعوا الصبيان
يأتوا إلى و لا تمنعوهم لأن ملكوت الله لمثل هؤلاء، الحق أقول لكم،
١٠ إن من لا يقبل ملكوت الله مثل صبي لا يدخلها، و قال متى : انظروا
لا تحقروا أحد هؤلاء الصغار، لم يأت ابن الإنسان إلا ليطلب و يخلص
من كان ضالاً^٣، ما ذا تظنون إذا [كان الإنسان - ^٤] مائة خروف
فضل منها واحد ليس يترك التسعة و التسعين في الجبل، و يمضي يطلب
الضال؟ و قال لوقا : حتى يجده، الحق [أقول - ^٥] لكم، إنه يفرح به
١٥ أكثر من التسعة و التسعين التي لم تضل، هكذا ليس مشيئة ربي الذي
في السماوات أن يهلك أحد من هؤلاء الصغار، و قال لوقا^٦ : و دنا منه

(١) من ظ و مد، و في الأصل : ليصليان (٢) من ظ و مد : و في الأصل :
قريب (٣) من ظ و مد، و في الأصل : يتضم (٤) من مد، و في الأصل و ظ :
حالا (٥) زيد من مد (٦) من مد، و في الأصل و ظ : هذا (٧) راجع آية ١
فما بعدها من الأصحاح الخامس عشر .

المشارون والخطاة ليسمعوا منه فتذمر^١ الفريسيون والكتبة قائلين: هذا يقبل الخطاة ويأكل معهم، فقال لهم: أي رجل منكم له مائة خروف فيتلف واحد [منها -^٢] ليس يترك التسعة والتسعين في البرية ويمضي إلى الضال حتى يجده، فإذا وجده حمّله على منكبيه فرحاً، ويأتي به إلى بيته ويدعو أصدقاءه وجيرانه^٣ ويقول لهم: افرحوا^٤ معي لوجودي ه خروفي الضال، أقول لكم: إنه يكون فرح في السماء بخاطئ واحد يتوب أكثر من التسعة والتسعين الصديق الذين لا يحتاجون إلى توبة، وأي امرأة لها عشرة دراهم يتلف واحد منها أليس^٥ توقد سراجاً وتكنس بيتها وتطلبه مجتهدة حتى تجده، فإذا وجدته دعت أحبائها وجاراتها قائلة^٦: افرحوا^٧ لي لوجودي درهمي الضال، هكذا أقول لكم: يكون ١٠ فرح قدام ملائكة الله بخاطئ واحد يتوب، وقال: إنسان^٨ له اثنان فقال الأصغر يا أبتاه! أعطني نصيبي من مالك فقسم بينهما ماله، وبعد أيام قليلة جمع الأصغر كل شيء له وسافر إلى كورة بعيدة، وبذر^٩

(١) من مد، وفي الأصل وظ: فتزمر (٢) زيد من مد (٣) من ظ ومد، وفي الأصل: جيواته (٤) من ظ ومد، وفي الأصل: افرعوا (٥) من ظ ومد، وفي الأصل: الذي (٦) من مد، وفي الأصل وظ: الى . (٧) من مد، وفي الأصل وظ: الجن (٨) من مد، وفي الأصل وظ: فايل (٩-٩) من ظ ومد، وفي الأصل: الى وجودي دار - وبعده بياض قدر كلمتين (١٠) من مد والإنجيل، وفي الأصل: اثنان (١١) من الإنجيل، وفي لأصول: يرد .

ماله هناك بعيش بذخ^١، فلما نفذ كل شيء له حدث جوع شديد في تلك الكورة فافتقر و انقطع إلى رجل منها فأرسله إلى حقله يرعى خنازير، وكان يشتهي أن يملأ بطنه من الخرنوب الذي كانت الخنازير تأكله، فلا يعطى ذلك، ففكر في نفسه وقال: كم من^٢ أجراء أبى^٣ يفضل عنهم الخبز^٤ و أنا مهنا أهلك جوعا، أقوم أمضى إلى أبى و أقول: يا ابتاه! أخطأت في السماء و بين يديك، و لست^٥ بمستحق أن ادعى لك ابنا لكن اجعلنى كأحد أجرائك^٦ فجاء إليه فظره أبوه فتحنن و أسرع واعتقه و قبله فقال: يا ابتاه! أخطأت في السماء و قدامك، و لست بمستحق أن ادعى لك ابنا، فقال أبوه لعيده: قدموا الحلة الأولى و ألبسوه و أعطوه خاتما في يده، و حذاء^٧ في رجله، و اتنوا بالمجل المملوف و اذبحوه [و نأكل و نفرح لأن ابني هذا كان ميتا فعاش، و ضالا فوجد. فبدأوا يفرحون، و كان ابنه الأكبر في -^٨] الحقل^٩، فلما جاء و قرب من البيت سمع المزاهر و اتفاق الأصوات و الرقص، فدعا واحدا من الغلمة و سأله فقال له: إن أخاك قدم، و ذبح أبوك

(١) من مد، وفي الأصل وظ: مدح (٢-٣) من مد، وفي الأصل وظ: احرالى (٣) من ظ و مد، وفي الأصل: التبر (٤) من مد، وفي الأصل وظ: ليس (٥) من مد، وفي الأصل وظ: اجزيك (٦) من ظ و مد، وفي الأصل: اباتاه (٧) من مد، وفي الأصل وظ: جزء (٨) زيد من ظ و مد و الإنجيل (٩) من مد، وفي الأصل وظ: المثل.

العجل المملوف، ففضب ولم يرد أن يدخل، فخرج أبوه وطلب إليه^١
 فقال: كم^٢ لي من سنة أخدمك ولم أخالف لك وصية قط ولم تعطني
 جديا واحدا أنعم به مع أصدقائي، فلما جاء ابنك هذا الذي أكل مالك
 مع الزناة ذبحت له العجل المملوف، فقال له: يا بني أنت معي في كل
 حين وفي كل شيء هو لي، و ينبغي لك أن تسر وتفرح لأن أخاك ه
 هذا كان / ميتا فماش، وضالا فوجد، وقال^٣: رجل كان غنيا يلبس
 الأرجوان وكان يتنعم كل يوم ويلذ، ومسكين^٤ كان اسمه العازر مطروحا
 عند بابه مضروبا بقروح، وكان يشتهي أن يشبع من الفتات الذي
 يسقط من مائدة ذلك الغني، وكانت الكلاب تأتي وتلتعق قروحه، فلما
 مات ذلك المسكين أخذته الملائكة إلى حصن إبراهيم، [ومات ذلك ١٠
 الغني وقبر فرفع عينيه في الهاوية وهو في العذاب، فنظر إبراهيم -^٥
 من بعيد والعازر في حصنه، فنادى: يا ابتاه إبراهيم أرحمني وأرسل
 العازر^٦ ليل طرف إصبعه بما يبرد لسانه لأن معذب في اللهب، فقال له
 إبراهيم: يا ابني اذكر أنك قد قتلت جيرانك في حياتك والعازر في بلاته
 والآن فهو يستريح هاهنا وأنت تعذب، ومع ذلك^٧ فيينا وبينكم أهوبة ١٥
 عظيمة نائية لا يقدر أحد على العبور من ههنا إليكم، ولا من هنا إلينا،

(١) من مد والإنجيل، وفي الأصل: انه، وفي ظ: ابنه (٢) زيد في الأصل:
 من، ولم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٣) راجع آية ١٩ فما بعدها من
 الأصحاح السادس عشر من إنجيل لوقا (٤) من مد، وفي الأصل وظ: مسكينا .
 (٥) من مد، وفي الأصل وظ: تطلع - كذا (٦) زيد من مد (٧) من ظ
 و مد، وفي الأصل: ما عازر (٨) من مد، وفي الأصل وظ: هذا.

قال له : أسألك يا أبتاه أن ترسله إلى بيت أبي، فان خمسة أخوة لكي
 يناشدهم لتسلا يأتوا إلى موضع هذا العذاب، قال له إبراهيم : عندهم
 موسى و الأنبياء فليسمعوا^١ منهم، فقال له : يا أبتاه إبراهيم ! إن لم يمش
 إليهم واحد من الأموات ما يتوبون ؟ فقال له : إن كانوا لا يسمعون
 ٥ من موسى و الأنبياء فليس إن قام^٢ واحد من الأموات بصدقونه، و قال
 لتلاميذه : سوف تأتي الشكوك و الويل، الذي تأتي الشكوك من قبله
 خير له [لو - ^٣] علق حجر رحي الحماز في عنقه و يطرح في البحر
 من أن يشكك^٤ أحدا من هؤلاء الضعفاء - " و الله أعلم " .

و لما كان^٥ الطريق الواضح^٦ القديم موجبا للاجتماع عليه،
 ١٠ و الوفاق عند سلوكه، بين أنهم سبوا عنه بهذا الوعظ غير ما يليق بها
 بقوله : (فاختلف) و بين أنهم أكثروا^٧ الاختلاف بقوله : (الأحزاب)
 أى أنهم لم يكونوا فرقتين فقط، بل فرقا كثيرة . و لما كانت العادة
 أن يكون الخلاف بين أمتين و قبيلتين و نحو ذلك، و كان^٨ اختلاف
 الفرقة الواحدة^٩ عجبا . بين أنهم من أهل القسم فقال : (من بينهم ع)
 ١٥ أى اختلافا ناشئا ابتداء من بين بنى إسرائيل الذين جعلناهم مثلا لهم ،

(١) من مد، و فى الأصل و ظ : فليسمعوا (٢) من مد و الإنجيل، و فى الأصل
 و ظ : قاد (٣) زيد من مد و الإنجيل (٤) من مد، و فى الأصل و ظ : بسلك .
 (٥-٥) سقط ما بين الرقيين من مد (٦-٦) من مد، و فى الأصل و ظ : والطابق
 بالواضح - كذا (٧) من ظ و مد، و فى الأصل : أكثروا (٨-٨) من ظ و مد،
 و فى الأصل : الاختلاف لفرقة واحدة (٩) من مد، و فى الأصل و ظ : الذى .

و قال لهم : قد جئكم بالحكمة ، فسبب عن اختلافهم قوله : ﴿ فويل ﴾
و كان أن يقال : لهم ، ولكنه ذكر الوصف الموجب للويل تعميماً
و تعليقاً للحكم به . و لما كان في سياق الحكمة ، و هي وضع الشيء في
أتقن مواضعه ، جعل الوصف الظلم الذي أدى إليه الاختلاف فقال :
﴿ للذين ظلموا ﴾ أى وضعوا الشيء في غير موضعه مضادة لما أتاهم
صلى الله عليه و سلم به من الحكمة ﴿ من عذاب يوم اليم ﴾ أى مؤلم ،
و إذا كان اليوم مؤلماً فما الظن بعذابه .

و لما علم الظالمين بالوعيد بذلك اليوم فدخل فيه قريش و غيرهم ،
أتبعه ما هو كالتعليل مبرزاً له في سياق الاستفهام لأنه أهول فقال :
﴿ هل ﴾ و جرد الفعل إشارة إلى شدة القرب حتى كأنه بمرأى ١٠
فقال : ﴿ ينظرون ﴾ أى ينتظرون ﴿ إلا الساعة ﴾ أى ساعة الموت
العام و البعث و القيام ، / فان ذلك لتحقيق أمره كأنه موجود منظور إليه .
٧١٥ /
و لما قدم الساعة تهويلاً تنبيهاً على أنها لشدة ظهور دلائلها كأنها
مرئية بالعين هذا لهم إلى تقليب أبصارهم لتطلب رؤيتها ، أبدل منها
[زيادة - ٦] في التهويل قوله تعالى : ﴿ ان تاتيهم ﴾ و حقق احتمال ١٥

- (١) من مد ، و في الأصل و ظ : ادق (٢) من مد ، و في الأصل و ظ : للشيء .
(٣) من ظ و مد ، و في الأصل : أعلم (٤) من ظ و مد ، و في الأصل : جود .
(٥) من ظ و مد و في الأصل : أنزل (٦) زيد من مد (٧) زيد في الأصل :
التأويل ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٨) زيد في الأصل : في ،
و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها .

نظم الدرر (سورة الزخرف ٤٣: ٦٦ - ٧٠) ج - ١٧

رؤيتها بقوله: ﴿بغته﴾ و لما كان البعث قد يطلق على ما يجهل^١ من بعض الوجوه، أزال هذا الاحتمال بقوله: ﴿وهم لا يشعرون﴾ أى لا يحصل لهم بعين الوقت الذى يحى نوع من أنواع العلم، ولا بما كالشجرة منه .

٥ و لما كانت الساعة تطلق على الحبس بالموت وعلى النشر بالحياة، بين ما يكون فى الثانى الذى هم له منكرون من أحوال المبعوثين على طريق الاستئناف فى جواب من يقول: هل يقومون على ما هم عليه الآن؟ فقال^٢: ﴿الاخلأ﴾ أى فى الدار ﴿يومئذ﴾ أى إذ تكون الساعة وهى ساعة البعث^٣ التى هى بعض مدلول الساعة ﴿بعضهم لبعض عدو﴾ ١٠ و لما ينكشف لهم من أن تأخيرهم فى الحياة الدنيا هو السبب فى عذابهم، فيقول التابع للتبوع: أنت غررتنى فضررتنى، ويقول المتبوع: بل أنت كبرتى فصغرتنى، ورفعتنى فوضعتنى، ونحو هذا من الكلام المؤلم أشد الإيلام ﴿الامتقين﴾ الذين تقدم أمرهم بالتقوى وحثهم عليها .

و لما أفهم هذا أنهم لاعداء بينهم، بل يكونون فى التواد على ١٥ أضعاف ما كانوا عليه فى الدنيا لما ظهر لهم من توادهم فيها و تناصرهم هو أفضى بهم إلى الفوز الدائم برضوان الله، وصل به حالا بين فيها ما يتلقاهم به من تواد فيه سبحانه تشريفا لهم وتسكينا لما يقتضيه ذلك

(١) زيد فى الأصل: لا، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٢) من مد، وفى الأصل و ظ: يحمل (٣) سقط من ظ و مد (٤-٤) من ظ و مد، وفى الأصل: او الذى هو (٥) من مد، وفى الأصل و ظ: لا .

المقام من الأهوال : ﴿ يُعْبَاد ﴾ أى مقولا لهم هذا ، شخص ' بالإضافة إليه كما خصوه بالعبادة ﴿ لاخوف ﴾ أى بوجه من الوجوه ﴿ عليكم اليوم ﴾ أى فى الآخرة بما يحويه ^٢ ذلك اليوم العظيم ^١ من الأهوال و الأمور الشداد و الزلازل ﴿ و لآ اتم تحزنون ﴾ أى لا يبتدد لكم حزن على شىء فات فى وقت من الاوقات الآتية لانكم لا يفوتكم شىء تسرون به . . ٥ و لما ناداهم بما يطمع فيه سائر أهل الموقف لأن كل حزب يقولون : نحن عباده ، خص المرادين بما ^٢ يؤنس غيرهم ^١ و لئلا يكون الوصف بالتقوى [موقفا - ^٤] لمن سمعه اليوم من الكفار عن الدخول فى الدين ظنا منهم أن الرسوخ فى التقوى شرط فيه حين الدخول و كانوا لا يستطيعون ذلك ، فوصف سبحانه المتقين بما يهون الوصول إلى درجتهم على غيرهم ١٠ فقال : ﴿ الذين آمنوا ﴾ أى أوجدوا هذه الحقيقة ﴿ باينتنا ﴾ الظاهرة عظمتها فى نفسها أولا و بنسبتها إلينا ثانيا ﴿ و كانوا ﴾ أى دائما [بما - ^٤] هو لهم كالجلبة و الخلق ﴿ مسلمين ﴾ أى متقدين للأوامر والنواهي أتم انقياد ، فذلك يصلون / إلى حقيقة التقوى التامة .

٧١٦ /

و لما ذكر ما لهم بشارة لهم و ترغيبا لغيرهم فى اللحاق بهم ^١ على ١٥ وجه فيه إجمال ، شرح ذلك بقوله : ﴿ ادخلوا الجنة ﴾ و لما كانت الدار

- (١) من مد ، وفى الأصل و ظ : محض (٢-٢) سقط ما بين الرقين من ظ و مد (٣-٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : لوين عليهم (٤) زيد من مد .
- (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : الدنيا (٦) من مد ، وفى الأصل و ظ : لهم .

نظم الدرر (سورة الزخرف ٤٣ : ٧٠ - ٧٢) ج - ٧

لا تكمل إلا بالرفيق السار، قال تعالى: ﴿ اقم وازواجكم ﴾ اى نساؤكم
اللاتى كن مشاكلات لكم فى الصفات، و' أما قرناؤم' من الرجال
فدخلوا فى قوله " كانوا مسلمين " ﴿ تحبسون ﴾ اى تكرمون و تزينون
ففسرون سرورا يظهر أثره عليكم مستمرا يتجدد أبدا .

٥ ولما كان هذا أمرا [سائقا إلى حالهم - ٢] سابقا لمن كان واقفا
عنهم إلى وصالحهم، أقبل على من لعله يوقفه الاشتغال ببلهه أو مال
محركا لما جهل منه ، ومنبها على ما غفل عنه، فقال عائدا إلى الغيبة
رغيبا فى التقوى: ﴿ يظاف عليهم ﴾ اى المتقين الذين جعلناهم بهذا
النداء ملوكا ﴿ بصحاف ﴾ جمع صحفة وهى القصعة ﴿ من ذهب ﴾ فيها
١٠ من ألوان الأطعمة و الفواكه و الحلوى ما لا يدخل تحت الوهم .

ولما كانت آنية الشرب فى الدنيا أقل من آنية الأكل، جرى
على ذلك المعهود، فبهر بجمع القلة فى قوله: ﴿ واكواب ﴾ جمع كوب
وهو كوز مستدير مدور الرأس لا عروة له، قد تفوق عن شئ منه
اليد أو الشفة^٨ أو يلزم منها بشاعة فى شئ من دائر الكوز، وإبذانا
١٥ بأنه لا حاجة أصلا إلى تعليق شئ لتزيد^٩ أوصافه عن أذى^{١٠}

(١-١) من ظ و مد، وفى الأصل: لما قرأناهم (٢) زيد من مد (٣ ٣) من
ظ و مد، وفى الأصل: بلوو (٤) فى ظ و مد: جهد (٥) من مد، وفى
الأصل و ظ: منهم (٦) من مد، وفى الأصل و ظ: القفة (٧) من مد، وفى
الأصل و ظ: على (٨) من مد، وفى الأصل و ظ: السعة (٩) من مد، وفى
الأصل و ظ: لتزايد (١٠) من مد، وفى الأصل و ظ: ادنى .

أو نحو ذلك .

ولما رغب فيها بهذه المغيات، أجل بما لا يتمالك معه عاقل عن المبادرة إلى الدخول فيها يخصها فقال: ﴿ وفيها ﴾ أى الجنة . ولما كانت اللذة محصورة في المشتهى قال تعالى: ﴿ ما تشتهيه الانفس ﴾ من الأشياء المعقولة والمسموعة والملبوسة وغيرها جزاء لهم على ما منعوا أنفسهم من الشهوات في الدنيا . ولما كان ما يخص المصبرات من ذلك أعظم، خصها فقال: ﴿ وتلد الاعين ج ﴾ من الأشياء المبصرة التى أعلاها النظر إلى وجهه الكريم تعالى، جزاء ما تحملوه من مشاق الاشتياق .

ولما كان ذلك لا يكمل طيبه إلا بالدوام ، قال عائدا إلى الخطاب لأنه أشرف وأذ مبشر لجميع المقبلين على الكتاب، والملفت إليهم ١٠ بالترغيب في هذا الثواب، بشارة لهذا النبي الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام بما قدمه في [أول - ٢] السورة وأثنائها من بلوغ قومه نهاية العقل والعلم الموصلين إلى أحسن العمل الموجب للسعادة: ﴿ وانتم فيها تخلصون ﴾ لبقائها وبقاء كل ما فيها ، فلا كلفة عليكم أصلا من خوف من زوال ولا حزن من فوات .

١٥

ولما كان التقدير: الجنة التى لمثلها يعمل العاملون، عطف عليه قوله مشيرا إلى ثغامتها بأداة البعد: ﴿ وتلك الجنة ﴾ أى العالية المقام (التي) ولما كان الإرث أمكن للأك ، وكان مطمح النفوس إلى المكنة

(١) من ظ و مد ، وفي الأصل : بها (٢) زيد من مد (٣) من ظ و مد ، وفي الأصل : حسن .

في الشيء مطلقا لا يبعد، بنى^١ للفعول قوله تعالى: (اورثموها) ولما كان ما حصله^٢ الإنسان^٣ بسعيه^٤ الذي في نفسه^٥ لسروره بالتمتع به وبالعمل الذي كان من سببه، قال تعالى: (بما) وبين أن العمل كان لهم كالجبل التي جبلوا عليها، فآلته لربهم في الحقيقة بما زكى لهم أنفسهم بقوله: (كنتم تعملون) أي مواظبين على ذلك لا تقترون. ولما كان الأكل^٦ أعم الحاجات وأعم الطلبات، قال تعالى مبينا أن جميع أكلهم تفكك ليس فيه شيء تقوننا لأنه لا فناء^٧ فيها لقوة ولا غيرها لتحفظ بالأكل ولاضعف (لكم فيها فاكهة) أي ما يؤكل تفككها وإن كان لحما وخبزا. ولما كان ما يتفكك^٨ في الدنيا قليلا قال تعالى: (كثيرة) ودل مع الكثرة على دوام النعمة بقصد التفكك بكل شيء فيها بقوله: (منها) أي لامن غيرها بما يلحظ فيه التقوت (تاكلون) فلا تنفذ أبدا ولا تتأثر بأكل الآكلين لأنها على صفة الماء النابع، لا يؤخذ منه شيء إلا خلف مكانه مثله^٩ أو أكثر منه^{١٠} في الحال.

[ولما ذكر ما للقسم الثاني من الأنفلاء -^{١١}] وهم المتقون ترغيبا

- (١) من ظ و مد، وفي الأصل: بناء (٢) من مد، وفي الأصل وظ: حاصله.
(٣-٢) من مد، وفي الأصل وظ: لسعيه في الدية لنفسه - كذا (٤) من مد، وفي الأصل وظ: الأقل (٥) من ظ و مد، وفي الأصل: فبانها.
(٦) زيد في الأصل: به، ولم تكن الزيادة في ظ و مد لحذفها (٧-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ و مد (٨) زيد من مد.

لهم^١ في التقوى^٢، أتبعه ما لأضدادهم أهل القسم الأول تحذيرا من مثل أعمالهم، فقال استثناء مؤكدا في مقابلة إنكارهم: ﴿ان المجرمين﴾ أى الراسخين في قطع ما أمر الله به أن يوصل ﴿في عذاب جهنم﴾ أى النار التى من شأنها لقاء داخلها بالتجهنم والكراهة والعبوسة كما كان يعمل عند قطعه لأولياء الله تعالى ﴿خالدون ملىء﴾ لأن إجرامهم ه كان طبعاً لهم لا ينفكون عنه أصلاً ما بقوا .

ولما^٣ بين إحاطته بهم إحاطة الظرف بمظروفه^٤، وكان من المعلوم أن النار لا تفتقر عن لابسته إلا بفتقر بمنعها بما يصبه^٥ عليها أو تقليل من وقودها أو غير ذلك خرقاً للعادة، بين أنه لا يعتريها نقصان أصلاً كما يعهد في عذاب الدنيا لأنهم هم^٦ وقودها فقال تعالى: ﴿لا يفتقر عنهم﴾ ١٠ [أى -^٧] لا يقصد إضعافه [بنوع -^٨] من الضعف، فتفى التفتير نفى للفتور من غير عكس، قال البيضاوى: وهو من فترت عنه الحمى - إذا سكنت، و التركيب للضعف .

ولما كان انتظار الفرج مما يخفف^٩ عن المتضايق^{١٠}، نفاه بقوله:

(١) سقط من ظ و مد (٢) زيد في الأصل: ولما كان هذا ما وعده سبحانه و تعالى للتقين الطيعين، ولم تكن الزيادة في ظ و مد لحذفها (٣) زيد في الأصل: كانت الأمور كذلك، ولم تكن الزيادة في ظ و مد لحذفها . (٤) من ظ و مد، وفي الأصل: بالظروف (٥) من ظ و مد، وفي الأصل: ينصبه (٦-٦) من مد، وفي الأصل و ظ: الدنهم - كذا (٧) زيد من مد (٨) زيد من ظ و مد (٩-٩) سقط ما بين الرتين من ظ و مد .

(وهم فيه مبلسون ٢) أى ' ساكتون سكوت يأس من النجاة

والفرج .

ولما ^٢ كان ربما ظن من لا بصيرة له أن هذا العذاب ' أكبر وأكثر
 بما يستحقونه ، أجاب سبحانه بقوله ليزيد عذابهم برجوعهم باللائمة على
 ٥ نفوسهم ووقوعهم فى منادات الندامات : (وما ظلمتهم) نوعا من
 الظلم ' لأنه تعالى مستحيل فى حقه الظلم ' (ولكن كانوا) جبلة وطبعا
 و عملا و صنعا دائما (هم) أى خاصة (الظالمين ٥) لأنهم بارزوا
 المنعم عليهم بالعظائم ونورا أنهم لا ينفكون عن ذلك ما بقوا ، والأعمال
 بالنيات ، ولو كانوا / يقدررون على أن [لا - ٢] يموتوا ' لما ماتوا ' .
 ١٠ ولما كان من مفهوم الإبلas ' السكوت ، أعلم بأن سكوتهم ليس

/ ٧١٨

دائما لأن الإنسان إذا وطن نفسه على حالة واحدة ربما خف عنه بعد
 الألم ، فقال مبينا [أنهم - ١] من البعد بمحل كبير لا يطمعون معه فى
 خطاب الملك ، وأنهم مع علمهم باليأس يعلقون آمالهم بالخلاص كما
 يقع للمتمين للحالات ' فى الدنيا ليكون ذلك زيادة فى المهم : (ونادوا)
 ١٥ ثم بين أن المنادى خازن النار فقال مؤكدا لبيان البعد بأداته :
 (يملك) وقراءة " يا مال " ، للإشارة إلى أن العذاب أوهنهم

(١) زيد فى الأصل : حال كونهم ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فذنتها .
 (٢-٢) سقط ما بين الرقين من ظ و مد (٣) سقط من ظ و مد (٤-٤) من
 ظ و مد ، وفى الأصل : لما تروا (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : الإبلas .
 (٦) زيد من مد (٧) من ظ و مد ، وفى الأصل : للحوالات (٨) من ظ
 و مد ، وفى الأصل : ياما .

عن

عن إتمام الكلام، ولذا قالوا: ﴿ليقض علينا﴾ أى سله سؤالاً حتماً أن^١
يقضى القضاء الذى لا قضاء مثله، وهو الموت على^٢ كل واحد [منا-^٣]،
وجروا على عادتهم فى الغباوة والجلالة فقالوا: ﴿ربك﴾ أى المحسن
إليك فلم يروا الله عليهم إحساناً وهم فى تلك الحالة، فلا شك أن إحسانه
ما انقطع عن موجود أصلاً، وأقل ذلك أنه لا يعذب أحداً منهم^٥
فوق استحقاقه، ولذلك جعل^٦ النار دركات كما كانت الجنة درجات،
ويجوز أن تكون عبارتهم بذلك تفيظاً له بما رأوا من ملابس النار من
تأثير فيه، ونداؤهم لا ينافى لإبلاسه لأنه السكوت عن يأس، وذلك
لازم لهم لأنهم كلما سكتوا كان سكوتهم عن يأس، فسكوتهم^٧ المقيد
باليأس دائم، فلذلك^٨ سألوا الموت، والحاصل أنهم لا يتكلمون بما يدل^{١٠}
على رجاء الفرج [بل هم ساكتون أبداً عن ذلك اليأس لا على
رجاء الفرج -^٩] بالحق برتبة المتقين .

ولما ذكر نداءهم، استأنف ذكر جوابهم بقوله: ﴿قال﴾ أى مابك
عليه الصلاة والسلام مؤكداً قطعاً لأطماعهم لأن كلامهم هذا بحيث
يفهم الرجاء ويفهم بأن رحمة الله تعالى التى هى موضع الرجاء خاصة^{١٥}

- (١) من ظ و مد، وفى الأصل: كذلك (٢) من مد، وفى الأصل و ظ :
أى (٣) من مد، وفى الأصل و ظ : الذى (٤) زيد من مد (٥) من مد، وفى
الأصل و ظ : بابه (٦) من مد، وفى الأصل و ظ : جعلنا (٧) من ظ
و مد، وفى الأصل فشكوتهم (٨) من ظ و مد، وفى الأصل : فكذلك .
(٩) من مد، وفى الأصل و ظ : القدرح .

بغيرهم ﴿ انكم فكثون ٥ ﴾ .

ولما ذكر سبحانه الساعة عند ذكر عيسى عليه الصلاة والسلام
فقال "وانه لعلم للساعة" وأتد أمرها وشرح بعض أحوالها إلى أن
ختم 'بما دل' على انحلال عزائمهم ولين شكائهم، وكانوا غير مقرين^٩
بذلك، قال مؤكدا جوابا لمن يبصر بعض البصر فيقول : أحق هذا ؟

و يتوقع الجواب : ﴿لقد جئناكم﴾ أى فى هذه السورة خصوصا وجميع
القرآن عموما^٢، سى بجىء الرسل 'بجئنا لهم' لما لجئهم من العظمة التى
أشارت إليها التون ﴿بالحق﴾ الكامل فى الحقيقة^٥، ولما كان ظهور
حقيقته بحيث لا يخفى على أحد ولكن شدة البغض وشدة الحب تريان
١٠ الأشياء على غير ما هى عليه، قال إشارة إلى ذلك : ﴿ولكن أكثركم﴾
أى أيها المخاطبون ﴿لالحق كرهون ٥﴾^٧ لما فيه من المنع عن الشهوات
فلذلك أنتم تقولون : إنه ليس بحق' لاجل كراهتكم فقط، لا لاجل أن
فى حقيقته نوعا من الخفاء .

ولما كان هذا مخرا لا جواب فيه اظهور الدلائل وتعالى العظمة
١٥ إلا الرجوع، وكان من لا يرجع إنما يريد محاربة الإله الأعظم، قال

(١-١) من مد، وفى الأصل وظ : ببال (٢) من مد، وفى الأصل وظ :
غير معربين (٣) زيد فى الأصل : ما، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد فحذفناها .
(٤-٤) من مد، وفى الأصل وظ : مخالبة (٥) من مد، وفى الأصل وظ :
الحقيقة (٦) من مد، وفى الأصل وظ : حقيقة (٧) زيد فى الأصل : أى،
ولم تكن الزيادة فى ظ ومد فحذفناها (٨) من مد، وفى الأصل وظ : بقوله .

عادلا عن الخطاب لإزالا لهم بالعينة منزلة البعيد الذي لا يلتفت إليه معادلا
لما تقديره: أرجعوا لما ظهر لهم من الحق الظاهر / ﴿ام ابرموا﴾ أى
أحكموا ﴿امرا﴾ فى رد أمرنا و معاداة أولياتنا مع علمهم بأننا
مطلعون عليهم .

و لما كان سبحانه مطالعا بطية أمرهم و غائب سرهم، سبب عما سأل ه
عنه من إبراهيم ما دل على أنه عالم به و قد أرم له قبل كونه ما 'يزيله
و يعدمه و يحيله^٢، على سبيل التأكيد لإنكارهم أن يغلبوا فقال:
﴿فانا مبرمون ج﴾ أى دائما للامور لعلمنا^٣ بها قبل كونها و قدرتنا
و اختيارنا، تلك صفتنا التى لا تحول بوجه: العلم و القدرة و الإرادة،
لم يتجدد لنا شئ، لم يكن .

١٠

و لما كان إصرارهم بين العزم على مجاهرة^٤ التقدير بالمعاداة و بين
معاملته و هو عليم^٥ بالمسارة و المماكرة^٦ فى المعاداة و المباكرة و المسالمة^٧
و المناكرة قال تعالى: ﴿ام يحسون انا﴾ على ما لنا من العظمة المقتضية
بجميع صفات الكمال^٨ ﴿لانسع﴾ و لما كان المراد إثبات^٩ أن عليه
تعالى محيط بالحقى و الجلى، نسبة كل منهما [إليه -'] على السواء، ذكرهما ١٥

- (١) من مد، و فى الأصل و ظ: غاية (٢ - ٢) من مد، و فى الأصل: بريلو
- و بعد منه و يحليه، و فى ظ: يزيله و بعد منه و يحليه (٣) من مد، و فى
- الأصل و ظ: بما (٤) فى ظ و مد: مجاهدة (٥) من مد، و فى الأصل و ظ:
- عليهم (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: لما كره (٧) من مد، و فى الأصل
- و ظ: الملازمة (٨) زيد فى الأصل و ظ: انا، و لم تكن الزيادة فى مد فخذناها.
- (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: مغبات (١٠) زيد من مد .

و قدم ما من شأنه أن يخفى وهو المسكر المشار إليه بالإبرام ، لأن السياق له فقال تعالى : ﴿ سرهم ﴾ أى كلامهم الخفى ولو^١ كان فى الضمار [فيما بعصينا ، ولما كان ربما وقع فى الاوهام أن المراد بالسمع إنما هو العلم لأن السر ما يخفى وهو يعم ما فى الضمار - ^٢] وهى^٣ بما يعلم ، حقق ه أن المراد به حقيقته بقوله : ﴿ ونحوهم^٤ ﴾ أى كلامهم المرتفع حتى كأنه على نجوة أى مكان عال ، فلم أن المراد حقيقة السمع ، وأنه تعالى يسمع كل ما يمكن أن يسمع ولو لم يكن فى قدرتنا نحن سماعه ، فنكون فيه كالأصم بالنسبة إلى ما نسمعه نحن من الجهر ولا يسمعه^٥ هو لفقد قوة السمع فيه ، لا لأنه مما من حقه ألا يسمع .

١٠ ولما كان إنكار^٦ عدم السماع [معناه السماع^٧] ، صرح به فقال : ﴿ بلئى ﴾ أى نسمع^٨ الصنفين كليهما على حد سواء ﴿ ورسلنا ﴾ وهم الحفظة من الملائكة على ما لهم من العظمة بنسبتهم إلينا . ولما كان حضور الملائكة معنا وكتابتهم لجميع أعمالنا على وجه لا نحس به نوع إحساس أمرا هو فى غاية الغرابة ،^٩ قال معبرا بلدى التى يعبر بها عند اشتداد الغرابة^{١٠} : ﴿ لديهم يكتبون ه ﴾ أى يحددون الكتابة " كلما تجدد "

(١) من مد ، وفى الأصل و ظ : لما (٢) زيد من مد (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : هو (٤) من مد ، وفى الأصل و ظ : بمكان (٥) من مد ، وفى الأصل و ظ : لا نسمعه (٦) من مد ، وفى الأصل و ظ : لفقده (٧) من مد ، وفى الأصل و ظ : انكارهم (٨) زيد من ظ و مد (٩) من مد ، وفى الأصل و ظ : تسمع (١٠-١٠) سقط ما بين الرقنين من ظ (١١-١١) من مد ، وفى الأصل و ظ : كما يحدد .

ما يقتضيها لأن الكتابة أوقع في التهديد، لأن من علم أن أعماله محصاة مكتوبة تجنب^١ ما يخاف عاقبته .

ولما تقدم أول السورة تبكيهم و التعجيب منهم في ادعائهم لله ولدا من الملائكة وهددم بقوله "ستكتب شهادتهم ويستلون" وذكر شبههم^٢ في قولهم^٣ "لو شاء الرحمن ما عبدتهم" و جهلهم فيها بقوله "ما لهم بذلك من علم" ونفى أن يكون لهم [على -] ذلك دليل سمعى^٤ بقوله^٥ منكرا موجها "أم اتينهم كتباً" ومر في توهية أمرهم في ذلك وغيره بما^٦ لاحم بعضه^٧ بعضا على ما تقدم إلى أن تتم نفي الدليل السمعى على طريق النشر المشوش بقوله تعالى "واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا"، ونظم به ما أتى به [رسوله أهل الكتاب بما ١٠ يصدق ما أتى به كتابنا من التوحيد وما هدد به -] من أعرض عنه إلى أن أخبر أنه الحق الذى لا زوال أصلا لشيء منه، وأن رسله سبحانه تكتب جميع / أعمالهم من شهادتهم في الملائكة وغيرها، أعاد الكلام ٧٢٠ / في إبطال شبهتهم في أن عبادتهم لهم لو كانت ممنوعة لم يشأها الذى له عموم الرحمة لأن عموم رحمته يمنع على زعمهم مشيئة^٨ ما هو محرم، فقال ١٥ بعد أن نفي قوله "واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا" أن يكون لهم

(١) من مد، وفي الأصل و ظ : بحيث (٢) في مد : شبهتهم (٣) من مد، وفي الأصل و ظ : قواه (٤) زيد من مد (٥) من ظ و مد، وفي الأصل : سمع (٦) من مد، وفي الأصل و ظ : فقوله (٧ - ٧) من مد، وفي الأصل و ظ : لاحضر بعضهم (٨) من مد، وفي الأصل و ظ : مشيئة .

دليل سمعى^١ على أحد من رسله عليهم الصلاة والسلام :
 ﴿ قل ان كان للرحمن ﴾ أى العام الرحمة ﴿ ولد قطمى ﴾ على ما زعمتم ،
 والمراد به الجنس لادعائهم فى الملائكة ، وغيرهم فى غيرهم ، وقراءة حمزة
 والكسائى^٢ بضم ثم سكون على أنه جمع على إرادة الكثرة . ولما كان
 ٥ المعنى : فأنما ما^٣ عبدت ذلك الولد ولا أعبدته ، ولو شاء الرحمن ما
 تركت عبادته ، ولكنه شاء تركى لها^٤ ، وشاء فعلكم لها ، فاحداها قطما
 مشيئة للباطل ، وإلا لاجتمع التقيضان بأن يكون الشيء حقا باطلا فى
 حال واحد من وجه واحد ، وهو بديهى الاستحالة ، فبطلت شبهتكم^٥ بدليل
 قطمى - هكذا كان الأصل ، ولكنه عدل عنه إلى ما يفيد معناه وزيادة
 ١٠ أنه يعبد الله مخلصا ولا يعبد غيره ، وأنه لا يستحق اسم العباداة إلا ما كان
 له خالصا ، فقال : ﴿ فانا ﴾ أى فى الرتبة ﴿ اول العبدین ٥ ﴾ للرحمن ،
 العباداة التى هى العباداة ولا يستحق غيرها أن يسمى عباداة وهى الخالصة ،
 أى فانا لا أعبد غيره لا ولدا ولا غيره ، ولم يشأ الرحمن لى أن أعبد
 الولد ، أو يكون المعنى : أنا أول العابدين للرحمن على وجه الإخلاص ،
 ١٥ لم أشرك به شيئا أصلا فى وقت من الأوقات مما سميتوه ولدا أو شريكا
 أو غيره ، ولو شاء ما عبدته على وجه الإخلاص ، ولا شك عندكم وعند
 غيركم أن من أخلص لاحد كان أولى من غيره برحمة ، فلو أن الإخلاص
 (١) من ظ و مد ، وفى الأصل : سمع (٢) راجع ثو المرجان ٤/٥٨ (٣-٣) من
 ظ و مد ، وفى الأصل : فما (٤) من مد ، وفى الأصل و ظ : له (٥) من مد ،
 وفى الأصل و ظ : شبهتكم .

له ممنوع ما شاء لى^١، ولولا أن عبادة غيره ممنوعة لشاءها لى، ولو أن
له ولدا لشاء لى عبادته، فإن عموم رحمته لكافة خلقه^٢ لكونهم خلقه^٣
وخصوصها^٤ لى لكونى عبده خالصا له يمنع على زعمكم من أن يشقى
وأنا أخلص له، فبطلت شبهتكم بمثلها بل أقوى منها، وهذا مما علق
بشيء^٥ هو بنقيضه أولى، وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن "ان" ه
نافية^٦ بمعنى: [ما ينبغى -^٦] أى ما كان له ولد، فاقى أول من عبده
رتبة و ما علت له ولدا، ولو كان له^٧ ولد لعلته فعبدته تقربا إليه
بعبادة ولده.

و لما بطلت الشبهة على تقدير برهان، وعلى آخر بشبهة أقوى
منها، و ظهر الأمر واتضح الحق فى أنه سبحانه يشاء لشخص فعل شيء ١٠
ولآخر عدم فعل ذلك الشيء و فعل ضده أو نقيضه، و من المعلوم
قطعا أنه لا يكون فعل النقيضين^٨ و لا الضدين فى آن واحد حقا^٩ من
وجه واحد، فعرف بذلك أن العبرة فى الحلال و الحرام بأمره ونهيه
لا بإرادته، وأنه لولا ذلك / لما علم أنه فاعل بالاختيار يخص من يشاء^{١٠} ٧٢١/
من عباده بما يشاء^١ بعد أن عهم بما شاء، كان موضع التنزيه عما نسبوه ١٥

(١) زيد فى الأصل و ظ : به، و لم تكن الزيادة فى مد فخذناها (٢) سقط
ما بين الرقين من مد (٣) فى مد : خصوصا (٤) سقط من مد (٥) من ظ
و مد، و فى الأصل و ظ : فيه (٦) زيد من مد (٧) من ظ و مد، و فى
(٩) من ظ و مد، الأصل : لى (٨) من مد، و فى الأصل و ظ : النقيض .
و فى الأصل : اخفا (١٠) من مد، و فى الأصل و ظ : شاء .

إليه من الباطل ، فقال منزها على وجه مظهر أنه لا يصح أن ينسب إليه ولد أصلا: ﴿ سبخن رب ﴾ أى مبدع و مالك ﴿ السموات ﴾ ولما كان المقام للتنزيه وجهة العلوية أجدر ، لأنه أبعد^١ عن النقص^٢ و النقيض^٣ ، لم يقتض الحال إعادة لفظ الرب بخلاف ما يأتى آخر الجائية ، فانه
 ٥ لإثبات الكمال ونظيره^٤ إلى جميع الأشياء على حد سواء فقال: ﴿ و الارض ﴾ أى اللتين كل ما فيهما و من فيهما مقهور مربوب محتاج لا يصح أن يكون له منه سبحانه نسبة بغير العبودية بالإيجاد^٥ و الترية^٦ .

و لما كانت خاصة الملك^٧ أن يكون له ما لا^٨ يصل إليه غيره بوجه أصلا ، قال محققا للملك لجميع ما سواه و من سواه [و -^٩] ملكه له ،
 ١٠ و لم يعد العاطف لأن العرش من السموات : ﴿ رب العرش ﴾ أى المختص به لكونه خاصة الملك الذى رسع كرسيه السموات و الأرض ﴿ عما يصفون ٥ ﴾ من أنه^{١٠} له ولد أو شريك .

و لما حصص^{١١} الحق لمعت^{١٢} فى الموجود كله أعلام الصدق بعد بطلان شبهتهم و بيان أغلوطنهم ، عرف أنهم فاعلون بوضع الأشياء
 ١٥ فى غير مواضعها^{١٣} فعل الخائض اللاعب ، فقال مسييا عن ذلك : ﴿ قدرهم ﴾

-
- (١) من مد ، وفى الأصل وظ ؛ عن البعد (٢-٢) -قط ما بين الرقين من مد .
 (٣) من مد ، وفى الأصل وظ ؛ نظيره (٤) من مد ، وفى الأصل وظ ؛
 بالاتحاد (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : التنزيه (٦-٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : انه حالا (٧) زيد من مد (٨) من مد ، وفى الأصل وظ : ان .
 (٩) من ظ و مد ، وفى الأصل : حصص (١٠) من ظ و مد ، وفى الأصل : بلغت - كذا (١١) من ظ و مد ، وفى الأصل : موضعها .

أى اتركهم [على أسوأ أحوالهم -'] (يخوضوا) أى يفعلوا فعل الخائض
 فى الماء فى وضع رجله التى هى عماده^٢ فيها لا يعرفه، وقد لا يرضاه
 لكونه لا علم له به (ويلعبوا) [أى يفعلوا فعل اللاعب فى انهماكه
 فى فعل ما ينقصه ولا يزيده] (حتى يلقوا) أى يفعلوا بتصريم أعمارهم
 فى فعل ما لا ينفعهم فعل المجتهدين فى أن يلقوا (يومهم الذى يوعدون^٥) هـ
 بوعده لا خلف فيه فيظهر فيه وعيدهم^٦ ويحق^٧ تهديدهم .

ولما نزهه سبحانه عن الولد و دل على ذلك بأنه مالك كل شيء
 و ملكه، و كان ذلك غير ملازم للالوهية، دل على أنه مع ذلك هو
 الإله لا غيره فى الكونين بدليل بديهى يشترك فى علمه الناس كلهم،
 و قدم السماء^٨ ليكون أصلاً فى ذلك يتبع^٩ لأن الأرض تبع لها فى ١٠
 غالب الأمور، فقال دالاً على أن نسبة الوجود كله إليه على حد سواء
 لأنه منزّه عن الاحتياج^{١١} إلى مكان أو زمان عاطفاً على ما تقديره: تنزه
 عما نسبوه إليه الذى هو معنى "سبحن"^{١٢}: (و هو الذى) هو
 (فى السماء اله) أى معبود لا يشرك^{١٣} به شيء (و فى الأرض اله^{١٤})
 توجه الرغبات إليه فى جميع الأحوال، و يخلص له فى جميع أوقات ١٥

- (١) زيد من ظ و مد (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: عماره (٣) من مد،
 و فى الأصل و ظ: و عدهم (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: تحقق (٥) من
 مد، و فى الأصل و ظ: الماء (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: تبع (٧) من
 ظ و مد، و فى الأصل: الاحتياج (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: سبحانه .
 (٩) زيد فى الأصل: سبحانه وتعالى، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفها .
 (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: لا يشترك (١١) ليس فى الأصول (١٢) من
 ظ و مد، و فى الأصل: الأوقات .

الاضطرار، فقد وقع الإجماع من جميع من في السماء والأرض على إلهيته^١ فثبت استحقاقه لهذه الرتبة و ثبت اختصاصه باستحقاقها في الشدائد فباقى الأوقات^٢ كذلك من غير فرق^٣ لأنه لا مشارك له في مثل هذا الاستحقاق، فعبادة غيره باطلة. قال في القاموس: أله - أى بالفتح - إلهة و ألوهة^٤ و ألوهية: عبادة، و منه: لفظ الجلالة - وأصله: إله بمعنى معبود^٥ وكل ما اتخذ معبوداً فهو إله^٦ عند متخذه^٧، و أله كفرح: تخير، فقد علم من هذا جواز تعلق الجار بآله^٨.

و لما كان الإله لا يصلح للآلوهية إلا إذا كان يضع الأشياء في محالها بحيث لا يتطرق إليها فساد، و لا يضرها إفساد مفسد، و كان لا يكون كذلك إلا بالعلم [قال - "]: ﴿ وهو الحكيم ﴾ أى البليغ^٩ الحكمة، و هى العلم الذى لأجله وجب الحكم من قوام من أمر المحكوم عليه في عاجلته و آجلته^{١٠}، و لما كانت^{١١} الحكمة العلم بما لأجله وجب الحكم قال تعالى: ﴿ العليم ﴾ أى البالغ فى علمه إلى حد لا يدخل [فى - "]: عقل العقلاء

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: الهيئة (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: الاتفاق (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: فرت (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: به شيء ولا شك فى (هـ-هـ) من مد و القاموس، و فى الأصل: الإلهية (٦) زيد فى الأصل: به، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد و القاموس لخذناها. (٧) فى القاموس: مألوه (٨) من مد، و فى الأصل و ظ: معبود. (٩-٩) من مد و القاموس، و فى الأصل: عنده أى عند من اتخذ (١١) من ظ و مد، و فى الأصل: أله (١١) زيد من مد (١٢) من ظ و مد، و فى الأصل: بالغ (١٣-١٣) من مد، و فى الأصل و ظ: كان.

أكثر من وصفه به على طريق المبالغة ولو وسعوا أفكارهم وأصلوا
 أنظارهم^١ لأنه ليس كمثل شيء^٢ في ذاته^٣ ولا صفة من صفاته ليقاس
 به، [و-^٢] كل من ادعى فيه أنه شريك له لا يقدر من أشرك به أن
 يدعى له^٤ ما وصف^٥ به من الإجماع على ألوهيته^٦ ومن كمال علمه وحكمه،
 فثبت^٧ قطعاً بطلان الشركة بوجه يفهمه كل أحد، فلا خلاص حينئذ
 إن^٨ خالف كائناً من كان، وإذا قد صح أنه الإله وحده وأنه منزّه
 عن شريك وولد وكل شائبة نقص كان [بحيث-^٩] لا يخاف وعيده،
 فلا يخوض ولا يلعب عبده، ومن خاض [منهم-^{١٠}] أو لعب فلا
 يلومن إلا نفسه، فإن عمله محفوظ بعلمه فهو مجاز عليه بحكمته.

ولما نزه ذاته الأقدس وأثبت لنفسه استحقاق الإلهية بالإجماع ١٠
 من خلقه^١ بما ركزه^٢ في فطرهم^٣ وهذامهم^٤ إليه بقولهم، أتبع ذلك
 أدلة أخرى باثبات كل كمال بما تسعه العقول وبما لا تسعه مصرحاً
 بالملك فقال: ﴿وتبرك﴾ أي ثبت ثباتاً^٥ لا يشبهه ثبات لأنه لا زوال
 مع التيمن والبركة وكل كمال، فلا تشبيه^٦ له حتى يدعى أنه ولد له

- (١) من مد، وفي الأصل وظ: انتظارهم (٢-٣) من ظ ومد، وفي الأصل:
- واداه (٣) زيد من مد (٤-٥) من مد، وفي الأصل وظ: وصفا (٥) من
- مد، وفي الأصل وظ: الهية (٦) من مد، وفي الأصل وظ: فيثبت.
- (٧) في مد: بأن (٨-٩) من ظ ومد، وفي الأصل: كما ذكره (٩) من ظ
- ومد، وفي الأصل: هوام (١٠) من مد، وفي الأصل وظ: اثبت.
- (١١) زيد في الأصل وظ: أي، ولم تكن الزيادة في مد لغزهاها.
- (١٢) من مد، وفي الأصل وظ: شبهة.

أَوْ شريك، ثم وصفه بما بين تباركه واختصاصه بالإلهية فقال :
 ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ﴾ أى كلها ^١ ﴿وَالْأَرْضِ﴾ كذلك
 ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ وبين كل اثنين منها ^٢، والدليل على هذا الإجماع القائم
 على توحيده عند الاضطراب .

٥ ولما ثبت اختصاصه بالملك [وكان الملك لا يكون إلا عالما بملكه
 وكان ربما ادعى مدع وتكذب معاند في الملك - ^٤] أو العلم، قطع
 الإطماع بقوله : ﴿وَعِنْدَهُ﴾ أى وحده ﴿عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ سائقا له مساق
 ما هو معلوم الكون، لا مجال للخلاف فيه [إشاره - ^٢] إلى ما عليها
 من الأدلة القطعية المروزة في الفطر* الأولى فكيف بما يودى إليه
 ١٠ الفكر من الذكر المنبه عليه السمع، ولأن من ثبت اختصاصه بالملك
 وجب قبول أخباره لذاته، وخوفا من سطواته، ورجاء في بركاته
 ﴿وَالِيهِ﴾ أى وحده لا إلى غيره بعد قيام الساعة ﴿تَرْجِعُونَ﴾ بأيسر
 أمر تحقيقا لما له وقطعا للنزاع في وحدانيته، وقراءة الجماعة* وهم من
 عدا ابن كثير وحزبه والكسائي ورش عن يعقوب بالخطاب أشد
 ١٥ تهديدا من قراءة الباقيين بالغيب، وأدل على تناهي الغضب على من
 لا يقبل إليه بالمتاب بعد رفع كل ما يمكن أن يتسبب عنه ارتياب .

(١) زيد في الأصل : جميعا، ولم تكن الزيادة في ظ و مد لحذفها (٢) من
 ظ و مد، وفي الأصل : منها (٣) زيد من مد (٤) من مد، وفي الأصل
 و ظ : الآلة (٥) من ظ و مد، وفي الأصل : الفطرة (٦) راجع
 نثر المرجان ٦ / ٤٦١ .

ولما أرشد السياق قطعاً إلى التقدير: فلا شريك له في شيء من ذلك ولا ولده ولا يقدر أحد منهم على التخلف عن الرجوع إليه كما أنه لا يقدر أحدٌ على مدافعة قضائه وقدره، عطف عليه قوله: ﴿ ولا يملك ﴾ أى بوجه من الوجوه في وقت ما^١ ﴿ الذين يدعون ﴾ أى يجعلونهم في موضع الدعاء بعبادتهم لهم، وبين سفول رتبهم بقوله ه تعالى: ﴿ من دونه ﴾ من أدنى رتبة من رتبته^٢ من الأصنام والملائكة والبشر وغيرهم ﴿ الشفاعة ﴾ أى فلا يكون منهم شفيع كما زعموا أنهم شفعاؤهم ﴿ الا من شهد ﴾ أى منهم ﴿ بالحق ﴾ أى التوحيد الذى يطابقه الواقع إذا انكشف [أتم انكشاف - °] وكذا ما يتبعه فانه يكون أهلاً لأن يشفع كالملائكة والمسيح عليهم الصلاة والسلام، ١٠ والمعنى أن أصنامهم التى ادعوا أنها تشفع^٣ [لهم لا تشفع - °] غير أنه تعالى ساقه على أبلغ ما يكون لأنه كالدعوى.

ولما كان ذلك مركزاً حتى^٤ في فطر الكفار فلا يفزعون في وقت الشدائد إلا إلى الله، ولكنهم لا يلبثون أن يعملوا من الإشراك بما^٥ يخالف ذلك، فكأنه لا علم لهم قال: ﴿ وهم ﴾ أى والحال أن ١٥

- (١) سقط من مد (٢) من ظ و مد، وفي الأصل: من الاوقات (٣) من ظ و مد، وفي الأصل: رتبة (٤) من ظ و مد، وفي الأصل: لا يطابقه. (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و مد، وفي الأصل: جرم (٧) من مد، وفي الأصل و ظ: بما.

من شهد (يعلمونه) أى على بصيرة بما شهدوا به ، فذلك ' لا يعلمون ' بخلاف ما شهدوا [إلا - ٢] جهلا منهم بتحقيق معنى التوحيد ، فذلك يظنون أنهم لم يخرجوا عنه وإن أشركوا ، أو يكون المعنى : وهم من أهل العلم ، والأصنام ليسوا كذلك ، وكأنه أفرد أولا إشارة إلى أن التوحيد ه فرض عين على كل أحد بخصوصه وإن خالفه كل غير ، وجمع ثانيا إيدانا بالآمر بالمعروف ليجتمع الكل على العلم و التوحيد هو الأساس الذى لا تصح عبادة إلا به ، وتحقيقه هو العلم الذى لا علم بعده ، [قال الرازى فى اللوامع : وجميع الفرق إنما ضلوا حيث لم يعرفوا - ٢] معنى الواحد على الوجه الذى ينبغى إذ الواحد قد يكون مبدأ العدد ، وقد ١٠ يكون مخالطا للعدد ، وقد يكون ملازما للعدد ، والله تعالى منزّه عن هذه الوحدات - انتهى . فى الآية تبكيت لهم فى أنهم يوحّدون فى أوقات ، فاذا أنجاهم الذى وحدّه ' جعلوا شكرهم ' له فى الرخاء إشراكهم به ، ومنع لهم من ادعاء هذه الرتبة . وهى الشهادة بالحق لأنهم أنسلخوا بإشراكهم عن العلم ، وأن ' الملائكة لا تشفع لهم لأن ذلك ١٥ يؤدى إلى أن تكون قد عملت بخلاف ' ما تعلم ، وذلك ينتج الانسلاخ

(١) من مد ، وفى الأصل : فذلك ، والعبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة إلى ' شهدوا به ' ساقطة من ظ (٢) من مد ، وفى الأصل : يعلمون (م) زيد من مد (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : وحدوه (ه - ه) من مد ، وفى الأصل و ظ : شركهم (٦) من مد ، وفى الأصل و ظ : لا (٧) من مد ، وفى الأصل و ظ : الى (٨-٨) من مد ، وفى الأصل و ظ : علمت .

من العلم المؤهل للشفاعة، وقال ابن الجوزي: [و- ١] في الآية دليل على أن شرط جميع الشهادات أن يكون الشاهد عالماً بما يشهد به .

ولما كان التقدير [لتقرير- ٢] وجود إلهية في الأرض بالاجتماع:

فلئن سألتهم من ينجيهم في وقت كربهم ليقولن: الله، ليس لمن ندعوه

من دونه [هناك فعل- ١]، فقال عطفاً عليه: ((ولئن سألتهم)) أي هـ

الكفار (من خلقهم) أي العابدين والمعبودين معاً، أجابوا بما يدل

على عَمَى القلب الحقيقي المجهول عليه و المطبوع بطابع الحكمة الإلهية عليه،

ولم يصدقوا في جواب مثله بقولهم / «إذا سألتهم»: ((ليقولن الله)) ٧٢٤ /

الذي له جميع صفات الكمال هو الذي خلق الكل ليس لمن يدعوه

منه شيء، ولذلك سبب عنه قوله: ((فأنى)) أي كيف ومن أي جهة ١٠

بعد أن أثبتوا له الخلق والامر ((يؤفكون لا)) أي يقلبون عن وجوه

الأمور إلى أفتائها من قالب ما كائنا من كان، فيدعون أن له شريكا

تارة بالولدية، وتارة بغيرها، مع ما ركز في فطرم بما ثبت به أنه

لا شريك له لأن له الخلق والامر كله.

(١) زيد من ظ ومد (٢) زيد من مد (٣) من مد، وفي الأصل و ظ :

بالإجماع (٤-٤) من مد، وفي الأصل و ظ : لن يدعوا (٥) زيد في الأصل :

بالمشركين من أي وجه كان، ولم تكن الزيادة في ظ ومد لحذفها.

(٦-٦) سقط ما بين الرقيين من ظ ومد (٧) زيد في الأصل : الكمال وهو

الذي خلق، ولم تكن الزيادة في ظ ومد لحذفها (٨) من مد، وفي الأصل

و ظ : فطر (٩) من مد، وفي الأصل و ظ : لأنه (١٠) سقط من ظ ومد .

و لما أبطل سبحانه شبهتهم [و - ١] وهى غاية التوهية أمرهم^٢
 فى شركهم و ادعائهم الولد و غير ذلك بما تضمنته أقوالهم الفاسدة
 المنسوبة إليهم فى هذه السورة ، و أقام حجج الحق ، و نصب براهين
 الصديق ، و أثبت ما ينفعهم ، و حذرهم ما يضرهم ، حتى ختم ذلك بقوله
 هـ [مقسما - ٢] مع جلالة قدره و عظم أمره " لقد جئتم بالحق " ثم
 [حصر - ٢] أمرهم فى رد ذلك إن رده إلى قسمين فى حالين : حال
 مجاهرة و حال بما كره ، و أخبر أنه لانبجاة لهم على حالة منهما ، و أخبر
 أن رسله تعالى يكتبون جميع أمورهم ، ذلك [مع غناه عن ذلك لعله - ٢]
 بما يكتبونه من ذلك و غيره مما لا يطلعون عليه ، فكان ذلك نفرا عظيما
 ١٠ ملاحما أشد الملاحمة لما قدمه^٣ من شبهتهم فى ادعاء الولد فأكد إبطالها
 و حقق زوالها ، و ختم بالتعجيب^٤ من حالهم فى تركهم وجوه الأمور
 و اتباعهم أقفاها ، و كان من جملة ذلك عملهم عمل من يظن أن الله
 سبحانه لا يسمع قولهم الموجب لأخذهم و قول رسوله [الموجب - ٣]
 لنصره ، عطف على ما مضى من إنكارهم عليهم عدم سماعه لقولهم ، و لما
 ١٥ كان اشتدادهم فى تكذيبهم و مباحدتهم و عنادهم لايزداد بمرور الزمان
 (١) زيد من مد (٢) من مد ، وفى الأصل و ظ : امر (٣) زيد من ظ و مد .
 (٤) فى مد : جلال (٥) من مد ، وفى الأصل و ظ : او (٦) من مد ، وفى
 الأصل و ظ : بان (٧) من مد ، وفى الأصل و ظ : قدمته (٨) من مد ، وفى
 الأصل و ظ : بالتعجب .

إلا قوة أوقع في نفس الرسول^١ صلى الله عليه وسلم أسفا ورقة وشفقة عليهم وعظما، و صار يشكو أمرهم إلى ربه شكوى المضطر سرا وعلنا إرادة التيسير^٢ في أمرهم والتهوين لشأنهم، فاختر للتعبير^٣ عن هذا المعنى مصدرا "قال" المشترك لفظه مع لفظ الماضي المبني للجهول إشارة إلى أن شكواه بذلك كأنها صارت أمرا ضروريا له لا اختيار له في قوله ه فكأنه^٤ صار قولاً من غير قائل أو من غير قصد، لأنه صار حالا من الأحوال، ووصل به الضمير من غير تقدم ذكر، إشارة إلى [أن-^٥] ضميره قد امتلا^٦ بتلك الشفقة عليهم والرحمة لهم، فقال تعالى عطفاً على سرهم المقدور بعد "بلى" في قوله تعالى "أنا لانسمع سرهم ونجوتهم [بلى -^٧] " أو يكون معطوفاً على [محل -^٨] الساعة [أى -^٩] ١٠ "ويعلم قيله" قاله الزجاج، و عدل في هذا الوجه - وهو قراءة الجماعة - عن^{١٠} الجر عطفاً على لفظها [تعظيماً-^{١١}] لما أوصله إلى هذا القيل^{١٢} من أدام، والذي [دل -^{١٣}] على تقدير هذا الفعل قراءة عاصم^{١٤} له [وحمة-^{١٥}] بالجر فأنه^{١٦} ظاهر في تعلقه بذلك لعطفه على لفظ

(١) من ظ و مد، وفي الأصل: رسول الله (٢) من مد، وفي الأصل وظ: التيسير (٣) من ظ و مد، وفي الأصل: للتخفيف (٤) من ظ و مد، وفي الأصل: لفظاً (٥) من ظ و مد، وفي الأصل: فكان (٦) زيد من مد (٧) زيد من ظ و مد (٨) من مد، وفي الأصل وظ: بين (٩) من مد، وفي الأصل وظ: السيل (١٠) راجع نثر المرجان ٦/٤٦٣ (١١) زيد من مد ونثر المرجان. (١٢) من ظ و مد، وفي الأصل: وانه .

”الساعة“، و قرئ شاذًا بالرفع، و وجهه أن الواو للحال، أى كيف يصرفون عن اتباع رسولنا الأمر لهم بتوحيدنا فى العبادة كما أنا^٢ توحدنا بالخلق^٣ و الحال أن قيله كذا فى شكائهم، أفيظنون أنا لانصره و قد أرسلناه: ﴿ و قيله ﴾ الذى صار فى ملازمته و عدم انفكاكه حالا من الأحوال، الدال على وجه قيله و انكسار نفسه بما دلت عليه [كسرة -^٤] المصدر و ياؤه المجانسة لها، و التعبير بقوله: ﴿ يرب ﴾ دال على ذلك بما تفيد « يا » الدالة على بعد، أو تقديره: و الرب الدال على الإحسان و العطف و الشفقة و التدبير و السيادة و الاختصاص و الولاية، و ذلك على غير العادة فى دعاء المقربين، فانها جارية فى القرآن باسقاط ١٠ أداة النداء .

[و لما كان الإرسال إليهم - و المرسل قادر - مقتضيا لإيمانهم، أكد ما ظهر له من حالهم بقوله زيادة -^٥] فى التحسر و إشارة إلى أن تأخير أمرهم يدل على أن إيمانهم مطموح فيه: ﴿ ان هؤلاء ﴾ لم يصفهم إلى نفسه^٦ بأن يقول: قومى، و نحو ذلك من العبارات ولا^٧ سماهم باسم قبيلتهم لما ساءه^٨ من حالهم، و أتى بهاء المنبهة قبل اسم على غير عادة الأصل إشارة إلى أنه استشعر من نفسه بعدا^٩ استصغارا لها و احتقارا^{١٠}

- (١) من مد، و فى الأصل و ظ : قرا (٢ - ٢) من مد، و فى الأصل و ظ :
توعدنا بالحق (٣) زيد من مد (٤ - ٤) من مد، و فى الأصل و ظ : سده
بالدلالة (٥) زيد من ظ و مد (٦) فى الأصل و ظ : بياض ملأناه من مد .
(٧) من مد، و فى الأصل و ظ : لما (٨) من ظ و مد و فى الأصل : ساله .
(٩) من مد، و فى الأصل و ظ : بعد (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل : احتقار .
قوم (١٢٥) ٥٠٠

(قوم) أى أقوياء على الباطل (لا يؤمنون^٥) أى لا يتجدد منهم هذا الفعل .

ولما كان هذا قولاً دالاً على غاية ما يكون من بلوغ الجهد، تسبب عنه ما يسره بإيمانهم وبلوغهم الرتب العالية التى هى نتيجة ما كان مترجى^١ لهم أول السورة، وذلك كله ببركته صلى الله عليه وسلم^٥ فى سياق ظاهره التهديد وباطنه - بالنسبة إلى علمه^٢ - البشارة^٣ بالتشديد فقال: (فاصفح عنهم) أى اعف عن أعرض منهم صفحا فلا تلتفت إليهم بغير التبليغ (وقل) أى لهم: (سلم^٤) أى شأنى الآن؛ تماركتكم بسلامتكم منى وسلامتى منكم (فسوف يعلمون^٥) بوعد لا خلف / فيه، فهذا ظاهره^٦ تهديد كبير، وقراءة المدينين وابن عامر بالخطاب^٧ أشد^{١٠} تهديداً، وباطنه^٨ من التعبير^٩ بالصفح عنهم^{١٠} والسلام بشارته^{١١} بأنهم يصيرون علماء يفوقون الأمم فى العلم بعد أن يفوقهم^{١٢} فى العقل - بما أفهمه أول السورة - فيعلمون الأمم فى المشى على مناهيج العقل، فله دره من

- (١) من ظ و مد، وفى الأصل: مرتجى (٢) من مد، وفى الأصل و ظ: علة (٣) زيد فى الأصل: التامة، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها. (٤) من مد، وفى الأصل و ظ: لأن (٥) من ظ و مد، وفى الأصل: ظاهر. (٦) راجع نثر الرمان ٦/٤٦٤ (٧) من مد، وفى الأصل و ظ: بالتعبير. (٨-٨) من مد، وفى الأصل و ظ: البشارة (٩) من مد، وفى الأصل و ظ: يروقوهم .

أحرعائق الأول ، و مقطوع رد إلى المطلع^٢ تنزل ، يا ناظم اللآلئ^١ أين
تذهب عن هذا البناء العالى ، و تغفل^٣ عن 'هذا الجوهر' الرخص
العالى ، و تضل عن هذا الضياء اللامع المتلألئ^٤ ، ثم أعلاه فأنزله ،
و أعلاه بدر المعاني^٥ و فضله^٦ .

* * * * *

(١) من ظ ، و في الاصل و مد ، المطلق (٢-٢) من مد ، و في الأصل و ظ ؛
تنزل بالاصم اللآلئ (٣) من ظ و مد ، و في الأصل : مقل - كذا (٤-٤) من
ظ و مد ، و في الأصل : هذه الجواهر (٥) من ظ و مد ، و في الأصل :
العالى (٦) زيد في الأصل : على ما سواه من الكتب المنزلة والله الهادى ،
و لم تكن الزيادة في ظ و مد لحذفها .

خاتمة الطبع

لقد تم - والحمد لله - طبع الجزء السابع عشر من تفسير "نظم الدرر في تناسب الآيات و السور" للشيخ العلامة بهاء الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي الشافعي رحمه الله تعالى يوم الجمعة الخامس والعشرين من جمادى الثانية سنة ١٤٠١ هـ = الأول من مايو سنة ١٩٨١ م ، تحت إشراف مدير الدائرة وسكرتيرها صاحب الفضيلة السيد شرف الدين أحمد ، قاضي المحكمة العليا سابقا - بارك الله جهوده ، و ضاعف له أجوره .

و تولى مهمة تصحيحه و التعليق عليه مصحح الدائرة أخى السيد الفاضل محمد عمران الأعظمي الأنصاري العمري (أفضل العلماء - جامعة مدراس) و قام بقراءة ملازمه مصحح الدائرة السيد الفاضل القاضي محمد عطاء الله النقشبندی القادري (كامل الجامعة النظامية) - حفظهما الله .

و اهتم بتنقيحه و إنهائه خادم العلم و العلماء مقدم هذه الخاتمة - كان الله له و لوالديه .

ويليه الجزء الثامن عشر باذن الله و مشيئته مستهلا بسورة "الدخان".
و نهائيا نسأل الله مولانا الكريم أن ينفعنا به و يوفقنا لما يحبه و يرضاه ، و هو المسؤول لحسن الخاتمة ، و صلى و سلم على من علم فوائده الخير و خواتمه سيدنا و مولانا محمد و آله و صحبه أجمعين ، و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المستمسك بحبل الله المتين

المفتي محمد عظيم الدين

رئيس قسم التصحيح بدائرة المعارف العثمانية